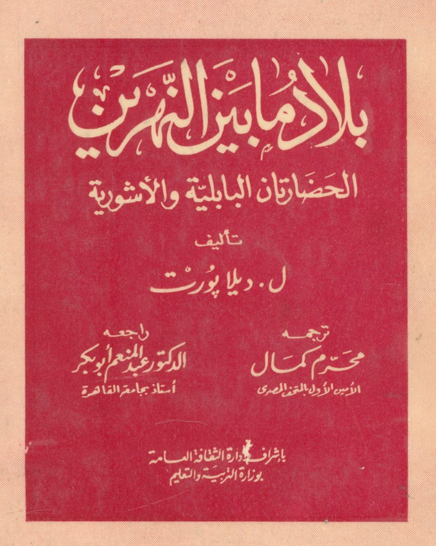
1000 كتاب



بلاد ما بين النهرين

الحضارتان البابلية والأشورية

تأليف

ل . ديلا پورت

ترجمه

محرّم كمال

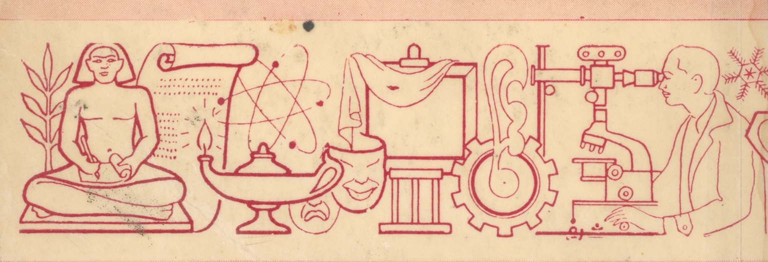
الأمين الأول بالمتحف المصري

راجعه

الدكتور عبد المنعم أبو بكر

أستاذ بجامعة القاهرة

بإشراف إدارة الثقافة العامة
بوزارة التربية والتعليم



نشرته مكتبة الآداب بالجماميز

كتاب

بلاد ما بين النهرين

(٣٥)

بإشراف إدارة الثقافة العامة
بوزارة التربية والتعليم بمصر

الألف كتاب (٣٥)

بلاد ما بين النهرين

الحضارتان البابلية والاشورية

تأليف

ل . ديلا پورت

ترجمة

محرم كمال

الأمين الأول بالمتحف المصري

ومراجعة

الدكتور عبد المنعم أبو بكر

أستاذ الآثار بجامعة القاهرة

ملتزم الطبع والنشر

مكتبة الآداب ومطبعتها بالجماميزت

المطبعة النموذجية

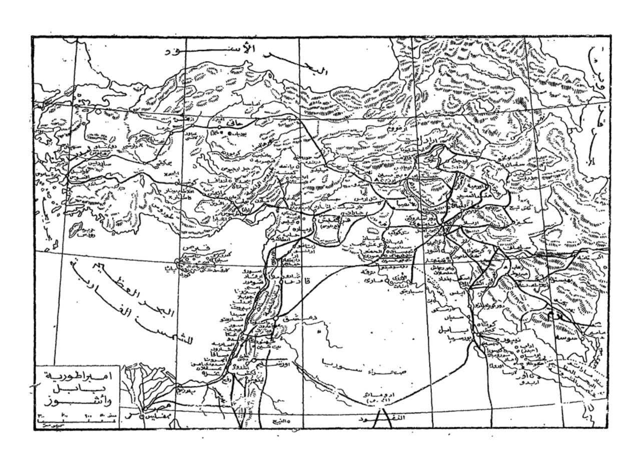
٦ سكة الشابوري بالحلمية الجديدة

هـــذه ترجمة لكتاب

LA MÉSOPOTAMIE

أشرف على ترجمة هذا الكتاب

قسم الترجمـــة بالإدارة العـامة للثقـافة



البحر الأسود
البحر العظيم
بحر الشمس الغاربة
امبراطورية
بابل
وآشور
صحراء سوريا
دمشق
بابل
أور
النفود
قبرص

المقدمة

إن المصادر التي نستمد منها معلوماتنا عن الحضارتين البابلية والآشورية — اللتين ازدهرتا في سهول دجلة والفرات، قبل العصر المسيحي؛ — تكاد تكون مقصورة على النقوش والآثار الخاصة بهاتين الحضارتين . ويرجع الفضل إلى بوتا، Botta قنصل فرنسا بالموصل، في البدء بعمل حفائر منظمة بغية الكشف عن آثار إمبراطورية اشور القديمة ؛ فهو الذى كشف في عام ١٨٤٢م في جهة خورساباد Khorsabad عن مدينة دور شاروكين Dour - Sharrockin التى شادها سرجون Sargon في اواخر القرن الثامن قبل الميلاد . ولم يمض على ذلك زمن طويل حتى استأنف الانجليزى لايارد Layard طائفة من الاعمال التى كان بوتا قد تركها فكشف عن اطلال نينوى القديمة وفيها المكتبة الهامة للملك آشوربانيبال، Assurbanipal (القرن السابع) . وليس يدخل ضمن نطاق بحثنا سرد جميع الأبحاث التى اجريت بعد هذا البدء السعيد والتى اشترك فيها علماء آثار فرنسيون وإنكليز وألمان وأمريكيون[1] بيد أننا لانستطيع أن ننسى — فيما يتعلق ببابل — ذلك العمل الذى قام به ارنست دى سارزك Ernest de Sarzec فقد عين هذا الرجل وكيلا لقنصلية فرنسا بالبصرة وتسلم اعمال وظيفته في يناير من عام ١٨٧٧م ولم يكد يمضى شهران على تعيينه حتى بدأ ينقب في اكوام الرمال التى يطلق عليها « تلو » واستمر في حفائره الناجحة حتى وافاه الاجل فحمل عنه العبء الكولونيل كروس Cros وكان من نتيجة هذه الحفائر ان خرجت عشرات الآلاف من النصوص ، وان برز تاريخ لاجاش Lagash — تلك المدينه الهامة — خلال الألف الثالث كله. وعلينا أن نذكر كذلك البعثة العلمية التى اوفدتها وزارة المعارف العموميه الى بلاد فارس

(1) XLIX

من عام ١٨٩٧م حتى عام ١٩١٢م تحت الإدارة الحازمة لمسيو جاك دى مورجان؛ فقد كشف عن أطلال سوس Suse وهى عاصمة بلاد مجاورة كانت فى كثير من الأحيان عدوة لبلاد بابل كما كشف عن طائفة من قطع فنيه ونقوش مما يلقى ضوءا كبيرا على الحضارة البابلية . ويكفى أن نذكر لوح النصر الخاص بـ « نارام سن «NARAM - SIN» (القرن ٢٨) وقانون حمورابى HAMMOURABI (القرن ٢١) وهو أهم نص خاص بالقوانين القديمة كشف عنه حتى اليوم .

وإنه لمن الصعب أن نجد معلومات جديرة بالاعتبار عن موضوعنا فيما أورده كتاب الاغريق والرومان؛ إذ أن المصادر التى استقى منها هؤلاء الكتاب لم تعد فى الأغلب الأعم روايات السياح وأقاصيصهم ، ونحن إذا أردنا أن نحققها بأسانيد اشورية أو بابلية، فاننا لا نلبث أن نجد أغلاطا وأخطاء كثيرة : فقد شهد هيرودوت مثلا بأن أرض بلاد بابل « فائقة الخصب فى انماء الحبوب . فهى تغل مائتين عادة فى مقابل كل حبة . وفى الأراضى بالغة الجودة تغل ثلاثمائة » فالمؤرخ الاغريقى قد زار بنفسه البلاد فشهادته إذن صادقة بيد انه مما لا شك فيه ، انهم قد أروه حقلا من حقول التجارب حيث أمكن الحصول على غلة تفوق المتوسط بكثير ، فمنذ مدة قريبة ورد ذكر نوع من الحنطة زرع فى أرض جيدة بجهة مرنياك Merignac (جيروند) ، فعاد بغلة مقدارها ٢٢٥٠ للحبة الواحدة [1] ولكن لا ينبغى لنا أن نستنتج من ذلك أن مثل هذه النتيجة يمكن الحصول عليها فى الأحوال العادية للزراعة . وفى سهول الفرات السفلى ؛ فان محصول الغلال الذى يبلغ من ٣٠ إلى ٤٠ ضعف البذور ؛لم يتغير إلا قليلا عما كان عليه فى الزمن القديم، اللهم إلا فى الألف الثالث؛ حيث زاد المحصول عن ذلك طبقا لبعض الوثائق الحسابية فى إقليم لاجاش ، على مسافة غير بعيدة من الخليج الفارسى [2] .

---

(1) G . HEUZÈ : Les plantes Céréales. Le Blé, p. 182

(2) LII p. XLVI

وحل رموز الكتابات البابلية والاشورية — وهى التى يطلق عليها المسمارية (أو الإسفينية) ؛ لأن كل علامة منها تشبه المسمار (الإسفين) ؛ — يرجع الى أبعد من كشوف بوتا؛ فلقد كانت المحاولات الأولى تجرى على مجموعة من احدى وأربعين علامة مشتقة من الكتابة البابلية ، كانت تكون العلامات المقطعية فى النقوش الفارسية الأكمينية (الكيانية) [1] . وبعد بيترو ديلا فالى Pietro dellavalle الذى نقل فى عام ١٦٢١ خمس علامات من أطلال برسيبوليس Persépolis ، وتبين معنى الكتابة، اتى شاردان Chardin (١٦٧٣)، وكمفر Kaempfer (١٧١٢) ، وكورنى دى برين Corneille de Bruyn (١٧١٨)، ببيانات أكثر أهمية . وحوالى ١٧٦٥ تمكن نيبور Niebuhr من إيجاد نطق بعض كتابات كاملة، ولاحظ أنها تتكون من مجموعات كل مجموعة فيها ثلاثة أشكال مختلفة من الكتابة، إذا نقشت فى سطر واحد؛ فان أبسطها يكون دائما جهة اليمين وأصعبها جهة اليسار . وفى عام ١٧٩٨ توصل تايشن Tyschen إلى معرفة أن كلمات نصوص النوع الأول يفصل بعضها عن بعض علامة على شكل المسمار المائل . وفى عام ١٨٠٢ قدر مونتر Münter ان لغة هذه الكتابة الأولى ، لابد انها تقارب لغة الزند التى تفصل كذلك بين الكلمات . وقد حاول أن يحل رموز هذه اللغة، ولكنه لم يوفق إلا فى ثلاث علامات للحركة، وثلاث علامات صامتة . وفى نفس العام اعتمد جروتفند Grotefend على بعض الاعتبارات الأثرية، فى محاولته حل معميات هذه الكتابة الأولى، وقد وجد أن الكلمة — التى اعتقد تايشن ومونتر أنها تتضمن اللقب الملكى — توجد كثيرا مكررة مرتين عند مستهل النص. وفى المرة الثانية تنتهى بنهاية رأى فيها علامة الجمع بما يعطى مجموعها معنى « ملك الملوك » . ولا شك فى أن الكلمة السابقة تتضمن الاسم نفسه للملك بحيث تكون الصيغة فلان «ملك الملوك». والمجموعة التى تعنى ملكا ، ترد أحيانا ككلمة ثالثة بعد هذه المجموعة وفى هذه

---

(1) Lxll

الحالة لابد أن يكون لدينا اسم الأب يسبقه لفظ معناه «الابن»، أى تكون الصيغة « فلان » « ملك الملوك »، ابن « فلان » « الملك » . وفى مكان آخر يوجد بالمقارنة « فلان » « ملك الملوك ابن فلان »، دون أن يكون هذا الأخير ملكا . ولما كان الأمر يتعلق بنقوش «برسبوليس» فإن هذه الصيغة الثانية لابد وانها تذكر اسم مؤسس الأسرة الأكمينية فاذا كان الأمر يتعلق بكورش Cyrus الذى كان كل من أبيه وابنه يحمل نفس الاسم فان فلان، وفلان يكونان شخصا واحدا ويكون فلان هو دارا Darius وحينئذ فان الترجمة يجب أن تكون .

اكسركسس ملك الملوك ابن دارا الملك . . .

دارا ملك الملوك ابن هستاسب . . .

ولكى يحل جروتفند رموز الثلاثة أسماء الأعلام هذه استعان بالنطق القديم وأمكنه أن يحقق بصفة نهائية حركتين ويعين الحرف الصامت فى عشر علامات مقطعية . ولقد أكمل عمله أحد عشر عالما من بينهم لاسن Lassen وبرنوف Burnouf وهنكس Hincks وراولنسون Rawlinson . ولم يعرف اوبير Oppert المقطع « لا — Ia » إلا فى عام ١٨٥١ أما العلامة الرمزية التى يختفى وراءها اسم «اورمزد» الاله الوطنى فقد ظلت مستعصية على الحل حتى عام ١٨٧٤ .

أما ثانية كتابات برسبوليس فقد كانت مثار صعوبات كثيرة ولكن الرأى اتجه بحق إلى أن الثلاث أقاصيص لابد وأنها تروى نفس الشىء بثلاث لغات مختلفة ولقد لوحظ أولا وجود علامة خاصة تسبق أسماء الأعلام ثم بذلت محاولات لترتيب العلامات تبعا لعدد واتجاه عناصرها . وكانت أول محاولة جدية للترجمة هى التى قام بها عام ١٨٤٤ الدانمركى وسترجارد Westergaard . وقد كشف هنكس عن مقاطع بعض العناصر (١٨٤٦) ودرس سولسى Saulcy (١٨٥٠) الصيغ النحوية . وفى عام ١٨٥٣ نشر نورس Norris

نقوش بهستون Béhistoun التى جمعها رولنسون وقد روجع فيها الحل الذى اقترحه وسترجارد . ولقد كان من نتائج الحفائر التى قامت بها البعثة فى بلاد العجم ان كثر عدد النصوص المكتوبة بهذه اللغة الانزية التى كان يتحدث بها سكان عيلام غير الساميين .

أما الكتابة الثالثة فالفضل فى معرفة الكلمات الأولى منها يعود أيضا إلى جروتفند فقد تمكن ان يفصل مجموعات العلامات التى تقابل اسماء كورش وهستاسب وذارا واكزركسس . ولما كان قد لاحظ مشابهة هذه الكتابة لكتابة الآجر الذى عثر عليه فى اطلال بابل فقد وفق الى تعيين المجموعة التى تتضمن اسم نبوخذ نصر . وهكذا كانت الأحوال على وجه التقريب فيما يتعلق بمحاولة حل رموز هذه اللغة عندما أعلن بوتا عن كشوفه . أما عن النوع الثالث من كتابة برسبوليس فقد أمكن فقط الوصول إلى معرفة عشرين من أسماء الأعلام المعروفة من النوعين الآخرين . ولقد حاول لوفنشترن Lowenstern أن يصل إلى حلها فوجد لبعض العلامات أشكالا أخرى تكتب بها ووضع أساسا لما أطلق عليه « توافق الأصوات » أى وجود علامات مختلفه تؤدى صوتا واحدا . وقد تمكن لونجبريه Longpérier: من حل رموز بروتوكول سرجون على الآثار التى كشف عنها بوتا ورتبها الى ٦٤٢ علامة مختلفة فوجد كما وجد لوفنشترن علامات ذات صوت واحد وميز كتابة خورزاباد عن كتابتى برسبوليس وبابل وأكد أخيرا أن اللغة سامية . وفصل سولسى Saulcy جملا صغيرة فى نصوص برسبوليس تطابق جملا فى النص الفارسى وعين ١٢٠ حرفا ووجد نطقها . وكشف هنكس فى دبلن عن أساس الحروف المقطعية بمعنى أن بعض العلامات تساوى مقاطع وليس حروفا فقط . ثم اهتم سولسى أخيرا بنصوص خورزاباد واقتنع بأن النص نفسه قد كرر عدة مرات وعمل مقارنات وبفضل استخدامه لقراءاته السابقة للعلامات امكنه الوصول الى ترجمة ٩٦ سطرا . واقترح رولنسون

— الذى كان قد نشر إذ ذاك ترجمه لمسلة نمرود دون تعليق — ترجمة فيها اختلاف بسيط . وفى عام ١٨٥١ قرأ رولنسون وترجم نص بهستون الذى ينتسب إلى النوع الثالث من الكتابة فبين قيمة ٢٤٦ حرفا وكشف عن مبدأ « تعدد الأصوات » أو وجود علامات لكل منها عدة قيم وعدة أصوات. وفى السنة التالية تحقق هنكس من أن بعض العلامات تكون مقاطع مركبة وكلما تعمق البحث فى حل رموزهـا كلما ازداد أمرها تعقيدا وعند ذلك رأت الجمعية الآسيوية بلندن أن تقترح على عدة علماء أن يحل كل منهم على طريقته الخاصة ومبادئه رموز نص تزيد سطوره على الثمانمائة وأرسل رولنسون وهنكس وفوكس تالبوت وأوبير مخطوطاتهم ففتحت فى ٢٥ مايو سنة ١٨٥٧ وكانت النتيجة مرضيه تماما. وقد طبعت التراجم الأربعة لهذا النص الخاص بملك آشور تجلات فلا سر الأول Teglath-phalasar على أربعة أعمدة لكى يتأكد الجميع من أنه قد عثر على مفتاح الكتابة الثالثة للنصوص الأكدية وهى كتابة الاشوريين والبابليين .

* * *

اما الأدب البابلى والآشورى فهو متنوع جدا فآلاف النصوص ؛ سواء أكانت أصلية أم نسخا قديمة ، المحفوظة الآن فى متاحف أوربا وأمريكا تتراوح بين عصر يرجع إلى ما قبل عام ٣٠٠٠ ق . م . ويصل حتى القرن الأول ومن هذا الأدب نقوش تاريخية : حوليات وتقاويم وتكريس مبان وكتابات نذور وقوائم تاريخية . وكذلك نصوص دينيه : أناشيد وصلوات ومزامير توبة . ثم نصوص سحرية : رقى وتعاويذ. ثم طوالع طبقا للأرصاد الفلكية أو لحركات الإنسان والحيوان والأحشاء والزيت الذى يصب فى الماء . كما يوجد من بينه الشعر : ملاحم وأساطير وقصص . . . هذا إلى نصوص قانونية : لوائح وأحكام قضائية . ثم عقود من جميع الأنواع؛ من بيع

وشراء وسلفةوشركات تجارية وزواج وطلاق وتبنٍّ . وكذلك أمور حسابية لمحفوظات المعابد والقصور والعائلات . ثم مراسلات ؛سواء منها الرسمية أو الخاصه. ومجموعات لدراسة الخط والنحو واللغة. وقوائم جغرافيه وجداول حسابيه وفلكية وشئون طبية .

وليس الفن وعلم الآثار بأقل تمثيلا ؛ فهناك تماثيل كبيرة وصغيرة من الحجر أو المعدن ونقوش بارزة ومجسمة وألواح نصر وأشكال صغيرة من المعدن أو الآجر وأوانٍ محفورة وأختام تحليها المناظر الدينية ونخارملون . . . كل أولئك يشهد فى مختلف العصور بتقدم كامل أو بالعودة إلى نظريات أكثر بداءة وقدما هذا إلى أن الحفائر قد كشفت عن طرق البناء وتخطيط ونظام المدن . . . وبعض البيانات الواردة فى نص قديم يمكن فى بعض الأحيان تطبيقها اليوم مباشرة على أطلال الأثر الذى ذكر وصفه .

ومع ذلك فإن الآلاف من الوثائق مختلفة الأنواع ستؤلف حتما سلسلة متصلة الحلقات على مدار الزمن . ثم إن أعمال الحفائر قد كشفت عن مجموعات تكون فى كل منها وحدة لعصر ومكان معينين على صورة خاصة بيد أنه لا يمكن فى الوقت الحاضر تعيين مقابل لها لعصر آخر أو مكان آخر . وهكذا وصلت إلينا حسابات المعابد وبخاصة من الألف الثالث ، ومحفوظات عائلات من عصر الأسرة الأولى البابلية وأخرى من عصر الملوك الأكينين ولم يتكشف لنا الفن الآشورى إلا من القرن التاسع حتى القرن السابع على حين أن تاريخ أشور يرجع الى ما هو أبعد من عام ٢٤٠٠ ق.م .

وأول ما تتجه اليه العناية فى دراسة حضارة من الحضارات كائنة ما كانت هذه الحضارة يجب أن تنصرف أولا الى تبويب الوثائق وتقسيمها بحسب العصور : فالانقلابات الكبيرة الاجتماعية أو السياسية لا تمضى دون أن تغيّر من الأخلاق والعادات تغيرا يتفاوت مقداره ودون أن تترك أثرا فى الفن والأدب . ويجب علينا منذ الآن أن نحدد الإطار التاريخى الذى

نمت وترعرعت فيه النظم البابلية والاشورية .

وهذا الإطار ذو وجهين إن نحن نظرنا الى العلاقة الزمنية التى تربط الحوادث بعضها البعض أو تلك العلاقة التى تربط هذه الحوادث بالزمن الخاص .

ولقد فرض نظام طبيعى على جميع الشعوب هو نظام اليوم الذى يتعاقب فيه الليل والنهار . فمها تكن نقطة الابتداء المقررة — غروب الشمس أو شروقها — وقت الظهيرة أو منتصف الليل — فهو العنصر الازلى لكل تأريخ .

أما التقسيم الثانى فينتج عن تجدد الفصول فبعد عدد معين من الأيام تحدث فى الطبيعة الظواهر نفسها طبقا لعملية نظامية وهذا يتأتى عن انحراف سمت الشمس بالنسبة الى خط الاستواء الأرضى وينتج عن هذا : السنة الشمسية التى لم تحدد مدتها الا مؤخرا ولا تضم عددا مضبوطا متساويا من الأيام .

وعلى ذلك فان الشعوب القديمة اضطرت الى أن تلجأ الى تقسيم ثالث للزمن واعتمدت فى ذلك على مدار القمر الذى يضم كل من وجوهه الأربعة عددا صغيرا من الأيام ولكنها كذلك لا تطابق هى الأخرى عددا صحيحا .

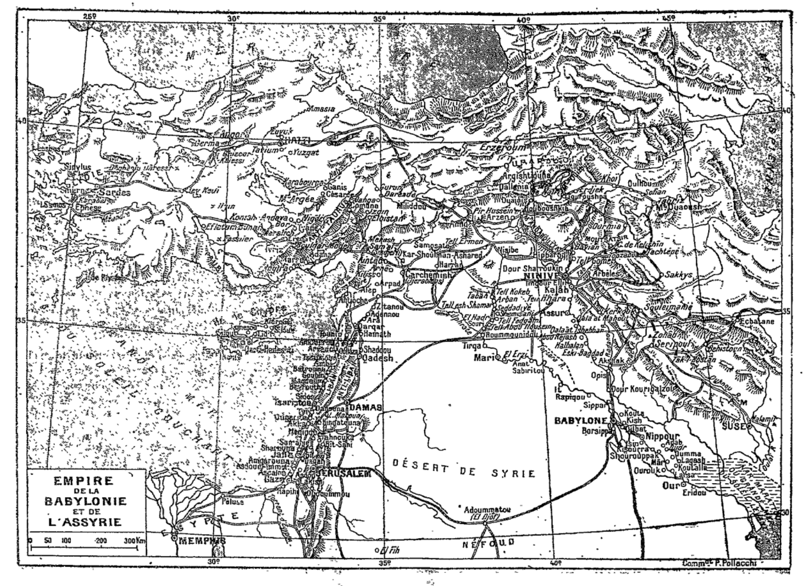
ولقد اتبع البابليون والاشوريون طريقة تجريبية ثُبِّت بها بدء الشهر الذى أصبح ٢٩ أو ٣٠ أو ٣١ يوما حسب بدء ظهور الهلال فى السماء . ولما كان من المستحيل الوصول الى مقياس عام بين الشهر القمرى ودوران الشمس فقد احتسبت السنة العادية اثنى عشر شهرا واستعيد التوازن عن طريق ادخال شهر ثالث عشر من وقت لآخر .

وفى أقدم الوثائق المسماة بما قبل السرجونية — لأنها تسبق اعتلاء سرجون ملك اجاده (القرن ٢٩) — يُبيَّنَت سنوات كل حكم برقم بسيط على لوحات الحساب . أما عادة اعطاء كل سنة اسما تبعا لحادث معين يستحق التخليد فى السنة السابقة ؛ —

فقد بدأ العمل بها منذ عصر «اجادة» واستمر حتى عهد الملوك الكاسيين الذين استعملوا طريقة الحساب لسنى الحكم التى عمل بها فى بابل فيما بعد حتى انهيار الامبراطورية . أما فى أشور فقد كانت أسماء الملك وكبار الموظفين تطلق متتابعة على السنين . وترجع هذه العادة الى عهد ممعن فى القدم . . . الى القرن الرابع والعشرين على الأقل وهو عصر ثبت اتباعها فيه كما يظهر على لوحات خاصة بمستعمرة لعبدة اشور فى قبادوقيا .

الجزء الأول

الحضارة البابليـــة



شكل (١) امبراطورية بابل وأشور

الكتاب الأول

الحقـــائق التاريخيـــة

الفصل الأول

البـــلاد ومواردها

إذا نحن استثنينا منطقة اريدو Eridou (أبو شهرين) Abou-Shahrein وهى المدينة التى تقع فى أقصى الجنوب بجزيرة فى الخليج الفارسى يفصلها عن وادى الفرات صخرة من الحجر الرملى فإن إقليم بابل الذى عرفه الكتاب الأقدمون (اليونانيون والرومان) ينطبق تماما على ذلك السهل الذى كونه نهرا دجلة والفرات عند وصولهما إلى البحر — كوناه من تراكم الرواسب التى أتت موادها من جبال ارمينيا التى تنبع منها (حيث يوجد منبعا هذين النهرين). وحدود هذا الإقليم الطبيعية هى فى الغرب الصحراء العربية التى يسكنها بدو يقومون بالغارات على السكان المستقرين، وفى الشمال السهل الأعلى لبلاد ما بين النهرين حيث يوجد الاشوريون، يفصل بين هذا الأقليم وبينهم خط يبدأ من حت Hit على الفرات ويبلغ دجلة على مسافة قليلة شمال ملتقى الأدهم l'Adhem، وفى الشرق التحصينات الأخيرة من التلال التى تكون الحد الحالى لبلاد الفرس وفيها قبائل من أصول مختلفة. استقرت فى جميع الوديان، ومن هنا يأتى الحجر والمعادن وخشب البناء، وفى الجنوب الخليج الفارسى ومستنقعات لا تكاد تمتد الملاحة خارجها — وهذا السهل فى بدء العصور التاريخية لم يهبط كثيرا إلى ما تحت القناة الحالية المسماة «شط — الحى»: وإقليم لاجاش Lagash وهى المدينة التى توجد أطلالها

(تلو) على مسافة الساعة وربع الساعة إلى غرب هذه القناة وتبعد مائتى كيلو متر عن الخليج كانت تدخل ضمن المنطقة البحرية .

ونظام النهرين ليس واحدا : فدجلة بشطئانه المرتفعةالصلبة ذو مجرى سريعويبدأ فيضانه فى أوائل مارسويبلغ أشدهفى الأيام الأولى من شهرمايو وينتهى حوالىمنتصف يونيه وتوجد على شواطئه المستنقعات . أما الفرات فمياهه أقل مرتين ويبدأ فيضانه متأخرا نحو خمسة عشر يوما ولا ينتهى قبل شهر سبتمبر . ولما كانت ضفافه أقل ارتفاعا فانه ينتشر بسهولة فى السهل ويضفى عليه فيضانا مباركا نافعا مليئا بالخيرات . ولقد فضل السكان الأول ضفافه ليؤسسوا عليها مدنهم . ومجرى الفرات الحالى لا يصل إلى أطلال معظم هذهالمدن القديمة ومعان بابل (حلة Hillé) وأور (مغير Mougheïr) يقعان على مقربة من مجراه فان المدن الأخرى تقع على مسافة ما الى الغرب فى السهل . لكن ما ورد فى النصوص القديمة يثبت تحول مجرى النهر بسبب رخاوة الأرض وتداعى الشواطىء أثناء الفيضان والعلامة التى تدل فى الخط على الفرات معناها « نهر سيبار Sippar » واذن فان سيبار (أبو حبة) كانت تقع على شواطئه واحدى سنى «سمسوايلونا Samsoo - ilouna »وهو ملك من الأسرة الأولى البابلية — تحي ذكرى بناء حائط سور كيش Kish (الأحيمر) « على شاطىء الفرات » وتقع اطلال كيش على قناة تدعى «شط النيل »التى تمر كذلك بـ«نفر Niffer» وهى أطلال نبور . ولقد كانت إحدى فروع الفرات فى عهد دارا الثانى تدعى نهر سيبار ونبور » . ولقد كانت شوروباك (فارا) (Fara) Shourouppak كذلك «على شاطىء الفرات» طبقا لماوردبأسطورةجلجامش Gilgamesh . اما لارسا (سنكره) (Senkereh) Larsa فان المعلومات نفسها تعطيها الرسائل المتبادلة بينحمورابى وسينيدينام Sinidinnam حاكم هذه المدينة . ولقد كانت فروع النهر كثيرة وكانت أوما Oumma(جوها Djoha) تقع على الفرع الذى يمر على مقربة من لاجاش

ومنذ العصور التاريخية الأولى — عندما كانت المدينتان فى كفاح مستمر — حفر إنتمينا (Enteména) أمير هذه المدينة الأخيرة قناة تصل بين النهرين . وكان دجلة — الذى تحول مجراه تبعا لذلك نحو الشرق — يتبع فى ذلك العصر تقريبا المجرى الحالى لشط الاماره Shatt - el - Amâra .

ولقد كان الإنسان الذى استقر فى هـذه الجهات منذ أصبحت صالحة للسكنى صاحب حضارة عالية . فلكى يتقى الفيضان شيد مدنا على منحدرات صناعية وبنى بيوتا ومعابد من اللبن واقتنى قطعانا كبيرة من الماشية الكبيرة والصغيرة وعرف كيف يروى زراعته ويحفر القنوات ويصنع آلات الرى . وكان يشكل النحاس والفضة ويصنع الأسلحة من المعادن . . ومع أن ما كان ينحته كان لا يزال بدائيا غير متقن الصنع فان كتابته تشهد بتقدم كبير : فلم تعد كتابة تصويرية وانما وجدت الى جانب العلامات المشتقة من الصور علامات صوتية بحتة . ولقد وجدت فى الطبقات شديدة العمق آثار صناعة العصر الحجرى الحديث ممثلة فى قطع من الظران المشطوف المجلوب من المناطق الجبلية

وعندما زار العالم الطبيعى اوليفييه Olivier بلاد ما بين النهرين فى مستهل القرن التاسع عشر وجد الشعير والغلال والحنطة تنمو برية فى قطعة أرض غير صالحة للزراعة تقع إلى الشمال الغربى من «عَنَة» Anah على الضفة اليمنى للفرات . وهذه المنطقة هى الموطن الأصلى لهذه النباتات الثلاثة منذ أقدم الأزمنة وقد انتشرت منها وامتدت إلى بلاد بابل . والشعير بوصفه الأساس الذى يقوم عليه غذاء الإنسان والحيوان هو فى جميع عصور التاريخ أكثر النباتات انتشارا وهو العملة السارية التى يقدرها الجميع والتى ظل إقراضها حتى نهاية الإمبراطورية البابلية الحديثة أغلى من إقراض الفضة .

وكان الدخن (الذرة البيضاء) يزرع كذلك على أنهم فيما يبدو كانوا يجهلون الجاودار والشوفان . أما السمسم فإنهم كانوا يهتمون بأمره لحاجتهم

إلى زيته الجيد وإلى شراب كانوا يستخرجونه منه. أما الأثل فكانوا يقدرونه من أجل صمغه الحلو وكذا الكروم لعنبها وزبيبها ونبيذها . ولقد ورد ذكر شجر التين والرمان فى النصوص السابقة على عصر سرجون، واعتبر جوديا Goudéa ثمرها خليقا بأن يقدم إلى الآلهة [1] . أما أشجار النخيل فهى من أهم مصادر الثروة فى البلاد وهى على حد قول استرابون « تكفى لسد جميع حاجات السكان فمنها يتخذون نوعا من الخبز، ويستخرجون نبيذا وخلا وعسلا وفطائر ومئات أنواع النسيج ويستخدم الحدادون نواها وقودا . كما أن هذا النوى نفسه كان يستعمل بعد أن يسحق وينقع لغذاء الأبقار والثيران والخراف لتسمينها » وكانوا يزرعون فى الحدائق البصل والخيار وكثيرا من النباتات الأخرى التى لم تعرف أنواعها بعد على وجه التحقيق . وقد ذكر على لوحة صغيرة من عصر اجاده Agadé (حوالى القرن ٢٨) زراعات بصل مساحتها ربع ونصف بل و « جان » [2] كامل (٣٥ آر) (حوالى $\frac{٧}{٨}$ فدان) (أو ٣٥٠٠م٢ تقريبا) أما أعواد القصب الضخمة فقد كانت تستخدم فى إقامة الملاجىء والسياجات وعمل الأقلام والرماد اللازم للغسيل [3] .

أما الحيوان الذى ثبت وجوده من النصوص القديمة أو الصور المنقوشة: منه المستأنس وهو الحمار والبقرة والثور والكبش والماعز والخنزير والكلب والدواجن، ومنه غير المستأنس وهو الأسد والبقر الوحشى والتيتل والأيل والفهد والعنز البرى والوعل والصقر والثعبان والعقرب وأنواع عديدة من الأسماك وذوات القشور .

ويوجد نوعان من الحيوان من فصيلة الحمار يمكن تمييزهما تماما منذ أقدم العصور؛ ربما كانا الحصان والبغل .

---

(1) LXXVI, p. 123

(2) XIX, t. 11 no 3070

والعلاقة بين المقاييس القديمة ونظام القياس المعروف مبين فى الفصل الثالث

(3) I, t. VII p. 107 et suis.

ويبدو أن السكان القدامى كانت لديهم فكرة عن تربية النحل ووجود النحل في الوادي الأسفل للفرات مؤكد إذ أنهم كانوا يجمعون العسل ويتخذونه غذاء. ولقد كان حيوان بلاد بابل ونباتها ينمو ويترعرع على أرض من الرواسب كونها دجلة والفرات من متخلفاتهما . وكانا يزيدانها خصبا فى كل عام بفيضانهما المبارك المملوء بالخيرات . وكان على الإنسان أن يتخذ مسكنه فوق مستوى الفيضان ولهذا صنع مرتفعات صناعية كان يقيم فوقها كوخا من القصب أو بيتا من الطمى . ولقد أمدته الأرض الطميية بالمادة اللازمة لصناعة اللبن وكان يحرقه أو يكتفى بتجفيفه فى الشمس كما كان يصنع منه أيضا كل الأوانى الفخارية اللازمة للاستعمال فى الحياة المنزلية من صحاف وأوان للشرب وقدور وجرار . كما شكل منه اللوحات الصغيرة التى كان يستخدمها فى تخليد ذكر الأحداث العامة أو تقييد المعلومات الخاصة مستعملا فى تسجيلها قلما من القصب، كما كان يتخذ من الاصداف والعظم أدوات الزينة، ولكنه لم يجد فى إقليمه حجرا أو معدنا : فقوائم أبواب القصر وكتل الديوريت أو المرمر التى كانت تنحت منها تماثيل الآلهة والملوك والاحجار الكريمة التى كانت تصنع منها الأختام المنقوشة وخشب الأرز الذى كانوا يقدرونه ويبحثون عنه لتزيين الهياكل ، والذهب والفضة والحديد والنحاس الذى كانوا يصنعون منه الأدوات المختلفة . . . كل هذا كان يستورده أهل بابل من الخارج .

وقد دفعتهم هذه الحاجة إلى أن يوثقوا صلاتهم بغيرهم من الأقوام ، فالى الجنوب تمتد المستنقعات الى شاطىء البحر ، فلم تصب الملاحة اى تقدم مطلقا ، والى الجنوب الغربى توجد الصحراء الجرداء التى تخيلها الناس مليئة بالشياطين المرعبة ، وفى الشمال الغربى ينفسح طريق طبيعى : فعندما يسير المرء مصعدا فى مجرى الفرات فانه يبلغ — فيما وراء ملتقى خابور Habour — جبالا يكثر فيها الديوريت . . وبعد مسافة فى غرب انحناءة النهر فى جبال طوروس توجد

مناجم الفضة التى كان يدور العمل فى استغلالها منذ أقدم العصور . وفى
أما نوس Amanus ولبنان توجد غابات الأرز وغيرها من الأشجار التى
تستخدم كاطواف تحمل عليها كتل الاحجار،ثم تستعمل هى نفسها فى البناء.
وكانت قوافل بابل تهبط على طول ساحل البحر الابيض إلى دلتا النيل كأنما
تمهد الطريق للآشوريين ولنبوخذنصر. وفى أسيا الصغرى خلال الألف الثالث
استعملت الكتابة المسمارية على لوحات الطين ، استخدمها ساميون من عبدة
اشور، وكان يبدو فى فهم حينذاك بعض الصفات المعينة التى تميز آثار الحيثيين
والاشوريين. وقد تسربت من هذه الطريق نفسها فى اتجاه عكسى تأثيرات
اجنبية دخلت بلاد بابل : ففى نحو نهاية الالف الثالث تمكن العموريون —
بعد ان تسربوا ببطء — من ان يستولوا على السلطه ويحققوا وحدة
الامبراطورية . وبعد ذلك يأتى الحيثيون ويحطمون قوتهم ولكنهم لا يتمكنون
من ابادة اعمالهم .

اما فى الشمال ففى نهاية الألف الثالث اقامت بابل حاميات فى المدن التى
أخذ يزداد فيها سلطان آشور فاخضعتها فترة من الزمن . وفى الشرق تقع
وراء نهر دجله منطقة جبلية غنية بما فيها من احجار ومعادن، كانت تسكنها أقوام
كان الكفاح ضدها مستمرا وإن اختلفت نتائجه . . . فقد تمكن واحد ممن
يحملون اسم سرجون، وآخر ممن يحملون إسم نرام سن وثالث ممن يحملون
اسم دونجى ان يفرضوا عليهم سلطانهم ويخضعوهم تحت نير حكمهم ولكن
ذلك كان له رد فعل فقد سيطر اوان Awan ،وجوتيوم Goutioum على
جنوب السهل واسس العلاميون مملكة فى لارسا واستقرت اسره كاسية
Kassite . اكثر من خمسة قرون فى بابل ثم خرج اخيرا من هذه المناطق
كورش Cyrus الانزنى الذى كان مقدورا له ان يحطم الامبراطورية
البابليه الجديدة .

الفصل الثانى

السكان والأسرات

كان يقطن هذا السهل جنسان مختلفان : فى الجنوب سكان غير ساميين، وفى الشمال ساميون. فمن كان أول الوافدين؟ وهل كان عليهم ان يتخلوا عن جزء من أرضهم؟ وليس لهذا من ذكر فى التواتر، وكل مايشير اليه هذا التواتر لا يعدو ان مدينة من الشمال، أو مدينة من الجنوب، أو مدينة اجنبية فى بعض الاحيان؛ — قد غزت مجموعة المدن واصبحت تمارس سلطة غير ثابتة سرعان ماتزول وتمحى وتشهد وثيقة تعد من اقدم الوثائق بتدخل احد ملوك كيش — وهى مدينة تقع فى الجزء الشمالى — بين اهالى أوما Cumma واهالى لاجاش وهما من مدن المجموعة الجنوبية .

وكان يسمى غير الساميين بالسوميريين نسبة الى سومير وهو الاسم الذى اطلقه جيرانهم الساميون على اقليمهم وفى كثير من الاحيان فى الوثائق القديمة يطلق ايضا على هذه المنطقة المسماه كنجى Kengi باللغة السوميريه اسم بسيط وهو « كالم » Kalam « القطر » تمييزا لها عن كوركور Kourkour « الأقطار » وهو تعبير يطلق بصفة عامة على كل العالم الآهل بالسكان ولكن على الاخص على كل مايخرج عن نطاق سومير من عالم خارجى . وقد اطلق انشاكو شانا الاول Enshakoushana على نفسه «سيد سومير وملك القطر» وبعد ذلك بما لا يقل عن قرنين من الزمان اتخذ لوجالزا جيسى من أوروك Lougalzaggisi d'ourouk (القرن ٢٩) لنفسه لقب «ملك القطر» بعد ان جمع تحت سلطانه جميع مدن المنطقة ونصبته الآلهه — على حد قوله — نائبا لها فى هياكل سومير وقد امتد سلطانه فشمل نبور — وهى العاصمة

الدينية والمدينة التى تقع فى اقصى الشمال — وأور Our واوروك Ourouk ولارسا Larsa . وكانت لاجاش تكون جزءا من هذا الاقليم وقد طلب جوديا Guudea أحدأمرائها من الآلهة ان تصبح «سوميرعلى رأس الأقطار» وحصل من اله مدينته على تأكيد بأن يسيل الزيت فى سومير بغزارة عند ارساء اسس معبده وفى عصر اقدم من ذلك ورد فى معاهدة السلام التى فرضها إياناتوم Eanatoum من لاجاش على اهالى اوما ذكر إلهه كش Kesh بين آلهة سوميرالتى تتقبل قسم المقهورين وتدخل مدينتا شوروبّاك واريد و Shouroùppak & Eridou فى هذه المنطقة كذلك .

أما الساميون فكانت لهم مدن بابل Babylone ، سيبَّار Sippar ، كيش Kish ، اوبيس Opis ، اكشاك Akshak ، كوتا Kouta ، أكّد Akkad أو اجاده Ag dé وهذه المدينة الاخيرة التى اسسها أو قام بتجديدها سرجون فى القرن التاسع والعشرين اطلق اسمها على كل الاقليم الشمالى وسمى السكان بالاكديين واصبح سرجون الاكدى « ملكا للقطر » عندما أتم اخضاع البلاد بعد أن قهر لوجالزاجيسى ولكن يبدو أن ملوك أور هم أول من اتخذ فى القرن الرابع عشر لقب « ملوك سومير وأكد » وقد ظل هذا اللقب باقيا حتى فى نقوش كورش Cyrus بعد سقوط الامبرطورية البابلية الجديدة . وقد جمع الملوك العموريون الذين اسسوا اسرة بابل الاولى تحت سلطان واحد وبصفة نهائية المنطقتين . واصبح الجنس السوميرى مضمحلا متلاشيا الى حد كبير خلال كفاحه ضد عيـــلام : ودمرت النار لاجاش واوما وشوروبّاك وكيسّورا واداب؛ — فلم تقم لها قائمة واختفت اللغةالسوميريه ولم تعد باقية إلا فى الطقوس الدينية واطلق اسم أكّد عـــلى القطرين واصبحت الوحدة الجغرافية تتجاوب مع الوحدة السياسية . وعندما أخذت تتكون بعد ذلك بقليل سلطة مستقلة فى منطقة الجنوب لم تدع لنفسها الصفة السوميرية وانما قالت عن نفسها انها قامت فى « قطر البحر » .

ولا يوجد تأريخ ثابت عن المدة التى تسبق الاسرة البابلية الأولى . واقدم تاريخ مضبوط اثبتته الارصاد الفلكية هو تاريخ حكم امّيزادوجا [1] Ammizadouga وهو الملك الذى يسبق آخر ملوك العموريين وأهم المصادر التى تعين على تحديد التأريخ النسبي هى أولا . نقوش ونصوص الملوك الاقدمين انفسهم التى عثر عليها فى أطلال المدن القديمة فهى تورد اسماء وتسلسل أنساب الامراء الذين حكموا مدناً أخرى . ونستطيع أن نستنتج منها ترتيب مدد الحكم وتوافقاً زمنيا فى نشاط المراكز المختلفة . يضاف الى ذلك التواريخ المأخوذة من الألواح الصغيرة الخاصة بالحسابات والقوائم التأريخية التى حررها الكتبة الاقدمون . وطريقة تعريف كل سنة بحدث من الاحداث لها فضلها فى تزويدنا بمعلومات قيمة ولكنها لا تخلو من مضايقات للمعاصرين لأنهم اضطروا الى الالتجاء الى مجموعة اصطلاحات واسماء خاصة بالسنوات ولما كان لكل مدينة تقويمها الخاص بها عندما لا تكون خاضعة لسيطرة مدينة أخرى فإن هذه القوائم كان يجب أن تعمل وتحفظ بعناية . وقد ذكر فى ألواح صغيرة عثر عليها فى نبّور كتبت فى القرن الحادى والعشرين قبل الميلاد نظام تعاقب أقدم الاسرات وهى اذا أضفناها الى غيرها من النصوص تمدنا بحلقة تكاد تكون متصلة منذ عصر سابق على أقدم الكتابات والنصوص العتيقة . ولما كانت تواريخ الأسرة الأولى البابلية قد حددت فى التقويم العالمى فقد أضبحت سنة ٢٢٢٥ هى تلك السنة التى أسس فيها سوموابوم

---

(١) اثبت الأب Kugier أن السنة الأولى لحكم اميزادوجا لا يمكن أن يكون طبقاً الوقائع الفلكية إلا سنة ١٩٧٧ أو سنة ١٨٥٨ ق . م يفصل بينهما ١١٩ سنة وبهذا يرجع تاريخ بدء الأسرة البابلية الأولى الى عام ٢٢٢٥ أو الى عام ٢١٠٦ ولقد اكتفى مؤقتا باتباع الفرض الأول وهو الذى آثرنا اتباعه فى هذا الكتاب ولكن يوجد فى الوقت الحالى اتجاه واضح بين علماء التاريخ الاشورى يهدف الى اتباع الفرض الثاني دون أن يؤيد ذلك دليل قاطع ولم ينتج عن ذلك فى التاريخ النسبي سوى نقص فى المدة التى بسطت خلالها الأسرة الثانية سلطها على بابل .

ذكر Soumouaboum الأسرة الأولى . وتوجد لوحة صغيرة بمتحف اللوفر فيها تأريخ أسرة حكمت فى لارسا ٢٦٢ سنة وانقرضت فى السنة التاسعة والعشرين من عصر حامورابى أى عام ٢٠٩٥ وعلى ذلك يكون بدء هذه السلسلة من الملوك يرجع الى عام ٢٣٥٧ بالضبط وهذا يسمح بتحديد تواريخ الحوادث الخاصة بأسرة معاصرة استقرت فى ايسين Isin خلال ٢٢٥ سنة تقريبا اللهم إلا اذا كان هناك شك فى السنة الأخيرة فقد بدأت بين سنتى ٢٣٥٧ و ٢٣٥٢ وقد وقف العلماء مؤقتا عند أول هذين التاريخين . وقبل أسرة ايسين Isin تذكر ألواح نبّور مباشرة أسرة اور الثالثة وتخصص لها ١١٧ سنة على أنه يوجد خطأ فى الملك الرابع فقد حسب لحكمه سبع سنوات على حين تثبت الوثائق المعاصرة انه حكم سنتين بالاضافة الى ماسبق . أما الأمر فيما يتعلق بملك آخر يدعى دونجى Doungi فعلى العكس من ذلك ؛ اذ بنما حدد لحكمه ٥٨ سنة يبدو فى الوقت نفسه أن قائمة تأريخ من عصره (ناقصة للأسف) لا تفسح المجال لمثل هذا العدد الكبير من السنين . ومهما يكن من شىء ومع التحفظ الشديد فيما يتعلق بالخمس وعشرين سنة لحكم ايبى سين Ibi-Sin الملك الأخير فانه تظل لدينا حدود تقريبية لهذه الأسرة أى حوالى ٢٤٧٤— ٢٣٥٨ . وقبل ملوك أور نجد أن حكما اجنبيا لـ «جوتيوم» Goutioum اعترض بين أسرتين من أوروك كان أمد كل منهما قصيرا . فاذا سرنا الى أبعد من ذلك عرضت لنا فى الحال أسرة اجادة التى حكم ملوكها الاثناعشر مدة ١٩٧ سنة (حوالى ٢٨٤٥—٢٦٤٩) وقد أقام سرجون مؤسس هذه الأسرة مملكته على أنقاض قوة لوجا لزاجيسى من اوروك ملك سومير خلال ربع قرن من الزمان وقد تغلب هذا بدوره على أورو كاجينا Ourou Kagina من لاجاش وابتداء من هذا الملك توجد وثائق معاصرة تسمح بالذهاب إلى أبعد من هذا حتى نصل إلى اور — نينا Our - Nina . وأقدم أثر منقوش يتضمن واقعة مؤكدة هو رأس دبوس حلى برسوم الحيوانات مقدم للاله نينجرسو Ningirsou حامى

المدينة والكتابة التى عليه معناها إن ميسيليم Mésilim ملك كش مشيد معبد نينجرسو قد أقام «هذا» من أجل نينجرسو عند ما كان لوجال — شاج — إنجور Lougal - Shag - engour ايشاكو[1] مدينة لاجاش.

وفى هذا العصر العتيق يكون أحد ملوك المنطقة الأكدية قد قام بعمل من أعمال السيادة على مدينة من مدن الجنوب وبنى فيها معبدا وفى نيبور يوجد اثر نذره للاله انليل Enlil ايشاكو من كيش يدعى اوتوج Outoug وعليه كتابة أكثر امعانا فى القدم.

فاذا أردنا الذهاب إلى أبعد من ذلك فان الوثائق المكتوبة المعاصرة تعوزنا تقريبا بحيث نضطر اضطرارا إلى أن نلجأ إلى روايات الخلف المتداولة. فالسومريون والاكديون (ربما وفد الاولون من الجبال الواقعة إلى شرق دجله والاخرون من سوريا) نسوا فيما يبدو المناطق التى وفدوا منها فى الأصل واعتقدوا أنهم من أصل هذه البلاد نشأوا فى وادى الفرات أصلا. فالعصر الأسطورى يشمل أولا ٦٢ مجموعة من السنين (٢٢٣٢٠٠ سنة) لم يكن فيها — طبقا لما رواه بيروس Bérose — رؤساء. ثم تعاقب بعد ذلك عشرة ملوك خلال عصر بلغ مداه ٤٣٢٠٠٠ سنة هم ألورس ملك بابل والحكيم الباروس (أو اداپاروس أو اداپا بطل إحدى الأساطير) واميلون صاحب پانتيبليا (سيبار ؟) الذى هناك تقارب[2] بين اسمه وبين الكلمة السامية اميلو (بمعنى رجل) ثم امينون العامل الماهر (أومانو[3]) ثم ميجالاروس وداؤونوس الراعى أو «داوس» فى ابدين وربما كان الاسم

---

(١) لايعرف مايقابل هذا اللقب فى اللغات الحديثة لأنه كان لقبا مدنيا ودينيا فى الوقت نفسه يجمع صاحبه بين السلطتين الدينية والمدنية وربما كانت له من الاختصاصات ما كان للخليفة فى الإسلام (المترجم)

(2) X, 1893, p. 243.

(3) شرحه p. 244.





شكل (٢) كتلة نذر لمسيليم (اللوفر. تللو)

مشتقا من لفظة بدائية هي راوس التي تقابل اللفظة الأكديةري عو (راعى [1])
ثم افيدورانكوس وهو انميد ورانكي بالسوميرية ومعنى اسمه «سيد القرارات
في جميع أنحاء السماء والأرض » وهو الذى كشف الالهان شمش وأدد عنه
الحجاب وأنبآه بالغيب . ثم امبسينوس ملك لاراك ثم اوپارتس من لاراك
وهو في السوميرية اوبارتو تو وأخيرا ابنه كسيسو ثروس الملقب في السوميرية
بـ« زى ــ اوسودّو » وفي البابلية « اوتا ــ نا ــ بشتيم » . أما اسمه اليوناني فهو
مكون من تداخل عنصرين من اسمه البدائى اترا ــ هاسس . وقد حكم
اكسيسو ثروس مدى ٦٤٨٠٠ سنة . وقد قرر الآلهة في عصره أن يهلكوا
البشرية وان يغرقوها بالطوفان . والقوائم الملكية التي سلف ان اشرنا اليها
تعدد تسلسل بقية الاسرات التي تعاقبت في سومير وأكد منذ الطوفان حتى
ملوك ايسين Isin .

وقد كانت عشر مدن كل في دورها عاصمة لإمبراطورية صغيرة اومتسعة

(1) LV, p. 130

الارجاء وقد ذكرت اسماء ١٢٣ ملكا قبل اسماء ملوك ايسين وقد فرض الأجانب حكمهم اربع مرات : اوان Awan وهامازى Hamazi من مدن عيلام ومارى (Mari) (Ouerdi) وهى مدينة واقعة عند الفرات الأوسط ثم جوتيوم Goutioum

وقد تتابع على حكم كيش وهى مدينة فى الشمال ثلاثة وعشرون أميرا فى فترة خيالية تقع فى مدى أكثر من ١٨٠٠٠ سنة . وقد رفع نسر أحدهم وهو ايتانا البطل الإلهى لاحدى الأساطير — إلى السماء .

وقد كانت عاصمة الأسرة التالية فى اوروك Ourouk فى سومير وقد مجدت الأجيال التالية — كإله — الملك الثالث لوجال ماردا Lougal - marda وخليفته دوموزى Doumouzi (تموز Tammouz) اله الانبات وعشيق الالهة عشتار Ishtar وقد تولى الحكم من بعدهم جلجامش Gilgamesh الذى يمثل العظمة السومبرية وهو بطل ملحمة رائعة خلد ذكره فيها عدة امراء من أجل المنشئات التى أقامها فى المدينة . وبعد عدة أسر أخرى [1] نصل إلى العصر التاريخى الذى لدينا عنه وثائق مكتوبة ومعاصرة .

* * *

والواقع أنه لا يمكننا أن نصل إلى ما قبل مسيليم ملك كيش بأكد ذلك الأمير الذى مد سلطانه على سومير فقد كان يتدخل — عند وجود خلاف بين مدينتين متنافستين — بوصفه ملكا ويعيد بينهما السلام . وقد ذكر انتيمينا Entéména من لاجاش انه اضطر إلى ممارسة السلطة المخولة له بوصفه ملكا فى خلاف دب بين بلده لاجاش وبين أوما فرسم بينهما الحدود وأقام عندها لوحة تذكار المعاهدة السلم بينهما ولم يكن تدخله هذا — تبعا

(1) XIIL, 1921, p. 241 et suiv XXIV b, t. I.

للعقائد الدينية فى ذلك العصر — الابناء على أمر إلهة كيش بقصد تسجيل نص المعاهدة التى وضع تفصيلاتها الآلهة بعد أن أمر إنليل الاله الأكبر لسومير آلهة لاجاش وأومأ بأن يسود السلام بين البلدين وأن تثبت الحدود المشتركة بينهما .

وكان اورنينا مؤسسا لأسرة محلية فى لاجاش ويظهر أن هذا الأمير لم يكن ذا ميول حربية وتشير كل النصوص الخاصة به الى أعماله السلمية:



شكل (٣) أورنينا وعائلته (متحف اللوفر — تللو)

فهو يرمم الأسوار ويشيد أو يعيد بناء المعابد والعمائر العامة الأخرى ويكرس التماثيل للآلهة ويشق القنوات وقد كرس احداها لـ « انليل » إله سومير الأكبر . وقد شيد فى حى جرسو Girsou مخزنا للغلال عثر على جزئه الأسفل . وقد أمر أن يمثل فوق ألواح منحوتة وهو يحمل سلة بها أدوات محوطا بأفراد عائلته وحاشيته . وأمر بقطع الأخشاب من الجبال البعيدة واحضارها عن طريق الماء لاستعمالها أبوابا وسقوفا للمنشئات . وكان حكمه

عصر يسر وتقدم لمدينة لاجاش .

وقدخلفه ابنه اكورجال Akourgal ولكن يظهر أن ايانتوم Eanatoum أخذ مكانه ووجد نفسه مضطرا الى اصلاح حى جرسو وأعادة بناء حى نينا وكذا سور المدينة المقدسة. ويظهر أن ذلك كان نتيجة للاضرار التى لحقت بمدينة لاجاش فى عصر اكورجال . ومما هو جدير بالذكر أن هذا الأمير تخلى عن لقب ملك واسترد لقب ايشاكّو .

وقد أزال اوش Oush ايشاكّو اوّما — بناء على امر إلهه المسمّى شارا — لوحة مسيليم دون استفزاز أهل لاجاش، وفسخ المعاهدة التى سبق ابرامها بحضور جميع آلهة سومير وغزا جويدين Gouédin وهى أراضى نينجرسو Ningirsou المقدسة . فأمر إله لاجاش ، نائبه بأن يدافع عن نفسه وانحاز انليل إله سومير الأكبر إلى جانب ايانتوم ومع ذلك فان اللجاشيين لم يدخلوا الحرب فورا لأنه يظهر أن الهجوم كان غير متوقع وكان عبارة عن غارة خاطفة نهبت فيها القرى وحرقت واقتيد العبيد وقطعان الماشية والاسلاب الى أوّما فأعد ايانتوم العدة بعناية بقصد الانتقام من هذه المهانة وتوجه إلى معبد نينجرسو واستلقى ووجهه الى الأرض فظهر له الإله فى الحلم ووعده بالنصر ومعونة إله الشمس ولما علم الاوميون بقدمه بادروا الى الخروج لمقابلته قبل أن يقترب بقصد حماية حقوقهم كى تكون الموقعة على أراضى لاجاش . وقد كانت المعركة عنيفة والمذبحة مروعة . . . ولكى ندرك اهميتها نذكر أن عدد القتلى الذين تركوا فى ساحة الوغى بلغ ٣٦٠٠ كما يقدر ذلك البلاغ الرسمى . وقد تراجع الاوميون ووصل اللاجاشيون تحت أسوار مدينتهم وحاولوا الهجوم ونجحوا فى اجتياز الأسوار فبدأت المذبحة من جديد وساد الدمار والخراب فاستسلمت أوّما استسلاما تاما واستحالت جثث جندها طعاما للطيور الكاسره على حين جمعت جثث جنود لاجاش واحتفل بدفنها فى عشرين موضعا فى السهل احتفالا جنزيًّا. وقد شق ايانتوم

فى حدود المقاطعتين قناة هى خط الحدود بينهما : وهى فى نفس الوقت حاجز ضد أى هجوم جديد كما أعيدت اقامة لوحة مسيليم على الضفة وأقيم بالقرب منها نصب تذكارى لمعاهدة السلام الجديدة وفرض على اومّا أن تدفع جزية من الغلال طلبت لاجاش تقديمها فورا . وقد ثبتت المعاهدة بالقسم ووضعت تحت حماية الآلهة وأقام اللجاشيون مقاصير للصلاة تمجيدا للمعبودات التى عاونتهم كما اقاموا نصب النصر المعروف تحت اسم « شاهد العقبان » [1] ولم تكن هذه المعركة ضد اومّا أول حملة لايانتوم فقد هزم عيلام من قبل وكذلك اوروا واسر الايشاكو الذى كان على رأسها وعرضه على بوابة لاجاش لسخرية الرعاع . وقد استولى على اوروك فى حملة رابعة ثم سقطت عقب ذلك اور Our وكى بابّار Ki-babbar وامتد سلطانه عقب ذلك على سومير جميعا ثم هجم خارج حدود البلاد على اورواز Ourouaz ومشيمة Mishimé واروا Aroua ونهب محتوياتها وحرقها . وقد اقلق نجاح ملك لاجاش بال زوزو Zouzou ملك اكشاك فتوجه للهجوم عليه فى أراضى الاله نينجرسو ولكنه رُدَّ على اعقابه وطورد جيشه حتى أسوار عاصمته وأيد. وهكذا سقط فى يد اللجاشيين قطاع كبير من الاقليم الشمالى ونادت الإلهه اينّانا Innana بواسطة كهنة هيكلها بايانتوم ملكا على كيش .

وقد انتهزت فترة السلام التى اعقبت ذلك لشق قناة تغذى حوضا وقد بلغ الازدهار حدا دفع الى القول بانه « فى هذا العهد كان نينجرسو يحب ايانتوم » ولكن يظهر ان السنوات الأخيرة من حكم هذا الأمير طرأت عليها كآبة بسبب حرب جديدة ضد عيلام وفقد ايانتوم على التوالى لقب ملك كيش ثم لقب ملك لاجاش وعاد مجرد ايشاكو وقد وصل به الأمر عندما اهدى للإلهة نينا جرنا ان ناشدها « الا يأخذه ملك كيش »

ومات دون ان يترك نسلا فخلفه أخوه إناناتوم الاول Enanatoum I

---

(١) راجع شكل ٨

وجددت أوما الصراع وقامت بهجوم عنيف وحدثت معركة غير حاسمة على ارض لاجاش وخلال حكم انتمينا Entéména حاولت أومامرة اخرى ان تخلع النير ولكن « ايشا كو » ها طورد إلى المدينة وقتل بالسلاح وولى العرش مكانه أجنبي .

ومنذ عهد إناناتوم الأول كان الكهنة يبسطون نفوذهم إلى حد كبير ونقش اورهالوب Ur-Halub اسمه إلى جانب اسم الملك ، كما أن دودو Doudou نفسه كرس للاله – الذى كان هو كاهنه الأكبر قائما لدبوس كانت نقوشه البارزة تزينها صورته وشعار المدينة ؛ مما يذكر بما سبق ان نحته اورنينا Our - Nina وحين قدم ستمائة من العيلاميين كى يجتاحوا إقليم لاجاش فى حكم اينانا توم الثانى نرى ان لوينا Louénna كاهن ننمار Ninmar الذى قام بصدهم لم يخبر الامير مباشرة بنجاحه بل نراه يوجه رسالة الى انيتارزى Enetarzi كاهن ننجرسو . وقد استولى انيتارزى هذا على العرش وخلفه الكاهن انليتارزى Enlitarzi كما أن ابن هذا الاخير واسمه لوجالاندا Lougalanda كان هو نفسه ايشا كومدى بضع سنوات وقد أساء هؤلاء المغتصبون إستغلال مراكزهم وأخذوا على عاتقهم تعديل القوانين والعادات بما يتفق ومصالحهم الخاصة . وقد تبع هذا ردفعل لخلع لوجالاندا وحل محله اوروكاجينا Ouroukagina الذى استعاد لقب ملك بعد عام أو اثنين على أكثر تقدير . وقد أصلح هذا الأمير المساوىء وتشهد نقوشه بذلك كما أن لوحات الحسابات تؤكد صحة النصوص الرسمية وتكشف مجموعة هذه الوثائق عن الحياة الحقيقية لمدينة سوميرية فى بدء الألف الثالث[1]

وقصة اصلاحات هذا الامير — وهى مكتوبة فى أسلوب أدبى رائع — تصف أولا حالة السكان السيئة « منذ أقدم العصور — منذ البداية » . . . تصف الجور الذى كانوا فرائس له وكذا الظلم الذى كانوا يقاسونه . ثم يسرد

(1) Cf . LII

الامير إصلاحاته ويفاخر فى النهاية بأنه « وطد دعائم الحرية»فى المملكة[1].

وكان كبار الموظفين قد بلغوا من الفساد مداه محتذين حذو الإيشاكو ولقد اتبع كبار رجال الدين عادة إشراك الأمير وأصحاب المناصب الكبيرة فى اقتسام إيرادات المعابد من شعير وملابس وفاكهة حتى يضمنوا لأنفسهم الأمن حين يفرضون الجور على الشعب: « كان الكهنة يقتلعون الأشجار من حدائق أم الفقير ويستولون على فاكهتها » « لم يعد الكهنة يدخلون حدائق ام الفقير ولم يعودوا يقتلعون اشجارها او يسلبون فاكهتها » « كانت ثيران الإله تستخدم فى رى الأراضى الممنوحه للإيشاكو وكان الكهنة يوزعون الشعير على رجال الايشاكو ويحضرون — كجزية — الملابس والقماش والطيور والماعز » « أما فيما يختص بالجزية التى كان يحضرها الكهنة الى القصر فقد سحب المشرف عليهـــا من وظيفته . و إلى بيت الإيشاكو والى حقله أعاد وضع الاله ننجرسو سيدهم كما أعاد إلى بيت زوجة الايشاكو وإلى حقل الزوجة وضع الالهة باوو Baou سيدتهم وكذا اعاد الى بيت الاولاد وحقول الاولاد وضع الآله دونشاجانا Dounshagana سيدهم» وقد فصل الموظفون الزائدون عن الحاجة أما الآخرون الذين لم تشب تصرفاتهم الرسمية شائبة فقد استبقوا فى وظائفهم فذكر منهم الناظر انيجال Eniggal» كاتب بيت الزوجة (زوجة الايشاكو) منذ السنة الثانية لحكم لوجالاندا الذى صار « كاتب الإلهة باوو» واستمر يستمتع بثقة الأمير.بل ويشهد عدد كبير من لوحات الحسابات على نشاطه فى إدارة مشروعات الدولة الكبرى.ولقد حدد « اوروكاجينا » دخل رجال الدين : فمن كان يتناول عن عمل الدفن سبعة أوان من المشروبات المتخمرة و٤٢٠رغيفا و١٢٠(قا) من الحبوب ورداء وجدياوسريرا .... أصبح لايحق له أن يتناول سوى ثلاثة أوان من المشروب وثمانين رغيفا وجديا وسريرا ....ومن كان يخصص له ٦٠ (قا) من الحبوب خفض نصيبه الى النصف . وقد كان العرافون موظفين مأجورين فى المعابد

(1) LXXVI ' p. 74

ولكنهم اعتادوا أن يتناولوا أجورا مقابل أداء خدماتهم إلا انهم اكرهوا على العود الى سابق العهد وإعطاء استشاراتهم بالمجان. وقد حظر على الاغنياء اساءة استعمال السلطة.

وعندما أراد أوروكاجينا أن يضع فى القانون نصا يلزم الجميع بدفع ثمن مايريدون امتلاكه من منقول أوعقار ويمنعهم من الحصول عليها بالقوة اختار حالة ملموسه للحمار أوالبيت« إذا ولد جحش جيد لأحد رعايا الملك وقال له رئيسه: « أريد شراءه » وكان يعتزم حقا شراءه فإن عليه أن يقول له « ادفع نقداً » وفى حالة ما إذا كان لايريد الشراء فعلا فإن الرئيس لايجوز له أن يأخذ الحمار » . . . وعلى هـــذا استطاع كل شخص إن يستمتع بالحرية حسب مركزه.

وقد مثل أوروكاجينا نفسه فى النقوش كذلك كملك بناء: فهو يخلد ذكرى إعادة تشييد عـدة معـابد وخاصة معبد انينو Eninnou حيث هيكل ننجرسو. وتبين بعض البطاقات، على هيئة الزيتون المثقوب، مدى العناية التى بذلت خلال حكم هذا الأمير بقصد إخفاء الأشياء الثمينة، الخاصة بالمعابد والآلهة وكبار الموظفين فى برج من أبراج السور وربما كان ذلك فى الوقت الذى أراد فيه الأوميون رفع النير عن أنفسهم فاجتاحوا المدينة تحت قيادة « ايشاكو » هم لوجالزاجيسى Lougalzaggisi ممزقين المعاهدة التى أملاها عليها انتمينا واعملوا فى البلاد حرقا وسفك دماء فتحطمت ملكية لاجاش وكتب احد الكتاب بعد فترة قصيرة مرثية عن خراب المدينة هى إحدى روائع صفحات الأدب السومرى

* * *

وتبين القوائم الملكية التى وضعت فى القرن الحادى والعشرين أن لوجالزاجيسى هو الملك الوحيد فى الأسرة السادسة عشرة وأنه تولى الحكم حوالى خمسة وعشرين عاما (حوالى ٢٨٧٠ — ٢٨٤٦) وقد ذكرت قبله

الأسرة الرابعة لـ « كيش » — وليس اوروكاجينا الذى يظهر أن سلطته لم تمتد إلى ابعد من مدينته نفسها .

وبعد انتصاره على لاجاش استولى إيشاكو اومّا على عدة مدن من سومير ونادى بنفسه ملكا على البلاد وكاهنا لـ « انو » Onou فى أوروك وقد تنازل عن لقبه القديم « إيشاكو أومّا » ولكنه احتفظ بلقب كاهن نيسابا Nisaba وسقطت نبّور فى يده واصبح الإيشاكو الأكبر لأنليل الذى كرس له بعض أوان من الحجر وتمثالا . « اخضع انليل البلاد لسلطانه وقد فتح البلاد جميعا من الشرق إلى الغرب » وحارب حتى الخليج الفارسى واغار نحو الشمال الشرقى حتى شواطىء سوريا . وقد اهتم من ناحية أخرى بمشروعات المنافع العامة ومنها مثلا مشروع رى لأراضى لارسا . والتمس من الآلهة «ان تمنحه فى كرم جنداً مثل عشب الحقل فى كثرته » والاّ تغير حظه السعيد . وأن تبقى عليه راعياً لشعبه إلى الأبد . ويظهر أن سلطانه لم يمتد إلى أكّد حيث كان يتزايد نفوذ سامىّ منافس سيوحد الإقليمين تحت صولجان واحد . ثم أسس سارجون أسرة أجاده وهو الذى تمثله أسطورة فيما بعد أنه أتى به إلى العالم سراً ووضع فى سلة من القصب مدهونة بالقار على الفرات وانتشله أكىّ AKKI متولى شئون الرى وهو الذى رباه كأنما هو ابن له. وتقول رواية أخرى إنه كان فى أول الأمر بستانيا ثم ساكب مشروبات أور ـ زابابا Our-Zababa — ملك من ملوك الأسرة الرابعة فى كيش — . وقد سجل انهيار لوجال زاجيسى نقش على قاعدة نصب مشيد فى معبد انليل فى نبّور . وقد استولى سارجون على اوروك ، وأغلب الظن أن ذلك قد تم له عن طريق المفاجأة وهدم حوائطها المحصنة ثم نازل بعدذلك قوات أوروك وانتصر عليهم . وفى معركة ثانية أسر «لوجال زاجيسى» نفسه واقتاده مكبلا بالأغلال أمام إنليل إله سومير الأكبر ليفوز منه بالموافقة على خلع الملك القديم والحصول على لقب الإيشاكو الأكبر وبذلك أصبح سيداعلى المنطقة

الشمالية من سومير. وقد سحق فى حملة أخرى قوات أور وهدم أسوارهذه المدينة ثم سقطت أراضى لاجاش كلها فى يده ولما وصل إلى شاطىء الخليج الفارسى غسل أسلحته فى مياه البحر وفقا لتقليد دينى استمر معمولا به حتى آخر أيام الأمبراطورية البابلية. وفى طريق العودة أكمل فتح سومير بالاستيلاء على أوما وهدم أسوارها.

وقد ورد فى النص نفسه كيف أن سارجون أصبح بفضل رعاية اتليل سيدا بغير منافس من البحر الأعلى (البحر الأبيض المتوسط) حتى البحر الأدنى (الخليج الفارسى). وتقدم نقوش أحد التماثيل بعض التفاصيل عن الحالة السياسية فى شمال غرب سومير وأكد اذ تذكر ثلاث ممالك: الأولى — مارى Mari على الفرات الأوسط التى امتد سلطانها فيما مضى حتى الخليج الفارسى وتحالفت أثناء حكم اياناتوم مع كيش ضد ملك لاجاش، والثانية يارموتى Iarmouti الواقعة غرب انحناءة الفرات. أما الثالثة فهى ابلا Ibla على منحدرات طوروس. وقد امتد سلطان سارجون خلال هذة الأراضى حتى «غابة الأرز» وهى لبنان أوما وراء لبنان ثم إلى جبال الفضة (طوروس) وقد كان هذا هدف فتوحاته.

وقد كانت بلاده — وهى أرض كثيرة الأمطار — لا تزود سكانها بأخشاب البناء ولا بالأحجار أو المعادن. وكان عليهم منذ البدء أن يعملوا على استحضار مايلزمهم منها من الخارج: إما من الجبال الواقعة شرقى دجلة التى تقطنها شعوب معادية أو من ناحية طوروس ولبنان متبعين فى ذلك الطريق الطبيعى للفرات ومنذ السنة الثالثة من حكمه — حين التمست منه مستعمرة تجار ساميين فى جانيش (Ganish) - (Gul-tepé) فى كبدوكية Cappadoce كان يضطهدهم نور داجان Nur-Daggan ملك بورسا هاندا Boursahanda — سار بجوهذه المدينة حيث أرسل من هناك إلى أكد[1]

(1) XXXI b fasc. 6

نوعين من أشجار التين والكروم والورد والنباتات الأخرى

وقد بنى سارجون — أو هو قد اعاد بناء — اجاده أو اكّد وهو الموقع الذى لم يمكن تحديده وجعل منها عاصمة لإمبراطوريته . وكان بلاطه فخما : وهو يصف أحيانا فى تفصيل عدد الأمراء الموجودين فى حضرته كما يذكر أحيانا أخرى ان ٥٤٠٠ رجل كانوا يأكلون أمامه كل يوم .

وتذكر نقوش أثر آخر فى إيكور Ekour موقعتين انتصر فيهما على عيلام، وبارهسى Barahsé وقدمثّل بالنحت المهزومون والأسلاب وقبائل المدن التى أخضعت. وقد انتصر كذلك على كازاللو Kazallou الواقعة عند سفح جبال عيلام . ووصلت حملة أخرى إلى شيريهوم Shirihoum على شاطىء الخليج الفارسى . ووفقا لروايات العهد البابلى الجديد يقال ان سرجون حمل جيوشه بحرا حتى يذهب لفتح دلمون Dilmoun .

وقد حدثت فى أخريات أيامه فتنة عامة وحين حوصر فى اجاده استطاع أن يهزم أعداءه وقدم غنيمة ضخمة للإلهه عشتار . وقد عاونت سوبارتو Soubartou — وهى الإقليم الواقع إلى شمال اكد — الثوار فهزمت كذلك.

وهنا تذكر بابل للمرة الأولى فى التاريخ إذ أنها شاركت هى الأخرى فى الثورة فكان جزاؤها ان نهبت وخربت ومع ذلك فان السلام لم يستقر . ومات سارجون ولم يأخذ ابنه سوى لقب «شر» كيش Shar-Kish shatim ملك المجموعة التى كانت ترتبط بعبادة أنو Anou والتى هى فى اكّد تقابل لووجال كلما Lougal Kalama فى سومير .

وكان على اوروموش Ouroumoush ان يحارب فى كل جبهة فقام بمعارك ضد جيوش أور وأومّا وذبح ٨٠٤٠ رجلا وأسر ملك أور و «ايشا كو» ها وكذلك ٥٤٦٠ محاربا. وتابع طريق النصر حتى البحر مجتاحا فى ذلك الحقول ومحطما المدن ومستوليا على الرهائن . واستولى عند عودته على كازاللو واشاع الرعب فى عيلام . وكونت «أومّا» مرة اخرى اتحادا مع دير Dêr،

ولكنه قضى عليه وقتل ٨٩٠٠ محارب واخذ ٣٥٠٠ أسير وقد أسهمت هالاب Hallab ولاجاش فى هذا الصراع وقدكان إيشاكوهما ووزراؤهما من بين الأسرى . وقد أخضع عيلام وهزم اباجاماش Abalgamash ملك بارهسى Barahsé وقامت معركة كبيرة على نهر كابنيتوم Kabnitoum بين اوان AWAN وسوسه وهزم أنشان Anshan وشيريهوم Shirihoum واستطاع أوروموش ان يعلن ما أعلنه أبوه من قبل من أنه اخضع لأنليل البحر الأعلى والبحر الأدنى وكل المناطق الجبلية ومع ذلك فانه اتخذ لقب « شركيش » ولم يطلق على نفسه لقب « ملك اجاده » . ولقد اقام مبانى النصر التذكارية فى معبد نبور Nippour ووضع تمثاله الشخصى المصنوع من الرصاص فى مواجهة تمثال الإله ، وكرس جانبا من الأسلاب له كما خصص أوقافا للقرابين .

ثم ضرب مانيشتوسو Manishtousou انشان وسيريهوم وعبر الخليج الفارسى ليهاجم اثنين وثلاثين ملكا صغيرا على الشاطىء العيلامى بقصد ضمان استغلال مناجم الفضة والمحاجر . وقد حصل فيما يجاور اجاده على مساحات واسعة من الأرض وأمر أن تنقش وثيقة الملكية على مسلة من الديوريت وقد اعترفت سوسه بسلطانه ، فكرس ايشاكوها تمثالا تمجيدا له .

ولقد مد نرام سين Naram - sin نفوذه (حوالى ٢٧٦٨ — ٢٧١٢) من الخليج الفارسى حتى آسيا الصغرى . ويحمل عدد من الآثار الدليل على مجده ، وتقدم الفنون الجميلة فى عهده . وقد عثر فى بيرحسين على الامبارسو Ambar-sou على مدى أربع ساعات ونصف إلى شمال شمال شرق ديار بكر على لوحة أقامها هناك . وقد مثل احد مهرة النحاتين على لوحة أخرى حملها أحد العيلاميين الغزاة إلى سوسة ... الكفاح ضد ملوك سدورى Sudouri ولولوبو Louloubou .[1]

وقد أله خلال حياته . وتذكر النقوش على بعض القطع الأسطوانية التى تخص كبار الموظفين اسمه كانما هو « إله اجاده » . ويرجع تاريخ كثير من لوحات

---

(١) شكل ٤



شكل(٤) لوحة نرام سين (متحف اللوفر . وفدفارس)

الحسابات الى عهده وإلى عهد حفيده شركاليشرى Sharkalisharri (مابين ٢٧١١ ، ٢٦٨٨)

وثارت أوروك وأصبح لزاما أن يعاد غزوها . وقد وصل العيلاميون إلى اوما ولكنهم ردوا على أعقابهم وكانت الحرب فى الشمال الشرقى ضد جوتيوم Goutioum وفى الشمال الغربى ضد بَسَر Basar ويخلد اسم أحد الأعوام ذكرى أسر ملك كوتا Kouta ووضع اساسات معابد فى بابل كما يسجل آخر استمرار بناء الايكور Ekour فى نيبور الذى كان قد بدأ فى عهد الملك السابق : وقد عثر بين الخرائب على عوارض أبواب عليها كتابات وكذا على أختام للطوب .

وعند موت شركا ليشرى سادت الفوضى :

«من كان ملكا ؟ ومن لم يكن ملكا ؟» ! لقد حكم اربعة ملوك خلال


شكل (٥) تمثال جوديا (متحف اللوفر – تللو)

ثلاث سنـــوات ! و « دودو » الذى بقى من عصره اناء من المرمر وابنــه جيميــل دوركيب Gimill Dour-kib (حوالى ٢٦٤٦ — ٢٦٤٩) تنتهى بها قائمــة أمراء أجاده .

وقد استردت السلطان أسرة من أوروك بها خمسة ملوك مدى ٢٦ سنة (حوالى ٢٦٤٨—٢٦٢٣) ولكن شراذم جوتيوم الذين استطاع شركا ليشرى منذ أقل من قرن أن يعيدهم نزلوا الى السهل من الجبال الشرقية وأخضعوا سوميرو ا كـّد (حوالى ٢٦٢٢ — ٢٤٩٨) وقد أمر أحد ملوك هذا العنصر وهو لاسيراب Lasirab أن تنقش كتابة ا كديه على دبوس قتال نذرى وهو يتوسل فيها إلى إنّينا وسين مع آلهة بلاده .وبعد مائة وخمسة وعشرين عاما عندما نودى باوتو هيجال Outou - hegal ملكا على أوروك والأقاليم الأربعة وضع نفسه تحت رعاية إنليل وإينانا إلهة أوروك وجلجامش الملك القديم الأسطورى . وقد جمع قوى اوروك وكولاب koullab ضد الأجنبي . وخسر ترقان Tiriqan ملك جوتيوم المعركة وهـرب الى قلعته دوبروم Doubroüm ولما هجره رجاله أسر معزوجه وأطفاله. ووطدت دعائم الاستقلال من جديد . ولقد حفظت لنا بعض الأسماء من ذلك العهد الذى مازال غامضا وهى أسماء إيشا كوهات لاجاش ومن بينهم جوديا Goudeä الذى امتد نفوذه بعيدا إلى ماوراء مدينته . ويوجـد بمتحف اللوفر أحد عشر تمثالا له وكذلك تمثالان صغيران وبعض قطع من لوحة وقطعتان اسطوانيتان

من الآجر تخلدان ذكرى إعادة بناء المعبد الكبير فى لاجاش وكذا بعض قوالب الآجر والمسامير الطينية واللوحات والأوانى ورؤوس الدبابيس وأسد نذرى وبصمات أختام . وقد أعاد بناء الانيننو Eninnou فى صورة فخمة : وتصف النقوش على الاسطوانات فى إسهاب الاستعدادات التى عملت من أجل هذا المشروع وتنفيذه وحفلات تدشينه. وقد وضع تمثاله الخاص الذى يمثله فى صورة متواضعة مليئة بالاحترام أمام المعبود فى كل معبد قام بترميمه وقد أقام فى فناء الانيننو سبع لوحات عشر على اجزاء من اثنتين منها . ولدينا كذلك رأس دبوس من رخام طوروس محلاة برءوس سباع ومغطاة بطبقة من الذهب وكذا إناء مزخرف بالتنانين من نفس طراز نظيرها الذى سنراه شعارا لمردوك Mardouk اله بابل والذى سيظل يمثـــل فى النقوش والرسومات حتى فى الامبرطورية الجديدة وكذا اسد مكرس للالهة جاتوم دوج Gatoum doug [1] . وحين انتهى من ترميم المعابد عنى بتثبيت المنشآت الدينية القديمة وزيادة اغلب التقدمات الخاصة بالطقوس . ونقوشه تشير اشارة طفيفة الى الاحداث الحربية وهى حرب ضد أنشان . وربما أله جوديا خلال حياته ولكن ليس هناك من شك فى انه كان يعبد بعد موته بوقت قصير . وقد أقيمت أوقاف منتظمة لتقديم القرابين لتمثاله : وتوجد لوحات حسابية تؤيد ذلك . وقد خلفه ابنه اور ننجرسو Our-Ningirsou الذى سرعان ماخلعه اور إنجور Our-Engour ملك أور من مركزه كايشاكو مع بقائه كاهنا لأنو وانكى حتى تحت حكم دونجى .

وحوالى ٢٤٧٤ بدأ فى أور عهد الأسرة الثالثة التى أسسها اور ـ انجور وكانت اور قد خربت وحرق قصرها وهدمت اسوارها فأعاد الملك الجديد بناء مدينته ومعبد ننار Nannar وأصبح سيد أوروك وعين ابنه هناك كاهنا اكبر لاينانا Innana واستولى على لا جاش وخلع ايشاكوها وأحل مكانه

(١) قارن أشكال ٥ و ١٨ و ١٩

أورابا Our Abba وشق قناة هناك . فلما اصبح ملكا على سومير وأكد
أعاد بناء كثير من المعابد : معبد إله الشمس فى لارسا ومعبدى انليل ونينليل
Ninlil فى نبور ، وشق القنوات وأصلح القوانين « وجعل العدالة تسود » .
ولعل الخاتم الأسطوانى لها شهامر Hashhamer ايشاكو إشكون سين
Ishkoon-sin ومولى ملك اور — وهو من أشهر نماذج الحفر على الأحجار
الرقيقة لذلك العصر — هو الدليل الوحيد على كونه من اكد . وهناك من
عصره تاريخ يخلد ذكرى حملة « من أدنى الأرض إلى أعلى الأرض » .

وقد خلف دونجى Doungi ابن اور — إنجور Our - Engour اباه حوالى
٢٤٥٦ وتنقسم مدة حكمه الطويل البالغة ثمانية وخمسين عاما إلى فترتين . . . ويظهر
أن الملك خلال الفترة الأولى اهتم فقط بالشئون السلمية فقد كانت كل سنة
تشهد حادثا دينيا أو أعمالا خاصة بالمنافع العامة من إقامة معابد ومؤسسات
مقدسة ووضع المعبودات فى الهياكل التى أعيد ترميمها وتعيين كبار الكهنة
وفقا لما يشير به المنجمون وترميم العمارات . . .

ومع ذلك فلم يكن ليهمل أية فرصة لبسط سلطانه وتوسيعه . وحين حلت
السنة الثالثة والثلاثون نراه يبدأ سلسلة من الحملات على البلاد الواقعة فى
الأقاليم الجبلية إلى شرق سومير وأكد . وقد عثر على آثار من حكمه فى
أماكن كثيرة مثل نيفر Niffer ومغير Moughéir وتللو Tello بل إن قوالب
من الطوب عثر عليها فى سوسة تدل على أن نفوذه امتد فعلا إلى هذه المدينة
كما أن لوحات من تللو تنتسب إلى مجموعة « زاد السفر » تبين أن السلطة
المركزية كانت تهتم مباشرة بتفاصيل إدارة أبعد المدن وأنها كانت قد نظمت
إدارة لحملة البريد (العدائين) هيئت لها مرابط ومحطات بغية توصيل التعليمات
وضمان تنفيذها . وجاهد الملك من جهة أخرى فى سبيل توثيق عرى
الاتحاد بين مواليه عن طريق فرض ضرائب هى فى الوقت نفسه روابط
دينية . وحوالى العام الثامن والأربعين أعاد تنظيم الحديقة القريبة من معبد

إنليل الإله الأكبر لسومير . ولقد كانت تجمع هناك مدى ثلاثين عاما حتى الأيام الأخيرة للأسرة المستحقات الإقطاعية المفروضة على المدن وحكامها إلى جانب التقدمات الاختيارية . وكان الحكام — حتى حين كانوا يحتفظون بلقب إيشاكو — ليسوا فى أغلب الأحيان سوى موظفين يعينهم الملك وكان على اومّا Oumma وبابل Babylone ومرد (ونّة الساذون قرب أفج (Wannet es - sadoun prés Afadj) وأدب (بسمايا) (Adab (Bismaya واور Our وشوروباك Shourouppak وكازاللو kazallou (بين مرد واجاده entre Marad & Agadé)... كان عليها جميعا أن تقدم قرابين معينة كل منها شهرا فى السنة . وكان ايشاكو جرسو Girsou يدفع وحده حصة أربعة شهور كل عام . أما الحصة الثانية عشرة فهى التى يقدمها ايشاكو « عيد دونجى » . وأما المدن الأخرى مثل نبور فى سومير وكيش فى اكد وهارشى Harshi فى شرق دجلة ومارى Mari وابلا Ibla على الفرات من ناحية الغرب فكانت تقدم أنصبة واستحقاقات وضرائب من وقت لآخر . وقد اتسعت الأعمال الكتابية فى الدواوين اتساعا ضخما وكانت قد تقدمت تقدما كبيرا فى المدن فى عصر لوجالانده وأوروكاجينا . فلم يعد هناك عمل يُجرى فى المخازن العمومية دون كتابة لوحة يعهد بها إلى عمال المحفوظات الذين يسجلونها فى قوائم الحسابات الخاصة بسنة أوعدة سنوات . ولم تهمل أية فرصة من شأنها زيادة النفوذ الملكى . ففى العام الخامس والعشرين أصبحت الأميرة نياليمداشو Nialimmidashou ابنة الملك سيدة على مارهاشى Marhashi فى الاقليم الجبلى . وفى العام التاسع والثلاثين تزوج إيشاكو أنشان إحدى الأميرات الملكيات ... ولكن الصلات الطيبة لم تستمر طويلا إذ أن اقليمه اجتيح بعد سنوات أربع .

وقد أمر دونجى — كما فعل نرام سين من قبله — أن تقدم له فروض التمجيد الإلهى فبنيت له المعابد وقدمت التقدمات لتمثاله عند ظهور الهلال

الجديد وعند اكتمال القمر بل إن أحد الشهور فى بعض التقاويم المحلية كان يسمى «شهر عيد دونجى» وألفت الأناشيد الدينية فى تمجيده. كما أنه هو ذلك «الإله الملك» الذى استعمل اسمه كجزء من أسماء رعاياه مثل: دونجى ايلى (أى دونجى الهى) ودونجى بانى (دونجى الخالق) ودونجى أبى (دونجى والدى).

وقد خلفه ابنه بورسين Boursin وحكم تسع سنوات (٢٣٩٨—٢٣٩٠). وكان عليه أن يتابع الحرب ضد الشعوب فيما وراء دجله. وقد استخدم تخريب أوربيللوم Ourbilloum فى العام الأول وشاشارو Shasharou وهوهونورى Houhounouri فى العام الخامس والعام السادس كمعالم فى التقويم. أما التواريخ الأخرى فتتصل بالدين. وقد أعاد ترميم جزء من معبد انليل فى اريدو Eridou كما أقام تمثالا فى أور Our ونفذ مشروعات كثيرة فى معبد إله القمر. وأما فى نيبور فقد شيد مبنى لتقدمات العسل والزبد والنبيذ لانليل «الاله الذى يمنح الحياة لأرضه»، «إله الشمس لبلاده» وقد تقبل التقدمات — كما كان يفعل أبوه — فى المعابد المكرسة له. وظل فى عداد مجمع الآلهة.. وقد عاد ظهوره فى القرن السابع فى موكب اله اور. وتظهر هنا اشور للمرة الأولى فى تاريخ سوميرو اكد: فإن زاريكو Zarikou — شكّاناك Shakkanak اشور — رفع تكريسا لأجل حياة مولاه «بورسين — ملك اور القوى — ملك الأقاليم الأربعة».

وقد كانت عارضة باب فى أحد المعابد المقامة تمجيدا للملك الذى يحكم فى أور نفسها: — تحمل تكريسا من لوجال ماجورى Lugal magouri إيشاكو أور تمجيدا لجيميل سين Gimil-sin «إلهه» ابن بورسين وخليفته وتبعا للنصوص المعاصرة نجد أن هذا الأمير حكم مثل أبيه تسع سنوات (حوالى ٢٣٨٩ — ٢٣٨١) وقد خرب سيمانوم Simanoum فى الشرق وكان عليه ان يشيد حائطا من دجلة الى الفرات قرب سيبار Sippar لحماية اقليمه ضد

غارات العموريين . وفى السنة السادسة خربت أرض زابشالى Zabshali .
وقد رمم ايضا المعابد وزينها .وقد استمر العمل بنظام المركزية فى عهده حتى
أن كبير وزرائه « أراد نشّار Arad Nannar » استطاع ان يطلق على نفسه
لقب ايشاكو ست مدائن وحاكم خمس أخرى وكذا ارضين اخَر وذلك
فى نقش على عوارض ابواب معبد اقامه فى جيرسو تمجيدا للملك ؛ اذ ثبته
فى وظيفته التى كان أبوه — ومن قبله جده — يشغلانها .

وآخر ملك فى هذه الأسرة هو ابي‌سين IBi-sin بن جيميل سين
Gimil-sin (حوالى ٢٣٨٠ — ٢٣٥٨) وتشير الوثائق المعروفة كلها إلى
السنتين الأوليين أو السنوات الثلاث الأولى من حكمه فقد اكتسح انشان
وزوج إحدى بناته من إيشاكو هذا البلد ولم يستطع الاحتفاظ بسلطانه
تحت ضغط ايشبي‌ايرا Ishbi-ira سيد عموريي مارى على الفرات الأوسط
وضغط عيلاميي «كتورناهوتى» التواقين إلى رفع النير عنهم والإقامة فى السهل
فأسر واقتيد إلى مارى ثم ظهرت مملكتان جديدتان على انقاض امبراطورية
اور : احداهما فى ايسين والاخرى فى لارسا . فقد انشأ ايشبي ايرا
(حوالى ٢٣٥٧ — ٢٣٢٦) فى ايسين اسرة عمورية اتخذ امراؤها لأنفسهم
لقب ملوك سومير واكد وأضفوا على انفسهم الصفات الالهية . وقد اعتبر
ثالث ملوك هذه الأسرة سيبار ضمن المدن الخاضعة لصولجانه وبسط ابنه
ايشمي داجان Ishmi dagan (حوالى ٢٢٩٤ — ٢٢٧٥) نفوذه على
نيبور واور واريدو واوروك . وخلفه اخوه ليبيت عشتر Lipit-ishtar
(حوالى ٢٢٧٤ — ٢٢٦٤) وحل محله أور إينورتا Our-inourta (حوالى
٢٢٦٣ — ٢٢٣٦) الذى لقب بنفس القاب أسلافه وفقا لما هو مدون على
قوالب طوب البناء مع أنه حدث أثناء حكمه ان جونجونوم Goungounoum
خامس ملوك لارسا (٢٢٦٤ — ٢٢٣٨) دعم نفوذه واستولى على اور
وانتهى به الأمر أن اتخذ لنفسه لقب ملك سومير واكد. وقد ثبت ايناناتوم

ابن « ايشمى داجان » كبيرًا لكهنة نانار فى أور فأقام إيناناتوم — اعترافا بذلك — معبدا لببّار Babbar اله لارسا ليرعى حياة جونجونوم « ملك أور » وكان الاستيلاء على اور سابقا للسنة التاسعة من حكمه (٢٢٥٦) لأن الملك قد أمر فى هذه السنة بوضع شارات فى معبد نانار كما أنه وضع فى السنة التالية تمثالا نحاسيا هناك . ومع أن أهم الحوادث التى خلدت ذكراها تتعلق بنواحى مدنية ودينية إلا أنه سجلت له حملتان حربيتان : اكتساح باشيمة Bashimé فى السنة الثانية وأنشان فى السنه الرابعة .

وقد خلف أبى — ساره Abi-saré (٢٢٣٧ — ٢٢٢٧) جونجونوم وقد قام كذلك بشق القنوات وتزيين معابد الآلهة : فقد تلقى نانار من اور تمثالين احدهما من الفضه والآخر من العقيق واللازورد . وفى السنة التاسعة حارب قوات إيسين أثناء حكم الملك بورسين (حوالى ٢٢٣٥ — ٢٢١٥) الذى اتخذ لنفسه ألقاب اسلافه وادعى السيادة على نيبور وأور وأريدو واوروك وإيسين . ويبين خاتم اسطوانى يحمل اسمه فى النص الوارد به خصائص فن النحت على الأحجار الرقيقة فى عهد الأسرة الأولى البابلية .

ومع ذلك فان سوموايلوم Soumou-iloum (٢٢٢٦ — ٢١٩٨) خليفة ابيساره كان قد احتفظ بلقب ملك اور كما كان يملك لاجاش حيث أهدى كلب نذرى من حجر الصابون (ستياتيت) تمجيدا له إلى الإلهة نين ايسين Nin-isin [1]. وقد حارب كازاللو (السنة الثالثة والسنة الحادية والعشرون) وكا ايدا Ka-ida (السنة الثامنة) وكيش (السنة العاشرة) وشق القنوات وأهدى إلى شمش تمثالا من الفضة [2] .

تعتبر السنة التالية للسنة التى ولى فيهـــا سوموا يلوم الحكم من أهم العهود فى تاريخ الشرق :

---

(١) راجع شكل ٢٠

(2) cf LXXVI

فى عام ٢٢٢٥ نادى سومو أبوم Soumou - aboum العمورى بنفسه ملكا على بابل. وقضت الاسرة التى أنشأها على أسر ايسين ولارسا وبسطت نفوذها على سومير وأكد وحققت نهائيا وحدة البلدين تحت صولجان واحد تلك الوحدة التى طالما حاولت أهم المدن الوصول اليها منذ أكثر من ألفى سنة. وقد أبيد الجنس السوميرى جزئيا وامتص الجزء الباقى فى الأجناس الأخرى ولم يحتفظ باسم سومير نفسها إلا فى المراسيم على حين شمل اسم أكد كل الإقليم. ولم تعد بابل المدينة السياسية فحسب بل العاصمة الدينية للإمبراطورية كذلك.

وقد هاجم ايلوشوما Ilushouma الاشورى سوموابوم (٢٢٢٥ — ٢٢١٢) ومع أن هذه المعركة معروفة فى التاريخ البابلى الانه يظهر انها لم تكن حاسمة بدليل أن الملك لم يخلد ذكرى خاتمتها وقد بادر بتحصين مدينته فاحاطها بسور من اللبن ثم عمل على التوسع ففى السنة الثالثة بنى حائط كيبا لبارّو Kibalbarrou فى ضاحية العاصمة. وفى السنة التاسعة ضم دلبات Dilbat (التى تبعد ٢٧ كيلو مترا) وهى مركز اقليم خصب يضمن تموين العاصمة. وقد اعترفت سيبار بسيادته عليها لان اسم الملك البابلى وارد فى نص القسم. ولكنها ظلت تتمتع الى حدما بالاستقلال: فلها ملوكها ولها تقويمها ولها تقاليدها القضائية. وقدقاومت كيش مدى ثمانى سنوات فاضطر سوموابوم الى التحالف مع ملك لارسا لكى يخضعها. وفى السنة العاشرة ثبت سيادته عليها باهداء تاج الى الاله انوم Anoum ثم وجه جهوده نحو الشرق وهاجم كاز اللو التى كان قد حاربها سوموا يلوم (عام ٢٢٢٤) واكتسحها (٢٢١٤) ثم مات بعد سنتين وخلفه سومولاايلوم Somou—Ia-iloum (٢٢١١ — ٢١٧٦) فاستعادت كيش قسطا من الاستقلال.

ويشير نص لاشدونى اريم Ashdouni - érim خصم سوموابوم الى حرب استغرقت ثمانى سنوات ضد «الاقاليم الاربعة»، وانه لم يبق لدى ملك كيش

فى العام الثامن سوى ثلاثمائه محارب ولكنه استرد السيادة — كما يذكر — فى خلال اربعين يوما بعد ان حارب على مسيرة يوم — وهى مسافة تعادل ما بين كيش و بابل — وذلك بفضل معونة آلهته زابابا zababa وعشتار Ishtar .

وفى عهد مانامًا Manama (٢٢١٢) كان يؤدى اليمين باسم هـــذا الاميروليس باسم سوموابوم . وتحمل بعض اللوحات تواريخ بابل المعهوده على حين تحمل لوحات اخرى التواريخ المحلية . وبعد مانامًا أتى سومو ديتانا Soumou - ditana وياويوم Iawioum الذى اخذ المدينة فى عهده واكتسحها سومولا ايلوم Soumou - la - iloom (٢٢٠٠) وشق سومولا يلوم قناة شاماش هيجاللو Shamash - hegallou فى عامه الاول وبنى حائط بابل العظيم (٢٢٠٨) وأقام معبد اداد Adad (٢٢٠٥) وحفر فى العـام السابق لتخريب كيش قناة اخرى اطلق عليهـا اسمـه وفى عام ٢١٩٥ ثار يازير إل Iazir - el الكاز اللوى وانطلق نحو بابل واستدرج كيش نحو النزاع وقد استولى على المدينة الاخيرة فى العام التالى فقوضت اسوارها. كما دكت حوائط كاز اللو (٢١٩٣) وهزم جيشها . وتمكن يازير إل ان ينجو بجلده ولم يكن فى الاستطاعة القبض عليه وقتله حتى عام ٢١٨٨ . وتخلد السنوات الثانية والعشرون والرابعة والعشرون والسادسة والعشرون من الحكم ذكرى الأحداث الدينية من تزيين عرش مردوك Mardouk بالذهب والفضة ومن تماثيل لزاربا نيتوم Zarpanitoum وعشتار Ishtar ونانا Nana . وجعـل ملك بابل من نفسه سيدا على كوثا Koutha (٢١٨٥) ورمم حوائطها ووضع فى نفس العام اقدامه فى سومير واستولى على دور زا كار Dourzakar أحد حصون نيبور . ومات بعد حكم استمر مدى ستة وثلاثين عاما تاركا لابنه زبيوم Zabioum (٢١٧٥ — ٢١٦٢) ملكا يضم كل اقليم أكد تحرس حدوده الجنوبية أربع قلاع وكذا إقليم دورزا كار فى سومير .

ولم يسع زبيوم على مايظهر فى توسيع دولته ولسنا نعرف سوى حملة

حربية واحدة قام بها وجهت ضد كازاللو التى كانت قد رممت لحطم اسوارها من جديد (٢١٦٥) وقد اهتم باعاده بناء المعابد واقام تمثالا برونزيا لنفسه فى إى بيّار E-babbar فى سيبار (٢١٦٤) وشق قناة وحصن كارشماش Karshamash . وقد رمم ايبل سن Abil sin (٢١٦١ — ٢١٤٤) حوائط بابل وشيد المعابد وحفر القنوات وقدم عرشا ثمينا الى شماش .

وقد استعاد سن آدينام Sin - idinnam ملك لارسا (٢١٨١—٢١٧٦) ابن وخليفة نوراداد Nour - adad (٢١٩٧ — ٢١٨٢) من زامبيا Zambia الملك الثانى عشر لايسين لقب ملك سوميروأكد واستغل السنوات الست التى حكم خلالها فى تشييد التحصينات وفى تأمين وسائل الرى ببلاده .

اما اخلافه سن اريبام Sin eribam (٢١٧٦ — ٢١٧٤) وسن ايقيشام Sin - iqi sham (٢١٧٣ — ٢١٦٩) وتسيللى اداد Tsilli adad (٢١٦٨) فيمرون عبر صفحات التاريخ دون أن يتركوا اثرا ما وأغلب الظن ان تسيللى اداد خلع ... خلعه موتى ابال Mouti-abal ملك كازاللو الذى هاجم بعد ذلك ادا (والد) ايموتبال Emouti-abal كودور مابوج Koudur Maboug بن سمتى شلهاك Simti shilhak وقد مُزِّق جيش كازاللو وقنع كودور مابوج بأن يضيف إلى لقبه كـ «ادا ايموتبال» لقب «ادّا الغرب» وامر بالاعتراف بابنه واراد سن Warad sin ملكا على لارسا (٢١٦٧) فى أيام زابيوم ملك بابل .

ثم تبدأ حرب أجناس تستمر أكثر من سبعين عاما وكان الصراع من أجل سهل سومير الغنى الذى جهد العيلاميون فى تملكه . وبعد خمسة وثلاثين عاما يُرى ريمسين Rim sin الملك العيلامى الثانى « للارسا » وقد حطم ايسين وقضى على استقلالها (٢١٣٢) ولكن يقوم فى طريقه ملك بابل . وفى ٢٠٩٥ يهزمه حامورابى Hammourabi ثم يسقط فى يده فى العام التالى .

وفى عام ٢١٣١ أشهر سن موباللیت Sinmouballit (٢١٤٣ — ٢١٢٤)

خليفة ابيل سن Abil sin حربا ضد جيش اورو لارسا . وكانت ايسين قد فقدت ملكها وان ظلت تحتفظ بقسط من الاستقلال غير وطيد بين متنافسين لم يكن احدهما اقوى من الآخر بحيث يستطيع الاحتفاظ بها . وقد تفاخر ملك بابل بعد ذلك بسنوات ثلاث (٢١٢٨) بأنه استولى على المدينة . وفى العام التالى استطاع ريمسين Rim sin « فى يوم واحـــد » ان يستولى على دوننوم Dounnoum « المدينة الرئيسية فى ايسين » ربما عن طريق عنصر المفاجأة وأسر محاربيها وان استنقذ المواطنين . وسرعان (٢١٢٦) ما انضمت ايسين إلى دولة لارسا . ومات سن موبا لليت عام ٢١٢٤ وقد قدر لابنه حمورابى (٢١٢٣ — ٢٠٨١) اكثر ملوك بابل تألقا والمؤسس الحقيق لوحدة الامبراطورية . . . قدر له لا أن يتابع سياسة أسلافه فحسب بل ان يجمع القوانين والقواعد القائمة على العرف ويعيد تنظيم ادارة العدل ويركز السلطة . ولقد سار أبعد مما سار اليه دونجى ملك أور إذ استطاع عن طريق ثورة دينية أن يقلل من عدد الآلهة عن طريق ارغام المعبودات المتنافسة على التكتل بل وان يخلع انليل نيبور الذى استطاع ان يتمتع بالسيادة . منذ ازمان لا يستطاع تحديدها ارضاء لمردوك اله بابل . وقد استولى بعد خمس سنوات من ولايته للعرش (٢١١٨) على اوروك وإيسين ولكنه لم يقض على أسرة لارسا الا فى عام ٢٠٩٥ حين أشهر الحرب ضد جيوش عيلام وهرب ريمسين Rim-sin إلى أرض ايموتبال التى كان قد جاء منها ابوه كودوربابوج ثم أخذ فى العام التالى أسيرا . ولكن الحرب لم تكن قد انتهت فان قوى اشنوناك Ashnounnak اتحـــدت مع قوى ايموتبال وكان لا بد من حملة حربية جديدة (٢٠٩٣) لإيقاع الهزيمة بهم . وبعد عشرين عاما (٢٠٧٢) — خلال حكم سامسو ايلونا Samsouilouna ظهر شخص ادعى انه ريمسين وأثار ايداماراز Idamaraz وايموتبال Emoutbal واوروك وايسين ولكنه لم



شكل (٦) الملك حمورابي أمام الاله شاماش — نقش القانون (متحف اللوفر : وفد فى فارس)

يستطع تأسيس سلطة مستديمة . وقد اهتم حمورابي بمجرد وصوله للحكم بـ «اقرار العدالة» وعمل طوال عهده على جمع «قرارات الانصاف» وأمر بنقشها على الحجر. والقانون الموحد الذى عثر عليه فى سوسة ليس سوى واحد من هذه المجموعات التى نشرت بعد السنة الأربعين من حكمه . وبها أعلن الملك قواعد العرف المجددة والقوانين السومرية القديمة لتطبيقها على المجتمع الجديد الذى امتزج فيه العموريون باهالى سومير واكد الاقدمين . وقد سُرِد فى مستهل «القانون الموحد» عدد معين من المدن الخاضعة لبابل التى امتد نفوذها من لاجاش واريدو بالقرب من الخليج الفارسى حتى اشور ونينوى وهما مدينتان من مدن اشور .

وكان الجنس السوميرى قد كاد يزول ويتلاشى فى الجنس السامى الذى كان عنصره الأكدى قد اكتسب دما جديدا باستيطان العموريين . وكانت النقوش تكتب بالسومرية رغم أن هذه اللغة أصبحت لغة ميتة لا تفهم بدون ترجمة إلا بصعوبة . ومع ذلك فقد بقيت مستعملة كلغة مقدسة فى الشئون

الدينية كما استمر القضاء يستعمل النصوص التى كانت التقاليد قد وضعتها. وقد تفنن الكتبة فى ان يضعوا بين السطور تراجم وقوائم علامات وكلمات ورسوما تعبر عن الأشياء التى يقصدون ذكرها وجملا نسخت بعد ذلك وتطورت حتى نهاية الامبراطورية البابلية الجديدة ، بل حتى فى عهد السلوكيين Séleucides

وقد عرف حمورابى كيف يستغل هذا الانحطاط فى سومير لدعم نفوذه فنبتت فى ذهنه فكرة تعديل هذا التراث القديم فى وضع جديد يتفق والظروف السياسية الجديدة وهكذا فان مردوك اله بابل الذى كان فيما سلف الها من الدرجة الثانية — وهو ابن انكى Enki اله اريدو — تبوأ مركز الصدارة عن جدارة وجعل مجمع الآلهة العظام يمنحه النفوذ السامى الذى كان للاله الأعظم أنو Anou وهكذا حلت بابل العاصمة السياسية محل نيبور واصبحت — بغير منافس — العاصمة الدينية التى يلتمسها الاشوريون فى تقاليدهم الدينية .

وقد جدّ حمورابى فى تنمية التجارة مع الغرب أى مع اقاليم البحر الأبيض المتوسط التى كانت تقصد منذ البداية ليجلب منها الحجر والمعادن وانواع الأخشاب العطرية التى لا وجود لها اطلاقا فى السهول المنخفضة لدجلة والفرات والتى استوطنها هؤلاء الساميون الغربيون الذين يعتبر هو وعشيرته من سلالتهم. وكذلك شق القنوات داخل مملكته بقصد تيسير التبادل وزيادة الأراضى الزراعية . وتدل الرسائل التى تبادلها مع حكام المدن انه ركز فى يده الشئون الادارية وانه عنى مباشرة بادارة الشئون القضائية وبمشروعات المنافع العامة وكذلك بتنمية املاكه الخاصة وصيانة قطعانه العديدة .

وقد اثبتت الحفائر انه كانت توجد منذ ذلك العهد قواعد لتخطيط مدينة بابل تلك القواعد التى صمدت واتبعت حتى نهاية عهد الأمبرطورية البابلية الجديدة رغم الثورات وعهود الاحتلال الأجنبى . ويغطى مدينة

عهد حورابى القصر وتل عمران بن على والمركز . وكان يوجد فى المنطقة الواقعة الى شمال المركز حى خاص بنيت بيوته باللبن المقام على أساس من الآجر وهى الطريقة التى اتبعت دائما بعد ذلك فى البناء . وقد كان جزء من هذا الحى تحت مستوى الماء الحالى والجزء الآخر فوقه . وتدل طبقة كثيفة من الرماد أن هذا الحى دمره حريق ربما شب وقت الغزو الحيثى . وكان معبد عشتار فى اجاده محاصرا بالبيوت من كل جانب وكانت الطرق الكبيرة الموازية جميعا للطريق المقدس تتقاطع متعامدة مع طرق اخرى فى حين ان بيوت المدن السوميرية القديمة كانت مجمعة دون ترتيب كما انه لم يكن للطرق اتجاه ثابت .

وقد اضطر حورابى بعد تدمير ايسين وأسر ريم سين وحربه ضد اشنوناك وايموتبال (٢٠٩٣) ان يتجه نحو الغرب ويهاجم مارى (٢٠٩٠) ويهدم اسوارها . وبعد سنتين حارب فى الشمال قوات توروكو Touroukkou وكاكمو Kakmou وسوبارتو Soubartou وانتصر أخيرا عام ٢٠٨٦ على جميع البلاد المعادية فى سوبارتو

وقد تابع سامسوايلونا Samsou - ilouna (٢٠٨٠ — ٢٠٤٣) التقاليد القويمة التى كان أبوه قد استنها فراقب — مثله — الموظفين بنشاط واهتم بالمشروعات العامة الكبيرة . وفى العام الثامن من عهده اظهر الكاسيون Kassites على الحدود الشرقية عداءهم . والكاسيون شعب من المحتمل جدا ان يكون من عنصر آرى كان على ما يظهر ينتسب إلى الميتانيين Mitanniens الذين استقروا فى شمال ميزوبوتاميا Mésopotamie فهزموا وردوا على اعقابهم ولكنهم مالبثوا ان تسربوا الى داخل البلاد كفعلة وعمال واقاموا بعد ثلاثة قرون ـ اى حوالى ١٧٦١ ـ اسرة فى بابل لم تندمج مع العنصر الاصلى . وفى الجنوب كونت رواسب النهرين منطقة مستنقعات غطى جزء منها بالقصب وزرع الجزء الآخر الاهلون ومنهم السوميرى ومنهم الأكدى كما

يستدل على ذلك من أسماء ملوكهم . ويغلب على الظن أنهم لجأوا جميعا إلى هذه المنطقة وقت تسرب العموريين . وقد سميت هذه الجهة « أرض البحر » وحكمها ايلوما ايلوم Elouma - iloum وتحدى ملك بابل . وقد واجه حملتين لم تنجحا بل يظهر بالعكس أن ملك أرض البحر أصبح منذ السنة الثلاثين من حكم سامسو ايلونا سيد نيبور حيث عثر على لوحة تحمل اسمه كما أن ملك بابل اضطر إلى اصلاح خط الحصون الذى كان سومولا ايلوم Soumou - la - iloum قد أقامه على حدود أكد . وقد رد سامسوإيلونا فى عام ٣٦ هجمة قامت بها عصابات عمورية محاولة الاستيطان فى بابل ومع ذلك فان الاتصال بالأقاليم الغربية كان ميسرا فى أغلب الأحايين : فقد استحضر قبل ذلك بعشرة أعوام كتلة حجرية ضخمة من جبل عامورو الكبير .

وقد وردفى مصدر لاحق لهذا العهد أن أبيشو Abêshou (٢٠٤٢—٢٠١٥) ابن وخليفة سامسو ايلونا جدد الحرب ضد ايلوما ايلوم وحول مجرى مياه دجله حتى يستطيع الوصول إلى عدوه ولكنه لم يستطع القبض عليه وشيد بالقرب من دجلة حصن دور ابيشو D ur Abêsh u وبنى مدينة لوكايا Lou'aia على قناة أراهتو Arahtou فى ضواحى بابل . وجمل عاصمته بمعابد جديدة : كرس احدها الى انليل نيبور وربما كان ذلك بقصد تدعيم ادعاء الملك بشأن حقوقه على العاصمة الدينية القديمة التى سقطت فى أيدى رجال « أرض البحر » وأقام معبداً ثانيا تمجيدا لنانار على نمط معبد أور الكبير . وقد وضعت على الأقل خمسة تماثيل للملك فى هياكل الآلهة كما جدد تمثال إيشاكولاجاش القديم « انتمينا » الذى كان له كذلك هيكل فى بابل . ومما يجدر بالذكر أن ابيشو ألـّه نفسه كما فعل أسلافه من قبل منذ الاستيلاء على نيبور ... ألم تنتقل السيادة العظمى من انليل الى ماردوك ؟ أو لم يرث ملك بابل كل المزايا التى كان يتمتع بها فيما مضى كبير إيشاكو انليل ؟ لقد ظل النظام السياسى والاجتماعى الذى وضعه حمورابى قائما . ورغم ضياع جزء

كبير من سومير والقلق القائم من جراء تهديد أرض البحر المستمر أمكن الابقاء على العلاقات الطيبة مع عيلام وسوريا وظل التبادل التجارى مزدهرا معهما .

وأخذ أميديتانا Ammiditana (٢٠١٤ — ١٩٧٨) فى تنفيذ مشروعات عظمى متصلة بالمنافع العامة : قناة أميديتانا وقلاع وأسوار وقصور فى ضواحى بابل على ضفاف الاراهتو . وحارب أرض البحر واسترد نيبور وايسين التى حطم أسوارها (عام ٣٦) وبعد عامين اعتلى أميزا دوجا Ammizadouga (١٩٧٧ — ١٩٥٧) العرش وفى السنة التاسعة وقع فى نزاع مع جيرانه وفى السنة العاشرة بنى قلعة « دورأميزادوجا » على ضفاف الفرات . وفى السنة الخامسة عشرة شق قناه . وهناك اشارات فى أخريات عهده وفى عهد سامسوديتانا Samsou-ditana (١٩٥٦ — ١٩٢٦) تشير إلى صراع حربى . واختفت الأسرة تحت ضغط الغربيين وطبقا لما جاء بمدونات بابل الجديدة نجد أن الحيثيين الذين كانوا يقطنون آسيا الصغرى وكانت لهم منذ عدة قرون علاقات بسومير واكد ينزلون من جبالهم ويتبعون مجرى الفرات ويكتسحون بابل حيث عثر على أحد نقوشهم. وحمل ماردوك وزوجته زرپانيتوم أسرى إلى بلادهانا Hana[1] حيث ازدهرت مملكة عموريه تأثرت تقاليدها تأثرا كبيرا بالمدنية البابلية .

* * *

ولقد باشر ملوك أرض البحر سلطة غير مستقرة ولا ثابتة على إقليم اكد مدى قرن ونصف من الزمان (١٩٢٥ — ١٧٦٢ تقريبا) وحين أحس الكاسيون Kassites بأنفسهم على درجة من القوة استولوا على السلطة وسمى جانداش Gandash (حوالى ١٧٦١ — ١٧٤٦) مؤسس الأسرة الثالثة نفسه

---

(١) العاصمة ترقا Tirqa تل اشاره Ishâra) بين دير الزور والصالحية

ملك بابل وملك الأقاليم الأربعة وملك سومير واكد . ورمم معبد مردوك الذى لم يكن الإله موجودا به . وحكم ابنه اجوم الأول Agoum I مدى ٢٢ عاما (حوالى ١٧٤٥ — ١٧٢٤) وخلفه ابنه كاشتلياش الأول Kashtiliash I (١٧٢٣ — ١٧٠٢) وغزا ابن آخر له هو اوامبورياش Ouambouriash أرض البحر ، التى كان آخر ملوكها أياجميل Ea - gàmil قد قاد حملة ضد عيلام . وكان من الضرورى فيما بعد أن يُغزى هذا الإقليم وقد قام بذلك أجوم وهو ابن أصغر من أولاد كاشتلياش الأول بينما كان أخوه الأكبر اوشّى Oushshi يتربع على عرش بابل وكان خلفاء هذا الأخير أخوه الثانى ابيراتاش Abirattash وتاشّيجوروماش Tashshigouroumash ابن ابيراتاش واجوم كاكيرمه Agoumkakrimé ابن تاشّيجوروماش وكان من حظ اجوم الحسن أنه استعاد تماثيل مردوك وزربانيتوم وأعادها ثانية فى احتفال الى أل « ايزاجيل Esagil » المرمم والمزين . وكان الذهب وكانت الأحجار الكريمة وأندر الأخشاب تتنافس فى تزيين الهياكل وفى صنع التماثيل والشارات . وأعيد تنظيم الكهانة ودعمت العبادة وأعفيت ممتلكات الآلهة من كل الضرائب . ومد اجوم نفوذه شرقا على پادان Padan وألمان Alman وجوتيوم واشنونّاك .

وخلال قرن ونصف لانعلم شيئا عن تاريخ بابل خلا أن ثمانية من الملوك خلف الواحد منهم الآخر على العرش وأن من بينهم كوريجالزو الأول ومليشيپاك الأول Mélishipak I .

وإن نحن حاولنا أن نلتقط خيط الأحداث مرة أخرى فإننا نعثر على المستندات المعاصرة بعيدا عن خرائب بابل فلقد سلطت عليها الأضواء صدفةُ الكشف فى مصر ، فى تل العمارنة ، عن موقع مدينة اخت أتون التى أنشأها امنوفيس الرابع والذى نقل اليها المحفوظات الدبلوماسية الخاصة بأبيه وبه . ولقد استخرجت من هناك مراسلات هذين الملكين مع أمراء

سوريا وملوك الحيثيين وميثاني واشور وبابل . وقد كتبت على لوحات طينية فى حروف مسماريه بالبابلية أوبلهجة قريبه منها جدا . ولقد كان تأثير سومير واكد على شاطىء البحر الأبيض المتوسط وآسيا الصغرى قداستقر وتطور منذ حملات سرجون الاجادى منذ أربعة عشر قرنا خلت .

ومن بين كتب تل العمارنه نجد أحد عشر كتابا تخص الشئون البابليـة مباشرة . ونحن نعرف منها أن العلاقات كانت قائمة بين البلدين منذ حكم تحوتمس الثالث فى مصر وكان كارانداش الأول Karaindash 1 الملك السادس عشر من الأسرة الكاسية (حوالى ١٤٢٥) يتراسل مع امنوفيس الثالث . وكان خلفه الثانى كادشمان إلليل الأول Kadashman Ellil I على خير علاقة مع البلاط المصرى وقد دخلت إحدى اخواته الى حريم فرعون . وقد كان ذلك حين حاولت كنعان (جنوب سوريا) وعمور (شمال سوريا) الخاضعة لمصر أن ترفعا النير، وذلك بتحريض شوبيللوليوما Shoubbilouliouma ملك الحيثيين ، وكان قد عبر الفرات واكتسح شمال ميتانى ثم نزل فيما بعد الى عمور وأخذ منها أسلابا ضخمة ، وعند ولاية أمنوفيس الرابع للعرش أرسل تحياته إلى فرعون ولكن حين قدم عزيرو الأمير السورى ولاءه إلى مصر احتل عمور واستطاع عن طريق معاهدة أن يثبت الاعتراف بسلطانه عليها .

وكان موقف بابل من هذه الانقلابات السياسية موقف غير المكترث إذ كان كل ما يهمها سلامة الطرق التى يسلكها تجارها . وحين أصبح رعاياها ضحايا للسرقات والقتل فى كنعان التى ملك بابل المسئولية على ملك مصر: «كنعان أرضك . . وملوكها مواليك» بل وأكثر من ذلك : حين حاولت كنعان أن ترفع النير رفض كوريجالزو الثانى أن يساعدها فى ثورتها ولكن مصر كانت من الناحية الأخرى تشجع أشور ضد بابل وشكا بورنابورياش الثانى Bournabouriash II (حوالى ١٣٧٥) من أن أمنوفيس الرابع

استقبل سفارة من الآشوريين كان يدعى انهم رعاياه هو . وقدذكّر نفس الملك فرعون ان أبويهما كانا يتبادلان الهدايا المتعددهوهو نفسه كان قد تلقى ٢ « مينة »[1] من الذهب وكتب « ارسل لى ذهبا كثيرا ... كثيرا بقدر ما كان يرسله أبوك » ووعد أن يرد بدلا منه كل ما يطلبه العاهل المصرى من منتجات بلاده . والواقع أنه فى نفس اليوم الذى اعترض فيه ضد قطاع الطرق فى كنعان نراه يؤيد دعواه بهدية هامة هى : ثلاث مينات من اللازورد وخمسة خيول مقطورة وخمس عربات .

وكان كاراانداش الأول Kara - indash I (حوالى ١٤٢٥) قد عقد اتفاقية مع اشوررم نيشيشو Ashour-rim-nishêshou الآشورى بشأن حدودهما المشتركة . وقام بورنابورياش وأشورا وباالليت باتفاق مثل ذلك . وتزوج بورنابورياش فيما بعد من موبلليت شرووا Mouballit-Sherrûa ابنة أشور أو باالليت . وقد ذبح ابن بورنابورياش حفيد أشور أوباالليت... ذبحه حزب الكاسيين وربما كان ذلك بسبب علاقاته بأشور ووضع مكانه المدعو نازيبوجاش Nazibougash .

وغزا ملك أشوربلاد بابل ووضع حفيدا آخر له هو كوريجالزو الثالث على عرشها (١٣٥٧ — ١٣٣٥) وقاد كوريجالزو حملة موفقة ضد عيلام ووجه جيوشه المنتصرة نحو سوسه وهناك استولى — كرمز للنصر — على لوحة من العقيق كان قد كرسها من قبل ذلك أحد الايشاكوات الى الإلهة نّنى Ninni من أجل بقـاء دونجى ملك أور ونقلها معه وقدمها الى ننليل نيبور . وكان هورپاتيلا Hourpatila ملك عيلام قد أرسل اليه تحديا قائلا « اقبل ! لندخل فى معركة ... أنت وأنا ! » وحالف الحظ البابلى إذ استطاع

---

(١) الوزنة = ٦٠ مينة والمينة = ٦٠ شاقل ووزن المينه الذهبية يتراوح بين ٤٠٠ و ٨٠٠ جم . (المترجم)

أن يقبض بيده على خصمه ويأسره . وقد استطاع كوريجالزو بعد موت جده أشوراوباليت أن يهاجم أشورولكنه هزم عندسوجاجى Sougagi على الزلزلات Zalzallat ... هزمه «الليل نيرارى» Ellil Nirari الذى اضطره أن يوافق على تعديل فى الحـــدود . وهُزم ابنه نازى ماروتاش Nazi Marouttash (حوالى ١٣٣٤—١٣٠٩) عند كارعشتار Kâr - ishtar واضطر أن يتنازل عن إقليم واقع إلى شرق دجله . وقد خلّف كادشمان تورجو Kadashman-tourgou (حوالى ١٣٠٨ — ١٢٩٢) — كما فعل أبوه من قبل — نقوشا عديدة فى نيبور . وعند وفاته كتب الملك الحيثى حاتوسيل Hattousi يقول إنه سينقض التحالف مع بابل مالم يعلن كادشمان الليل الصغير ملكاً (١٢٩١ — ١٢٨٦) فاعترض كبير الوزراء «إتّى مردوك بالاتو» Itti - mardouk - balâtcu قائلا «إن نغمة خطابك ليست نغمة خطاب حليف بل سيد» وظلت العلائق بين البلدين مقطوعة حتى بلغ الأمير سن الرشد . وكان الحيثيون إذ ذاك قد فقدوا كنعان التى استردها سيتى الأول من مورسيل Moursil ابن شوبيلوليوما وان كانوا قدظلوا يحتفظون بعمور التى كان على رعمسيس الثانى أن يأخذها فى معركة قادش . وكانت نتيجة المعـــركة حلفا دفاعيا هجوميا بين الحيثيين ومصر . وقد نقش النص البابلى على لوحة من الفضة عثر على نسخة منه بين أطلال حاتى مصحوبة بالنسخة الأصليـة للخطاب الذى يطلعنا على معلومات خاصة بعلاقات حاتوسيل بكادشمان الليل . وبينما كانت عمور تحت نفوذ الحيثيين نرى أن بعض التجار البابليين الذين يتقدمون فى قوافلهم نحو عمور واوجاريت Ougarit وهى مدينة فينيقية ينكل بهم . فطلب كادشمان الليل من حاتوسيل أن ينفذ العقوبة فى المعتدين . وقد اتُّهم أمير عمورى كذلك باثارة الفتنة فى بابل فدعا حاتوسيل مراسله أن يحقق الأمر بنفسه . وكان على المتهم أن يثبت براءته عن طريق قسم يؤديه أمام الآلهة بحضرة السفير البابلى . وقد

حرص حاتوسيل على أن تظل علاقاته ودية وألح على ملك بابل أن يهاجم العدو المشترك الذى لم يذكر اسمه لسوء الحظ . وقد دفعت شهرة بابل فى العلوم الأمراء الأجانب إلى استدعاء الأطباء والسحرة الذين يطردون الأرواح الشريرة والكتاب إلى بلاطهم . وقد طلب موتاللو Mou:allou شقيق حاتوسيل وسلفه خدمات طبيب وساحر ولكنهما لم يرجعا إلى بلدهما والتمس « كادشمان الليل » عودتهما وكان الرد أن الساحر قد مات وأن الأوامر ستصدر للطبيب بالعودة .

وقد خلف كادشمان الليل الثانى ابنه كودور الليل Koudour Ellil (حوالى ١٢٨٥ — ١٢٧٧) ثم حفيده شاجاراكتى شورياش Shagarakti- Shouriash (حوالى ١٢٧٦ — ١٢٦٤) وابن حفيده الأكبر كاشتلياش الثالث (حوالى ١٢٦٣ — ١٢٥٦) وقد هُزم الأخير — هزمه ملك اشور توكولتى اينورتا الأول Toukoulti Inourta I الذى أسره وأحضره مكبلا بالأغلال إلى حضرة الإله أشور . وقد دكت حوائط بابل وقتل المدافعون عنها بالسيف وحملت كنوز الايزاجيل Esagil وغنائم المدينة إلى أشور . وحتى موردوك نفسه حمل أسيرا . ومات ملك أشور خلال الثورة . فانتهزت بابل الفرصة محاولة الإفادة منها باستعادة قسط من استقلالها وتبع ملكان الواحد منهما الآخر هناك خلال ثلاث سنوات هما الليل نادين شوم Ellil -nadin-shoum وكادشمان هاربى الثانى Kadashman - Harbe II وهاجم الأول « كيدين هوتروتاش Kidin - houtroutash » ملك عيلام الذى كان قد انتهز فرصة نجاح الأشوريين فاكتسح دير Dêr ونيبور واضطره الى التراجع وراء حدوده . واستطاع أداد شوم أوتسور Adad - s ɔ m - outsour (حوالى ١٢٤٦ — ١٢١٧) الذى خلف أداد شوم إدين Adad - shoum - iddin (حوالى ١٢٥٢ — ١٢٤٧) استرداد تمثال مردوك من ملك أشور وربما كذلك ختم شاجاراكتى شورياش الذى

سيجده فيما بعد سناخريب Sennachérib ضمن كنوز بابل . وحين تمكن الأشوريون الذين ثاروا ضد ملكهم الذى ذهب إلى بابل من طرد أشور شوم ليشير Ashour - shoum - lishir الوصى على المملكة والتمسوا تسليم ملكهم رفض ذلك أداد شوم أوتسور بل أنه هاجم الملك الجديد وهزمه وذبحه فى معركة ثم طارد العدو إلى أسوار أشور وحاصر المدينة ولكنه فشل فى إخضاعها .

وانتقل عرش بابل من الأب الى الابن عن طريق ميليشيباك الثانى Méli - shipak II (حوالى ١٢١٦—١٢٠٢) ثم مردوك أبال إدين الأول Mardouk- apal-iddin I (حوالى ١٢٠١—١١٨٩) ثم زابابا شوم إدين Zababa - shoum - iddin وقد هوجم الأخير ... هاجمه أشور دان الأول Ashour-dân I الأشورى الذى استولى على زابان Zaban وايريا Irria وأكارسالو Akarsallou وحمل معه غنائم وافرة وفى نفس العام غزا شوتروك ناهونتى Shoutrouk-nahhounté ملك عيلام بلاد بابل وهزم وذبح « زبابا شوم أدين » واستطاع هو وابنه أن يكتسحا سبعمائة مدينة وقرية أخرى . وحمل معه الى بلاده عددا من الآثار التى عثر عليها فى خرائب سوسه : هى لوحات (شواهد) من سرجون ونارام سن ومسلة مانيشتوسو Manishtousou وقانون حمورابى و « الكودورات » Koudourrous الكاسية ... ألخ وحكم الليل نادين أهى Ellil - nadin - ahé الملك السادس والثلاثون وآخر ملوك الأسرة الكاسية مدى ثلاث سنوات (١١٨٧—١١٨٥) .

وقد شغلت الأسرة الكاسية عرش بابل مدى ٥٧٦ عاما وأدخلوا استعمال الحصان ولم يكن كثير الانتشار فى السهل من قبل . وقد غيروا طريقة حساب السنين ومنذ عصرهم نجد أن كل سنة لم تعد تسمى بصيغة معقدة تنتسب بها إلى حادث معاصر معين بل ترتب بالنسبة لحكم كل ملك وهى

عادة ظل معمولا بها حتى سقوط الإمبراطورية البابلية . ولم تعد السلطة الملكية قوية قوة تكفى لتأمين حماية الممتلكات الخاصة فالتمس عون الدين وهكذا أصبح الناس لا يكتفون بحجج الملكية بل أقيمت أحجار عليها رموز دينية على الأملاك الكبيرة التى كان الملك يمنحها للأمراء والرعايا الذين يرغب فى مكافأتهم عن خدماتهم . كما سجلت على هذه الأحجار تاريخ الملكية وكذا اللعنات على من يغير أو يحرك الأثر المنقوش عليه .

* * *

ومن المحتمل أن يكون شوتروك ناهونتى — بعد سقوط زبابا شوم إدين — قد أعلن نفسه ملكا لبابل . ولكن القوائم الملكية تذكر اسم ايلليل نادين أهى الكاسى كما تذكر من بعده الأسرة الرابعة المسماة أسرة باشيه Pashé التى ظل ملوكها الأحد عشر على العرش مدى ١٣٢½ سنة . وقد رفع اينورتا نادين شومى Inourta-nadin-shoumi ثانى ملوك هذه الأسرة النير العيلامى كما اضطر ثالثهم نابو خودو روسر الأول Nabouchodorosor I (حوالى ١١٤٠) أن يعاود الصراع . وقد هزمه فى بادىء الأمر ملك عيلام فى دورابيل سن Dour - apil - sin ولكنه استطاع أن يسترد كل أراضيه بل سار الى أبعد من هذا فتابع الحرب الى ماوراء حدوده . وفتح لوللومو Loullomou فى الإقليم الجبلى الواقع شرق بابل وقام بغارة نحو الغرب اتخذ لنفسه على أثرها لقب « فاتح عمور » .

وقد حاول أشور ريش إيشى Ashour - risa - ishi ملك أشور القيام بغزوة ولكن نابو خودو روسور رده وحاصر قلعة زانكى Zanki الواقعة على الحدود إلا أنه اضطر إلى الانسحاب وحرق العدو عقاره ثم عاود الهجوم ولكنه هزم واستولى على معسكره وأسر القائد الأعلى وسقطت أربعون عربة من عرباته فى أيدى الأشوريين . وقد احتل ايلليل نادين أبلى

Ellil-nadin-apli (حوالى ١١٢٠) ابن نابوخودوروسور، كل بلاد بابل ؛ لأنه أهدى أرضا واقعة فى منطقة إدينا Edina إلى أرض البحر .

وقد اشتبك تجلات فالاسار الأول Tèglath-phalasar I الأشورى مرتين مع ملك بابل ففى المعركة الأولى — ومن المحتمل أن خصمه فى الصراع الأول كان ماردوك نادين أهيه (حوالى ١١١٠) — أخذ البابلى معه فى الأسر تماثيل أداد Adad وشالا Shala من معبودات ايكاللاتا Ekallaté التى سيعثر عليها فيما بعد سناخريب فى هيكل من هياكل بابل عام ٦٨٩ . أما فى المعركة الثانية فقد استولى الأشورى على بابل ودور كوريجالزو وسيبار وأوبيس ولكنه لم يستقر بها . وقد أنهى أشوربل كالا Ashour-bàl-kala بن تجلات فالاسار هذا الصراع الذى استمر مستعرا دون توقف خلال ثلاثة قرون تقريبا بين البلدين وكان على أطيب صلة مع مردوك شابيك زر مائيم Mardouk-shapik-zêr-maim خليفة ماردوك نادين اهى . وتبع ذلك عهد ازدهار فى بابل : فأعيد بناء أسوارها ووسع معبد ماردوك .

وقد أسدلت الستار على عهد ماردوك شابيك زرمائيم ثورة قام بها رعاياه وزوج الأرامى أداد أبال أدين Adad-apal-iddin الذى اعتلى العرش ابنته من ملك أشور . وساد السلام — أو قل التهادن — خلال فترة تزيد على نصف قرن . وقد كانت سومير واكد خلال هذه الفترة فريسة للسوتيين Soutéens وهم أراميون شبه رُحّل حطوا على ضفة الفرات اليمنى واتخذوها مركزا للإغارة على المدن ومعابدها وسلب ما بها فخربوا مثلا هيكل شاماش فى سيبار ولم تقم فيه الشعائر الدينية إلا فى عهد شيماش شيباك Shimmash-shipak (١٠٥٢ — ١٠٣٥) الذى جاء من أرض البحر وأسس الأسرة الخامسة ومات بحد السيف بعد حكم دام ثمانى عشرة سنة ولم يعمر

Ea-moukin-shoumi ايا موكين شومى المغتصب سوى بضعة شهور .
ولا نرى خلال السنوات الثلاث التى حكم خلالها كاشو نادين اهى Kashshou-nadin-ahê سوى الحروب الأهلية والخارجية والمجاعة. أما فى سيبار فلم يعد من المستطاع إقامة الشعائر الدينية لشماش كما اختفت المؤسسات وأهمل العمل بالقوانين .

وقد دامت الأسرة التالية ،وهى الأسرة السادسة ، عشرين عاما وثلاثة شهور (حوالى ١٠٣١ — ١٠١٢) اعتلى العرش خلالها ثلاثة ملوك وكانت عهد خراب وبؤس وعواصف وفيضانات . وقد كون العيلامى ماربيتى أبال أوتسور Mâr-biti-apal-outsour بمفرده الأسرة السابعة وظل على العرش ست سنوات (١٠١١—١٠٠٦) .

وأنشأ نابوموكين أبلى Nabou-moukin-apli (حوالى١٠٠٥—٩٧٠) الأسرة الثامنة ولدينا صورة منه على كودورو . وجمعت خلال حكمه مجموعة من التنبؤات وظلت محتفظا بها . وقد أخذت القبائل الآرامية فيما وراء الفرات تتحرك وتسبب المتاعب لبابل حتى أن نابو Nabou فى العام السابع لم يستطع الحضور من بورسيبا Borsippa إلى بابل لمناسبة احتفالات رأس السنة . كما أن البابليين قد اضطروا أكثر من مرة خلال حكمه بل ولعدة سنوات متتالية إلى العدول عن هذه الحفلات الدينية التى كانت لها عندهم أهمية كبيرة .

أماشاماش مودامّاق (حوالى ٩١٠) Shamash-moudammaq الخليفة الثالث لنابوموكين أبلى فقد هزمه أداد نيرارى الآشورى وفقد فرسانه وعرباته وقتله نبوشوم أوكين Nabou-shoum-oukin واستولى على السلطة .

وغزا أداد نيرارى بلاد بابل واستولى على عدة مدن وعلى غنيمة ضخمة.

وبعد فترة عقد الأميران صلحا وحددا أراضي مملكتيهما وتبادلا بناتهما عن طريق الزواج .



شكل (٧) لوحة نابو أبلا أدين (المتحف البريطاني)

وقد خشى « نابو أبلا أدين Nabou-apla-iddin » بن « نبو شوم أوكين » أن يسد عليه أشور ناتسير أبلا الثانى Ashour-nâtsir-apla II أسواق سوريا (التجارية) فتحالف مع أراميي سوهى Souhi (٨٧٩) تحت ملتقى نهرى هابور Habour وأرسل لهم جندا ولكن أخاه تسابدانو Tsabdanou والقائد بل أبلا أدين Bél-apla-iddin وثلاثة آلاف رجل وقعوا فى قبضة العدو واضطر ملك بابل أن يعقد الصلح مع أشور ولم يكن يسعه منذ ذلك الوقت إلا أن يكرس جهوده لإصلاح خرائب بلاده . وتشير إحدى اللوحات الحجرية إلى الأعمال التى قام بها فى معبد شاماش وإلى إعادة العبادة فى العام الحادى والثلاثين من حكمه وقد ظهر فى الصورة يقوده كاهن ومصحوبا بالإلهة أيا Aia إلى حيث يجلس الإله فى هيكله [1].

---

(١) شكل ٧

وأهدى مردوك زاكير شوم Mardouk-zakir-shoum ابن وخليفة نابو أبلا أدين إلى ماردوك أسطـــوانة من اللازورد بها صورة محفورة وقد مثل الإله على هذا الـ «كونوكو» Kounoukkou واقفـــاً ومعه التنين المقدس[1].

وفى عام ٨٥٢ طلب وساطة سالمنصر الثالث Salmanasar III ملك أشـور ضد أخيه مردوك بل أوشـاتيه Mardouk-Bél-oushâté الذى ثار وأعلن نفسه ملكا مستقلا على الأقاليم الشرقية فاكتسح سالمنصر الأراضى التى يحتلها «مردوك بل أوشاتيه» ثم قبض عليه فى العام التالى وأمر بقتله. وأعلن ملك بابل خضـــوعه التام كما أن الأشورى أدى فروضه كملك إلى الآلهة فى معابدهم فى كوثا Koutha وبورسيبا وبابل وقدم لهم هدايا ثمينة ثم نزل إلى كلديا واستولى على قلعة Bagâni الواقعة على الحدود وتقبل خضوع أدينى Adini رئيسها وجاكين Jakin ملك أراضى البحر. وقد أمر أن تمثل هذه الموقعة بنقوش على برونز بلاوات Balawat يحضر له فيها الكلدانيون الجزية: أوان وثيران وساريات «صوار» للخيام.

ولكن بابل لم تكن لتستطيع السكوت طويلا على هذا الخضوع فاعتزم شامشى أداد الخامس shamshi-adad V ابن سالمنصر القيـــام بحملة ضد ماردوك بالاتسو إقبى Mardouk-balatsou-iqbi الذى شكل اتحادا من الكلدانيين والآراميين والعيلاميين ومحاربين من نامرى Namri وقد قامت المعركة الكبرى فى دور بابسوكال Dour-papsoukal واستولى الأشوريون على غنائم ضخمة ومن المحتمل أن يكون العرش قد ظل شـاغرا فترة من الزمن بعد وفاة مردوك بلاتسى اقبى واستوطن بعض الآراميين أراضى بابل وبورسيبا الزراعية ولكن اربا مردوك Erba-mardouk من سلالة

(١) شكل ١٣.

مردوك زاكير شوم قتلهم بحد السيف وأعاد الحقول والبساتين إلى أصحابها الشرعيين وأصبح ملكا وأن لم يستطع أن «يأخذ يد بعل» Bêl إلا فى العام الثانى من حكمه . وهناك ملك آخر هو «باوو أهيه أدين Baou-ahê-iddin» اقتاده أداد نيرارى الثالث Adad-nirari III إلى أشور واستولى على كنوزه. وتم الاستيلاء على البلد كله ونفيت الآلهة وتقبلت آلهة كوتا وبورسيبا وبابل قرابين الملك الأشورى الذى نزل حتى كلديا التى دفع له أمراؤها الجزية .

وإلى هنا ينتهى التاريخ المتوافق من الناحية الزمنية . ونحن لانعرف شيئا عن نهاية الأسرة الثامنة كما لانعرف شيئا كذلك عن بداية الأسرة التاسعة مدى ستين عاما تقريبا . ولقد كانت السلطة المركزية ضعيفة فى بابل وكان شاماش ريش أوتسور Shamash-rêsh-outsour حاكم مارى Mari وسوهى Souhi على الفرات الأوسط يتصرف باسم ملك أشور كما لو كان ملكا مستقلا .

وفى عام ٧٤٨ بدأ عهد الملك نابوناسار (نابو ناتسير) Nabonassar (Nabou-natsir) (٧٤٨ — ٧٣٤) وهو تاريخ يعتبر نقطة البدء لقانون بطليموس . وفى العام الثالث من عهده (٧٤٥) أعلن القائد الأشورى بولو Poulou — مثير إحدى الفتن العسكرية — نفسه ملكا على أشور تحت اسم تجلاث فالاسار الثالث Téglath-phalasar III وافتتح آخر فترة للتوسع ، تلك الفترة التى ضمنت السلطان على بابل خلال مدة تربو على قرن من الزمان ولكنها انتهت فى عام ٦١٢ بانهيار نينوى وخراب أشور نهائيا . ولم يضيع وقته هباء إذ أنه غزا بابل واضطر نابو نا سار — حين ثارت عليه بورسيبا وسيبار — إلى الاعتراف بسيادته وخضعت له أهم المدن ونزل حتى نيبور وأعلن نفسه ملكا على سومير وأكد .

ثم قتل نابو نادين زر Nabou nadin zêr (ابن نابوناسار) بعد أن تولى الحكم مدى عامين . . . قتله نابو شوم أوكين Nabou-shoum-oukîn الذى

دام حكمه شهرا وأثنى عشر يوما وانتهت به الأسرة التاسعة .

* * *

وتضم الأسرة العاشرة أسماء ١٩ ملكا من أصول مختلفة اعتلوا العرش فيما بين عامى ٧٣٢ و ٦١٢ فى العهد الذى كانت فيه بابل تكاد تكون كلها خاضعة لآشور. وقد نفى نابو أوكين زر Nabou- oukîn-zêr (٧٣٢—٧٣٠) تفاه تجلات فالاسر Tèglath phalasar الذى أصبح ملكا تحت اسم بولو Poulou (٧٢٩—٧٢٧) وتلاه سالمنصر الخامس واطلق على نفسه اسم أولولاى Ouloulaï فى بابل (٧٢٧—٧٢٢) وعند موته عُين مروداخ بالدان الثانى (٧٢١ — ٧١٠) Mérodach Baladan II — وهو الملك الكلدانى لبيت ياكين Bît Jakîn فى أرض البحر الذى ذكر أنه من سلالة اربا مردوك Erba Mardouk أحد ملوك الأسرة الثامنة — عين حاكما فى بابل وادعى الحكم كمك . فتقدم سرجون الثانى الأشورى نحو أكد وقامت الحرب بينه وبين مروداخ بالادان الذى عاونه هومبانيجاش Houmbanigash ملك عيلام تحت أسوار دير Dêr ولكنه هُزم . وهكذا ظل مروداخ بالادان يحكم دون منازع مدى أثنى عشر عاما فى الوقت الذى كان فيه الملك الأشورى مشغولا بالحروب فى سوريا وأورارتو Ourartou ومع ذلك فلم يكن هذا عهد ازدهار بالنسبة لسكان أكد لأن أرضهم كانت قد قسمت بين الأجناد الكلدانيين والأراميين . ولذا فانه لما عاد سرجون عام ٧١٠ بعد أن تغلب على المصريين والأورارتيين ليهاجم مروداخ بالادان هرب الأخير إلى الجنوب واصطحب معه أشراف بابل وسيبار ونيبور كرهائن . وعم السرور العاصمة لرحيل الطاغية ونظمت الأعياد تمجيدا للأشورى الذى نودى به «محررا» .

وفى يوم رأس السنة (٧٠٩) «أخذ سرجون بيد بعل Bêl » وأصبح الحاكم الشرعى لبابل (٧٠٩—٧٠٥) وتقهقر مروداخ بالادان شيئا فشيئا

إلى ناحية بيت ياكين تحت ضغط عدوه وهناك أطلق الفيضان أمام مطارديه ولكن الأشورى احتال حتى استطاع أن يجد ممرا فهرب مروداخ بالادان الى عيلام على حين سحق البوكوديون Pouqoudéens والسوتيون Soutéens الذين كانوا قدموا لمعاونته . واجتيحت بيت ياكين وانقذت الرهائن البابلية واعيدت لهم حرياتهم . وأبعد سكان المدينة الى مكان آخر وحل محلهم سجناء اسرى كان قد قبض عليهم فى كوماجين Commagène واصلح سارجون المدن ومعابدها : اور واوروك واريدو ولارسا وكيش (1) ووسع بابل وشيد رصيفا غطاه بالأسفلت فيما بين بوابة عشتار والفرات . وكانت زاوية من هذا الرصيف بها برج دائرى عثر عليه فى شمال غرب القلعة وكان الحائطان المحيطان بها — وقد بناهما سرجون كذلك — يعاد اصلاحهما من وقت لآخر .

وتذكر رواية يونانية ان سرجون امر بعرش بابل الى احد ابنائه . ولما مات ميتة غير طبيعية عام ٧٠٥ كان سناخريب الذى خلفه فى اشور فى صراع مع ارمينيا ولم يستطع التدخل فى الشئون الأكدية . وطبقا لما جاء بقائمة ملكية نجد ان عبداً استطاع ان يستحوذ على السلطة ويحتفظ بها مدى شهر . وعادمروداخ بالادان بمساعدة هلشيوشو Hallousl:ou ملك عيلام وحكم بضعة شهور وهزمه سناخريب تحت اسوار كيش ودخل العاصمة فى غير عناء ثم اجتاح كاديا جميعا وأبعد ٢٠٨٠٠٠ من سكانها الى مكان آخر وعين « بعل ابنى Bêl-ibni » (٧٠٢ — ٧٠٠) الامير البابلى الذى رُبِّى فى بلاط اشور . . والياً — وبعد ثلاث سنوات تحالف مع مروداخ بالادان ودفع الاخير — الذى كان قد عاد الى المستنقعات فى أرض البحر — الكلدانى موشزيب ماردوك Moushézib-Mardouk الى ان يقوم بثورة وخُلع بعل ابنى ... خلعه سناخريب ووضع ابنه اشورنادين شومى مكانه (٧٠٠ —

(1) I, t. x, p. 83 et suiv.

٦٩٤) وانسحب موشزيب ماردوك الى المستنقعات وبعد ان حاول مروداخ بالادان المقاومة حمل آلهته وقومه بحرا وبحث عن مكان يلجأ إليه فى ناجيتى Nagitu على شاطىء عيـــلام وعول ملك اشور على مطاردته عبر البحر فبنى اسطولا وعبر الخليج الفارسى وهاجم الكلدانيين فى المكان الذى لجأوا إليه ... فانقض ملك عيلام — الذى اغتصب واعتدى على ارضه — على بابل واجتاح سيبار واخذ « اشورنادين شومى » اسيرا وأحل محله الكلدانى « نرجال شزيب » (٦٩٤ — ٦٩٣) Nergal-shêzib واتجه الأخير جنوبا ليعوق مرور الجيش الاشورى عند عودته من ناجيتى وقامت معركة كبيرة اسر فيها نرجال شزيب وحمل الى اشور . وكان سناخريب يعتزم ان ينتهز فرصة القلاقل فى عيلام ليغزو هذه البلاد ولكن منعه من ذلك حلول الشتاء (عام ٦٩٣) . واستولى موشزيب مردوك (٦٩٣ — ٦٨٩) على السلطة فى بابل واغتصب كنوز « الايزاجيل » بقصد ارسال هدايا قيمة الى ملك عيلام « هومبان مينانو Houmban-menanou » وعقد حلفاً معه. وانتظر الكلدانيون والاراميون والبابليون والفرس والبوكوريون والجمبوليون ... انتظروا الاشوريين فى هالولة Holoulé شرق دجلة واعلن سناخريت انه انتصر وان لم يستطع ان يجنى ثمار نجاحه على الفور ... وبعد عامين (٦٨٩) عقب موت « هومبان مينانو » ملك عيلام استولى على بابل واحال حصونها الى انقاض وحطم معابدها وقصورها وبيوتها وابعد اهليها الى مكان آخر وحمل الإله موردوك اسيرا وحول الاقليم الى مستنقع ضخم « كى لا يستطيع امرؤ فى المستقبل ان يتعرف على تربة هذه المدينة ولا على معابد الآلهة : لقد حطمتها بالماء حتى احلتها الى شبه مستنقعات »

وترك ابنه اسارحادون Asarhaddon (٦٨١ — ٦٦٩) — الذى شغل الى اقصى حد بحروبه فى الغرب — ترك إلى قواده مهمة رد العيلاميين الذى كانوا قد تقدموا حتى وصلوا الى سيبار وكذا محاربة « نابوزركينيش

لبشير « Nabou-zêr-Kênish-lishir بن مروداخ بلادان الذى استولى على اور، وهرب ذلك الامير الى عيلام حيث قتل. وخضع اخوه« ناعيدمردوك Nâ'id-mardouk واعترف به كمولى فى ارض البحر . واعيد بناء بابل واصلحت المدن . وجدد بناء المعابد كما وطدت دعائم العبادة من جديد .

وفى عام ٦٦٨ اختار اسارحادون ابنه اشور بانيبال Ashourbanipal ليخلفه فى اشور ومنح حكم بابل الى ابن آخر هو « شاماش شوم اوكين » Shamash-shoum-oukîn (٦٦٨ — ٦٤٨)ودخل موردوك من جديد الى الابزاجيل فى شهر أيار من عام ٦٦٨ وامسك بيده شاماش شوم اوكين فى احتفالات عيد رأس سنة ٦٦٧ . واستمر اشوربانيبال يقبض مباشرة على ناصية الأمور فى الاقاليم الجنوبية ويعين الحكام الأشوريين هناك . ولم يهمل تقديم الفروض اللازمة نحو كبار الآلهة فى كوتا وبورسيبا وبابل . وشغل الوالى اولا بالامور السلمية وحين أحس بقوة تسمح له برفع النير كون عصبةضد اشور قوامها «هو مبانيجاش الثانى» ملك عيلام وكذا العرب والأراميون والكلدانيون وحرم على اخيه ان يقدم القرابين فى المدن البابلية . . . وبعد انتصار رائع فى اراهسامنه Arahsamnah (٦٥٠) حاصر أشور بانيبال بابل وبورسيبا وكوتا وسيبار واعاد فتح كلديا بسرعة . وقاومت بابل حتى أيار من عام ٦٤٨ ثم اضطرت للتسليم بسبب المجاعة والمرض اكثر منه بسبب السلاح فحرقت واسيلت دماء اهليها ومات « شاماش شوم اوكين » فى قصره الذى يحترق وحل مكانه « كاندالانو » Kandalanou . وكان لخلفائه سلطان غير ثابت على بعض المدن نذكر منها نيبور واور واوروك .

وفى عام ٦٢٥ كان السيتيون (سكيثيون)Scythes يهددون الامبراطورية. ونادى نابوبولاسار Nabop-lassar بنفسه ملكا واسس الاسرة الحادية عشرة المعروفة بالاسرة « البابلية الجديدة » ولم يكن سلطانه يمتد فى اول الامر الا

على بابل وبور سيبا ولكنه عرف كيف ينتفع من وراء ضعف اشور السريع لتوسيع بلاده فتحالف مع سياكسار Cyaxare ملك الميديين وزوج بنت هذا الامير من ابنه نبوخودوروسور وحين دخل الميديون الى ميزوبوتاميا وحاصروا نينوى ساهم البابليون فى الحملة وبعد مقاومة استغرقت ثلاث سنوات أُخذت المدينة (٦١٢) واختفت الامبراطورية الاشورية.

وكانت مصر كذلك قد حطمت نير نينوى فمنذ عام (٦٠٨) احتلت فلسطين وسوريا ووصل « نيخاو » حتى الفرات والآن . . . بعدان ظلت بابل تحارب اشور مدى قرون بقصد حماية تجارتها . . . فهل تستطيع ان تحتمل قبضة فرعون على الشاطىء السورى ؟ لقدر أرسل نبوخودورسور ليقاوم تقدم المصريين وفى ٦٠٤ هزمهم فى قرقميش وطاردهم منتصرا . وحين وصل الى بلوزيوم علم بوفاة أبيه ووجد نفسه مضطرا الى العودة الى بابل ليخلفه.

ولقد كان نابوبالاسار بنّاء عظيما . وقد تابع نبوخودور وسر الثانى (٦٠٤ — ٥٦١) إصلاح وتزيين المدن . والى عصره ترجع أهم الآثار التى كشف عنها فى بابل وهى : سور خارجى للمدينة من اللبن المرسوم . وقصر يمكن ان تتلمس فيه تأثير الفنين الحيثى والأشورى وخاصة بوابة عشتار وهى اهم الأطلال قاطبة . ولقد اعاد بناء الايزاجيل ورصف الطريق المقدس وانشأ الحدائق المعلقة وهى إحدى العجائب السبع فى العالم القديم.

ولقد اعترف الجانب الاكبر من سوريا بسلطان نبوخودوروسر عام ٦٠٤ وسرعان ما توقفت مملكة يهوذا عن دفع الجزية ، ورغم تبكيت النبى « أرميا » نراها تثور على مولاها . وأُخذت اورشيم عام ٥٩٦ وابعد جانب من سكانها الى جهة اخرى وحاولت مصر ان تستعيد نفوذها على سوريا وانضمت إليها يهوذا Juda وكذا صور وصيدا . وفى ٥٨٧ استقر نبوخودوروسور فى ربلة Ribla على الاورونت وارسل من هناك قوة لحصار

اورشليم للمرة الثانية وحاول أبريس الفرعون عبثا ان يذهب لمعاونة حليفه واستسلمت المدينة فى العام التالى وحمل معظم اهليها كأسرى. وأحضر الملك صدقيا Sédécias الى ربلة بعد ما أسر وهو يحاول الهرب وذبح اولاده امام عينيه ثم حرم من بصره واثقل بالاغلال واقتيد الى بابل . اما صور فقد تابعت المقاومة مدة اطول بلغت ١٣ سنة — على حد رواية جوسيفوس — (٥٨٥ — ٥٧٣).

وقد ساهم نبوخودوروسر فى الصراع كحليف للميديين ضد ليديا . وقد حدث كسوف شمسى فى الثامن والعشرين من مايو عام ٥٨٥ اثناء معركة ضخمة ضد سيا كسار عند اليات Alyatte على شواطىء هاليس Halys واعتبر هذا الحدث (هذه الظاهرة) انذارا للطرفين واتفق على السلم واشترك الملك البابلى فى عقد المعاهدة التى تثبت هاليس كحد بين الميديين والليديين .

وفى العام السابع والثلاثين من حكمه (٥٥٨) — طبقا لقطعة من حولياته — قاد نبوخودوروسر الثانى حملة ضد امازيس ملك مصر ويظهر انه انتصر على المصريين واليونان المستأجرين المرتزقة وربما وصل حتى الدلتا . وقد خلف نقوشا صخرية فى سوريا : فى وادى بريسا Brissa وعند نهر الكلب .

اما ابنه « افيل مروداخ (اويل مردوك) Evil-Merodach (Awil-Mardouk) فلم يكن يردعه قانون او عرف . وفى اقل من ثلاث سنوات من ولايته قتلته العصبة الكهنوتية واحلت مكانه نريجليسار (نرجال شار اوتسور) Nériglissar Nergal-shar-outsour (٥٥٩ — ٥٥٦) وهو « الرابماج rab-mag » الذى حضر حصار اورشليم والذى كان قد تزوج من احدى بنات نبوخودوروسر . ومات نريجليسار دون ان يعيد تنظيم القوى الحربية فى بلاده. وقد اصلح معابد بابل وبورسيبا وبنى لنفسه قصرا بالمدينة الاخيرة . وخلع ابنه « لاباشى مردوك Labashi-

Mardouk الطفل بعد ان استقر فوق العرش تسعة شهور واعتلاه مكانه « نابونيد (نابو ناعيد) (nabou-nâ'id) Nabonide » (٥٥٥ — ٥٣٩) ابن كاهنة سن Sin فى هارّان Harran [1] الذى كان متأثرا بالتقاليد والذى شغل تماما بالآثار وإصلاح العباده حتى سمى « بالملك السكر ستانى » (قيّم المعبد) — وكونت امبراطوريته من بابل وميزوبوتاميا وسوريا حتى غزة . ولكن قوة اخرى كانت تنشأ فى عيلام ففى ٥٥٠ ثار كيروش ملك انزان — وهو مولى « لأستياج Astyage » الميدى — وخلع مولاه وهاجم ليديا حيث كانت شهرة كريسوس Crèsus قد جلبت الى عاصمته ساردیس SARDES اكثر اليونانيين ثقافة . وقد استولى بعد موقعة بتريوم Ptérium فى قابادوقيا (٥٤٧) على هذه المدينة وانهى دولة ليديا (٥٤٦) ثم اتجه نحو بابل التى كانت تعضد كريسوس بالاتفاق مع مصر .

وكانت العصبة الكهنوتية والشعب قد ابتعدوا جميعا عن الملك فلم يجرؤ ان يأتى الى المدينة بينما لم يكن فى الاستطاعة الاحتفال بعيد رأس السنة دون حضوره . وفى حماسة الاسرى وبدعوى ضمان سلامة الآلهة ... جمع كل تماثيلهم تقريبا فى معابد العاصمة . وكانت شئون الدولة وقيادة الجيش فى يد ابنه « بالثازار (بعل شار اوتسور) (Bêl-shar-outsour) Balthazar وانحاز « كوبارو (جوبرياس) (Gobryas) Koubarou » البابلى حاكم جوتى Gouti (ما بين الزاب Zâb والديالة Diyala) الى ملك انزان Anzan وامده بالمتطوعين . وهُزم بالثازار فى اوپيس Opis ثم لمّ شمل جيشه فهزم مرة اخرى . وفى الرابع عشر من تموز عام ٥٣٩ فتحت سيبار بواباتها وهرب نابونيد . وفى السادس عشر دخل جوبرياس الى بابل . وفى الثالث من مرهيشفان Marheshvan التالى استقبل كيروش هناك استقبال المحرر وكسب شعبيته عن طريق إصـــلاح شامل للعبادة . ومات نابونيد فى

(1) I, t. XI, p. 170

منفـــاه فى كرمانيا Carmanie .

وحرص ملك انزان على المحافظة على تقاليد الاقوام الذين اخضعهم. فظلت السجلات الخاصة فى بابل تكتب بنفس العبارات التى كانت تتم بها من قبل . وحين مات قمبيز Cambyse (٥٢٩ — ٥٢٢) خليفة كيروش. حاول مطالبان بالعرش ان يرفعا النير ولكن دارايوس Darius الميدى ، ابن هستاسب Hystaspe — وهو امير من بيت كيروش — تولى قيادة الجيش وحاصر بابل ودعم سلطانه هناك .

وفى نهاية حكمه وعندبداية حكم اكسزركسيس Xerxès (٤٨٦ — ٤٦٥)، ظهر مغتصبون فجرّد اكسزركسيس المدينةونهبها وحطم الايزاجيل . وفى ٣٣١ بعد هزيمة دارايوس الثالث اختار الاسكندر بابل عاصمة له فى آسيا واعتزم اعادة بناء معبد مردوك .

وهناك لوحة من السنة السادسة من حكمه تسجل ايصالا بدفع عشر مينات[1] من الفضةاجرا لرفع الانقاض . وقد بنى اليونان لانفسهم مسرحا من اللبن به أعمدة حجرية . وقد اثرت تقاليدهم على عادات البابليين الذين كان لهم حق التسمى باسماء يونانية تبعا لامتياز ملكي .

وفى ٢٧٠ أصلح انتيوخس سوتر Antiochus Sotèr المعابد فى بابل وبورسيبا واوروك .

وفى القرن الثانى كانت الصلوات تقدم الى انوومردوك Anou & Mardouk كمعبود واحدتحت اسم « انا ـ بعل » Ana-Bêl وبدأت الاسر تشيد مساكنها من مواد المدن القديمة : وهكذا اقام « اداد نادين اهى Adad-nadin-ahê » قصرا فى موقع لاجاش بناه من طوب جوديا Goudéa وقد ظلت الشعائر الدينية تقام فى بابل حتى عام ٢٧ ق.م.

---

(١) أنظر هامش ١ صفحة ٥٥

المينة تساوى نحو ٣٠٠ ريال وتحتوى على ٦٠ شاقلا (المترجم)

ملخص تأريخى لتاريخ بابل

تاريخ أسطورى

الخليقة				
الفوضى		٢٢٣٢٠٠	سنة	
عشرة ملوك قبل الطوفان		٤٣٢٠٠٠	سنة	—٤٥٦٠٠٠: عن W.B.62
الطوفان				
الأسرة الأولى فى كيش (فى أكد)	اكثر من	١٨٠٠٠	»	ايتانا
الأسرة الأولى فى اوروك (فى سومير)	»	٢١٧١	»	دوموزى، جلجامش
» » اور (فى سومير)		١٧١	»	
اسرة اوان (فى عيلام)		٣٥٦	»	
الأسرة الثانية فى كيش		٣٧٩٢	»	
اسرة حامازى (فى عيلام)		٧	»	
الأسرة الثالثة فى كيش		—	»	
الأسرة الثانية فى اور		١٠٨	»	
اسرة اداد (فى سومير)		٩٠	»	
اسرة مارى (على الفرات الأوسط)	اكثر من	٣٠	»	
الأسرة الثانية فى اوروك		—		
اسرة اكشاك (فى اكد)		٩٩	»	

الأسرة		التاريخ	الملوك
الأسرة الرابعة فى كيش		١٠٦ سنة	اوروكاجيناق لاجاش
« الثالثة فى اوروك		٢٥	لوجال زاجيسى
اسرة اجاده (فى أكد)	حوالى	٢٨٤٥ — ٢٦٤٩	سرجون ونرامسن
الأسرة الرابعة فى اوروك		٢٦٤٨ — ٢٦٢٣	
اسرة جوتيوم (شرق دجلة)	«	٢٦٢٢ — ٢٤٩٨	
الأسرة الخامسة فى اوروك	«	٢٤٩٧ — ٢٤٧٥	جوديا فى لاجاش
الأسرة الثالثة فى اور	«	٢٤٧٤ — ٢٣٥٨	دونجى
أسرة ايسين	«	٢٣٥٧ — ٢١٣٢	
اسرة لارسا	«	٢٣٥٧ — ٢٠٩٥	
الأسرة الأولى فى بابل (عمورية)		٢٢٢٥ — ١٩٢٦	حمورابى
الأسرة الثانية (ارض البحر) فى بابل		١٩٢٥ — ١٧٦١	
الأسرة الثالثة (الكاسية)		١٧٦٠ — ١١٨٥	
الأسرة الرابعة		١١٨٤ — ١٠٥٣	
الأسرة الخامسة		١٠٥٢ — ١٠٣٢	
الأسرة السادسة		١٠٣١ — ١٠١٢	
الأسرة السابعة (عيلامية)		١٠١١ — ١٠٠٦	
الأسرة الثامنة		١٠٠٥ — ٧٦٢	
الأسرة التاسعة		٧٦١ — ٧٣٢	
الأسرة العاشرة (الاحتلال الاشورى)		٧٣٢ — ٦٢٥	
الأسرة الحادية عشرة (البابلية الجديدة)		٦٢٥ — ٥٣٩	نبوخودوروسور الثانى
الأسرة الثانية عشرة		٥٣٩ — ٣٣١	

الكتاب الثانى

النــــظم

الفصل الأول

الدولة والعائــــلة

اولا — الدولة

قبل ان يتولى العرش حورابى المؤسس الحقيقى للوحدة البابلية كانت سومير وأكد احيانا متحدتين تحت صولجان واحد وفى أغلب الأحيان دفع الى انفصالهما تنافس الامراء فى مدن لكل منها ذاتيتها الخاصة بها .

وكانت المدينة تكوّن فى المجتمع — بالاضافة الى الاراضى التابعة لها سواء أكانت متسعة أم ضيقة — خلية لها حياتها الخاصة ويعتبر تأسيسها عملا دينيا لا يستطاع القيام به إلا بناء على أوامر الآلهة العظام لأن المدينة هى قبل كل شىء مركز للعبادة . وعلى هذا كان لاسم المدينة احيانا واسم الإله الذى تنازل فرضى ان يستقر فيها مدلول واحد : فترى مثلا نيبور مركزا لـ « انليل » سيد سومير كلها . كما نرى فى جهات أخرى أن الإله المعبود تتضح سيادته بطريقة اخرى . ولقد كان الأمر كذلك بالنسبة لـ « لاجاش » مثلا التى كان إلهها « اينورتا » يسمى دائما « ننجرسو » سيد جرسو وهو اسم الحى الذى يقع فيه معبده . ومعنى كلمة بابل « بوابة الله » وعندما أنشأ ملوك الأسرة البابلية الأولى مدنا جديدة اعطوها اسماء تشمل اسم الإله : فـ « كار شماش » Kar-shamash معناها « قلعة الإله شماش » و « نور اداد »

Nour-Adad معناها « نور الإله اداد » وعلى اية حال فان السلطة المركزية توطدت وقل الالتجاء الى الدين وظهر اتجاه يرمى الى احلال اسم الملك نفسه — وهو قد أُلِّه فى اغلب الأحيان — مكان اسم الإله . . وقد امر حورابى بشق « قناة حورابى » واقام امّيديتانا Ammiditana وامّيزادوجا Ammizadouga « حائط اميديتانا » و « حائط اميزادوجا ».

وفى عهد الأسرة الثالثة لم يتردد كوريجالزو فى تسميةمدينة جديدةباسم « دور كوريجالزو » Dour Kourigalzou .

* * *

كان الإله يعتبر سيد المدينة الحقيق . ويروى اياناتوم Eanatoum فى نقوش « لوحة العقبان » ان « الملك » ظهر له فى الحلم كما ان انتيمينا احد خلفـــائه يسمى ننجرسو « ملكه الذى يحبه » ويتحدث اورو كاجينا Ourou Kagina صراحة عن « رعايا الملك » مشيرا الى العهد الذى كان يحكم فيه الايشاكوات مدينة لاجاش كما نذر اورنينسون Our-Ninsoun الى ننجرسو صحفة اسمها « الا فليُطل الملك فى عمرى » وتكثر الاشارات الى ملكية ننجرسو فى نقوش جوديا Goudéa بصفة خاصة اذ أنه عندما انتهى من اعادة تشييد المعبد جاء بنذور الى الإله ووجه إليه الدعاء التالى «اى ملكى أى نيننجرسو ! لقد شيدت معبدك وانى لسعيد ان أدخلك فيه » وقد استهل حورابى قوانينه بانذكر أن انو وايلليل خصوا ماردوكبملكابدى فى بابل.

وكان الإله يسكن المدينة مع زوجه واولاده وخدمه وسدنته كما كان المعبد مسكنه اغنى المساكن . وقد استحضر اورنينا Our-Nina بنفقات طائلة اخشابا من الجبال لتزيين الهياكل كما عدد جوديا — مبديا اعترافه بالجميل — انواع العطور المجلوبة من الغابات وكذا الاحجار والمعادن الثمينة التى جمّعها لاعادة بناء « أى نينُّو » E-ninnou ومبينا كيفية تشغيلها بمعرفة فنانين أتى بهم من عيلام .

وكان للآلهة أملاك خاصة وصوامع للغلال واسطبلات وعبيد. وحارب اياناتوم Eanatoum ضد اوما Oumma ليسترد منهـا « الجويدان » Le Gouédin « الأرض العزيزة » الخاصة بـ « نينجرسو » .

وفى عهد اوروكاجينا استرد الآلهة ملكية الممتلكات التى كان لوجالاندا Lougalanda قد سمح بان تمنح لعائلته ولصديقه . ولدينا الدليل على ذلك لا فى النقوش فحسب بل كذلك فى لوحات المحاسبة الخاصة بهذه الفترة وإننا نستطيع فى عهد اور ان نتتبع مدى ثلاثين عاما عمليات تسليم المواشى التى كانت تتم فى فناء معبد انليل الوطنى وهى المواشى التى كانت تقدمها المدن وكبار دافعى الضرائب . وبعد ذلك بمدة طويلة أهدى الملك الكاسى « نازى ماروتّاش Nazimarouttash املاكا عقارية ضخمة الى الإله ماردوك الذى اصبح « سيد الحقل » .

ولم يكن الإله يدير شخصيا شئون المملكة او المدينة بل كان يختار وكيلا : ملكا أو ايشاكو — كانت تعهد إليه رعاية شئون شعبه وكان انتمينا Entémena اللاجاشى الايشاكو الاكبر لـ « نينجرسو » كما كان لوجال زاجيسى Lougalzaggisi الاوروكى الذى يمتد سلطانه على جميع انحاء سومير ايشاكو انليل الإله الوطنى . وكان الأمير يؤدى فى نفس الوقت الأعمال الكهنوتية فهو الكاهن الاكبر لإله البلد او المدينة . وشاهدنا على ذلك جوديا ولوجال زاجيسى : اذ يقرر ثانيهما ان « الآلهه قد عينوه فى هياكل سومير ايشاكو على الأقاليم كما عينوه فى اوروك كبيرا للكهنة » وكان الامير بوصفه المشرف على الادارة المدنية والدينية لا يلبث ان يؤله نفسه واقدم شاهد على ذلك اسم العلم المسجل عـلى مسلة مانيشتوسو Manishtousu وهو : « شـاروكين ايـلى » Sharrou-Kîn-ili ومعناه « سارجون هو إلهى » وقد سمى نارام سن Narâm-Sin — وهو لا يزال على قيد الحياة — إله اجاده . كما وضع دونجى Doungi واخلافه قبل

اسمائهم المخصص الإلهى وكانت لهم معابدهم وتماثيلهم وكان حمورابى — الذى تسمى احد معاصريه باسم حمورابى ايلو Hammourabi-ilou « حمورابى هو إله » — قد اطلق على نفسه لقب « إله الملوك » . اما الكاسيون الذين قد قاموا بتعديلات كثيرة فى التقاليد فيما يتصل بكثير من النواحى الاخرى، فانهم لم يستخفوا كذلك بهذه التشريعات الإلهية .

وفى العهد السابق للسرجونية كانت توجد الى جانب الامير زوجة لها املاك واسعة تديرها بنفسها : فكان لها قصرها الخاص كما كانت تشترك فى تصريف شئون الدولة . وكان لاولاد الامير بيتهم وما الى ذلك من خدم وسقاة وحائكات ونساجات وطاهٍ ونجار وحمّار وموسيقى وزراع ومزينون وغيرهم .

ويظهر أن أهم موظف كان ناظر القصر فهو فى الوقت نفسه «منظم مشروعات المنافع العامة والشؤون الزراعيـــة وأمين خزانة الملك وناظر السراى ومسجل عقود الجميع [1] » وتشير اللوحات الى وجود غيره من الـ « نوباندا » (نظار) : نوباندا الإله ونوباندا الاولاد . وطبقات مختلفة من الكهنة ووكلاء اعمـــال وقضـاة وامناء مخازن الغلال وكتاب وملاحظون وغيرهم من الموظفين الذين لم يتضح جليا نوع الاعمال التى كانت توكل إليهم. وكانت النساء كاهنات او حائكات او مخصصة لهن اعمال اخرى. وكان هناك من بين العمال والصناع النجار والعطار والدباغ والسباك والمثال وقاطع الأحجار الكريمة والبناء والحفار والبستانى ...

كل هذا يعاود الظهور فى عصر اور ولكن بيت الملك الذى كان يمتد سلطانه الى ما وراء حدود سومير كان يتطلب هيئة للخدمة اهم مما يحتاج إليها ايشاكو مدينة واحدة . وكان النوباندا فى هذه الحالة يكرس نفسه فقط لكل ما يعتبر سخرة : « وسواء كان الامر يخص الحرب او هو يتصل بزراعة

(1) LII, p. XXV

الحقول او شق القنوات او بناء الحوائط والقصور والمعابدفانه موجود فى كل مكان [1] » . وكان يوجد الى جانب الملك كبير الوزراء وهو ايشاكو او حاكم عدة مدن [2] وكان هناك كذلك وزراء آخرون يعاونهم جند وعمال للبريد (سعـــاة) يجوبون البلاد حاملين أوامر الملك الى أبعد مدن الامبراطورية ... ويظهر أن جميع موظفى هــــذا العصر كانوا رجالا احرارا او عبيداً .

وعلينا أن نصل الى عصر حمورابى حتى نتبين تقسيما آخر لطبقات المجتمع دون ان يتسنى لنا تحديد تاريخ هذا التقسيم [3] .

ويميز القـانون البـــابلى فى الدولة بين الرجل الحر والموشكينو والعبد. والموشكينو Moushkinou — ويلاحظ ان هذه الكلمة والكلمة الفرنسية مسكان Mesquin من أصل واحد — تطلق على المواطن من طبقة متواضعة يقع ترتيبه فى المجتمع بين الطبقتين الاخريين وهو يستطيع ان يتملك عبيدا كما يستطيع ان يطلق زوجه مقابل اعطائها ثلث مينة من الفضة وذلك فى الوقت الذى يلزم الرجل الحر فى مثل هذه المناسبة بدفع مينة كاملة . هذا من جهة ومن جهة اخرى فان القوانين الخاصة بالعمليات الجراحية وكذلك الحوادث تراعى بدقة مركزه الاجتماعى عندما تقدر الاتعاب والعقوبات على التوالى . فاذا فقأ احد المعتدين عين موشكينو اوكسر احد أعضاء جسمه فانه يحكم له بتعويض قدره مينة فضية فاذا كان المجنى عليه رجلا حراً فانه يحكم على الجانى بمقتضى قانون « العين بالعين والسن بالسن » . اما اذا كان عبداً فانه يحكم له فقط بنصف قيمته التجارية . واذا حطم احد اسنانه أعطى ثلث مينة واذا ضربه احد على رأسه فانه يأخذ تعويضا قدره

(1) LVI, p. 38

(2) LXXVLL, p. 213

(3) تفرق مرثية سابقة لعهد اور بين المواطن البسيط والموظف والرجل الحر ولكن لا يستدل من ذلك انهم كانوا يكونون ثلاث طبقات مختلفة فى المجتمع I t. XVII, p. 45.

عشرة شواقل على حين تُقدر مينة واحدة للرجل الحر فى مثل هذه الحالة. اما اذا قُتل دون عمد اثناء مشاجرة فان اسرته تُعطى ثلث مينة فقط وليس نصف مينة كما هو الحال بالنسبة لابن الرجل الحر.

واذا اجهضت ابنته بسبب الضرب يلزم الجانى بدفع خمسة شواقل. وفى حالة وفاتها من جراء الحادث يُدفع نصف مينة. أما إذا كان والدها رجلا حرا فان التعويض يبلغ فى الحالة الأولى عشرة شواقل وأما فى الحالة الثانية فيطبق قانون «العين بالعين والسن بالسن». أما ان كانت ابنة عبد فان التعويض يكون شاقلين أو ثلث مينة على التوالى فى الحالتين المشار إليها.

وفى حالة إجراء عملية جراحية: إذا كان الرجل الحر يدفع عشرة شواقل فان السيد يدفع عن عبده شاقلين فقط كما حددت الاتعاب التى يدفعها الموشكينو فى هذه الحالة بخمسة شواقل.

وعلى ذلك فانه مما لاشك فيه أن مركز الموشكينو فى الهيئة الإجتماعية هو دون مقام الاميلو Amēlou أى الرجل الحر.

ولكن مما يثير العجب أنه لم ترد فى القانون أية أشارة عن الرجل الحر فيما يتصل بالسرقة وهرب العبيد وزواج الفتاة الحرة من أحد العبيد... ذلك فى الوقت الذى فرق فيه القانون ما بين ما يخص المعبد أو القصر من ناحية وبين ما يخص الموشكينو من ناحية أخرى.

وكان العبد ملكا لسيده: سواء كان مولودا فى بيته أو مشترى أو كان أسير حرب.

وقد اشترى مانيشتوسو Manishtousou خمسة رجال وثلاث نسا بعشرين شاقل للرأس. كما اشترى فتاة بثلاثة عشر شاقلا ونصف شاقل.

وفى عهد اور قدر ثمن أسرة كاملة بنصف مينة وثمن طفلة بثلاثة شواقل ونصف شاقل وكان من حق العبد أن يعارض فى الثمن الذى حدد لبيعه فتحال القضية الى القضاة كما كان له أن يقسم اليمين فيما يخصه من شئون على

الأقل . وقد قررت خادمة أحد الأطباء اتهمت بسرقة رداء المدعو بازى Bazi ان هـــذا الرداء أعطاها اياه أحد عبيد الرجل المذكور ويدعى لوجال دوردوج Lougaldourdoug فلمانظرت القضية فى معبد نمار Ninmar قرر لوجال دوردوج بل وأقسم انه لا دخل له فى هذه السرقة فحكم على الخادمة بان تنزل الى مرتبة الإماء فى خدمة بازى .

ويصبح بيع العبد نهائيا إذا حلف المشترى أنه اشتراه فعلا بحضور شهود، ودفع الثمن المحدد . ويستطيع الأب أو الأم أن يبيعا طفلهما كعبد . كما أن السيد كان له الحق فى عتق عبده [1] . ومن أمثلة ذلك فى عهد ايلليل بانى Ellil-bâni ملك ايســين (٢٢٠١ — ٢١٧٨) ان « بيدور ليبور Pidour-Iibour » وزوجه « نيم اوتومو Nim-Outoumou » قد عتقا امرأه بقيت رغم ذلك فى خدمتهما، دون أن يكون لولديهما وابنتهما أى حقوق عليها [2]

وكانت تقام ، فى مثل هذه الحالة ، حفلة يطهر العبد خلالها على جبهته . وكانت توجد علامات مميزة للرق . وكان قانون حمورابى يقضى بقطع يد الجراح ، الذى يسم العبد عبدا، وبدون علم السيد بعلامة عدم امكان بيعه .

وفى القرن الثالث — قبل الميلاد — كان اسم المالك (السيد) فى اوروك [3] يكتب على يد العبد اليمنى، فاذا تغير السيد أضيف اسم السيد الجديد الى جانب المالك القديم .

ولا يستطيع الرجل أن يبيع المحظية التى رزق منها بنسل ولكن يمكنه فقط أن يرهنها ؛ شأنها فى ذلك شأن الزوجة والابن ، وكان لا يجوز فى عهد الأسرة الأولى أن تزيد مدة عبودية الزوجة أو الابن أكثر من ثلاث سنوات، إلا أن هذا الحظر قد اختفى فيما بعد من القانون : من ذلك أنه حدث فى العهد البابلى الجديد أن بقى ابن عشر سنوات متوالية فى خدمة

(1) XIX nos 748, 838, 733, 746, 830, 832, 751, 752.

(2) I, t. XIV.

(3) XXII t. II, nos. 6 & 25.

كاهنتين، سدادا لدين على أبيه، وقد حدد حمورابي قيمة العبد التجارية بعشرين شاقلا ، وهى قيمة توازى التعويض المقرر من وفاة تنتج عن هياج ثور ، أو إساءة معاملة رجل لعبـــد أعطى له بصفة رهن

وكانت حياة رجل حر، لا تقدر — فى مثل هذه الظروف — بغير ثلاثين شاقلا . وتبعا للسن والنوع (ذكر أو أنثى) ؛ — والمهارة فى العمل كان بعض العبيد لا يباعون بأكثر من أربعة الى ستة شواقل ،على حين يبلغ البعض الآخر أرقاما مرتفعة ، تتراوح بين ٥١ و ٥٧ شاقلا. أى حوالى مين[1] فضى تقريبا

وكانت الفتاة الحرة تستطيع أن تتزوج من عبد ، وكان الاولاد يولدون أحراراً تبعا لحالة أمهم ؛ كما كان نصف متاع الأسرة فقط من حق سيد أبيهم. وإذا كان رجل حر اتخذ إحدى الاماء كحظية ؛ فانها وأولادها يتحررون عند وفاته بحكم القانون ولكن الأولاد لا يرثونه إلا إذا كان هناك عقد تبن.

وكان فى استطاعة العبد أن يدخر ، وأن يشترى حريته نقدا . كما كان يستطيع — فى حالة عدم وجود الثمن لديه — أن يستدين المبلغ اللازم لهذا الغرض . وكان معبد مردوك فى بابل يقبل اعطاءه سلفة تخصم اقساطها من كسبه . وكذلك كان التحرير، أو شراء الحرية نهائيا، غير قابل لأية معارضة .

وكان محظورا على الناس مساعدة عبد على الهروب أو إيواؤه وكان يحكم على المخالف بالاعدام ، وكان يمنح من يضبط الآبق (الهارب) ويعيده الى سيده مكافأة قدرها شاقلان، وفقا لقانون حمورابي . وينص هذا القانون على ما يأتى : « إذا آوى شخص فى بيته عبدا آبقا وضبط هذا العبد تحت سقفه فإن عمله هذا يستوجب الحكم عليه بالإعدام » .

وكان هناك قانون سوميرى[2]، أقدم من القانون المشار إليه ، ينص على عقوبات أخف مما ذكر : « إذا هربت خادمة أو عبد من سيدهما إلى خارج

---

(١) المين هو المينة أنظر هامش (١) صفحة ٥٥ و ٧٢ .

(2) I, t. XVII, p. 87.

المدينة ؛ فإن صاحب البيت الذى يسمح باقامة أبيها فى بيته، خلال شهر — يدان ويلزم بتقديم رأس برأس (معاملة المثل) فاذا لم يكن له عبد ، فانه يدفع ٢٥ شاقلا من الفضة » .

ثانيـــا — الجيش

منذ أقدم العصور ومدن الفرات الأدنى فى صراع ، كى تستطيع الواحدة منها أن تمد نفوذها على الأخرى: و لقد كان الجيش واحدا من أهم نظم المجتمع.

وتبين « لوحة العقبان » [1] — التى أقامها الملك « اياناتوم » فى أراضى لاجاش عقب نصره على رجال اومّا — فى المناظر المحفورة على وجهها التاريخى ،كيف كان تكوين الجيش السومىرى فى هذا العهد البعيد، والصورة التى كانت عليها معداته.

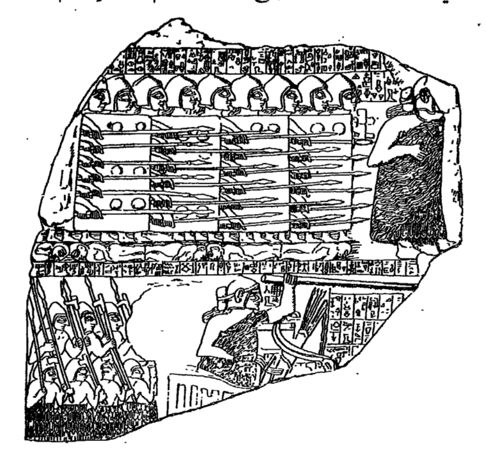
كان الملك يسير الى الحرب على رأس جنده وهو يتدثر حول حقويه بقماش من الكاونا كيس Kaunakès وكان يغطى كتفه اليسرى قماش اكثر نعومه أو جلد ماعز . وتحمى رأسه خوذة شبه مخروطية يتدلى منها من الخلف ما يستر العنق . أما تلك التى يرتديها رجالُ الحرب فهى سوية ملساء وأما التى يرتديها الملك، فقد قلد عليها الفنان شكل الشعر المجمر الكثيف ، يثبت فى مكانه بواسطة شريط كما مثلت عليها الأذنان واضحتين . وسواءأ كان يحارب راجلا ، أم راكبا عربته ، فإن سلاح الأمير كان حربة واداة مقوسة مكونة من عصى ونصال ، ربطت الى بعضها بواسطة سيور أو حلقات .

وكان المحاربون يكونون سلاحين : سلاح الصدام وهو الذى ينزله رجاله المعركة فى انتظام ومعهم الملك راجلا وهم متقدمون فى طوابير كل منها من سبعة من المحاربين ، يحمل أولهم سلاح الدفاع وهو درع مستطيل أما الباقون فمزودون بالحراب ، يمسكها كل منهم بيديه من طرف العصا تقريبا . أما أولئك الذين يهاجمون لمطاردة العدو خلف الملك وهو راكب على عربته

(1) LXX; pl. 3 et suiv. voir fg. 8

(سلاح المطاردة) فسلحون بحربة وفأس .

ويحتفل الأمير بعد النصر بذبح ثور . ويتقدم الجند لإعدام الأسرى



(شكل ٨) قطعة من لوحة العقبان (متحف اللوفر : تللو)

ووضع جثثهم فى كومات على حين يحتفظ الملك لنفسه بحق فقء عين الحاكم المهزوم . وهناك سلاح آخر مثل على وجه اللوحة التى تحمل بعض المناظر الإسطورية : وهو دبوس القتال الذى يمكن تتبع استعماله منذ عصر أقدم عن طريق نقش من تللو[1] Tello ،وكذا عن طريق الدبوس النذرى المزين بالسباع والذى نذره ميسليم الى الإله ننجرسو .

وتزينا لوحة النصر لـ «نارام سن»[2] عتاد الملك ومحاربيه فى عصر اجداده

(1) LXX, pl. I

(2) XVIII t. I p. 144 راجع شكل ٤ صفحة ٣٦

ويمثل المنظر مطاردة العدو فى اقليم جبلى ويرى فيه الأمير متدثرا بملحفة قصيرة، ينزل طرفها حتى ركبته،ويلبس نعلا فى قدميه، وعلى رأسه خوذة يتدلى منها ما يغطى العنق مزينة بقرون ترمز للمعبود ويمسك فى يسراه بقوس مزدوج التقويس ويضم ذراعه الى صدره بلطة سلاحها ضيق جدا وفى يمناه سهم طويل به ريش وينتهى بطرف حاد. ويمثل الفرقة طابوران من المحاربين، يحميهما الكشافة الذين يحمل واحدمنهم حربة والآخر قوسا ابسط من قوس الملك . وعلى رأس كل طابور قائد ملتح ، لُفّت ملحفته على هيئة النقبـــه (جونلّة) وهى اقصر من ملابس رجاله . وهو يلبس خوذة كما يلبسون . وقد سلح أحد القائدين بحربة وبلطة ذات نصل محدب من ذلك النوع الذى كثيرا ما نشاهده مرسوما عل اسطوانات الأسرة الأولى البابلية وتزينه رأس أسد ، ويحمل الآخر بلطة ، أما عامة الجند فيحملون الى جانب البلطة حربة أو لواء ، وأما عتاد العدو فيشبه عتاد رجال اجاده .

وتحمل لوحة من ذلك العهد الدليل على صناعة الخوذات من الجلد ، وكانت تستعمل فيه جلود الثيران أو الجداء أو الصوف ، كما أن غيرها كان يصنع من البرونز المكفت بالفضة، أماالبلطات فكانت من برونز النحاس وكذا رءوس الحراب ، وأمافى صناعة الجعاب فكان يستعمل الجلد والصوف[1].

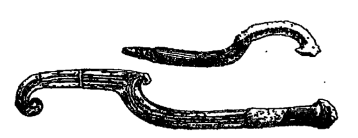
وفى معبد لاجاش حيث بلاط الإله صورة صادقة لبلاط الأمير : نرى جوديا يتقدم بملازم أول وثان يتخذان مركزاً، يلى مباشرة مركز الشخصين الإلهيين المنوط بهما العدالة والتقدمات [2] .

وفى عصر اور كان « النوباندا » Noubanda يقودون الجند وكانوا — اكثر من ذلك — مسئولين عن ادارة السخرة فى المشروعات العامة . وهناك فئة من الناس ملزمة بالخدمة العسكرية هم «الاوكوش» Oukoush الذين

(1) II, 1913.

(2) TXXVI, p. 183.

كانت لهم قيادتهم الخاصة ورؤساء خاصون بهم . وينظم قانون حمورابي الامتيازات ويحدد بعض الواجبات المقررة على نوعين من المواطنين يستدعيان ليساهما فى



(شكل ٩) اسلحة سومرية (متحف اللوفر . حفائر تللو)

الحملات الملكية : « الريدوم » Rêdoum — أو قائد العبيد (وهى كلمة سامية تقابل الكلمة السومرية « اوكوش ») و « البايروم » Baîroum « (السمّاك) . وليس من السهل أن نقدم ترجمة صادقة لهذين الاصطلاحين؛ لأنه ليس لدينا موظفون يشغلون وظائف مماثلة : فالاول كان مكلفا بجمع المجندين لوظائف الجيش كما يظهر أن الآخر كان عمله متصلا بالبوليس . وكان كل منهما حين يستدعى الى خدمة الملك يلزم باداء عمله شخصيا ولم يكن فى مقدوره أن يتهرب من هذا الالتزام وكان القانون ينص على تعريضه للاعدام ان هو أحل محله أحد المأجورين . والواقع أنه طرأ على الأمر بعض التيسير فالرجل كان يستطيع شراء الاعفاء بدفع ضريبة سنوية تسمى مال الايلكو ilkou . والايلكو هو « خدمة الملك » وفى معناها الواسع املاك الدولة تمنح على صورة معاش مدى الحياة للريدوم والبايروم وهو عبارة عن حديقة أو بيت أو حقل أو . . . حتى مواش . . .

ويبين لنا خطابان أحدهما أمر من سامسوايلونا والآخر اعلان (إخطار) بإبلاغ الأمر الأول ... يبينان كيف تنفذ منح هذه الممتلكات [1].

فإن رجلا يدعى « ابنى اداد » Ibni-adad وهو صاحب امتياز أرض مساحتها ١٨ جان (gan) من الأرض (اكثر من ٦ هكتار) عبارة عن حقول وبساتين فى ناحية سيبار ترك أملاكه هذه كى يحصل على امتياز اكثر

(1) XXIV, p. 156

جدوى . فامر الملك بمنح الاملاك الأولى إلى رجل آخر هو العيلامي « والى Wali » وسجل ذلك على لوحةوارسلت لوحة « ابنى اداد » الى القصر . وتسلم ماردوك ناتسير Mardouk Natsir كبير موظفى سيار الكتاب الملكى، وفتحه وعرف مضمونه ، ثم وضعه فى غلافه، وحوله الى مديرى الاملاك مشفوعا باخطار ذكر فيه الأوامر الملكية مفصلة .

واملاك الايلكو لا يستطاع التصرف فيها بالحجز أو البيع : فان من يشتريها يفقد ماله كما تحطم لوحته ولا يستطيع الحائز عليها أن يقدمها لزوجه أو ابنته وهذا يسمح لنا أن نعتقد فى امكان نقل حيازتها الى الابن بشرط ادائه للالتزامات المفروضة . وكان من المحظور كذلك أن تستعمل رهنا لدين.

وحين كان الريدوم والبايروم متغيبين لأسباب مصلحية كان يُعهد بإدارة هذه الاملاك الى ابنيهما . . . فاذا كان ابناؤهما صغارا فالى الزوجة مع منحها ثلث الايراد مقابل اشرافها على كل شيء . وكان يجب أكثر من ذلك ، أن يحتفظ بالعين فى حالة جيدة وأن تزرع . فإن تعمد صاحب الامتياز اهمالها أو احتلها آخر مدى ثلاث سنوات فاى ان أدعاء لإعادة تملكها لا قيمة له ويصبح المنتفع بوضع اليد منتفعا شرعيا . أما أن هجرت العين لفترة أقصر فلا ينقل حق الامتياز .

وكانت للريدوم امتيازات ذاتية وامتيازات خاصة باملاكه : فكان مستقلا تماما عن نفوذ الحاكم وكان الأخير يتعرض لعقوبة الاعدام إن هو : « استولى على املاك ريدوم أو سبب لها خسارة أو أعارها بأجر أو سلمها عن طريق الحاكم ليد رجل اكثر نفوذا، أو أخذ منه ماسبق أن منحه الملك إياه » .

وإذا قبض على الريدوم والبايروم فى الحرب ودفع الفدية عنهما وكيل أعمال فعليهما سداد الدين شخصيا اذا كانت ثروتهما المنقولة تسمح بذلك . أما الاملاك الثابتة فلا تمس فان لم يكن فى استطاعتهما دفع المبلغ المفروض فان معبد مدينتهما يدفع عنهما، فإن لم يكن يملك الموارد الكافية فان الدين

تتكفل به ا لدولة . وهناك قرار من حمورابى يبين كيف كان هذا النص القانونى يطبق . وكان الأمر يخص رجلا من لارسا : وأما من ناحية « ايما نينوم Imaninoum » الذى اسره العدو فيعطى عشرة مين من الفضة من معبد سن الى وكيل أعماله كفدية » [1] .

وفى العصر البابلى الجديد كان يضطر بعض دافعى الضرائب الى دفع جزية حرب ، وان يساهموا ماليا فى تكاليف الجنود : فكان على أحدهم أن يدفع سبعين شاقلا فى السنة الخامسة لدارا وأن يدفع آخر أجر رجل مدى عامين أو يتولى تكاليف خيّال .ولابد أن الجيش البابلى فى هذا العصر كان منظما كما كان الجيش الاشورى فى آخر أيام الامبراطورية السرجونية .

ثالثا — العـــائلة

تأسست الأسرة — بدعائمها القوية فى سومير وأكد — منذ أقدم العصور على أساس التزاوج من امرأة واحدة . فلم يكن للرجل — كقاعدة اساسية — اكثر من زوجة شرعية واحدة وان سمح له القانون والتقاليد أن تكون له محظية أو أكثر .

ويستند الزواج فى جوهره على وثيقة مكتوبة هى حجة صادرة من طرف واحد مُلزِمة يحدد الزوج بموجبها — امام شهود — حقوق وواجبات الزوجة وكذا المبلغ الذى يدفعه فى حالة الطلاق والعقوبة التى قد تنزل بالمرأة الخائنة ، وعلى وجه العموم يحدد فيها كافة شرائط العقد .

وكان يجب على الرجل قبل تحرير هذا العقد ، وتمهيدا له ، ان يتفق مع أهل الزوجة التى يزمع التزوج منها . وتقضى قوانين « نيسابا وحانى [2] Nisaaba & Hani » — المعمول بها فى جزء من سومير على الأقل قبل قيام

---

(1) XXVIII t. II no 32.

(2) XXVIII t. I no 28 .

الامبراطورية البابلية — ان على من يغتصب فتاة أن يطلب الى أهلها الزواج بها أما إذا اغتصبها بعد أن يكون أهلها قد رفضوا تزويجها منه فان تصرفه هذا يعتبر جريمة تستوجب الحكم عليه بالاعدام .

وجرت العادة فى عهد حمورابى أن يختار والد الشاب خطيبة أبنه . وعندما يتم بين العائلتين الاتفاق على الزيجة يشرع فى اعداد الخطبة . ومن المظاهر الخارجية لهذا الاحتفال أن ترسل الى بيت والد العروس بعض قطع الاثاث كما يقدم الشاب أو والده « تيرهاتو Tirhatou » موضوعة على صحفة الى والد العروس . وكان هذا التيرهاتو عبارة عن مبلغ من المال ينزل الى شاقل واحد أحيانا فى عهد الأسرة الأولى ويصل أحيانا الى عشرين شاقلا بل الى نصف مين . وقد ذكرت هدايا الخطبة فى نص من عهد جوديا Goudéa وهى من آثار عهد كان الزواج يعقد فيه عن طريق شراء المرأة : وبعد أن أعاد الايشا كو بناء معبد الالهة باوو Baou ضاعف فى المستقبل هدايا الاعراس — تلك الهدايا التى كان يجب تجديدها فى كل عيد من أعياد رأس السنة : من ابقار وخراف وحملان وسلال بلح وزبد وجمار نخيل وتين وفطائر ودواجن وأسماك وخشب اثل .

وفى عهد اور أخرج من حظيرة معبد انليل لمناسبة خطبة أحد أمراء البيت المالك خمس بقرات مسمنة وثلاثون من الخراف وخمسة من الكباش. كما أن هدية أحد النظار كانت عبارة عن خمسة من الخراف وثلاث من النعاج وعنزتين [1] .

ولم يكن التيرهاتو اجباريا بصفة قاطعة فقد كانت هناك احيانا خطبة بغير ترهاتو . كما أنه لم يكن يعنى ارتباطا نهائيا وكان يترك لوالد الفتاة إذا سحب الشاب وعده بالزواج منها . أما إذا كان الوالد هو الذى عدل عن وعده بتزويج ابنته فانه يرده كاملا . ولم تخل التقاليد الخاصة بتقديم الترهاتو من

(1) LVI, nos 331,370

ايجاد ظروف تؤدى الى المقـــاضاة :

فاذا اغتصب رجل فتاة مخطوبة تقيم فى بيت ابيها استوجب عمله هذا الحكم عليه بالاعدام . ومن ناحية أخرى فانها اذا كانت تقيم مع عائلة خطيبها، وكانت لها علاقات غير شريفة بحمّيها دون أن يكون خطيبها قد عاشرها فانه يجب عليها أن تسترد حريتها وأن تعود الى بيت ابيها ومعها — علاوة على مهرها — تعويض قدره نصف مين من الفضة . أما اذا كان خطيبها قد عاشرها فانه لا يمكنها الادعاء بانها سليمة النية وعلى ذلك كان يعاقب المذنبان فكانت الخطيبة تلقى فى الماء .

ويزود الأب ابنته —وفى حالة وفاته يتولى ذلك إخوتها— بـ «شريقتو» Shériqtou أو بائنة . ويسلم هذا المتاع الى الزوج عند بدء اقامتها معه ويبقى ملكا للزوجة حتى وفاتها وينتقل لأولادها من بعدها أو يرد الى بيت ابيها أن لم تكن قد رزقت بعقب . وقد يحدث أن يكون كل من الزوجين قد استدان قبل الزواج وفى هذه الحالة يختلف موقف أحدهما القانونى عن موقف الآخر : فالرجل غير ملزم البتة ان يسدد الالتزامات السابقة للزوجة بينما نرى الزوجة مضطرة — لكى تصبح فى مأمن من مداينى زوجها — الى أن تنص فى لوحتها على عدم جواز الحجز على ممتلكاتها لمصلحتهم أما فيما يختص بالديون خلال الزيجة فان الزوجين مسئولان عنها بالتضامن وكثيرا ما يذكر اسماهما معا — ولدينا مثل من أيام ملوك اور[1] —عند عقد السلفة . كما أن الزوج لا يستطيع أن يتصرف فى الملكية المشاركة دون رضاء زوجته .

وكان معروفا أن للمرأة المتزوجة أهلية قضائية معينة فهى تستطيع أن تكون شاهدة ولقد كانت الحال كذلك منذ عهد ماقبل السرجونية اذ نجد امرأة تشهد فى بيع بيت[2] وكان من حقها أن يكون لها املاك خاصة وأن تتصرف فيها دون

---

(1) I t. XIII

(2) XXXV, no 31

موافقة زوجها كما كانت تبيع عبيدها ولم يكن القانون يقف فى وجهها إلا فى حالة الجارية (الأمة) التى منحتها لزوجها كحظية فانجبت منه اطفالا .

وعندما يكون الزوج غائبا — فى فترات الخدمة العسكرية مثلا — وليس له ابن يكون قد بلغ سن الرشد فان الزوجة تتولى ادارة شئون ثروته وتستولى شخصيا على ثلث ايراده . وقد حدث فى مناسبة من هذا النوع ان طالبت زوجة برد عبد كان زوجها قد اعطاه بصفة رهن فحكم لها القضاء بما أرادت بعد أن تبين أن الخدمات التى أدّيت تعدل تماما قيمة الدين [1] .

ولقد كان حمورابى يمنح المرأة المتزوجة — « متى كانت تحسن رعاية بيتها وليست موضع لوم » — حق الالتجاء الى القاضى ليمنحها حق استعادة بائنتها وهجر بيت الزوجية والعودة للمعيشة تحت سقف ابيها وذلك أن هى شكت طول غيبة زوجها واهماله اياها . ولكنها تعرض نفسها فى الوقت نفسه — ان لم تكن خالية من اللوم — الى أن يصدر ضدها حكم يقضى بالقائها فى الماء .

وللزوج على زوجه حقوق معينة فهو يستطيع أن ينزلها إلى مرتبة الرق عند الدائن وظل معمولا بهذه العادة الممعنة فى القدم حتى عهد الامبراطورية الجديدة فى أيام نابونيد Nabonide . ويحدد قانون حمورابى هذا الرق بفترة اقصاها ثلاث سنوات يجب أن تطلق حرية المرأة بعدها . كما يجوز للزوج أن يبيع زوجته الخائنة عقابا لها وتحت ظروف خاصة لانستطيع أن نحددها تماما .

ويستطيع الزوج — ان لم يأت الزواج بثمرته الطبيعية : الذرية — ان يسلك أحد سبيلين : اما ان يأخذ زوجة من مرتبة ثانوية أو يطلق زوجته فيرد التيرهاتو ويدفع قدرا من المال يبلغ مينة أو ثلث مينه مما يتناسب

(1) I - t. XII

ومركزه الاجتماعي . ومن الحالات الفردية لوثائق الطلاق التي وصلت الى ايدينا نجد أن هذا القانون قلما طُبِّق لأنه كانت توجد دائما اتفاقات ومن ذلك أن العرف حدد بعد عهد حمورابي ثمن الطلاق بنصف مينة . ومن حق الزوج الذي اعتزم أخذ زوجة من مرتبة ثانوية أن يدخلها بيت الزوجية ولكن لا يجوز له أن يجعلها مساوية لزوجته بل عليه أن يحدد في اللوحة الموقف الحقيقي وذلك من باب الحيطة وتنفيذا للقانون الذي ينص على بطلان كل زواج لم يحدد الرجل في الوثيقة الخاصة به واجبات المرأة .

وقد حدث أثناء حكم سن موبا لليت Sin-Mouballit والد حمورابي ان قرر رجل أنّ على زوجته الثانية أن « تغسل قدمي الزوجة الأولى وتحمل لها مقعدها الى معبد الإله مردوك » [1] وعلى اية حال فان لها في حالة الطلاق كافة الحقوق الشرعية للزوجة .

وسواء أكانت الزوجة والدة أم لم تكن فانها تستطيع أن تمنح زوجها محظية تختار من بين إمائها (جواريها) أو تشترى وكانت هذه المحظية تحرر متى ولدت له طفلا . ولكن سيدتها تظل باستمرار محتفظة بحق ردها الى مرتبة الاماء أن هي حاولت منافستها . بل أن لها حق بيعها ان لم تكن قد أصبحت أما . ولم يعد يسمح للزوج الذي منحته زوجته محظية رزق منها بذرية أن يدخل امرأة أخرى في بيت الزوجية .

واذا أصيبت الزوجة بمرض مزمن أو بعاهة يمنعانها من اداء واجباتها فان ذلك ليس من الأمور التي تبيح للزوج تطليقها وقد يستطيع الرجل في مثل هذه الحالة ان يتزوج شرعيا من امرأة أخرى ولكن يظل للزوجة الأولى حق البقاء في بيته على أن يضمن لها سبل حياة محترمة تبعا لمركزه الاجتماعي . وان هي فضلت الانسحاب فانه يحق لها أن تعود الى بيت ابيها وأن تأخذ معها بائنتها كاملة غير منقوصة . وقد كان التشريع السوميرى

(1) XLIII,uo XIX

القديم يقضى بأن تلقى فى الماء الزوجة التى ترفض ممارسة واجبات الزوجية . أما حمورابى فقد فرق بين مختلف الحالات : فاذا لم تكن الزوجة على دراية تامة بشئون بيتها فانه يطبق عليها هذا القانون حرفيا . وبالعكس ان كانت تستطيع أن تثبت أن زوجها هجرها فانه يسمح لها بان ترجع الى منزل ابويها وأن تأخذ معها بائنتها . أما ان ساءت سيرة المرأة وأصبحت لا تكترث برعاية شئون بيتها وأهملت أمور زوجها فانه يستطيع فى هذه الحالة أن يختار بين امرين : أما أن يطلقها أمام المحكمة ، وفى هذه الحالة تطرد دون أن تأخذ أى تعويض ، أو يقرر أمام القاضى انه لا يرغب فى تطليقها وعندئذ يستطيع استبقاءها كجارية . ومن حق الزوج فى كلتا الحالتين أن يعقد زيجة جديدة .

ويجوز من جهة أخرى للزوج أن يطلق المرأة سواء اكانت زوجة شرعية أم محظية ، دون أن تكون قد قارفت اثما وليس من شك أن هذا تهديد مباشر لمبدإ الزواج من امرأة واحدة . وفى هذه الحالة تنسحب المرأة ومعها بائنتها ويمنحها القاضى حق الانتفاع ببعض ممتلكات زوجها كما يحكم بضم أولادها إليها ، وعندما يبلغون سن الرشد تتسلم حصة مساوية لحصة أحد الأولاد وتصبح حرة فى أن تتزوج مرة أخرى . وكان هناك قانون سومرى قديم يمنحها نصف مين من الفضة .

وإن زنت المرأة فانه من الممكن أن يحكم عليها بالاعدام إن هى امسكت فى حالة تلبس . وكان الشريكان فى الاثم يوثقان معا ويلقى بهما فى الماء الا اذا رأى الزوج أن يبقى المرأة على قيد الحياة ورأى الملك ان يبقى على خادمه . أما فى غير حالة التلبس فان المرأة تستطيع ابراء (تبرئة) نفسها عن طريق القسم . وأما اذا كان الأمر لا يتعدى حدود الشائعات عن سوء سيرها وسلوكها فانها تمر بامتحان عسير وبتجربة قاسية تاركة للنهر — الإله أمر تبرئتها . وانه لمن الواضح أن الأمر يمس الزنا اكثر مما يمس تعدد

الازواج فيما يتصل بالعقوبات التى كان قد أصدرها اوزوكاجينا من قبل حين قرر « أن المرأة فيما مضى ، كان يمكن أن يكون لها رجلان (دون أن ينالها عقاب) أما المرأة اليوم (فى هذه الحالة) يلقى بها فى ... » .

وقد يحدث أن يؤخذ الزوج أسيرا ، ولا يجوز للمرأة فى هذه الحالة أن تكون لها علاقة برجل آخر اذا كانت موارد البيت كافية وهى إن فعلت فانها تعرض نفسها للمحاكمة ولأن يلقى بها فى الماء . أما اذا كان « لا يوجد شىء يؤكل » فان المرأة تستطيع أن تتزوج من جديد وعليها اذا عاد زوجها الأول بعد ذلك أن تعود إليه ، تاركة أولاد الفراش الثانى لابيهم . أما المرأة المهجورة فغير ملزمة بالعودة الى بيت الزوجية بل عليها — أن كانت قد تزوجت للمرة الثانية — أن تظل معزوجها الجديد . وقد تعرض القانون أيضا لحالة المرأة التى تحرض على قتل زوجها بقصد الزواج من غيره وقدر لها عقوبة الشنق . ومن حق الرجل أثناء الزواج أن يقدم لزوجته هبة كى يضمن لها بعد وفاته موارد عيش أوفر مما كانت تحصل عليه من بائنتها ومن حصتها المساوية لحصة أحد الأولاد وهو المقرر لها بمقتضى القانون . وليس لها من هذه الهبة المسماة « نودونّو » Noudounnou اكثر من حق الانتفاع كما أنها لا تستطيع التصرف فيها بالبيع « فهى لأولادها من بعدها » واذا اختار رجل حر جارية زوجة له أو محظية فان أمومتها الأولى تحررها . وابنة الرجل الحر التى تتزوج من عبد لا تصبح أمة . وليس فى مقدور سيد العبد أن يطالب بثمرة هذه الزيجة من أولاد بل — اكثر من ذلك — ترد بائنتها إليها كاملة عقب وفاة زوجها إن كان أبوها قد أعطاها بائنة . كما أن لها الحق فى نصف ملك المشاركة الذى اقتنى خلال الحياة الزوجية لمصلحة ذرية الزوج على حين يصبح النصف الثانى ملكا لسيد العبد .

هكذا حددت الأحوال الشخصية للأزواج بمقتضى قانون حمورابى . وتسمح لنا وثائق من مصادر مختلفة مكتوبة قبل وبعد اصدار هذه التشريعات

هى عبارة عن لوحات زواج وطلاق وعقود هبة . . . تسمح لنا هذه الوثائق أن نصل الى تقاليد ترجع الى عهود سابقة تختلف قدما ، وأن نتعرف على التقاليد المستحدثة التى لم يعمل بها فى الواقع وفقا لنصوص القانون .

هذا وتحدد بعض نصوص قانون حمورابى كذلك مركز الأولاد فى العائلة فالولد يولد حرا اذا كانت أمه من طبقة الأحرار ، ومحررا اذا كانت أمه الجارية (الأمة) محظية رجل حر ، وعبدا اذا كان أبواه من طبقة العبيد . أما اذا كان أبوه أو أمه يرتزقان من الدعارة فان الطفل يُنشَّأ عند من يتبناه ولا يمكن استرداده . ويجب أن يجهل الولد نسبه . فاذا عرفه وأراد أن يترك من تولاه طفلا برعايته، واللحاق بابيه وأمه؛ فإن القانون يقضى بأن تقلع عيناه .

شاع التبنى — وهدفه الابقاء على العائلة باعطاء طفل لمن ليس له أولاد ويئس من أن يرزق بنسل — على نطاق واسع فى بابل رغم وجود مخرج قانونى لفسخ الزيجات غير المثمرة . وقد تجاوزوا هذا الهدف حتى أنه حدث مثلا أن والد خمسة أطفال — وهى حالة شاذه على أية حال — تبنى طفلا سادسا وكانوا فى الواقع يفرقون فى المعاملة من ناحية التبنى بين الطفل الذى لا يمت للعائلة بصلة النسب وبين أطفال المحظية . من ذلك أن أطفال المحظية لا يتمتعون بحكم مولدهم بكافة حقوق أطفال الزوجة ، فهم ليسوا أولادا شرعيين ويظلون دائما فى مرتبة أدنى من مرتبة هؤلاء حتى إن هم اكتسبوا شرعية بمقتضى عقد حر يصدره الأب أو الزوجان أو حتى الزوجة وحدها فى بعض المناسبات . ويتم التبنى بموجب كتابة عقد أو وثيقة مصدق عليها من طرف واحد . ويحرر العقدين المتبنى وبين الذين كانوا قد قاموا بتربية الطفل المتبنى . أما اذا كان الأمر خاصا بأولاد المحظية أو اذا كان المتبنى قد اكتسب حقوقا على الطفل بأن تولى — بموافقة ذويه — الانفاق عليه أو تعليمه حرفة فان التبنى يتم بوثيقة يحررها طرف واحد . واذا لم يكن المتبنى قد

رزق أطفالا بعد فانه يراعى عند تحرير اللوحة احتمال حدوث ذلك فينص فيها على أن الطفل المتبنى سيعتبر كالأخ الأكبر للأطفال الذين قد يرزقهم. أما اذا كان له أولاد فانه عندما يحرر الوثيقة الخاصة بشرعية أولاد المحظية يضمنها نصا يحظر على باقى الأولاد المعارضة فى حقوق المتَبَنّى المكتسبة. وقد تعرض القانون لحالة الرجل الذى تولى تربية طفل ثم اعتزم طرده بعد أن أصبحت له عائلة فمنح الولد الذى تنكر له المتبنى لهذا السبب بثلث نصيب ولد فى ثروة الرجل المنقولة ولكنه انكر عليه أى حق فى الثروة الثابتة. وكان الطفل المتبنى اذا تنكر للرجل الذى تبناه يوسم على جبهته بعلامة العبودية ويوثق بالأغلال ويباع وتكسر لوحة تبنيه. واذا كان ابن عاهر أو عاهرة فان لسانه يقطع.

ويستطيع الرجل الذى اعترف بحقه فى أن يعطى زوجته أو محظيته كجارية الى دائنه أن يتصرف على نفس الوجه فى أولاده ذكورا وإناثا بنفس الظروف، مهما يكن سنهم ومهما تكن حالتهم: أى أنه يستطيع طبقا لقانون حمورابى أن يعطيهم كرهن لمدة اقصاها ثلاث سنوات. وقد تضاعف حق الرجل فى هذا الشأن على مر الأيام فيما لو سمحنا لأنفسنا أن نحكم على ذلك من المثل الوحيد المعروف من العهد البابلى الجديد [1]: لقد ظل المدعو ايناتسيل بابى رابى Ina-tsil-Bâbi-rabi يعمل عبدا مدى عشر سنوات مقابل دين على أبيه قدره ٤٢ شاقلا من الفضة، وكان عليه أن ينتظر أمدا طويلا حتى يسترد حريته لو لم يسعفه موت أبيه بتصفية الدين حين ورثه. كان المذكور خبازا فاضطر الى الخدمة بصفته رهنا عند السا جيتوم Sagi ttoum اهاتا Ahata وقدر أجره حسب القانون بستة «قا» من الشعير يوميا أى «جور» واحدا فى الشهر. وحدث أن توفيت السيدة أهاتا بعد أربع سنوات وحل محلها فى وظيفتها بنات اينا ايساجيل Bânat-ina-Esagil وحول إليها

(1) I. t. XII

الدين والرهن واستمر ابنا تسيل بابى رابى ، يعمل فى خدمتها بنفس الأجر مدة ست سنوات . فلما توفى أهوشونو Ahoushounou والد الشاب فى السنة العاشرة من عبودية ابنه عمل الشاب حسابه وأعطى «٢٠ جور» من الشعير لسيدته تصفية للدين والتجأ فى عام ٥٥٨ الى محكمة اوروك مطالبا بتحريره فصفى القضاة الحساب على أساس أن الدين الأصلى وقدره ٤٢ شاقلا من الفضة قد بلغ بالفوائد البسيطة محسوبة على أساس ٢٠ ./. — وهو السعر القانونى للفائدة — ثلاثة أضعاف قيمته الأصلية فى مدى عشر سنوات فبلغ مينين وستة شواقل ، وأن الخدمات التى أديت محسوبة على أساس ستة «قا» من الشعير يوميا والعشرين «جور» التى أعطاها تساوى ١٤٠ «جور» من الشعير وهى قيمة مساوية لمينين وستة شواقل . ولما تبينوا ذلك أمروا بكتابة لوحة ختمت باختامهم تقضى بالغاء الدين وتحرير الرهن . (أى العبد)

وينظم حمورابى عملية تقسيم التركة عند وفاة الأقارب وإعادة الأملاك التى تركها المتوفى الذى لم يرزق أولادا أو لم يكن فى استطاعته تحديد وريث قانونى. وكان لرب العائلة فى هذا العصر — وفقا لما ورد فى صكوك شخصية — حق التصرف أثناء حياته فى جزء من أمواله لمصلحة أجنبى كهبة بصفة نهائية . وكان يكفى فى ذلك أن يحرر عقدا رسميا بنقل الملكية أمام شهود فتصبح الهبة المعطاة بهذه الطريقة غير قابلة للطعن أمام المحاكم . وقد رفضت جميع المعارضات التى قدمها الأولاد فى هذا الاجراء . وكان يوضع دائما نص فى العقد يسقط ما قد يثار من معارضة مستقبلة وكثيرا ما عنى أبوهم بأن يحضرهم بصفة شهود أثناء تحرير العقد . وكان من حق الزوجة أيضا أن تتقبل «نودونو» Noudounnou من زوجها طبقا لما جاء فى إحدى اللوحات . ولكن هذا التبرع كان يحرمها من أى نصيب فى الميراث . وهكذا كانت الحال بالنسبة لكل ولد — كان والده قد نقل إليه وهو لا يزال على قيد الحياة — ملكية جزء من أمواله . كما كان الأمر كذلك بالنسبة لبناته المتزوجات

أو الـكاهنات أو النساء العموميات اللواتى كان قد أعطاهن بائنة .

وهكذا فان الولد الذى كان يرغب فى تكوين أسرة مستقلة عن عائلة ابيه يستطيع طبقا للقوانين السوميرية فى نيسابا وهانى أن يحصل على نصيبه على ألا يكون له بعد ذلك أى حق فى الميراث .

وعند وفاة رب العائلة كان يوضع جانبا « ترهاتو » للذكور الأطفال ثم تقسم الثروة المكونة من البيت والأرض والمزروعات والعبيد والأثاث والحيوانات طبقا للقواعد التالية : حصة واحدة للأم وذلك ما لم تكن قد مُنحت « نودونو » ، وحصة لـكل من الأولاد الذكور وحق الانتفاع من حصة لـكل بنت لم تعط « شرقتو » على أن تبقى الرقبة [1] لاخوتها . وحق الانتفاع أيضا على حصة للبنت التى وهبت للخدمة عند الإله . وملكية ثلث حصة للبنت التى انتظمت فى خدمة الإله مردوك فى بابل . وكانت تحجز بائنة تقدر حسب ثروة العائلة لمصلحة بنت المحظية التى لم تتزوج بعد . أما فيما يختص بأولاد المحظية الذكور فإنه لا يحق لهم — رغم تحريرهم وعدم امكان مطالبتهم بأن يكونوا عبيدا — أن يكون لهم نصيب فى التركة متى كان الأب لم يعطهم وهو على قيد الحياة لوحة تبنٍّ . أما اذا كان الأب قد رأى أن يدخلوا فى عداد الورثة ففى هذه الحالة يعطون حصصا ولـكن من حق أولاد الزوجة اختيار أنصبتهم .

واذا كان رب العائلة قد تزوج مرتين فان حقوق أولاد الفراشين (الزوجتين) فى تركة الأب متساوية . وعلى أولاد الابن الذى مات قبل والده أن يقتسموا فيما بينهم النصيب الذى سيؤول الى والدهم واذا كان ليس للابن أولاد فان الميراث يئوول الى اخوته وفى حالة عدم وجود

---

(١) الرقبة : لفظة فقهية تعنى جمع خصائص حق الملكية التى يحرزها صاحب عين لغيره حق المنفعة أو الاستعمال أو السكنى

(راجع — خليل شيبوب : المعجم القانونى (١٩٤٩) ص ٥٢٥) (المترجم)

اخوة الى عمومته . ولم يكن حق التبرع على وجه يمس أنصبة الأولاد أمراً مشروعا قبل زمن حمورابى فحسب بل كان يمكن كذلك حرمانهم من الميراث حرمانا كاملا . وينص أحد قوانين نيسابا وهالى « اذا قال أب أو أم لأحد أولادهم « انك لم تعد ابنا لنا » فعليه أن يخرج من المدينة » وظلت الحال كذلك فى عهد سنمو بالليت Sin-mouballit ولكن عند صدور القانون الجديد أصبح الأمر يتطلب الالتجاء إلى القضاء ووجوب إثبات جريمة ارتكبها الولد تكفى خطورتها لحرمانه من حقوقه .

ويطبق نفس النظام الخاص بتركة الزوج على تركة المرأة المتزوجة وهو الابقاء على الثروة فى العائلة فهى إذا لم يكن لها أولاد لا تستطيع التصرف فى ممتلكاتها التى تؤول عند وفاتها الى بيت أبيها فيما عدا قيمة الترهاتو التى دفعها زوجها وقت الخطبة والتى يعيدها إليه حموه أو يخصمها الزوج بنفسه من البائنة . وإذا ترملت الأم وكانت قد منحت « نودو نو » أو نصيب ولد فإنها تظل فى بيت زوجها وتتمتع بممتلكاته ولكنها لا تستطيع بيعها مقابل فضة . وهذه الممتلكات حق لأولادها من بعدها. أما اذا كانت على خلاف مع أولادها فإنها تستصدر من القاضى تصريحا بالانسحاب تاركة ما آل إليها عن زوجها وآخذة معها بائنتها فقط ، وبعد وفاتها تقسم تركتها بين أولادها حصصا متساوية ويحصل كل منهم على نصيبه ما لم يكن قد حصل من قبل على تبرع خاص . وإذا كانت المرأة قد تزوجت مرتين فان الزوج الثانى يستبعد ثم تقسم التركة بين أولاد الزيجتين (الفراشين) حصصا متساوية .

وكانت التركة تقسم بالطريق الودى أو عن طريق الحاكم . كما كان من المستحسن أن تحرر لكل من المتقاسمين لوحة يستطيع أن يثبت بها ملكية نصيبه ، ولدينا من أمثلة ذلك اللوحات الثلاث المحررة لثلاثة إخوة فى السنة الثالثة عشرة من حكم سنمو بالليت .

واذا كان المتوفى من ذوى المراكز المرموقة فان الأمر كان يستدعى

أن يثبت أن الأملاك التى تركها خالية من كافة الموانع وهو نص ضرورى فى حالة سبق حصوله من الملك على أملاك لا تنقل ملكيتها الى العائلة كأملاك آل « ايلكو » التى كانت تخصص لرجال الجيش .

ولقد وجدت فى لوحات العصر البابلى الجديد لوحة واحدة خاصة بزواج حدث عن طريق الشراء . ففى السنة الثالثة عشرة من حكم نابوخودونوسور الثانى تحدث داجيل ايلى Dâgil-ili الى حمّا Hamma ابنة ترجال إدّين Nergal-iddin قائلا « أعطنى أختك لاتوباشينى لتصبح زوجة لى » وتمت الصفقة وسلم داجيل ايلى الى حمّا فى مقابل اختها مينا ونصف مين من الفضة وعبدا اشتراه بنصف مين ، ونص كذلك على انه اذا اتخذ الزوج زوجة أخرى فانه ملزم بدفع نصف مين كثمن للطلاق[1] . ويظهر أن هذا الحادث أثر من التراث الأشورى وليس دليلا على وجود عادة الزواج عن طريق الشراء عند البابليين لأن المرأة كانت تحصل من ابيها على بائنة حتى فى عهود الملوك الأكمينيين ، وهاك مثلا من عهد الملك دارا عن زواج ، كان الزوجان فيه من دم اجنبى فانه فى السنة الحادية عشرة من عهد الأمير المذكور طلب باتموا وستو Patm u-oustou من سامان نابير Saman-napi يد أخته تاهيما اوشاكتوم Tahima-oushaktoum فحصلت الفتاة لبيتها على سرير أكادى وبعض المقاعد ودست من النحاس وعدة أشياء أخرى ، وفى عهد نابوخودونوسور الثانى[2] وهبت السيدة سيليم عشتار Silim-ishtar جميع أموالها الى ابنتها شانا شيشو Shanashîshou وذكرت فى العقد كيف انها كانت قد سبقت فرتبت بمناسبة زواج ابنتها بائنة ، وسردت تفاصيلها على الوجه التالى : خمسة مينات من الفضة وعبدان وبعض الأثاث وسميت هذه البائنة « نودونو » وهو اسم كان يطلق فى عصر حمورابى على

---

(1) XXXI, p. 187.

(2) CXIV, Dar. 301, NBK. 283.

الهبة التى يمنحها الزوج الى زوجته . كما أن الـ « شريقتو » أصبح الآن ما يعطيه الزوج كهبة . وهذا التعديل فى المعنى بين الاصطلاحين المتداولين فى اللغة البابلية جدير بأن يسترعى الانتباه . فان النودونّو كان يتضمن أموالا منقولة وأموالا ثابتة منها الأراضى والفضة والعبيد والأدوات المختلفة [١] وكثيرا ما كان الحمو يؤجل تسليمه لصهره مما كان يؤدى الى نزاع قضائى . وقد صدر قانون [٢] فى القرن السابع يلزمه بأن يسلم ما وعد به بما يتفق وموارده : « لا يجب أن يقوم نزاع بين الحمو وصهره » وكانت خير وسيلة لوضع الأمور فى نصابها أن يحدد باقى البائنة بموجب عقد ويحدد رهن لضمان سداده . وهكذا فعل أبلا Aplâ بن « بعل اهى ادّين Bêl-ahê-iddin » فى السنة الحادية عشرة من عهد بنوخودنوسر [٣] : « ان باقى نودونّو حما Hamma ابنة أبلا زوجة بلاتسو Balatsu عبارة عن اربع مينات من الفضة لها أن تتسلمها من ابيها أبلا . وجميع أمواله الكائنة بالمدينة والارياف مهما يكن مقدارها تعتبر رهنا لـ « حمّا » ولا يمكن أن يعطى حق التصرف فيها أى دائن الى أن تحصل حمّا على أربع مينات من الفضة وهى باقى النودونو المستحق لها » .

وقد ظل القانون الخاص باعادة أموال الزوجة — التى توفيت دون أن تنجب — الى عائلتها . . . ظل دون تعديل منذ حمورابى . وكانت الأرملة التى لم تأت بذرية . تسترد بائنتها وتأخذ معها كل ماخصها به زوجها كتابة وإذا كانت قد تزوجت بغير بائنة ولم يعطها زوجها شيئا فانها تلجأ الى المحكمة ويقدر القاضى ثروة المتوفى ويحدد للمرأة جزءا من التركة .

وللمرأة المتزوجة أن تتصرف شخصيا فى أموالها سواء اشترك زوجها أو لم يشترك فقد تزوجت « اينا ايساجيل باناتا Ina-Esagil-banâta » من

---

(1) CIX Nos 19, 24, 92, 99, 100, 121

(2) XCV, p. 72.

(3) CXIV, NBK. 91.

« اوباالليستو جولا Oubajlistou-goula . فى العام السادس من حكم نابونيد واعطيت بائنة هى مين من الفضة وبعض الأثاث وثلاثة من العبيد ، وبعد خمس سنوات أقرضت « ايتى بعل أبنو Itti-bêl-abnou » وهو عبد من عبيد حميها قرضا قدره عشرون شاقلا . وقد كان زوجها بنفسه كاتب العقد .

ويظهر أن حوادث الطلاق كانت كثيرة ومرجعها الوحيد مزاج الزوج. وعلى الأقل فإن لوحات الزواج كثيرا ما كانت تتوقعه فتحدد ثمنه . من ذلك مثلا ان « شماش نادين شوم Shamash-nâdin-shoum » رغب فى السنة الرابعة من حكم كيروش أن يتزوج من نادا Nâdâ ابنة نابوزقيب Nabou-zagib . وحين تم الاتفاق على ذلك تعهد بتنفيذ ما يلى مصحوبا بالقسم « فى اليوم الذى يقدم فيه شماش نادين شوم ، على تطليق نادا ويتزوج من امرأة أخرى يدفع الى نابوزقيب ستة مينات » . وتوجد فى وثائق أخرى نصوص ترمى فى هذه الأحوال الى تحديد معاش للزوجة والأولاد. ويظهر أن تحرير مثل هذا العقد كان يستلزم حضور شانجو Shangou (مدير المعبد) حتى يعتبر صحيحا .

وعندما لا يكون للزوجة ولد ذكر وإنما ابنة فمن حقها أن تتصرف فى ملكية أموالها لمصلحة هذه الفتاة . وهذا ما فعلته السيدة « سيليم عشتار » فى العام الخامس والثلاثين من حكم نبوخودونوسور الثانى فقد احتفظت بحق الانتفاع على أموالها وحددت الموقف فى وضوح تام : ومنذئذ اصبحت لا تستطيع التصرف فى الرقبة وتحويلها الى شخص آخر. وعندوفاتها تكون كل أموالها ملكا لابنتها «جولا قاعيشات Goula-qâ'ishat» ولكن بتحفظ واحد يقضى بأنه ليس من حق هذه الأخيرة التصرف فى هذه الأموال دون موافقة زوجها

ويقتضى كذلك تحرير أو تبنى عبد اشتراك الشانجو : فى السنة التاسعة من حكم كيروش اعلنت السيدة هبتا Hibtâ سيدة العبد بازوزو Bazouzou امام شانجو سيبار أنها اعتزمت الاعتراف بهذا العبد ولدا لها بشرط أن يورد

لها — وفقا لنصوص اللوحة — ما يكفل معيشتها وما تتطلبه من طعام ودهون وكساء ، وقد حدد مدير المعبد بنفسه كميات المأكولات اليومية والتوابل والأقمشة وباقى الإتاوات التى يكون مجموعها الالتزامات المقررة على المتبنى .

ولم يكن القانون يسمح بأن يتزوج الرجل أكثر من امرأة فى وقت واحد لأنه لا يستطيع أن يعدل بينهما فان تزوج اثنتين — حتى ولو كانتا اختين — فإن أحداهما تكون فى مرتبة تقل عن مرتبة الثانية . وقد راعى القانون كذلك إحتمال زواج ثانٍ لأمرأة وقع زوجها الأول أسيرا فى يد العدو .

وقد ظل حق الزوجـــة الأم التى ترغب بعد ترملها فى البقاء فى بيت زوجها محفوظا لها فى عهد الملوك الأكينيين كما كانت الحال فى عهد الأسرة الأولى — من ذلك انه حدث فى عهد قمبيز أن أقسمت «اومُّوتابات Oummou-tabat» أرملة شاماش اوباليت Shamash-ouballit امام بعل اوباليت Bêl-ouballit كاهن سيبار أنها لا تريد أن تتزوج من جديد وأنها ترغب فى أن تعيش مع أولادها الثلاثة وتتولى تربيتهم حتى بلوغهم سن الرشد[1] . أما الأرملة التى كانت تفضل أن تنسحب من بيت أولادها وأن تتزوج مرة ثانية فانها تأخذ معها بائنتها وكل ما أعطاها أياه زوجها كتابة وعند وفاتها تقسم هذه البائنة حصصا متساوية بين أولادها . وهذه البنود (الشروط) هى نفس النصوص الواردة فى المادة ١٧٣ من قانون حمورابى . ويحدد القانون كذلك بدقة مركز البنات ولكننا نجهل ماهية هذه الظروف . وكذلك يحدد تركة الأب الذى تزوج مرتين ورزق أولادا من الفراشين فقد نص حمورابى فى المادة ١٦٧ من القانون على أن الأولاد لا يأخذون أنصبتهم تبعا لأمهاتهم بل يؤول الى كل منهم نصيب مساو فى الأموال المنقولة لبيت أبيهم. ولكن

(1) CXIV, Nbn. ; 243, 498, Cyr. 183: NBK. 283,. Cyr. 339 ; Camb. 113, 273.

الحال لم تعد كذلك فى القرن السابع فقد أصبح لأولاد الزوجة الأولى الحق فى ثلثى ثروة الوالد المنقولة جميعا على حين أصبح نصيب أولاد الزوجة الثانية مقصورا على الثلث فقط .

والقانون الذى نظم بدقة أحوال البنات اللائى يتزوجن لم يهمل أحوال البنات اللواتى ظللن بغير زواج : العذارى اللائى كُرِّسْنَ للآلهه أو العاهرات ، وقد كانت لهاته النساء فى عهد حمورابى حقوق شرعية فى أموال آبائهن ، ويستطيع الأب أن يمنح ابنته بائنة أما بنقل ملكيتها إليها أو بالاكتفاء باعطائها حق الانتفاع ، وهى فى الحالة الأولى تستطيع أن تتصرف فى هذه الأموال ، وفق هواها ، دون أن يكون لاخوتها حق محاسبتها على تصرفها ، أما فى الحالة الثانية فان الأخوة يتولون عند وفاة الوالد إدارة الأموال الثابتة ويوردون لها الريع من شعير وزيت وصوف بقدر نصيبها ، واذا حدث ما يدعو الى الشكوى من إدارتهم فانها تختار مستأجرا ولكنها لا تستطيع أن تتصرف فى الملكية لأن الرقبة لأخوتها ، واذا لم يقدم الأب بائنة لابنته العذراء التى ترهبت أو لابنته العاهر فان الواحدة منهما ترث حق الانتفاع فى حصة ولد على حين لا تحصل خادمة العبد (كادشتو) Kadishtou أو العذراء (زير ماشيتو Zêr-mashitou) فى نفس الموقف أكثر من حق الانتفاع فى ثلث حصة . وقد حصلت كاهنة مردوك فى بابل على ثلث حصة ولكنها متمتعة بحق الملكية المطلق على هذه الحصة : ومع ذلك فانها محرومة من حق الاشراف شخصيا على أراضيها رغم أنه من حقها أن تتصرف فى ملكيتها أو أن توصى بها الى من تشاء .

وكانت الكاهنات والعذارى اللائى كرسن الى المعبودات يستطعن أن يتزوجن شرعا ولكن لم يكن فى المستطاع لهن دائما التخلص من نذرهن ، واننا لنراهن كطرف متعاقد فى كثير من عقود مدينة سيبار حيث كان قد أنشىء محفل كبير فى ظل معبد شاماش . كما أنه كثيرا ما عقدت فيما بينهن

اتفاقات : مثال ذلك : حدث فى عهد حمورابى [1] ان اشترت الكاهنة « ريبا توم Ribatoum » « سار » من أرض مبنية كانت مملوكة للكاهنة ايا انيل رشيتيم Aïa-inil-rishêtim بثمن قدره ثلث مينا من الفضة .

وقد ظهرت العاهرات فى سومير منذ أبعد العهود . ونحن نعرف أن تلك التى أنقذت « انكيدو Enkidou » الشخصية الأسطورية من حياة الهمجية التى كان يحياها كانت احدى فتيات الهوى .

ولقد اتخذت عبادة الفاجرة عشتار المكانة الأولى فى مدينة أوروك التى كانت مكرسة فيما مضى للاله الاعظم أنو Anou وكان يوجد بها ثلاثة أنواع من العاهرات المقدسات : الكزريت Kizrête والسانهات Sanhate والحريمات Harimate « اللائى من اجلهن أبقت عشتار على الرجل وسلمته الى ايديهن » وكان يقال عنهن :

« لا تتزوج من حريماتو لا يحصى عدد أزواجها
لأنها فى مصابك لن تسندك
وستفترى عليك فى قضيتك
ليس الاحترام أو الخضوع من خصائصها
أنها ولا شك تقوض البيت — إخرجها منه
تلك المرأة التى تطيل النظر فى أثر كل رجل غريب
ان كل بيت تدخله ينهار ولا يفلح من يتزوجها »

ولم يكن يسمح فى عهد الأسرة الأولى للعاهرات أو المخنثين من رواد القصر بتنشئة أولادهم بل كان يعهد بهم الى من يتبناهم فاذا حاول أحدهم البحث عن أبويه الحقيقيين وأراد أن يعيش معهما فإن القاضى يحكم عليه بالموت . وفى الألف الأول كانت ترى فى بابل — حسب ما جاء فى كتاب

(1) LXXI, No 67.

باروخ Baruch [1] — « نسـاء متمنطقات بحبال جالسات فى الطرقات يحرقن نوى الزيتون لآلهتهن وكانت الواحدة منهن عندما يقع عليها الاختيار تنال باللوم جارتها التى لم ينلها التوفيق » ويزعم هيرودوت واسترابون انه كان على كل امرأة أن تفرط فى نفسها مرة الى رجل غريب عنها ... كان الرجال يمرون أمام النساء ويلقون بقطعة من العملة أية كانت قيمتها فى حجر المرأة التى يقع الاختيار عليها ولم يكن ليجوز لها أن تمتنع بل كان عليها أن تتبعه ...

« ومهما تبد هذه العادة وحشية فى نظرنا — وقد أصبحت من مقتضيات العبادة — فانه كان لها فى بادىء الأمر على الأقل هدف أسمى من مجرد ارضاء شهوة جنسية : انها كانت تضحيات حقيقية تقدم بها المرأة الى الآلهة أولى ثمار جسدها بأن تستسلم الى رجل غريب قبل أن تعطى نفسها لزوجها . وهذه التضحية شأنها شأن أية تضحية من نوع آخر قد تكون أليمة ومع ذلك فان الرضى بها كان محتوما ... « ولكن » — كما يضيف هيرودوت — « عندما تؤدى المرأة واجبها نحو الآلهة لا يصبح من الميسور اغراؤها بأى مبلغ يعرض عليها » [2] .

وتكشف لنا عقود من عهد نبوخودونوسور الثانى [3] ان ذرية اجيبى Egibi أحد أثرياء البابليين كانوا يربحون من دعارة جواريهم وهكذا اشترك نابوأهى ادين Nabou-ahê-iddin مع المدعو كالبا Kalbâ وسلم إليه خادماته على أن يكون نصيبه من الكسب ثلاثة أرباعه .

ولقد كان هدف المشرع البابلى فى جميع العهود حين يضع القواعد الخاصة بالمواريث وتقسيم الأموال حفظ كيان الأسرة : وقد حددت حقوق الفرد

1) Baruch, VI, 42 - 43.

(2) LXVII b., p. 250.

(3) CXIV NBK. 409, 679.

على وجه يضمن الابقاء على الرابطة العائلية أطول مدة ممكنة . ومع ذلك لم تكن هناك ألقاب عائلية . إلا أننا نجد حوالى القرن السابع فى الوثائق الخاصة اسم أحد الأسلاف ينتسب إليه جميع أفراد ذريته : اجيبى Egibi وموراشو Mourashou ... وكان الواحد من طبقة الأحرار يعرف قبل هذا العصر باسمه واسم ابيه « فلان بن فلان » أما العبيد فكانوا يعرفون باسم واحد فقط «فلان» . وكانت هذا الاسماء عند قدماء السوميريين وكذلك عند الاكاديين صيغا ورعة تمجد المعبود أو تضع صاحبها تحت حمايته . ونجد فى العهد قبل السرجونى اسماء اورنينا Our-Nina أى « خادم الإلهة نينا » وننشوبور امامو Ninshoubour-amamou أى « الإلهة ننشوبور أمى » وسيب لاجاش كياج Sib-lagash-kiag أى « أن راعى لاجاش مخلص »..

وفى العنصر السامى من عصر اجادة نستطيع أن نذكر نارام سن « المحبوب من سن » وفى عهد الامبراطوريه الجديدة نبوخودونوسر أى « نابو إحْمِ الكودورو » Koudourrou ولدينا من عهد نابونيد [1] دليل على الطريقة التى كانت تتبع أحيانا فى تسمية الطفل حيث نجد أنه بناء عل شهادة المدعو راموا Rmoua التى امَّن عليها نادين شوم Nadin-shoum أطلقت المرأة الجارية لوباللات Louballat اسم تَدَّانو Taddanou على الطفل الذى أتت به الى العالم» ومع ذلك فقد كان هناك أطفال بلغوا من العمر ثلاثة شهور أو أربعة لم تطلق عليهم أسماء بعد . كما أن بعض الأشخاص فى نفس العصر قد غيروا أسماءهم خلال حياتهم ... من ذلك أن الملك بعد أن رفع ابنته الى مرتبة كبيرة كاهنات معبد نانَّا Nanna فى أور منحها اسما جديدا هو : بعل شالتى نانا Bêl-shalti-Nana .

ولقد فرض الملوك البابليون والأكمينيون أسماء جديدة على الأجانب الذين يعينون فى خدمتهم . ولقد أدخل السلوكيون استعمال الأسماء اليونانية

(1) CXIV Nbn. 343.

التى انتشرت فى المجتمع الراقى دون أن يؤدى ذلك الى أن تتوارى الأسماء البابلية كلية على أية حال [١] ويظهر أن هذه التغييرات لم تكن بدعة : لأنه حدث خلال الأسرة الأولى أثنــــاء حكم ملوك أور بل فى العهد السابق للسرجونية [٢] أن رجالا بالغين حملوا أسماء مركبة تركيبا مزجيا من اسم الملك الحاكم مما كان يؤدى فى حالة قصر مدة حكم الملك الى إبدال الاسم باسم آخر . بل وأكثر من ذلك نرى خلال حكم لوجالاندا أن موظفا كبيرا يحمل اسم نينا اما لوجالاندا Ninâ-ama-lougalanda أى « الإلهة نينا هى أم لوجالاندا » . وهو اسم كان قد أطلق فى السنة السابقة على تمثال للأمير .

(1) I t. IX, p. 152.

(2) XXII, p. 15 et Suiv.

الفصل الثاني

التشريع

إن أهم اكتشاف يتصل بالتشريع البابلي هو العثور على «قانون حمورابي» ... ويطلق هذا الاسم على كتلة من الديوريت ارتفاعها ٢٫٢٥ مترا ومحيطها ١٫٩٠ متر عند القاعدة . وقد عثر عليها مكسورة الى ثلاث قطع بين خرائب سوسة في ديسمبر ١٩٠١ ويناير ١٩٠٢ . ويزينها نقش بارز [1] يمثل إله الشمس شماش . رب الحق يملي على الأمير البابلي «مراسيم العدالة» التي نقشت نصوصها على محيط الكتلة الحجرية . وفي الحالة الراهنة للأثر الذي اقيم فيما بين العام الأربعين والعام الثالث والأربعين من حكم حمورابي (حوالى ٢٠٨٣ ق. م) نستطيع ان نطالع مائتين وخمسين مادة من القانون في ستة وأربعين عمودا تتضمن على وجـــه التقريب ٣٦٠٠ سطر من النصوص . وقد محيت في العصور القديمة خمسة أعمدة أخرى على الواجهة وأغلب الظن أن ذلك تم بناء على أمر الملك العيلامي شوتروك ناهونتي الذي ربما كان يهدف الى أن ينقش شيء باسمه هناك كما يحدث بالنسبه للاسلاب الأخرى في الحروب . ولكن هذه الفجوة تعوضها بعض الاجزاء من نسخ قديمة محفورة على لوحات الطين وهي من الآثار الاشورية للعصر السرجوني أو تسد فراغها بعض المواد المتصلة بالقرض ذي الفائدة وعقود التوكيلات التي عثر عليها في خرائب نيبور .

وهو ليس قانونا بالمعنى الذي اعتدنا أن نسبغه على الكلمه أي مجموعه من القوانين التي تتضمن نظاما كاملا للتشريع . . وانما هو مجموعة من القرارات

(١) قارن شكل ٦ صفحة ٤٨

الملكية ، ومن الدساتير الخاصة بعدة موضوعات يستحسن أن تقارن بالعقود المحررة فى نفس العصر حتى نستطيع الوصول إلى فكرة أكثر دقة عن الفقه الجارى اذ ذاك .

ويمكننا أن نلاحظ أن هناك ترتيبا معينا فى تتابع مواد القانون :

الطلسمة «السحر» والرقى «السحر الأسود» (١ — ٢)

إهانة الشهود وحملهم على تزوير شهادتهم (٣ — ٤)

إبطال الأحكام بواسطة من يصدرها (٥)

مختلف أنواع السرقة (٦ — ٢٥)

أحوال والتزامات الموظفين (٢٦ — ٤١)

الزراعة (٤٢ — ٦٥)

ثم — بعد الفجوة —

القروض بفائدة (ا — حـ) ثم عقود التوكيل (١٠٠ — ١٠٧)

الحانات « بيع المشروبات » (١٠٨ — ١١١)

الديون وإجراءات المقاضاة الخاصة بها (١١٢ — ١٢١)

عقود الإيداع (١٢٢ — ١٢٧)

الأسرة (١٢٨ — ١٩١)

الضرب والجروح (١٩٢ — ٢٣٤)

الأطباء والمعماريون والبحارة (٢١٥ — ٢٤٠)

الحيوانات والعبيد والأملاك الزراعية (٢٤١ — ٢٥٢)

ولم يكن قانون حمورابى أقدم تشريع ظهر فى سهول الفرات : وهو — إن كان قد أصدر قوانين جديدة — فانما كان فى أغلب الأمر ينادى بأمور كانت اجبارية منذ أمد طويل .

ألم يشر «اوروكاجينا» الى النظم الجديدة التى وافقت عليها سلطته الملكية حين فاخر هذا الملك المصلح القديم بأنه منع الاستغلال والإساءة الى الغير فى

مدينته «لاجاش» وأنقذرعاياه من اللصوصية والقتل ومن ايذاء القوى للضعيف؟
ولقد جعل اور إنجور « العدالة تسود » . وفى عهد سومولا ايلو الأمير
الثانى للأسرة البابلية الأولى طُبِّق « قانون الملك » .

وعلى ذلك فقد كانت هناك احكام قانونية فى بعض المسائل أما حين لم
يكن هناك شيء من ذلك فان العدالة كانت تطبق وفقا للعرف المحلى . ولقد
كان الأمر كذلك فى حالة ترمل من عهد حكم حمورابى نفسه فان قضاة بابل
أصدروا حكمهم بأن « قانون أهالى (سكان) سيبار هو الذى سيسرى
على المتخاصمين » .

ومع أنه لامرية فى أنه كان يوجد مشروعون منذ العصر قبل السرجونى .
إلا أننا لا نعرف اسماءهم أو مدنهم وان كنا نعرف جانبا من الإنتاج السومیرى
(الاجراءات السومیریة) عن طريق مجاميع متأخرة : ففى مجموعة
انا اتّيشو Ana-ittishou يمكننا أن نقرأ مواد قانونية نستطيع أن نترسم
تطبيقها فى عقود وأحكام قضائية قبل عهد حمورابى : فاذا قال ابن لأبيه
« لست بأبى » فللأخير أن يسمه ويقيده ويبيعه وان قالت زوجته لزوجها
« لست بزوجى » فانه يلقى بها الى النهر ... واكثر من ذلك نرى أن ما نشر
أخيرا من أجزاء وقطع غير مؤرخة للقوانين السومیریة يشجعنا على الأمل
فى العثور على مستندات أكثر كمالا ... وبعض هذه القطع من نيبور [1] .
والبعض الآخر من مصدر مجهول وتكون جانبا من المجموعة المعروفة
بـ « قوانين (الإلهة) نيسابا و (الإله) حانى » [2] .

أما فيما يخص التشريع اللاحق لعصر حمورابى فاننا نعرف القليل
كذلك . . . فهناك جانب من نص فى المتحف البريطانى يحوى إما احكاما
قضائية او مقتطفات من قانون . ويمكن مقارنة المواد المختلفة بحالات عديدة .

---

(1) I, t. XVII, p. 35.

(2) XXVIII, t. I, No 28

لنظائر لها عثر عليها فى لوحات من العهد البابلى الجديد.

* * *

وفى العهد ما قبل السرجونى نجـــد فى لاجاش ذكرا لقاض يدعى اورانينى Our-enini ولقد كان جيميل إيليشو Gimil-ilishou فى عهد « نارام سن » قاضيا كذلك وهو الذى حفر على خاتمه الاسطوانى مشهدين للصراع بين البطل جلجامش والاسد والثور. ولقد كان القضاة كثيرين فى عهد اور فهناك بطاقة على سلة لوحات تذكر أربعة منهم فى العام الأول لـ «جيميل سن» Gimil-sin وكانوا يعقدون جلساتهم فى الواقع فى مكان خاص وكان عددهم يبلغ الأربعة أحيانا وأحيانا أخرى ثلاثة وطورا اثنين وتارة واحدا بمفرده وقد أصدر الحكم يوما فى مطالبة خاصة ببقرة أحد القضاة وعمدة المدينة. ولدينا حكم آخر أصدره الوزير الأعظم الذى كان المدعى قد رفع دعواه أمامه. ولكن الوزير الأعظم هذا واسمه اراد نانار Arad-nannar كان فى نفس الوقت ايشاكو لاجاش وربما كان يمارس عمله فى المحكمة بوصفه هذا الآن أحكاما كثيرة لانجد ذكرا فيها لقاض بل نجد اسم الايشاكو الذى اعتاد على أية حال أن يتدخل شخصيا لإبطال الأحكام. وكان يوجد فى نفس العصر « مكان حلف اليمين باسم الملك» [1] حيث يطلب الى المدعى والمدعى عليه والشهود أن يحلفوا اليمين على صحة ما يقدمون من إقرارات.

وفى الأسرة الأولى كانت المحاكم الابتدائيه تصدر الأحكام وكان الاستئناف ضد احكامها يرفع الى الملك ولكنه كان محرما على القاضى — لأى سبب من الأسباب — أن يغير حكما اصدره وكانت عقوبته العزل إن هو أقدم على ذلك. ويقرر حمورابى « ان حكم قاض فى قضية وأصدر حكما وحرر لوحة ثم ألغى هذا الحكم، فانه يحاكم على إلغاء الحكم الذى نطق

---

(1) XIX Nos. 810, 733, 748, 832. 920, 746, 932, 744, 963, 928, 1010, 960.

به وعليه أن يدفع ١٢ ضعفا لما سبق أن حكم به ثم يطرد من منصبه القضائى ولا يعود إليه مرة أخرى بل ولا يجلس فيما بعد مع قاض فى أية قضية ».

وكانت العدالة الملكية تظل الامبراطورية جميعا وكان المتخاصمون يدعون شخصيا للحضور الى بابل للمرافعة فى قضاياهم وأحيانا أخرى كانت تخول سلطة البت الى مندوب يفض النزاع محليا. وكانت المحاكم الابتدائية على نوعين: كهنوتية ومدنية ويظهر أن كل معبد كان من حقه أن يصبح مكانا لتقرير العدالة وكان فى استطاعة كهنته أن يصدروا الأحكام. وكان الكهنة والكاهنات - تبعا للقضايا — يجلسون عند بوابة المكان المقدس أو فى قاعة خاصة. وكان عددهم يبلغ الستة أحيانا فى القضية الواحدة ولم يكن القضاة الجالسون فى المحاكم المدنية بأقل من ذلك عدداً. وكانوا غالبا — ان لم يكن دائما — رجالا محترفين ذلك لأنهم كانوا يحملون لقب « قاض » حتى وهم خارج دائرة أعمالهم — مثال ذلك أنهم كانوا كذلك حين يكونون مجرد شهود عاديين عند تحرير عقد.

وكان المتبع أن تدون الأحكام القضائية وكان العقد يحرره كاتب فى صيغة دقيقة مختصرة تسير على نمط واحد فى المدينة الواحدة وان اختلفت فى مدينة عنها فى أخرى. وكانت تذكر بها العناصر الخاصة لكل قضية وكذا قائمة بالشهود كما يضيف اسمه عادة. وكان يذكر التاريخ كذلك وكانت الوثيقة تصبح رسمية بمجرد وضع الأختام. وكانت النسخة الأصلية توضع غالبا فى غلاف تكتب عليه تفصيلات الوثيقة وكان هو وحده أحيانا الذى يوضع عليه طابع الأختام الاسطوانية وكانت تعد نسخة لمن قد يرى له مصلحة فى المستقبل لتقديمها. كما كانت توضع أخرى فى سلة المحفوظات وأغلب الظن أن لوحات أور من هذه المجموعة الأخيرة حيث جمعت أحكام عديدة من أنواع مختلفة.

* * *

وكان عدد القضاة الجالسين فى عصر الامبراطورية الجديدة — كما كانت الحال فى العصور السابقة — يبلغ ثلاثة أو أربعة وكان يوجد كذلك قاض واحد أحيانا . وكانت القضية تبدأ بشكوى يقدمها المدعى شخصيا أو عن طريق الغير . وكانت ادلته تفحص ثم يستدعى المدعى عليه ليدلى بحججه ثم ينطق بالحكم . وحين يتعذر تقديم لوحة كان يقبل — كدليل — يمين الكاتب الذى حررها أو أحد الشهود : وقد حدث فى عصر قمبيز أن باع أخوان جاريتين الى بابلى فأتى رجل ثالث كان شاهدا من شهود البيع ليحلف اليمين أن الثمن قد دفع فعلا . وعلى أية حال فان بعض المشاكل كان يفض خارج المحاكم . فقد حدث نزاع بين امرأة تزوجت للمرة الثانية وبين ابنها بشأن بعض العبيد . وقد أنهى الآخير النزاع بأن أعاد إليها عبيده الذين كان يمتلكهم كما عرض عليها أن يدفع ٤ مينات تعويضا عن عبد كان قدمات فى بيته . وكان يعين أحيانا محكمون كالعضو الأكبر فى العائلة على سبيل المثال .

ومنذ أقدم العصور حتى آخر أيام الامبراطورية كان يكون شيوخ المدينة محكمة لا نستطيع أن نحدد مدى اختصاصها . ولقد كانت تختارهم فى فترات معينة — أو تؤيد تعيينهم على الاقل — السلطة الملكية ، وكانوا يختارون أحيانا من بين النساء — ولا سيما من بين كاهنات المعابد . وفى عهد الاسرة الاولى عارض « ابيل ايليشو Apil-ilishou » فى حقوق بالاشماش Pala-shamash على ممتلكات معينة هى : بيت وقارب وعبيد وفضة وقد أيد شيوخ المدينة الذين عرضت القضية عليهم حق بالاشماش .

* * *

وكان الشهود فى المحاكم مقسمين الى فئتين : فكان بعضهم يكون نوعا من المحلفين هم فى أغلب الأمر نفس الأشخاص رجالا أو نساء الذين نجد أسماءهم تتردد فى الاحكام . وهم يمثلون جمهرة الناس الذين تنفذ أحكام العقوبات بحضورهم كالجلد مثلا أو عزل قاض عدل حكما سبق ان اصدره .

وأما البعض الآخر فكانوا يشهدون بمعلوماتهم عن القضية ويؤيدون شهادتهم بحلف اليمين . وهناك أمثلة كثيرة على ذلك منذ عصر اور . ولقد نص قانون حمورابي على حالة شاهد الاثبات الذى لا يستطيع إثبات اقواله فى الحالات الخطيرة التى يترتب عليها الحكم بالاعدام كان الشاهد نفسه عرضة لأن يلقى نفس المصير . وأما فى الشئون المالية فانه يدفع المصاريف . وقد عالج القانون كذلك أمر اختفاء شيء من بيت صاحبه الشرعى والعثور عليه عند آخر حصل عليه من طرف ثالث . وكان على كل أن يستدعى شهوده الى المحكمة : « يمحص القاضى أقوالهم وأقوال الشهود الذين تم الشراء أمامهم ثم يدلى الشهود الذين عرفوا السلعة المفقودة بمعلوماتهم فى حضرة الإله . أما البائع فيعامل كلص . ويستعيد المالك سلعته كما يستعيد الشارى ماله الذى دفعه من بيت البائع » وكان هناك افتراضان آخران فى مثل هذه الحالة تجب مواجهتهما اذا ما غاب أحد الطرفين عند الاتيان بالبينة . وقد كان ذلك هدف المواد التالية : ان الشارى أو البائع الذى لم يحضر شهودا يعتبر سيء النية وقد يحكم عليه بالاعدام . ويستطيع القاضى على كل حال أن يسمح بالتأجيل ان كان الشهود على سفر أو لم يكونوا يسكنون (يقيمون) فى جهة قريبة ولكن مدى التأجيل لا يجوز أن يتعدى الستة الشهور .

وكان الشهود ضروريين عند تحرير عقود غير رسمية لما قد تثيره مستقبلا من خصام أو نزاع . فهم فى أغلب الأمر أفراد لهم مصلحة فى معرفة موضوع العقد فشارى العبد أو البيت يطلب مساهمة أولاد البائع حتى يجتنب المضايقات عند تقسيم التركة . وكان أى شراء من أشخاص معينين يتطلب تحرير لوحة وحضور طرف ثالث والا كان المشترى يجازف بأن يعد لصا يستحق عقوبة الموت : وهكذا كان الأمر بالنسبة لشراء الأغنام والثور والعبد من ابن أو عبد الغير . وقانون حمورابى صريح واضح فى هذه الناحية . وكان ايداع الأشيــاء الثمينة يتم كذلك أمام الشهود والا فان القاضى لا

يتدخل اذا ما حـــدث نزاع .

* * *

واذا لم يكن فى الاستطاعة فض قضية مدنية بالطريق الودى فان أحد الطرفين يقدم شكوى فان لم يحضر الطرف الآخر امام المحكمة من تلقاء نفسه فانه يُعلن بضرورة الحضور وكان الاتفاق يتم فى أغلب الأحيان بين المتنازعين على عرض الأمر على قضاة يقرزون فيه ما يرون . ولعل هذا هو السبب فى أنه عنـــد تحرير اللوحات كان يعتبر الطرف الخاسر عادة كأنما هو المدعى أو الشاكى أما الذى يحكم لصالحه فيعتبر مدعى عليه . ويصغى القاضى لأقوال الطرفين ثم يفحص المستندات المقدمة ويستمع الى شهادة الشهود . وفى حالة عدم وجود مستندات مكتوبة أو لم تكن فحواها تسمح بحل للمشكلة فان القاضى يطلب الى هذا الطرف أو ذاك اداء اليمين كما يطلب ذلك أحيانا من الشهود . وكانت اليمين تؤدى باسم الآلهة طبقا لعادة ترجع الى عهد ما قبل السرجونية بل فى الغالب الى عصور سابقة له . ومنذ عهد أور حتى أيام الأكمينيين كان يحلف باسم الملك أيضا . ولم يؤثر هذا على أية صورة على مظهره الدينى اذ ان الملك نفسه كان مؤلها . وأما فى عهد الأسرة الأولى فان أسماء الآلهة وأسماء الملوك الحاكمين ارتبطت ببعضها فى أغلب الأحيان فى الصيغة التقليدية . وكان حلف اليمين يتم عادة فى المعبد حتى وان كانت القضية منظورة أمام المحكمة المدنية —بحضور رموز دينية معينة . وكانت هناك حالات تؤخذ فيها هذه الرموز الى خارج حرمها المقدس : وقد حدث ذلك مثلا فى نزاع على أرض مبنية كان المدعى عليه ملزما بأن يثبت حقوقه فى المكان موضوع النزاع أو « يمسح واجهة » بيته تبعا للاصطلاح المعروف .

وكان الشاكى الذى أصيب فى أملاكه الخاصة أو نهبه أحد المغتصبين مثلا يؤيد باليمين الضرر الذى لحق به حتى يحصل على تعويض من المجموعة

الاجتماعية التى أصابته الاضرار على أرضها . وفى حالة ايداع المحصولات كان المودع يحلف بقصد استرداد محصوله ان كان المودع لديه ينازع فى مجموع الكمية . وكان «المعدّاوى» الذى يُغرق أحد المراكب قارب التعديه الخاص به يحلف كذلك حتى يحصل على تعويض مناسب — وكان الرجل فى حالة النزاع المدنى أو الجنائى يستطيع أن يستنقذ نفسه بتأييد اقراره بحلف اليمين وقد كان ذلك مركز الرجل الذى يقبض على عبد آبق حين يموت الأخير قبل ان يعاد الى مولاه أو الزوجة التى يتهمها زوجها بالزنا مع أنه لم يُقبض عليها فى حالة تلبس أو الرجل الذى جرح أو قتل — عن غير عمد — خصمه فى العراك .

وكان حلف اليمين يلعب دورا آخر كذلك بعد النطق بالحكم فالطرفان المتنازعان كانا يتعهدان أمام الآلهة باحترام الحكم كأمر نهائى غير قابل للتعديل وقد أضيفت فقرة خاصة فى هذه المناسبة حتى لا ينظر فى النزاع من جديد وحتى لا تقام دعوى جديدة وكان يوضع أحيانا شرط ينص على عقوبة أو تعويض على من يخالف ذلك .

أما البابليون الجدد فغالبا ما استبدلوا اليمين بلعنات تصب على من يغير القرار الذى صدر : « الا فليكتب عليه مردوك وزربانيتوم الخراب » كما جاء فى عقد من عهد نبوخودورسور : ولدينا من عهد كيروش الأنزنى « ان من يحاول تغيير هذا القرار ... الا فليلعنه أنو وايلليل وإيا ... الا فليضع نابو كاتب الإيساجيل حدا لمستقبله » (حرفيا : يضع نهاية لمستقبله)

* * *

وكانت أحكام القضاة تتناول كل شىء وفى الغالب لم يكن يرد أى ذكر لأسباب النزاع فى لوحة الحكم ولذا فاننا نراها تتناول مثلا شراء عقار عارض فيه أبناء البائع ولم تؤد معارضتهم الى نتيجة . وفى عهد « سن مو باليت» نجد أنه بعد أن باع رجل وابناه بيتا يحاول أحد الولدين أن يتراجع فى

الصفقة وقد حكم عليه ان يوسم على الجبهة . وقد أدت الايرادات المتنوعة — وخاصة تلك التى كانت مقررة قانونا لبعض الوظائف المقدسة — الى رفع قضايا من وقت لآخر . وكان القضاة يحددون أنصبة الشاكين المستحقة لهم أوهم يرفضون الشكوى لأنهـا لا تقوم على أساس . وكان تقسيم الميراث كذلك سببا لتدخل المحاكم ... فى العام الثالث والثلاثين من حكم حمورابى لم يستطع أخوان أن يصلا الى اتفاق بشأن تقسيم أملاك والدهما المتوفى فتولى المدعو ندنات سن Nidnat-sin « تقسيما عادلا » ولم يكن فى الاستطاعة تصفية الشركة دون تدخل المحاكم بل انه كانت تحدث فيها خلال قيامها بعض المشاكل التى لا تحل بغير الطريقة المذكورة ، فى السنة الرابعة والثلاثين من حكم حمورابى رفع اريبام سن Eribam-sin دعوى ضد الاخوين تسللى عشتار Tsilli-ishtar وأويل ايلى Awil-ili بخصوص بيت وممتلكات أخرى إقتنوها . وذكر المدعى أنها كانت قد اشتريت بمال شركة بينهما وبينه وقد أثبت المدعى عليهما عدم صحة ذلك وانهما دفعا ثمنها من مال أرسلته الى تسللى عشتار أمّه وهكذا كسبا قضيتهما .

وقد تناول القانون حالة رجل هجر زوجه وذهب الى مدينة أخرى وعندعودته فيها بعد ودّ لو يتابع الحياة الزوجية ولكن القانون انكر عليه هذا الحق . واذا كانت زوجته تزوجت مرة أخرى فانها تبقى مع زوجها الجديد. وهناك حكم صادر فى سيبار فى السنة التاسعة لحمورابى هو تطبيق عملى للعرف القديم الذى بنى عليه هذا النص القانونى . فان المدعو سن ناتسير Sin-natcir الذى هجر زوجته مدى عشرين عاما وعندما توفيت عاد ليطالب بميراث أوصت به لابنتها هو لاتوم Houlatoum التى كان من الواضح انها أمة . وقد اجتمع « رابينو سيبار » و « كار سيبار » وقررا أن « سن ناتسير » قد ترك زوجه « ليتابع حظه وانه لم يكن يحبها » وقد انزلا « به اللوم ورفضا أن يجيباه الى طلبه» . وكذلك ادعت « امات شماس Amat-Shamash أنها الأبنة

المتبناه لشماس جاميـــل Shamash-Gâmil وزوجه أومّى اراهتـــوم Oummi-arahtoum ولم تكن لديها لوحة كما لم يستطع شهودها أن يأتوا بأدلة مقنعة فطلب القضاة إلى أومّى اراهتوم المدعى عليها حلف اليمين، ورفضوا دعـــوى المدعية. وكذلك نازع بابليتوم Babi;itoum كلا من إريش ساجيل Erish-Sagil وأوبارنابيوم Oubar-Nabioum ومردوك ناتسير Mardouk-natsir بقصد الاستيلاء على نصيبه من ميراث فمنحه اياه القاضى.

ولم تكن كل محكمة مختصة بالنظر فى كل القضايا اذ حدث انه فى العام الثامن والعشرين من حكم حمورابى رفض قضاة بابل قبول قضية لأن المدعى كان قاطنا فى سيبار وتبعا لذلك لم يكن له الحق فى أن يتقدم بشكواه أمامهم.

* * *

وفى عدد من الحالات حدد قانون حمورابى العقوبات التى يستطيع القضاة توقيعها وكان من الممكن أن يصدر حكم الاعدام على من عمل سحرا لآخر ولا يستطيع اثبات التهمة عليه وكذا على شاهد الاثبات المزور فى قضية جنائية وعلى سارق كنوز المعبد أو القصر وعلى من يخفى أشياء مسروقة وعلى اللص الذى لم يستطع أن يعيد المنقولات ذات القيمة التى اغتصبها ويدفع التعويض القانونى وعلى بائع الأشياء المسروقة ومخفيها وعلى كل من اشترى أو أخذ وديعة دون لوحة أو شهود من يد قاصر أو عبد وعلى من ادعى دون بينة ملكية شىء مسروق. وكان الموت عقوبة من يمنح فرصة الهرب الى عبد أو ايواء عبد آبق أو قبول خدماته اذ أنها جميعا تعتبر سرقة. وكان هناك قانون سوميرى قديم يعاقب المرء بقانون «الرأس بالرأس» فإن لم يكن يملك عبدا فغرامة ٢٥ شاقلا من الفضة أن كان قد آوى عبدا آبقا مدى شهر. وكانت عقوبة الموت تنفذ على قاطع الطريق أو الجندى المتمرد حتى وان كان قد أحل آخر مكانه. وكان الضابط الذى أباح الابدال

يلقى نفس العقوبة وكانت تنصب كذلك على المحافظ أو الحاكم الذى ينتقص من امتيازات الضباط وعلى تاجرة المشروبات التى تؤوى الثوار وعلى الرجل الذى يغتصب فتاة وعلى من يحتال على جراح بقصد وسم عبد بعلامة امتناع البيع. وهكذا — طبقا للقوانين السوميرية الخاصة (بالإلهه) نيسابا والإله حانى نجد أن مغتصب الفتاة الذى رُفض تزويجه منها يجب أن يعدم . وفى جميع هذه الأحوال لا يوضح القانون نوع الميتة التى توقع على المجرم. وهو فى بعض الأحيان أكثر صراحة ولقد كان الموت غرقا ينفذ فى مستأجرة الحانة التى تبيع مشروبات أعلى من السعر القانونى وترفض الثمن شعيرا أو تطلب سعرا أعلى بالفضة وكذا على الزوجة التى سُجن زوجها وذهبت لتعيش مع رجل آخر رغم وجود موارد كافية ، وعلى ربة الدار سيئة التدبير والمتسكعة التى بددت مال زوجها وأرادت أن تهجره . ولقد كان ذلك كذلك فى القانون السوميري القديم بالنسبة للزوجة التى تحاول الطلاق . وكانت نفس العقوبة توقع كذلك على الزانية وشريكها فى الإثم . وعلى الحما وكنته اللذين يرتكبان زنا المحارم فكان الواحد منهما يقيد الى الآخر ثم يلقيان فى الماء . وكانت عقوبة الحرق توقع على الأم والابن المتهمين اللذين تثبت عليهما هذه الجريمة كذلك ، وعلى الكاهنة التى تفتح حانة أو تذهب إليها لتتعاطى شرابا ، وعلى الرجل الذى يستغل فرصة حدوث حريق للسلب . وكان الخازوق عقاب الزوجة المتهمة فى أمر قتل زوجها بقصد التزوج من آخر .

وأخيرا فان عقوبة الموت تطبق عملا بمبدأ القصاص (العين بالعين والسن بالسن) وذلك فقط حين يصيب الضرر رجلا من ذوى الحيثية . فاذا مات رجل حر مرهون بسبب دين فى بيت الدائن من أثر الضرب أو سوء المعاملة فان ابن الدائن يحكم عليه بالموت . واذا أجهضت فتاة حرة فماتت نتيجة ضربات فان ابنة الضارب تموت . واذا انهار بيت لم يُعن ببنائه فمات بسبب ذلك صاحبه وابنه فان عقوبة الموت توقع على المعمارى وابنه .

ويمكن أن ينفذ الموت بطريقة غيرمباشرة بسبب التجربة القاسية المقررة فى مادتين من مواد القانون : لحالات أولئك الذين يعتقدون انهم كانوا ضحية سحر عمل ضدهم ولحالة الزوجة المتهمة بالزنا دون أن تمسك فى حالة تلبس .

وكانت المحكمة تأمر بقطع لسان الطفل الذى هجره أبواه للدعارة أن هو انكر ابويه اللذين تبنياه . وبقلع عينيه أن هو هجر بيتهما ليعود الى بيت أبيه أو أمه . وكان قطع اليد عقاب الأبن الذى يضرب أباه، أو الجراح غير الماهر الذى يفقأ عين المريض — ان كان من طبقة الأحرار وهو يفتح الغشاء بالمشرط ، أو الذى يسم عبدا بعلامة عدم امكان البيع دون علم سيده من تلقاء نفسه ، أو المزارع الذى يسرق الغلال أو المزروعات .

وكان قطع الثدى عقوبة المرضع التى ترضع طفلا آخر فيموت الأول نتيجة إهمالها وذلك اذا كان الارضاع دون إذن من أبوى الرضيع ؛ أما العبد الذى ينازع فى حقوق مولاه عليه فعقوبته قطع الإذن : وهناك قانون سوميرى ينص على بيع المذنب فى هذه الحالة الأخيرة .

وكل من ضرب شخصا من مرتبة أعلى من مرتبته على يافوخه فانه يمكن جلده علنا بسوط من جلد الثور ستين جلدة . وكان النفى عقوبة الأب الذى يتصل بابنته اتصالا جنسيا .

وكانت هناك تدرجات فى التعويضات عن الاضرار تتراوح بين ثلاثة أمثال وثلاثين ضعفا من قيمة الشىء المطلوب استرداده . وكانت الثلاثة أمثال تدفع عن المبالغ التى يأخذها الكاتب من وكيل الأعمال . وخمسة الأمثال للعميل غير الأمين مما احتفظ به لشخصه أو للشىء المسروق الذى باعه اللص ان مات صاحبه قبل أن تقتص له العدالة واستطاع الشارى أن يثبت حسن نيته . وستة أمثال للمال الذى يدعيه بغير حق صاحب عمل على موظف عنده . وعشرة أمثال للشىء المسروق من موشكينو أو الحيوانات

التى يبيعها الراعى خلسة . واثنى عشر ضعفا لقيمة الشىء المتنازع عليه ان ألغى القاضى حكما سبق ان اصدره . وثلاثين ضعفا لقيمة الشىء الذى يسرق من معبد أو القصر .

وكانت المحكمة تقدر قيمة الاضرار التى يسببها قطاع الطرق . وكانت المدينة وحاكم المقاطعة التى حدث بها النهب يعتبران مسئولين . وكانت المحكمة تعاقب المزارع المهمل بأن يدفع ما يعادل المثل من الانتاج فى الضياع المجاورة .

وكانت المحكمة تطبق التعويضات المختلفة التى يحددها القانون فى حالات الحوادث التى تسببها الحيوانات أو الجروح المتعمدة حين لا يكون من تحل به رجلا حرا ومن ثم فان « قانون القصاص » (العين بالعين والسن بالسن) يكون غير معمول به .

الفصل الثالث

النظام الاقتصـــادى

١ — الملكية العقارية

كانت الملكية العقارية فى سومير واكاد منذ أبعد العهود فى أيدى أفراد أو هيئات اجتماعية وتشهد بذلك عقود البيع الخاصة بالعهد قبل السرجونى. وكانت للمعابد حقولها ورياضها وكان لزوجة الايشاكو ولأولاده أراضيهم الخاصة . ولم يكن بيت الفقير دائما فى منعة من جشع الغنى بل كثيرا ما كان الكاهن ينهب بستان أمه . والظاهر أنه منذ ذلك العهد كان الأمير يكافىء خدمه الأوفياء بمنح من الأرض أما بصفة دائمة أو بحق الانتفاع فقط .

ويثبت العقد الذى اشترى الملك « مانيشتوسو » بمقتضاه ضياعا متعددة قيـــام ملكية مشتركة جنبا الى جنب مع الملكية الخاصة وقد جاء فيه ذكر مزرعة حددتها قناتان وكذا قبيلة وفرد من الناس . وقد بلغت مساحة إحدى قطع الأراضى اكثر من ١٣٥٠ هكتارا على حين تبلغ الأخرى بالكاد ٣٦ هكتارا .

وقد ميز قانون حورابى ما بين الأملاك الخاصة وممتلكات الايلكو . وكان الملك يتنازل عن الأخيرة كمكافأة عن خدمات عامة وهى لا يمكن أن يتناولها البيع أو الحجز أو الرهن أو نقل الملكية على أية صورة الا للوريث الذكر بشرط اداء الالتزامات المقررة وكان التصرف فى الأملاك الخاصة نفسها خاضعا لقيود فى مصلحة العائلة . ومن حيث المبدأ لا يمكن بيعها سوى أداء لدين . وكان للمرأة المتزوجة حق الانتفاع على بائنتها اما الرقبة فلاولادها أولاخوتها ان لم يكن لها أولاد . أما الكاهنة أو العاهر



(شكل ١٠)

كودورو (متحف اللوفر. وفد فارس)

فكانت لهما حقوق أوسع اذا كان الآب قد نص فى لوحة احداهما على حرية التصرف . وربما كان لكل عائلة حق الشفعة على الأملاك التى اضطرت من قبل الى بيعها .

* * *

وكانت بعض المدن تمتلك فى العهد الكاسى أملاكا عقارية ضخمة كما كان الأمر كذلك بين القبائل التى استقرت فى سومير القديمة قرب شواطىء الخليج الفارسى وذلك عقب الاضطرابات التى حدثت فى بلاد بابل كأثر للغزو الحيثى . وقد اعتاد الملوك أن يشتروا ضياعاً من هذه المدن أو القبائل لمنح مكافآت عن خدمات تم اداؤها للدولة أو لاظهار الشكر للآلهة أو بقصد تخصيص اقطاعيات لأولادهم وهم لم يكتفوا بتحرير مستند الملكية المعتاد على لوحات الطين فقط بل أرادوا أن يضعوا كذلك الأراضى التى منحت حديثا فى حفل على تحت رعاية الآلهة . ولقد حفروا على كتلة بيضية أو لوحة من الحجر أو الآجر زموزا دينية وعقد المنحة ثم لعنات على كل من يعارض أمرهم . وهذه المستندات المسماه كودورو Koudourrous (أحجار الحدود) التى كان يفترض فيها اصلا ان توضع على الأملاك نفسها لتستبق الحماية الإلهية عليها أطلق عليها البابليون كذلك اسم نارو Narû (لوحات) ويظهر أنها كانت

توضع فى المعابد[1] .

وكان للقبائل التى حلت فى جنوب بلاد بابل رؤساء ومديرون. وقد استقرت كل منها فى أراض تختلف رقعتها ضيقا واتساعا وهناك قامت مدنهم وقراهم .



(شكل ١١)
كودورو (متحف اللوفر . وجد فى فارس)

وكانت هذه القبائل تمتلك جزءا من الأراضى كما كانت الحال بالنسبة لكل مدينة ولكل قرية ولبعض العائلات. وكانت هذه الأراضى كلها مقسمة الى قطع يستغلها الأفراد وهى قطع لم تختلط ببعضها وان تشابكت، لأنه رغم الثورات والغزوات ظلوا يدركون كيف يمسحون الأراضى ويعينون حدودها كما كان يفعل أسلافهم منذ الف أو خمسمائه عام . وحين انتقلت المقاطعة من القبيلة الى يد الملك اصبحت ملكا خاصا . ولما كان الرئيس قد وافق باسم المجموعة على البيع ولما كان الثمن قد دفع للمالك وكان الجيران قد دفعت لهم التعويضات — ان كان لهم فيها حق ما — فان هذه المقاطعة أصبحت لا يجوز ردها الى القبيلة أو البائعين أو الورثة مهما تكن الأسباب ... وقد عنى بالنص على هذه الشروط .

وكانت الاقطاعية التى كونها الملك تمنح بصفة نهائية وتورث — وليس بصفة مؤقتة — كما كانت الحال بالنسبة لأملاك الايلكو فى العهد السابق .

(1) cf. XVIII, XC, XLIV, XLVIII ; fig. 10 et 11.

وقد ظل المنتفع بالهبة خاضعا للالتزامات والضرائب المفروضة على الإقطاعية ما لم يحصل على لوحة إعفاء وهو أمر كان كثير الحدوث .

وكانت الأرض البور من حق أول من يشغلها وتصبح ملكا لمن يصلحها . وقد منح الملك مليشيباك Mélishipak ابنته هونوبات ناناى Hounnoubat-Nanaï ضيعة على حافة أرض البحر . وقد اهتم بأن يقرر انه صاحبها الشرعى لأنه اصلحها وانشأ فيها مشروع رى وخزانا وجعل الأرض صالحة للزراعة كما انشأ ثلاث قرى [1] .

وكانت الملكية العقارية فى الواقع خاضعة لحقوق الارتفاق لمصلحة الجيران وخاصة فيما يتصل برى الأراضى وكان للحاكم حق المرعى وباكورة المحصول والهشيم واستدعاء الرجال والحيوانات والعجلات لأعمال السخرة وصيانة القنوات والمخاضات والطرقات . وقد ورد بيان تفصيلى عن مدى الالتزامات الخاصة بالمنافع العامة فى قرارات الإعفاء التى يصدرها الملك من هذه الالتزامات . من ذلك اننا نقرأ على كودورو مليشيباك لصالح ابنته أن « صغار الماشية وكبارها والضرائب والسخرة وتنظيف (تطهير) الترع والقنوات والعمل فى الخزانات وجمع العمال للترع وتجهيز العجلات وأعمال الحرث وقطع وحصد الهشيم والأعشاب والخراج الملكى مهما يكن ... لقد ختم لوحة إعفاء القرى وسلمها اياها » وقد وضع الملك الصيغة تحت رعاية الآلهة حتى يدعم ارادته مستمطرا سخطهم على كل من يرغب فى أن « يأخذ من هذه القرى ماشية صغيرة أو كبيرة أو يخضع سكانها لالتزامات أو سخرة أو أى خراج ملكى مهما يكن ومهما تبلغ ضآلته » .

وحين أقطع « ماليشباك » نفسه ابنه « مردوك أبال أدين Mardouk-apal-iddin » اقطاعية لم يكن أقل وضوحا فى ذكر الالتزامات التى اعفاه منها [1]

(1) XVII', t x p. 87

(2) XVIII. t II, p. 99

« أن اعفاءه يسرى على الصورة التالية : لا تؤخذ ضريبة على باكورة ثمار أرضه ولا العشور ولا يستدعى رجال اقطاعيته ضمن الفرق التى تشكل فى مدن ناحية نينا اجاده Ninâ-Agadé للسخرة أو للعمل أو للتوقى من الفيضان أو لصيانة وتدعيم الجسور للقنوات الملكية أو حماية مدن بيت سكاميدو ودامق اداد Bît-Sikkamidou ; Damig-Adad وهم ليسوا ملزمين بأن يسخروا للعمل فى سد القناة الملكية ولاقامة الجسور ولاغلاق أو تطهير قاع القناة ولا يستطيع أى حاكم لـ « بيت بير شادورابو » Bît-pir-shadourabou أن يخرج من اقطاعيته مزارعا من أراضيه اجنبيا كان أو مواطنا ، ولا يجوز الاستيلاء عن طريق أمر ملكى أو أمر من الحاكم أو أمر إنسان كائنا من يكون على أخشاب أو حشائش أو هشيم أو شعير أو أى محصول آخر أو عجلات أو كدنها أو حمار أو رجل . كما لا يجوز سحب ماء من ترعة الرى عند عدم وجود ماء كاف فى القناة الموصلة بين راتى انزانيم Ratî-Anzanim وقناة الإقليم الملكى . كما لا يجوز أخذ مياه من جدول خزانه أو تقسيم الرى الى قسمين ومد أملاك أخرى بمياه منه بقصد الرى أو الزراعة ولا يجوز قطع الحشائش من أرضه كما لا يجوز أن تساق حيوانات الملك أو الحاكم إليها أو جمع حشائشها للعلف وليسوا ملزمين بتعبيد طريق أو كوبرى سواء اكان ذلك للملك أم للحاكم أو بتنفيذ اية سخرة جديدة يفرضها ملك أو حاكم فى المستقبل اواية سخرة زالت أريد العود إليها » .

والأرض الفيضية التى تكون سهول دجلة والفرات خصبة بطبيعتها ما دامت هناك عناية بعمليتى الصرف والرى فيها ولقد أدرك ذلك أقدم سكانها وقلما نجد ايشاكو من لاجاش مثلا منذ عهد الملك المسن « اورنينا » لا يفاخر بأنه شق قنوات وبذل الكثير من العناية فى سبيل الرى . وقد استلزم شق هذه القنوات قيام أعمال « لا بد انها تتطلب سلسلة من المعلومات والمناهج القائمة على الفن الهندسى ما لم نفترض أن اقامتها قد تمت على مراحل

متتابعة كانوا يتلمسونها بتحسينات مستمرة خلال التنفيذ الذى لابد أنه تطلب زمنا طويلا حتى عن طريق العمال العديدين الذين كانوا لا يتناولون أجرا كالسجناء الذين كان يكتفى بالكاد بتغذيتهم . وعلى ذلك فنحن مضطرون الى أن نعتقد أنه كانت هناك دراسات تمهيدية ثم مشروعات مبدئية ثم خطة نهائية تتطلب استعمال أجهزة للقياس والتسوية وعمليات حسابية تسجل نتائج المقاسات التى تمت على الأرض ومقدار العمل المطلوب تنفيذه »[1] . وقد وصلت الى ايدينا بعض التخطيطات للقنوات والنهيرات من عصر ما قبل السرجونية ومنها مثلا قطعة من لوحة مثلت عليها قناة حومّادمشا Hoummadimsha التى شقت بأمر من اياناتوم والتى ألحق بها خزان تزيد سعته على الألف هكتولتر . وقد دعّم انتمينا ابن أخ اياناتوم هذا الخزان وأكمل قناة أخرى تصل النهرين كما دعمه كذلك فيما بعد بزمن وجيز الملك اوركاجينا الذى اصلح قناة جرسو القديمة المعروفة باسم « ننجرسو — أمير — فى — نيبور » وقد فصلت إحدى اللوحات أعمال السخرة : وكان العمل المفروض على الحفارين المحترفين أهم بكثير من عمل العمال العاديين . وكان طول هذه القناة ٢٨٠ مترا وقد تم تنفيذها وفقا لخطة موضوعة. وأما جوديا فلم يشر إلا عرضا الى مشروعاته الأخرى لأنه كان مهتما كل الاهتمام بالأعمال الدينية وباعادة بناء المعابد . ومع ذلك فقد شق القناة المسماة « ننجرسو اوشو مجال Ningirsou-Oushoumgal » وهو حدث محلى خلد فى اسم لاحدى سنى حكمه ولابد انه اضطر الى ابقاء القنوات التى كانت موجودة قبل عصره فى حالة صالحة للملاحة ذلك لأن نقل مواد البناء من أخشاب وأحجار ومعادن كان يتم عن طريق الماء وتطلب انزالها الى البر إقامة رصيف بالقرب من إحدى بوابات المدينة وقد عُهد فى بلاط إلهة ننجرسو بصيانة القنوات والجداول وأدوات الرى الى مُزارع الأرض المقدسة .

---

(1) LXIX, p. 428.

وقد شق « اورانجور » ملك أور قناة الحدود المسماة نانّا جوجال Nanna-gougal و « ساوى حوضها بأمواه البحر » وهناك لوحة من ذلك العهد تحتوى على أجور النساء اللواتى استخدمن فى عمل سدمن القصب عند رأس القناة . وقد قام سن ايدينام Sin-idinnam من لارساب « حفر دجلة النهر العريض وزود مدينته وبلاده بمياه طيبة وفيرة دون انقطاع » .

وبعد أن حقق حمورابى وحدة الامبراطورية بدأ فى القيام بمشروعات هامة فشق نهر حمورابى Nar-Hammourabi « ثروة الشعب التى تجلب ماء وفيرا لسومير واكاد وتحول ضفافها الى حقول منزرعة وتهيل أكواما من الغلة وتزود شعب سومير واكاد بماء دائم الجريان » ولم يندثر نهر حمورابى كلية فقد كان يبدأ من الفرات أسفل كيش فى مستوى بورسيبا ويجرى فى اتجاه أومّا تاركاً اياها الى يساره وبعد أن يصل الى لارسا يتجه نحو الخليج الفارسى . وتبين لنا الأوامر الملكية كيف كانت السلطة المركزية تنظم وتستخدم السخرة فنرى الملك يأمر يوما «سن ادينّام» حاكم لارسا ب « استدعاء من كانت فى حوزته حقول على ضفاف قناة دامانوم Damanoum بقصد تطهيرها وأنه يجب الانتهاء من تطهير قناة دامانوم عند نهاية الشهر » وفى مناسبة أخرى نراه يأمر نفس الموظف بالانتهاء فى مدى ثلاثة أيام من تطهير القناة التى تصل حتى أوروك والتى لم تكن قد أصلحت حتى هذه المدينة .

وتثبت الاعفاءات التى منحها مليشيباك قيام السخرة بقصد الصيانة وأعمال السدود فى عهد الأسرة الثالثه . وتبين رسائل موجهه الى الملك كودور ايلليل Koudour-Ellil كيف أن الموظفين المنوط بهم الاشراف على عمليات المياه كانوا يؤدون واجباتهم فى القرن الرابع عشر : فقد ابلغ أحد المفتشين عن وال سد إحدى القنوات على وجه سمح فيه برى اقطاعيتين إلا أنه يحرم عشرين اقطاعيه أخرى من الماء حتى جفت تماما فضاعت

غلتها . وقد دافع الوالى عن نفسه مدعيا أنه لم يهمل حقلا واحدا .

وفى العهد البابلى الجديد وصل نبوخودورو سور الثانى ما بين دجله والفرات عن طريق الحائط الميدى الذى كان ضفة لقناة وأنهى عند بابل الحوائط التى تسند ضفاف الاراهتو Arahtou التى بدأها أبوه .

ولقد كانت القنوات الكبيرة وهى المشروعات الوطنية التى انشئت أصلا بقصد إصلاح الأرض وتزويدها بالمصارف كانت فى الوقت نفسه ممرات مائية رائعة ولكنها كانت تتطلب مجهودا كبيرا لصيانتها خاصة لأن الأرض كانت رخوة والضفاف هشة جدا . وكانت مياه الفرات تصل الى خط عرض بابل محملة بالرمل والطين وهى فى الوقت الحاضر تحوى كيلو جراما فى المتر المكعب فى الأوقات العادية أما فى موسم الفيضان فقد يبلغ ما تحويه ٢٥ كيلو جراما [1] . أما القنوات الأقل أهمية والجداول فكانت تحمل الماء الى اطراف الحقول والمراعى ومن هناك كانت تسحب عن طريق أدوات رافعة تديرها ثيران أو بواسطة دلاء ورافعة وذلك منذ عهد ما قبل السرجونية : وقد مثلت هذه الاداه فى منظر للحياة الزراعية على خاتم أسطوانى وهى تستعمل حتى اليوم ليس فى الشرق فحسب بل فى بعض أقاليم فرنسا نذكرُ منها وادى اللوار بين انجيه ونانت وقد نص حمورابى على عقاب من يسرق مثل هذه الأدوات فكان اللص يدفع للمسروق منه خمسة شواقل مقابل الاداة التى يديرها الثور وثلاثة شواقل فقط لاداة الدلو . وفى العام الأول من حكم دارا الثانى تم اتفاق بين بعض أهالى نيبور مؤداه أن رى ضيعة معينة يتطلب أربعة حيوانات .

ولم يكن ارتفاع الماء يزيد على أربعة أمتار وقت انخفاض المياه فى الشتاء . وفى هذا الفصل من السنة تروى الحقول ثلاث مرات الآن بمعدل ٢٠٠ متر مكعب لكل هكتار . وقد نص قانون حمورابى على عقوبة من يتسبب فى

(1) Génie Civil, 10 mars 1906.

حدوث أضرار تلحق بحقل آخر بسبب إهمال مزارع فى صيانة جدوله : فان هو أهمل تقويته ونجم عن ذلك صدع فعليه ان يعوضه عن المحصول الذى أتلف فان عجز عن ذلك يباع هو وكل ما يملك مقابل مبلغ يقسم بين من لحقهم الضرر . وأما من أهمل إعادة السد بعد أن يكون قد فتحه لرى حقله فانه مسئول كذلك عن الفيضان الذى يغمر الأراضى المجاورة ، وعليه أن يدفع تعويضا يتفق ومتوسط غلة هذه الأرض . وأما إذا كان الأمر يتعلق بأغراس فان الثمن يحدد بـ « جور » من الشعير عن كل «جان» من الأرض أى ٣ ½ هكتولتر عن كل هكتار تقريبا .

* * *

ولم تكن المراعى فى حاجة الى عناية أكثر من سقيها وقطع كلئها وكانت تطلق الحمير والثيران والأغنام لترعى هناك . وكان الرعاة يتقاضون عادة أجرا سنويا عبارة عن ٨ جور من الشعير (٢٠٠,٢٠ هكتولتر) فى عهد حمورابى . وإن ضاعت من راع إحدى المواشى كان عليه أن يأتى بغيرها على حسابه وكان لزاما عليه أن يزيد من القطيع طبقا لاتفاقات مع المالك فان هو غيَّر عامداً من حالة القطيع فباع لمصلحته إحدى المواشى فانه يعرض نفسه إلى أن يدفع تعويضا قد يبلغ عشرة أمثال قيمة ما سرق أما إن كان قد حل بحظيرته ضرر ما فعليه أن يعوضه على حسابه ما لم يستطع أن يبرىء نفسه بحلف اليمين عند حصول الكارثه ان كان ذلك لظروف قاهرة خارجة عن إرادته . وكانت الحظيرة كباقى المبانى الريفية مبنية من القصب . وتقدم المناظر الخاصة بالمراعى والمنقوشة على الاختام الاسطوانية أمثلة عديدة على ذلك .

وكانت تحرث حقول الحبوب بمحاريث تجرها ثيران . وقد ظهر على إحدى الاسطوانات القديمة جدا منظر للحرث يمسك فيه الحارث بذيل المخراث بكلتا يديه . وظهر بالمنظر رجال مزودون بالعصى والسياط يدفعون

بها الحيوانات وكان هناك نوع من المحاريث أكثر اتقانا وبها مِذَرَّة . وقد حدد ايجار ثيران الحراثة فى عصر حمورابى بأربعة « جور » من الشعير (اكثر من ٥ هكتولتر) فى السنة . وقد نص القانون على ما قد يحدث للماشية من حوادث او بسبب خطأ صادر عنها كما حدد التعويضات . وفى العصر ماقبل السرجونى من الممكن تقدير نسبة المحصول للبذر وانتاج الهكتار بالتقريب من بيانات فى لوحات الايشاكو لوجالاندا. فكان محصول الهكتار يبلغ حوالى ٢٢ هكتولترا من الشعير هى ثمرة بذر ٤٢ لترا اى بنسبه تزيد قليلا عن ٥٠ : ١

وفى عصر أور كان المزارعون ورعاة الماشية والأبقار يستأجرون سنويا وكانوا يتسلمون اجرهم شعيرا اوصوفا واحيانًا فضة أوحيوانات وكانت هناك نظم للزراعة : ففيما يختص بالمستأجرين من كاهن أقسم أحد الأشخاص اليمين مؤكدا انهم زرعوا الحقل بـ « عبيد وثيران » وانهم تناولوا اجرهم وانهم قدموا حساباتهم بأنتظام .

وطبقا لقانون حمورابى كان على الرجل الذى اخـــذ قطعة ارض ولم يستنبتها شعيرا ان يدفع للمالك ما يعادل غلة الزارع المجاورة . اماان لم يكن قد زرعها اطلاقا فعليه ان يصلحها ويبذرها ويسلم المحصول كله. واذا كان قد تعاقد لمدى ثلاث سنوات على زراعة قطعة أرض لم تكن قد استصلحت بعد ولم يحافظ على ارتباطه فان عليه فى السنة الرابعة ان يبذرها ويقدم للمالك « جور » واحدا لكل « جان » (حوالى ٧,١٦ هكتولتر تقريبا للهكتار) . وفى حالة اتلاف زوبعة للمحصول الذى تم جمعة فانه : اذا كان المالك قد تم الدفع له فان الخسارة جميعا تقع على رأس المزارع . اما اذا كان هناك اتفاق زراعة مشاركة بنسبة النصف أوالثلث ولم يكن النصيب قد دفع بعد فان ما بقى من المحصول يقسم وفقا للاتفاق . وقد حمى القانون صغار المزارعين الذين كانت مواردهم لا تكفى لشراء ما يلزم للبدء فى الاستغلال فاذا كان

هناك تفاهم بينه وبين جار له للبذر فان المالك لايستطيع ان يمسه حتى زمن الحصاد واذ ذاك ياخذ المستحق له . اما الزارع الذى استدان بفائدة ولم يستطع ان يجنى محصولا لظروف خارجة عن ارادته كحدوث عاصفة مثلا او نقص الماء فى القنوات فانه ليس ملزما بدفع اية فائدة عن تلك السنة . ويجوز من جهة اخرى رهن حقل مقابل سلفة .

وكان يعهد فى نفس العصر بزراعة مزرعة احيانا الى رجل يؤجر خصيصا لهذا الغرض باجر سنوى قدره ٨ جور من الشعير وهو نفس الاجر الذى يدفع الى الراعى . وكان المالك يقدم ما يلزم للزراعه من ماشية . واذا قبض على المستأجر متلبسا بسرقة حنطة أو نباتات فانه يحكم عليه بقطع اليدين . وان هو أهمل شئون الحقل او قام بتأجير المواشى الى الغير أو سرق البذور فانه يلزم بدفع ٦٠ جور من الشعير عن كل ١٠٠ جان من الأرض (حوالى ٣٠ و ٤ هكتولتر لكل هكتار) وإن لم يكن فى استطاعته ان يدفع ذلك فانه يظل مرتبطا الى الارض « بين الماشية »

وفى عهد الامراء الأكمينيين — كما فى عهد الاسرة الاولى — كان يتم التعاقد على الاراضى لمدة ثلاث سنوات مما يجعلنا نفترض احتفاظهم بدورة المحاصيل مدى ثلاث سنوات . وكان الايجار يدفع بعضه فضة والبعض الآخر عينا : نبيذا او دقيقا او حيوانات . وكان يدفع تعويض للمستأجر ان هو أخرج من مزرعته قبل انتهاء أجل عقده .

وحين يأتى موسم الحصاد كان يقطع المحصول ثم يوطأ باقدام الحيوانات . وقد حدد حمورابى اجر الثور الدارس فى اليوم بـ ٢٠ « قا » من الشعير (١٧ لترا) واجر الحمار بـ ١٠ « قا » اما اجر العجل أو الجحش فـ ١ « قا » فقط . وكان اجر عربة الثور مع سائقها ١٨٠ « قا » يوميا اما اجرة العربة وحدها فـ ٤٠ « قا » وكان العامل الزراعى — كما هى الحال اليوم فى فرنسا — يتسلم اجورا مختلفه تبعا للفصول المختلفة هى : ٦ قمحات من الفضة خلال

الشهور الخمسة الاولى وخمس قمحات خلال الشهور السبعة الباقية .

* * *

وكانت البساتين تكون نوعا ثالثا من الاملاك العقارية بعد المراعى والاراضى المنزرعة . ولما كانت اقل اتساعا من حقول الحبوب فانها كانت تقاس بدقه اكثر منذ عهد ما قبل السرجونية . وكانت تزرع بها الخضر وخاصة البصل وكذا الاشجار . ولقد كان الأمر كذلك فى عهد اجاده حيث ورد ذكر زراعات للبصل فى مساحة بلغت ١ جان (٣٥,٢٨ آر)

وقد حدد حمورابى نصيب المالك بثلثى محصول البساتين فى حالة الاثمار الكامل فإن ادى اهمال البستانى الى نقص الانتاج فهو يلزم بدفع ما يتناسب والغلة العادية . وكانت مدة عقد إيجار الحقل الذى يحول الى بستان خمس سنوات: كانت الاربع الاولى منها للزراعة والسنة الخامسة لإقتسام المحصول . وطبقا لتقليد سومیری قديم كان من حق المالك ان يقسم البستان الى قسمين متساويين تاركا الأرض التى لم تزرع بعد ضمن حصة المزارع . واذا كان المستاجر لم يقم باى اصلاح فعليه ان يدفع على اساس الغلة الطبيعية كل سنة كما يحكم عليه بان يجعل الارض قابلة للزراعة . وان هو تسلم ارضا بكراً فعليه كذلك ان يعدها ولكنه يقدم فقط « جور » واحدا من الشعير لكل « جان » من الارض فى كل سنة من الايجارة (عقد الايجار) . وكان التعويض عند قطع شجرة من البستان دون علم المالك ٣٠ شاقلا من الفضة كما كانت الحال فى القرون السابقة . وكان فى الامكان تقديم محصول زراعة النخيل مقدما من اجل تصفية دين ولكن الدائن لم يكن ملزما بتحمل هذه المجازفة . وكان البستان — شأنه فى ذلك شأن كل ملك عقارى — يقبل كرهن وقد ظل الأمر كذلك حتى نهاية الإمبراطورية البابلية الجديده .

وكانت تقدر قيمة الأملاك المبنية تبعا للمساحة التى تشغلها وكانت تقاس بدقة فى المدن وكانت هذه الأخيرة (أى المدن) — على الأقل

فى منشئها — امكنة مخصصة فقط للعبادة اوالمأوى واسواقا فى الوقت نفسه .
وكان اغلب الاهالى يعيشون فى الريف فى اكواخ من الطمى والقصب واحيانا فى خيام وربما كانوا يفعلون كما يفعل العرب اليوم فى هذه الجهات فيحفرون كهوفا محاطة بالحصير والقصب اتقاء لغائلة الحر .

وكانت اقدم المنازل التى كشف عنها بين خرائب شوروپاك مكونة من غرف صغيرة تحيط بفناء مستطيل وهو طراز نجده كثيرا فيما بعد على الرسوم التخطيطية للمعماريين وكذا فى المنشآت الخاصة بالامبراطورية الجديدة وكانت تبنى من اللبن وكان السقف يقوم على دعائم من كتل خشبية اما الابواب والمتاريس فلم تكن جزءا من العين (المؤجرة) . نظرا لندرة الخشب واعتبارها من المواد ذات القيمة التى يستطاع رهنها على حدة ولاتباع عندما يباع البيت كما يمكن ان تكون ملكا للمستأجر . وكان الكثير من البيوت خاليا منها . وكان البيت البابلى عادة مكونا من طابق واحد وقلما كان من طابقين وكان للعقار احيانا حق المرور على ملك مجاور ولكنه كان فى اغلب الامر ينفتح على الشارع مباشرة .

وفى لاجاش فى عهد ماقبل السرجونيه بيعت بيوت تراوحت مساحتها ما بين ٢/٣ ، ١ ١/٢ سار (٢٣,٥٢ إلى ٥٢,٩٢ مترا مربعا) وكان متوسط الثمن فى عهد حمورابى ١٥ شاقلا للسار وربما ارتفع الى ٧١ شاقلا أوهبط الى شاقلين او ثلاثة شواقل . وكانت قيمة ارض البناء فى المدينة تبلغ فى المتوسط ٢٢٥ ضعفا لقيمة الارض المزرعة حبوبا ولكنها كانت فى الارياف ارخص من ذلك . وقد قدرت بعض الصوامع بثمن لايعدو ١/٢ شاقل للسار وهو يعادل ضعفين ونصف لقيمة الأرض .

وقد حدد قانون حمورابى اتعاب المعمارى بشاقلين للسار كما حمّله مسئولية اخطاء البناء فكان عليه ان يعيد على حسابه بناء الحائط الذى ينهار وأن يأتى باثاث بدلا من الاثاث الذى يحطم او بعبد بدلا من العبد الذى يموت وأن

يدفع حياته مقابل حياة المالك الذى يموت تحت الانقاض.

وكان من الممكن رهن العين المبنية [1] وكان الدائن فى العهد البابلى الجديد يسكنها بنفسه واحيانا اخرى يترك للمدين استعمالها. وفى عهد نبوخودوروسر الثانى [2] رهن المدعو «شايك زر» Shapik - zér بيته الى شولا Shoulâ الذى اتى ليعيش فيه وكان ايجار البيت يعادل فائدة قيمة السلفة ولكن شولا حين احتاج الى المال بدوره طلب من نرجال أوباليت Nergal-ouballit ٢ مينا و ١٤ شاقلا وحول إليه بيت «شايك زر» بصفة رهن ولما كان يعتزم استمرار السكن فيه فانه كان عليه ان يدفع لدائنه ايجارا يعادل فائدة المبلغ المقترض

٢ — الصناعة وتعليمها

منذ أبعد العهود كان هناك تنظيم اولى على الاقل فى شئون بعض الحرف. ففى عهد دونجى كانت عملية النسيج تتم تحت رقابة رؤساء عمال يعينهم الملك. وقد نظم قانون حمورابى وحدد اجور العمال المعينين بالمياومة باربع اوخمس قمحات من الفضة (من ١٦ سنتيجراما الى ٢٠) كما حدد كذلك اتعاب المعمارى والمبيّض دون أن يغفل تحديد مسئوليتهم المدنية عن كل خطأ فى التنفيذ. وقانون حمورابى المشار اليه دليل كذلك على وجود نظم لتعليم الصناعة عند نهاية الألف الثالث وكان يجوز للرجل ان يأخذ فى بيته صبيا لتربيته وتعليمه حرفته فاذا مااستطاع ان يجعل منه صانعا جيدا فانه لايجوز لوالديه الشرعيين ان يطالبا برده ما داما كانا قد قبلا الانفصال عنه، اما اذا لم يكن الصبى قد تعلم شيئا فانه يستطيع ان يعود الى بيت أبيه.

وفى العهد البابلى الجديد وكذلك فى عهد الملوك الفرس كان السيد يعهد بعبده

---

(1) Ch.39

(2) Cxiv Nbk.123

الى آخر حتى يتعلم مهنة على يديه وكان معنى ذلك فقدان فائدة رأس مال قدره مينا ولكن رأس المال هذا قد تزيد قيمته وعلى ذلك فان السيد كان يحتاط لما قد ينجم عن حدوث الامر الاول . فكان معلم الصبي يدفع تعويضا ان هو اهمل تعليم الصبي حرفته على الوجه المرضى . ونظرا لانه من جهة اخرى قد أفاد من عمل الصبي فانه لا يستحق أجرا على تعليمه واقصى ما كان يحدث ان تقدم له هدية رمزا للرضى .

وفى السنة السابعة من حكم كيروش نجد عبدا خبازا كان عنده عبد آخر كصبي مدى تسعة شهور وكان عليه ان يستبقيه ستة شهور اخرى ولكن ان لم يكن قد دربه تدريبا كافيا عند نهاية المدة فانه ملزم بدفع ٦ « قا » من الشعير عن كل يوم من ايام المدة كلها.

وفى العام التالى عهد « اتى ماردوك بالاتو Itti-Mardouk-balatou » بعبد الى « حاشداى Hashdai » عبد قمبيز الامير الملكى ليتعلم حرفة الحجار فان لم تكن النتيجة مرضية فان حاشداى يدفع ½ مينا من الفضه الى اتى ماردوك بالاتو . وفى نفس العام عهد زوجان باحد عبيدهما ليتعلم الخدمة مدى ست سنوات على ان يعطى معلمه هدية هى لباس قيمته أربعة شواقل ان هو نجح فى تعليمه اما ان فشل فى ذلك فانه يدفع ٣ « قا » من الشعير عن كل يوم من ايام السنوات الستة .

ولم تكن النتيجة دائما رائعة وكان المعلم يجد نفسه ملزما بدفع التعويض المتفق عليه وكان يفعل ذلك عن طيب خاطر مادام قد انتفع بقدر كاف من خدمات صبيه .

وفى العشرين من تشريت فى السنة الثانية من حكم كيروش كان نوبتا Noubta قد عهد الى « بل إتير Bêl-étir » بتعليم اتكال أناماردوك Atkal-ana Mardouk النسيج مدى خمس سنوات وكان الصبي يأتى فى كل يوم بـ « قا » من الشعير والملبس. وقد تعهد النساج ان يدفع فى حالة عدم كفاية التعليم تعويضا

قدره ٦ « قا » عن كل يوم وقد اضيف الى هذا الاتفاق غرامة قدرها عشرون شاقلا من الفضة على من يفسخه . وفى الثلاثين من آب من السنة الثامنة اى بعد عشرة شهور من انتهاء السنوات الخمسة كان العبد مايزال يعمل مع النساج فدفع هذا الأخير خمسة شواقل إلى نوبتا

٣ ــ التجارة

كانت الانهر والقنوات السبل الطبيعية للمواصلات بين مختلف مناطق سومير واكاد منذ عهود ما قبل السرجونية بل ان معظم مدنها كانت منتشرة على طول ضفاف الفرات . ولقد نقل الملك العجوز « اورنينا » الاخشاب اللازمة لتشييد معابد لجش عن طريق الماء ، كما ان «مانشتوسو Manishtousou» قد استعمل نفس السبيل لنقل مسلة الديوريت التى نقش عليها قائمة بما اقتناه من ممتلكات ، ولقد استجلب « جوديا » كذلك الاخشاب والاحجار والمعادن الثمينة عن طريق الانهر ايضاً . وتحمل بعض الاسطوانات العتيقة صور قوارب وإننا نلاحظ ان حمولة بعضها فى عصر أور تبلغ سعة ٩٠ «جورا» من الشعير. وكانت تستعمل لكل أنواع المشحونات من ركاب وحيوانات وحبوب وزيت ودقيق وخشب ومختلف المواد . ولم تكن السفرة من لاجاش الى سوسه تستغرق اقل من شهرين عن طريق القناة . وقد حدد قانون حمورابى الايجار اليومى للقارب سعة ٦٠ جورا بمقدار ⅙ شاقل اما إيجار القارب السريع فقمحتان ونصف قمحة. وكذا حدد اجرا سنويا للمراكبي قدره ستون جورا كما قدر ترميم القارب حمولة ٦٠ جورا بشاقلين وحدد المسئولية فى حالة فقدان المركب وحمولتها . ولم تقل حركة الملاحة النهرية فى العصر البابلى الجديد : فنى عهد نابونيد دفع شاقل وربع شاقل من الفضة لقاء استئجار مركب لنقل ثلاثه ثيران واربعة وثلاثين راسا من الماشية الصغيرة قدمها الامير الملكى لشماش وللآلهة الآخرين فى سيبار . هذا وقد ارتفعت

التعريفة المعتاده لاستئجار القوارب منذ عهد حمورابى وبلغت فى المتوسط شاقلافى اليوم وكان القارب يباع بسعر يتراوح بين ٢٠ و ٣٠ شاقلا .

وليست لدينا معلومات عن انشاء وصيانة الطرق البرية فى بابل . ولقد كانت هناك قوافل بين العاصمة والمدن الرئيسية فى عهد اجاده . كما ان رسلا عديدين فى ايام ملوك أور كانوا يرتحلون حتى عيلام بقصد توصيل اوامر الامير واغلب الظن انهم كانوا يسلكون الطرق المحاذية للانهر والقنوات أو الدروب التى تخترق السهل ومما يجدر ذكره من جهة اخرى ان الحاجة التى اضطرت سكان بابل منذ أمد بعيد الى استيراد عدد من المواد الاولية من الخارج لعدم وجودها فى البلاد قد حملتهم على تنمية التجارة الخارجيه وخاصة مع عيلام فى الشرق ومع اسيا الصغرى وشواطىء البحر الابيض فى الشمال الغربى . وقد مارسوا هذه التجارةعن طريق عقود العموله او تعيين وكلاء ، فاذا كان الامر يتعلق بانهاء صفقة او بيع بيت او حقل او شراء عبد أو تحصيل دين او استئجار مركب او استعارة شعير او استئجار مزرعة او حيوان فان صاحب الشأن كان — حين لا يستطيع الحضور بنفسه — يختار وكيلا ويحدد له كتابة مهمته ويخوله سلطة تحرير العقد وتثبيته بقسم .

اما فيما يختص بالتجارة مع المدن البعيدة او البلاد الاجنبيه فان رجل الاعمال كان يكون نوعا من شركة المساهمة وكان يعهد بمبلغ من المال لاستثماره تجاريا او يسلم بضائعه لبيعها الى مرتحل تجارى يضع تحت تصرفه مواهبه وتجاربه ومهارته .

وقد حدث أن لازم حكم حمورابى توسع هائل فى التجارة مع الشمال والغرب نتيجة للتوسع السياسى لبابل المتحدة وكانت العاصمة الجديدة المركز الحقيقى لتجارة الشرق وذلك بفضل مركزها الجغرافى بين اسيا العليا والدنيا حيث يتقارب النهران . ولقد كرس المشرع كذلك مواد عديدة من قانونه لاعمال كبار التجار ونظم العلاقات بين صاحب العمل والمستخدم

ولكن لم تصل الينا لسوء الحظ المواد الأولى التى تنص على كيفية انشاء الشركة .

وكان الامر يتطلب — كى تصبح الاتفاقية صحيحة — ان يكون هناك صك مكتوب يعين الواجبات المفروضة على الوكيل . ويحدد بالدقة المال او البضاعة المودعة تحت تصرفه ثم السلفة الممنوحة بغير مقابل للرحلة . وكان على المستخدم ان يمسك حسابا دقيقا عن عملياته ويسجل كل ما حصل عليه من ارباح . كما كان عليه عند عودته ان يقدم كل راس المال الى موكله مقابل ايصال بذلك ثم يأخذ من الأرباح النصيب الذى كان قد اتفق عليه قبل الرحيل ؛ اما ان كان قد قام بصفقات غير مربحة نتيجة اهمال أو سوء تصرف فعليه تعويض ذلك بإعادة المبلغ الذى كان قد عهد إليه به مضاعفا . ومع ذلك فما عليه اذا استطاع ان يبرر اسباب الخسارة الا ان يعيد فقط المال الذى عهد اليه به كما أنه يعفى من دفع اى شىء اذا كان المال قد ضاع بسبب سوء الأمن فى الطرق او لاسباب قهرية اخرى ويشترط ان يؤيد ذلك بالقسم . ولم يكن ليقبل النظر فى نزاع بين موكل ومستخدمه الا على اساس ادلة مكتوبة . وإذا ارتكب المرتحل خطأ فى عمل الحسابات فى غير صالحه او ان هو لم يحصل على ايصال عن مبلغ منصرف فانه لا يستطيع استرداد هذا المبلغ فى هذه الحالة . وعند عدم وجود مستند مكتوب فان الشخص الذى يقوم ضده الادعاء يستدعى الآخر فى المعبد فى حضرة الشهود . وكان يحكم على المرتحل الذى يثبت عليه انه مدين بدفع ثلاثة امثال المبلغ للدائن . اما ان كان رجل الاعمال هو المخطىء فانه يدفع للمرتحل ستة امثال المبلغ الذى احتجزه بدون وجه حق .

ولقد كان الامن مضطربا فعلا فى طرق القوافل مما دعا ملوك بابل فى القرن الخامس عشر الى الشكوى من التحرشات وجرائم القتل التى يذهب تجارهم ضحية لها فى مناطق سوريا الخاضعة للنفوذ المصرى .

وفى القرون الأخيرة من المملكة البابلية كان رجل الاعمال يرتبط فى أغلب الأحيان بالاجانب وخاصة بالارامبين الذين انتشرت لغتهم فى ميزوبوتاميا وفلسطين وسوريا وآسيا الصغرى . وكان على المرتحل التجارى أن ينهى أعماله خلال المدة المحددة فى عقد الاستخدام وكان عليه كذلك أن يعود على الأقل بما يساوى المبلغ الذى تسلمه لأنه كان يتحمل الخسائر وحده على حين كان يقسم الربح بالتساوى — إن كان هناك ربح .

* * *

ولقد كان عقد الشركة معروفا فى الحضارة السوميروا كادية حتى قبل قيام عقد مساهمة الشركة بين التاجر والمرتحل الذى يأخذ المال أو التجارة لاستثمارها ... كان معروفا فى أول الأمر فى صورة ارتباط بين شخصين أو أكثر بقصد شراء وزراعة حقل ولكن الشروط الخاصة بالعملية لم تكن مبينة .

وإن علينا إن ننتظر حتى قيام الأسرة الأولى البابلية لكى نصل إلى معلومات اتم فإن الشركاء لم يكن يتحتم عليهم أن يكون أساس اشتراكهم رأس مال نقدى بل كثيرا ما كان هدفهم استعارة المبلغ اللازم لتنفيذ مشروعاتهم مع تعهدهم متضامنين بالسداد . وفى حالة حل الشركة كانت الارباح والخسائر تقسم تبعا للانصبة المتفق عليها وقت إنشائها ، وتكون التصفية عامة أو كما كان يقال ، إبتداء من قش التبن الى الذهب ، وكان إعلان ذلك يتم أمام السلطة القضائية ، فاذا حدث وقام نزاع بين الشركاء أرسلوا الى المعبد حيث كان المدعى عليه يلزم بالقسم لتبرئه نفسه من الاتهامات الملقاة عليه . وعلى كل حال فانه كان لزاما على المستحوذ على ممتلكات الشركة أن يعلن ويقسم أنه لم يخف شيئا منها .

وهاك نموذج من عقد شركة بين شخصين لأغراض تجارية بصفة عامة [1]

(1) XCV, p. 288

« كوّن اريب سن Erib-Sin ونور شماش Nour-Shamash شركة وأتيا إلى معبد شماش وقررا مشروعها . فهما يشتركان معا على الشيوع فى الفضة والتجارة والعبيد والاماء فى الخارج والداخل ومشروعها واضح : فضة مقابل فضة ، عبد وأمه ، بضائع فى الخارج أو الداخل من الفم الى الفائدة ، سوف لا يتنازع الأخ مع الأخ ، لقد اقسما بـ « شماش » و « ايا » و « مردوك » و « الملك حمورابى » فى حضرة ١٧ شاهدا .

وكانت الصيغة فى العهد البابلى الجديد تحرر أحيانا فى صورة عامة . فنحن نقرأ مثلا فى حكم نابونيد « آتى مردوك بالاتو ، وشابك زر يحددان مينا من الفضة كرأس مال للشركة وتكون ثمرة العملية لهما معا » وكان آخرون يذكرون أن كل العمليات التى يقومون بها « فى المدينة أو فى الريف » خاصة بالشركة واننا لنرى نفس « أتى مردوك بالاتو » المذكور — وهو من كبار رجال الأعمال — يعقد اتفاقا مع « مردوك شابك زر » — وربما كان نفس شابك زر المذكور اسمه فى العقد السابق — على أن يستثمرا معا خمسة مينات من الفضة وبعض الطيب . ويعهد كل منهما تنفيذ المشروع الى واحد من عبيدهما علـى أن تقتسم الأرباح الناجمة بين الشريكين المتعاقدين أما العبدان فان طعام وملبس كل منهما يكون على حساب الشركة لا على حساب سيده [1] وفى العام التالى نجد اتفاقا مماثلا : فقد تقرر أن توضع مينا من الفضة تحت تصرف عبد « مردوك شابك زر » ، وأما « أتى مردوك بالاتو » فانه يقدم هو الآخر من ناحيته واحدا من خدمه ليستثمر هذا المبلغ .

وكان عقد الشركة يحرر أحيانا لمدة قصيرة ويمتد أحيانا أخرى لسنوات عديدة تسوى خلالها الحسابات من وقت لآخر بصفة مؤقتة . وحين يأتى التاريخ النهائى لتسوية الحساب فإن ذلك كان يتم — كما كانت الحال من قبل — أمام المحاكم كما كان يلجأ الى القسم لتأييد ما جاء فى الاقرارات الخاصة

(1) CXIV, NBN. 199, 472, 653.

بتسوية الحســـاب .

وفى عام ٦١٧ ق . م . وهى السنة الثامنة لحـــكم نابوبولاسار أسس «نابوكين ابلو» وابنه «نابو بلشونو» عقد شركة مع «شولا» و«موشزيب بعل» وبعد ٣١ سنة أى فى العام الثامن عشر لحكم نبوخد نصر الثانى (٥٨٦) قررا أن يفضاها فسووا حساباتهم أمام المحكمة واقتسموا ١٥ شاقلا من الفضة كان قد دفعها «نابوكين ابلو» وابنه ولم يكن هناك مجال لمناقشة الموضوع أو المطالبة بأى حق فقد حلت الشركة وسلك كل شريك طريقه ... تمت تسوية الحساب وكسرت اللوحات القديمة بقصد الحيلولة دون قيام ايما نزاع مستقبلا ولقد استشهد بالآلهة عـلى صحة التصفية وحمل كل من الشركاء السابقين معه عند انسحابه الدليل الكتابى على ذلك .

٤ — البيـع

كان البيع استبدالا للشىء المملوك بمال أو — فى النادر جدا — بشعير. وكان يجب أن يحوى العقد الذى يثبته ثلاثة عناصر أساسية هى بيان الشىء المبيع وأسماء الطرفين والثمن الذى يدفع أو ايصال الدفع الذى يتم فورا .

وترجع بعض عقود البيع الى فجر العصر التاريخى وكانت قد حررت فى المدينة القديمة شوروپاك قبل عهد «اورينا» ملك لجش [1] وفيها نجد أرضا تقدر بشاقلين ونصف شاقل من الفضة للـ «جان» كما نجد تقديرا لمنشآت ملحقة بحقل بخمسة أو عشرة شواقل من الفضة أو — حتى - بعشرة شواقل من النحاس ومثل هذه الوثائق لا تعطى —أسوة بنظائرها من عصر لاحق— فكرة دقيقة تماما عن حقيقة قيمة الشىء المبيع لأنه يجب أن يراعى نوع العبيد وحالة المنازل وموقع الأراضى وحتى رغبة المشترين الشخصية وتقدم لنا لوحة حجرية — من العصر العتيق كذلك — قائمة بقطع من الأراضى

(1) LXXV. Nos 9 - 15

اشتريت نقدا بالفضة فى ناحية أوروك . ولقد وجدت معظم الأرقام الواردة بها مشوهة ولكن يتبين منها أن قيمة الـ « جان » لا تقل عن ستة شواقل [1] . وفى لجش — خلال حكم انهجال أحد أسلاف اورنينا — نجد « لوجال كيجالا » الكاهن الأكبر فى ننجرسو يشترى أملاكا متعددة تتراوح مساحتها ما بين ٤٨ و ٩٠٠ هكتار (١١٨ ½ ، ٢٢٢٠ فدانا) — ان نحن قدرنا أن المساحة السطحية هى نفس نظيرتها فى العهود التالية — . ولقد دفع الثمن نحاسا وشعيرا وقمحا وبعض المحصولات الزراعية الأخرى .

وقد بيعت أمة فى عهد « انتمينا » بعشرة شواقل من الفضة و ١٢٠ « قا » من الشعير . وبيعت أخرى مع ابنها بعشرين شاقلا من الفضة و ١ « جور » من الشعير واناء من النبيذ على حين يباع العبد بـ ٤٣ شاقلا . ويقدر ثمن الحمار بـ ٢٠ شاقلا والخنزير بما يتراوح بين ٤ و ٥ . وكان سعر « سار » الأرض بما عليها من منشآت يساوى ١٥ أو ٢٢ ½ شاقلا تبعا لموقعه وحالة المبنى . وسعر « جان » الأرض المنزرعة ٢ « جور » من الشعير والمبانى الملحقة للاستغلال يدفع ثمنها على حدة علاوة على ثمن الأرض . وكان العقد يحرر بحضور شهود من أسرة البائع — وأحيانا من أسرة المشترى كذلك — وخبراء وكتاب ورجال أعمال وموظفين مختلفين يتسلمون هدايا وكانت الموافقة تتم بقسم كما كان يعمل ختم اسطوانى لتوثيق العقد .

ولقد ظلت عادة تقديم الهـــدايا بمناسبة شراء الأرض فى عصر « مانشتوسو » ملك « اجـاده » وظلت كذلك بعد سقوط بابل . وفى عهد الاكيمينيين كان المشترى يضيف الى الثمن الأصلى رداء لـ « سيدة البيت » .

وقد سجل مانشتوسو شروط بيع اقطاعات كبيرة مختلفة آلت إليه . . . سجلها بالنقش على مسلة من الديوريت أورد فيها أسماء أصحابها السابقين والثمن المدفوع وتكليفها المفروض وحدودها . وكان يقدر « جان » الأرض فى هذه

(1) XIII, 38. p. 818.

الناحيةمن اجاده بـ ٣½ جور من الشعير بغير المبانى المقامة للاستغلال . وكان جور الشعير يساوى شاقلا من الفضة . وكان الجحش يباع بـ ٢٠ شاقلا أى أغلى أحيانا من العبد أو الأمة ذلك لأن العبد المتزوج كان يباع بشاقل من الفضة وخروف . وكانت مينا الصوف تساوى ½ شاقل ، وإناء الزيت سعة ١٠ قا بشاقل وكان سعر الفضة يعادل سعر النحاس ٢٤٠ مرة .

وحين كان يقوم نزاع حول صفقة بيع فى أيام ملوك أور كان القضاة يطلبون الى الشارى — اذا تعذر عليه تقديم لوحته — أن يؤدى القسم ثم يؤيدون الصفقة وقد حدث هذا فى السنة الثالثةمن عهد جيميل سن فى قضية خاصة بزراعة ١٢ نخلة بلح كبيرة باعها المدعو لونانّا أمام شهود بمبلغ ثلاثة شواقل من الفضة ثم انكر ذلك .

وفى عهد الأسرة الأمورية —قبل حمورابى— لم يكن سعر الشىء المبيع يذكر دائما إذ أن الدفع كان يتم عادة بالنقد فورا وكان العقدفى الواقع عبارة عن ايصال . ومن عهد حمورابى بدىء فى تسجيل السعر أما الاضافات الأخرى التى كانت العادة قد جرت على دفعها علاوة على الثمن فيظهر أنها اختفت لفترة ما .

ولقد اشترى « وارادسن » و « بل رم ايلى » معا ثورا بالناف بمبلغ « ٨¼ شاقلا بموازين شماش » وكان الناف تحت تصرف ايهما كما انه فى حالة بيع الثور فأنهما يقتسمان الثمن [1] .

وكان من يشترى عبدا يتسلم من البائع ضمانة بعدم وجود عيوب فيه تستوجب إلغاء البيع وكان الفريقان —قبل تنفيذ قانون حمورابى— يتفقان فيما بينهما على مدة الضمانة التى يمكن تقديم أية مطالبة خلالها كما كانا يتفقان أحيانا على أن الضمانة دائمة . وقد حددتها المادة ٢٧٨ من القانون بشهر . وكان البائع مسئولا كذلك عن البحث عن العبد الذى هرب من بيت سيده

(1) XLI. p. 196.

الجديد مادام قد أخطر بذلك خلال ثلاثة أيام كما أنه يقدم ضمانة ضد القبض أو أى نزاع على ملكية الغير وعلى وجه العموم يجب أن يواجه أى مطالبة خاصة بالعبد المذكور .

وكان يدون فى عقد نقل (ملكية) منزل مساحته والأملاك التى تحده واسم البائع والمشترى والثمن المدفوع وصيغة عدم النقض والقسم بالآلهة والملك وقائمة بالشهود والتاريخ . وهذه صيغة عقد بيع بيت واقع فى مدينة سيبار [1] فى مفترق طرق حرر فى عهد سامسو ايلونا « ٢ سار و ٤ جان أرضا مبنية الى جانب منزل «ايلى اويليم رابى» بن «شماش ناتسير» والى جانب الشارع . ناحية منه تطل على الشارع والأخرى على منزل « سينى دينام » اشتراها من يدى « ايلى اويليم رابى » بن « شماش ناتسير » و « شماش بانى » بن « كشتى نتجزيدا » وقد دفع الثمن بأكمله وقدره ⅔ مينا و ٩ شاقل من الفضة . تمت الصفقة وقلبه راض . وسوف لا يتقدم أحدهما ضد الآخر بأية مطالبة فقد أقسما باسم « شماش » و « ايا » و « مردوك » و « الملك سامسو ايلونا » وآل إليه مقابل ذلك ٢ سار و ٤ جان » ثم يلى ذلك أسماء ١٢ من الشهود والتاريخ .

وكان البائع يبين أحيانا فى العقد أصل الملكية وكان عليه أن يسلم مستند الملكية أو يشير الى فقدانه وفى هذه الحالة الأخيرة كان ينص على تسليمه الى المشترى ان عثر عليه وأما أن أدخلت على العقار تعديلات فانه كان يشار الى ذلك لتلافى أى خطأ فى تحديده .

وفى « دلبات » كانت العقود السابقة لصدور قانون حمورابى تشير الى اقامة حفل يقرر فيه عدم امكان الرجوع فى العقد. كما هى الحال فى فرنسا إذ يشير إطفاء الضوء الثالث دون استرسال فى المزايدة إلى إنهاء المزاد وكانت هذه هى الـ «بوكانو» فقد كانت هناك عادة سوميرية قديمة — ترجع فى أغلب الظن

---

(1) LXXI .

الى فترة سابقة لتاريخ كتابة العقود تقضى باتمام الصفقة وذلك بدق مسمار فى الحائط . وفى حكم انتميننا — ايشاكو لاجش — كانت تبدى رغبة فى أن تكسر أسنان المدعى بوتد إن تبين أن سوء النية بين أسنانه [1] . وكان القسم يتم باسم الإله المحلى والملك الحاكم. ويظل المالك السابق ملزما بمراجعة كل دعوى استرداد قد تقام . وهناك ستة عقود من هذه الفترة تبين مساحة المنزل — وفى نفس الوقت ، ثمن نقل الملكية. وقد قدر ثمن مبنيين مساحتهما ٢,٨١٠ مترا و ٤٧,٠٤ مترا مربعا بمبلغ ½ ٣ و٢٥ شاقلا على التوالى أى بواقع ستة شواقل لكل سار فى الحالة الأولى و¾ ١٨ شاقلا فى الحالة الثانية . ومع ذلك فانهما لم يكونا واقعين فى نفس المدينة فحسب بل فى نفس الحى كذلك . والواقع ان الأول كان محصورا بين مجموعة من المساكن بينما كان الثانى ينفتح على السوق مباشرة وكان له « باب وعارضة » وكانت المبانى الأربعة الأخرى تعتبر «مبانى ذات آبار» وكان يميزها اصطلاح «أى بور پال» وكان أصغرها يحتل مساحة ١,٧٦ مترا مربعا وقد قدر بأعلى ثمن — ½ ٢٣ شاقلا للسار — ذلك لأنه كان مجاورا لمسكن المشترى مما زاد فى قيمته . أما الأخرى فتختلف مساحتها بين ١٣,٥٢ و ٣٠,٨٤٢ مترا مربعا وقد بيعت على أساس ثمن السار منها ٠,٨١٤ شاقلا ، ٢,٦٢٩ شاقلا ، ١١,٦ شاقلا .وقد ورد فى أحد العقود ذكر لأصل ملكية العقار وقد احضر البائع معه شاهدا نفس الرجل الذى كان قد اشترى منه العقار من قبل .

وفى السنة العشرين من حكم أشور بانيبال بيع منزل فى أوروك وقد كان حسن البناء بعضادته (حزام الباب) وبابه ومزلاجه وكان مسورا من الداخل وليس له باب على الشارع . ولم تبين المساحة فى العقد ومع ذلك فقد بيع الى أحد الملاك المجاورين بحالته بـ ، مينا و١٥ شاقلا من الفضة «بيع وتم تسليمه ودفع ثمنه » لن تقوم بشأنه أية مطالبة فالصفقة نهائية ولن يحاول أحد

---

(1) LXXV, No 61

الطرفين أن ينازع الآخر فى شأنها. وتتخذ — علاوة على ذلك — الاحتياطات اللازمة ضد أى شخص قد يوجد نزاعا فى المستقبل سواء أكان أخا أم ابنا أم قريبا... أكان ذلك مباشرة أم عن طريق الغير... أنه يعرض نفسه لدفع ثمن العقار ١٢ ضعفا وقد حرر هذا العقد طبقا للصيغة الأشورية[١] ونفذ أمام خمسة من الشهود ومهره البائع وحده بختمه ووضع علامة على الطين بظفره.

ولعل أكثر عقود البيع إثاره للالتفات تلك العقود التى ترجع لعصر البابلية الجديدة والتى تخص العبيد. فان الخادم كان يسلم بضمانة ضد الهرب وضد المطالبة بحق عليه: الارادشاروتو، الماربانوتو. وكان البائع يحمى نفسه بقدر الامكان ضد ما يمكن أن يحدث من مطالبات باتخاذ المالك السابق وورثته كشهود أثناء اتمام الصفقة.

وكانت الاراد شاروتو هى خدمة الملك ولسنا نعرف على وجه التحقيق على من كانت تسرى ولامدى الامتيازات الناجمة عنها. أما الماربانوتو وكانت تخص حالة الشخص الذى يرجع أصله الى رجل حر أو محرر يوما ما ولقد استند العبد بريكيل[٢] الى هذا الامتياز وأقام الدعوى ضد رجل الأعمال « اتى مردوك بالاتو » الذى اشتراه فى العام السابع من حكم نابونيد. ولقد عرض الأمر على المحكمة وتبين لسوء حظ الشاكى انه بيع فى العام الخامس والثلاثين من حكم نبوخذ نصر بمقدار ٢٨ شاقلا الى « اهنورى » وأصبح بعد سنوات أربع من متعلقات المرأة « جاجا » ثم أعطى رهينة على قرض قدره (٢٠ شاقلا) ثم تضمّن فى بائنة « نوبتا » ابنة « جاجا » ثم انتقل عن طريق التبادل الى ايدى ابن وزوج « نوبتا » اللذين عرضاه مرة أخرى للبيع فى السوق ولقد جمعت اللوحات التى تتصل بظروفه هذه وقرئت ودعا القضاة الشاكى الى عرض حججه ولكنه اضطر الى الاعتراف بصحة المستندات

---

(1) XXXI. p. 170.

(2) CXIV, NBn. 42

المقدمة ضده وقرر بأنه لا حق له فى الانتفاع بمزايا الـ « مار بانو تو » .

وبمجرد دفع ثمن شراء العبد كان هذا الأخير يصبح ملكا لسيده الجديد الذى يتحمل الخسارة الناجمة عن الوفاة أو ينتفع بالمزايا التى تترتب على الولادات . وقد نص على ذلك فى عقد من السنة السابعة لحكم قمبيز . وقد أعاد «إتى مردوك بالاتو» بيع أمة وطفليها الى «هابا تسيرو» وكان قد اشتراهم منه فى العام السابق ولكن لسبب ما لم يكن هذا قد سلمهم. «وفى اليوم الذى يرسل فيه « هابا تسيرو» مندوبيه الى « إتى مردوك بالاتو » فان الأخير سيعطى العبيد الى مندوبى « هابا تسيرو » فى بابل . أما العبيد الذين يموتون أو يولدون فيما بينهم فانهم يخصون هابا تسيرو » [1] .

٥ — التبادل (المقايضة)

التبادل اتفاق يرجع فى أصوله الى عهد أقدم من عهد البيع وكان المرء يستطيع بواسطته أن يرتبط بنقل ملكية سلعة الى آخر مقابل تسلم سلعة أخرى . وكان للبيع والتبادل فى أشور عقود لها نفس الصيغة . أما فى بابل فقد كان التبادل يجرى على حده . وفى عهد قمبيز نجد أن نفس الأمة وطفليها الذين أعاد شراءهم فى العام السابع سيدهم السابق هابا تسيرو كانوا منذ عهد قريب قد استبدلهم إتى مردوك بالاتو بمنزل . وفى العام الثامن من حكم كيروش استبدل رجل عبدا — كان قد اشتراه للتو — بباتئة زوجته . وغالبا ما كانت قيم الأشياء المستبدلة غير متكافئة . وكان على المتعاقد صاحب الكفة الراجحة أن يدفع معدلا ونحن نجد مثلا لذلك فى دلبات [2] فى عهد « سن موباليت » تضمن فقرة جزائية ضد أى الفريقين الذى ينقض الاتفاق « ½ سار ٢½ من بيت بوربال المجاور لمنزل ناويرايا والمجاور لمنزل أنابلى وإحدى واجهتيه تطل

(1) CVI, t. II. p 40.

(2) XLVI, No 25.

على منزل ناهيل والأخرى على السوق الكبير : منزل مردوك موبالليت — (سار) من منزل بوربال. منزل اداد ايلو المجاور لمنزل لاما المجاور لمنزل اداد ايلو : إحدى واجهتيه تطل على منزل واراد أوراش والأخرى على منزل ايلي ... : بيت اداد ايلو —. تبادل «اداد ايلو» و«مردوك موباللیت» منزليهما . وأعطى « اداد ايلو » الى مردوك موباللیت » ١ ½ شاقلا ، ١٢ قمحة من الفضة كمعدل ومن يتنازع فانه يقدم بيتا ببيت » .

٦ — الاستئجار

الاستئجار عملية يقدم عن طريقها شخص الى آخر مزيه استعمال شيء لفترة محددة من الزمن مقابل دفع مبلغ يتفق عليه . وقد نص قانون حمورابي على استئجار القوارب والحيوانات والاهراء والبيوت والعربات والأرض والخدمات ... الخ .

وكان ثور الحراثة يقوم بـ ٤ جور من الشعير فى السنة على حين كان ثور الجر بثلاثة جور فقط وكان هذا هو الثمن الذى دفعه فى دلبات[1] قبل صدور القانون المدعو هوزالوم عن ثور من املاك شماش وزوجه ايا « استأجر هوزالوم بن ناهيلوم ثورا — ثورا لشماش وايا لمدة عام. وايجارة السنة ٣ جور من الشعير ويكيلها يوم المحصول» وكان استئجار الثور يوما لدرس الحبوب ٢٠ قا وهو أجر مرتفع جدا يوازى ٢٤ جورا فى السنة أن نحن اغضينا النظر عن استحالة تكليف حيوان واحد بمثل هذا العمل مدى عام كامل وضرورة الاسراع فى تمام العمل حتى يوضع المحصول فى مأمن .

وكان الجحش يستأجر بـ ١٠ قا فى نفس الظروف أى بنصف ايجار الثور وكان المستأجر مسئولا عن الحوادث إلا فى الظروف القهرية أما إذا نفق الحيوان أو أصبح غير قادر على العمل بسبب الاهمال أو بسبب الضرب

(1) XLVI N◌ 45.

فانه يكلف بأن يعوض رأسا برأس . واصابة العين تنزل الى النصف قيمة الثور أو الجحش وكسر القرن أو صلم الذيل أو اصابة الرأس تفقد الحيوان ثلث ثمنه فقط .

ولقد فرق القانون بين ثلاثة أنواع من القوارب : فقوارب التعدية كانت تستأجر بثلاث قمحات من الفضة فى اليوم. والقارب السريع بقمحتين ونصف وأما القارب حمولة ٦٠ جورا فيستأجر بـ ١/١٦ من الشاقل . وكان عامل القارب يؤجر عن خدماته فى السنة بأجر متوسطه ٦ جور من الشعير والعربة ذات الثيران والسائق كانت تستأجر بـ ١٨٠ قا من الشعير يوميا أما العربة وحدها فأجرها ٤٠ قا .

أما العامل الزراعى — شأنه فى هذا شأن راعى الماشية والأغنام — فكان يستأجر بأجر سنوى قيمته ٨ جور من الشعير. وسائق الثور بـ ٦ جور أما عامل المياومة فكان يكتسب ٥ أو ٦ قمحات يوميا تبعا لموسم العمل . وقد حدد القانون أيضا أجور العمال اليدويين فأجر النجار — وهو الأجر الوحيد المؤكد — ٤ قمحات يوميا وكان استئجار العبيد معروفا كذلك بين السوميرين القدماء . وكان الرجل الذى يأخذ عبد رجل آخر فى خدمته يصبح — كما هو الشأن فيما يختص بالحيوانات — مسئولا عن هرب الخادم وموته وعجزه المؤقت أو الدائم بل ومرضه كذلك وكانت قيمة الاستئجار أصلا محددة بـ ١٠ قا من الشعير يوميا .

وكانت الأرض الصالحة للزراعة تؤجر لمدة معينة هى ثلاث سنوات عادة — وأحيانا السنة واحدة — وهاك مثل من دلبات[1] « ٣ جان و ٧٠ سار من حقل واقع فى اقطاعية ... المجاورة لحقل سن ايلو وحقل ليت ... و (١٠ جان من حقل باب اداد المجاور لحقل ايبق عشتار وحقل إتيل پى . . . ومجموعها ١٣ جان و ٧٠ سار من ايدى « ايلى اريشا » ابنة « ناهيلوم »

(1) XLVI No 39.

و«هوزالوم ابن ناهيلوم» تزرع هذه الأرض سمسما وشعيرا وقد أجرت لعام واحد وكان الدفع فى موسم الحصاد من المحصول نفسه — وفى عهد نبوخذ نصر الثانى أجرت زراعة نخيل مدى ١١ سنة[1] وكان محصول الأرض كلها والأشجار مدى أربع سنوات من حق المستأجر وفى السنوات الثلاث التالية كان نصيب المالك الثلث أما فيما بين السنتين الثامنة والحادية عشرة فلم يتسلم سوى الربع[2] .وكان المخزن يؤجر عاماعاما ولدينا مثل على ذلك من دلبات. ولكن العادة جرت فى أغلب الأحيان على إيداع المحصول فى مخزن وكان الأجر يقدر بالنسبة لكميته المخزونة : وقد حدد قانون حمورابى تسعير ذلك بـ ٥ قا للجور أى ١,٦٦ ٪ .

وقد تضمن القانون المشار إليه كذلك بنودا تتصل بتأجير المنازل ولم يبق منها سوى مادة واحدة . ويظهر أن المستأجر كان ملزما بالدفع مقدما وكان من الممكن طرده قبل نهاية الايجارة على أن يتسلم تعويضا متفقا عليه مقابل ذلك وقد اختفى حق الاخلاء فى العهد البابلى الجديد وأن ظل محتفظا بطريقة الدفع مقدما . وفى السنة الأولى من حكم قمبيز أجِّر منزل بخمسة شواقل فى العام تدفع على دفعتين متساويتين فى أول السنة وفى الشهر السابع . وقد حددت الاصلاحات الخاصة بالعين المؤجرة كما حدد تعويض قدره ١٠ مينا عن الخسائر يدفعها الطرف الذى يخل بالاتفاق .

٧ — القرض (السلفة)

يحدث فى كل مجتمع منظم ان أحد أفراده يجد نفسه مضطرا الى الالتجاء الى الآخرين والاستدانة منهم لفتره طويلة أو قصيرة ما لا أو نوعاً ما يحتاج إليه كي يستغله فى صناعته أو يسد به حاجته . ومنـــذ أقدم العصور حتى

(1) CXIV NBK. 90.

(2) XLVI No 28.

الإمبراطورية الفارسية ظل التشريع البابلى فى هذا الصدد وطيدا فى صورة تدعو الى الدهشة : فإلى جانب القروض بدون فائده وبنص جزائى أو بغير نص لاسيما فيما يختص بالمواد الاستهلاكية . . . سمح هذا التشريع بالقروض ذات الفائدة وحدد سعرا أعلى للفائدة ظل لا يتغير مدى الفى سنة. وكانت الفائدة تسمى سبتو Sibtou « النمو — زيادة رأس المال » وهكذا ظهرت فرصة الاستثمار حيثما كان رأس المال المعار قابلا للزيادة اللهم الا فى حالة « الظروف القاهرة » التى يمكن إثباتها .

ولقد أقر قانون حمورابى [1] عادة كانت قائمة تحت حكم ملوك أور وحدد فقط مادتين يمكن أن تكونا محلا للاعارة هما الشعير والفضة مع أخذنا « الشعير » هنا بمعنى واسع للدلالة على أى نوع من الحبوب بل وأى نوع من المحاصيل (كالبلح مثلا) التى كانت كلها سواء بالنسبة للشرع نظرا لأن سعر الفائدة لم يكن يختلف: وهناك عقد من السنة الثالثة لحمورابى خاص بقرض شعير وبلح فيه الدليل على ذلك .

وكان الشعير أهم سلعة للتبادل فى هذا الاقليم ذى الأهمية الزراعية حيث كان يغل بأكثر وسائل الزراعة سذاجة ٣٠ أو ٤٠ ضعفا . وهو الى جانب ذلك الغذاء الرئيسى للإنسان والحيوان لدرجة أنه كانت تدفع به لا أجور العمال فحسب بل وأجرة حيوانات الحرث وحتى مرتبات بعض الموظفين .

وفى عصر أور كان السعر المعتاد للقرض من الشعير ٣٣ ⅓ ./. فى السنة أى ثلث رأس المال وقد ظل هذا السعر قائما فى قانون حمورابى إلا أنه أخذ فى الانخفاض بعد ذلك وفى عصر البابلية الجديدة عندما شاعت القروض بالفضة نزل هو كذلك الى نفس سعرها . وقد حدد هـــذا فى كل العصور بـ ٢٠ ./. فى السنة أى خمس رأس المال .

ومع ذلك فقد كانت هناك حالات — نادرة جدا على كل حال — يطلب

(1) XXVII t. V et. I,t. XIII.

فيها القرض فائدة أعلى . ولدينا مثال من عصر أور وآخر من العهد البابلي بلغ فيها سعر الفائدة لقرض من الفضة ٢٥٪ وغالبا مارضى الرأسمالى بفائدة أقل وهو فى هذا كان ينهج نهج الدولة التى كانت تمنح القروض المالية بفائدة ١٢٪ أو نهج أولئك الذين يديرون شئون المعابد ممن كانوا يطلبون أقل من ذلك . وقد إعتاد الإله شماش إله سيبار أن يقرض الشعير بفائدة قدرها ٢٠٪ وبعد سنوات قليلة كان يقرض الفضة بفائدة مقدرة على أساس ١/١٦ من رأس المال أى بفائدة تقل عن ثلث السعر القانونى للفائدة .

ولحماية المستدين من المرابين أمر حمورابى أن يكتب عقد القرض ذى الفائدة فى حضور موظف كان مكلفا منذ عهد أور بمعرفة مايسلم من أموال وحبوب وحيوانات وسلع من مختلف الأنواع . ومنذ ذلك العهد أعتبر كل عقد يكتب ويختم — حين لا يكون الاشراف قائما — ملغيا من تلقاء نفسه وكأنه لم يكن . وليس للمقرض أى حقوق للمطالبة بما أقرضه فكان الطرفان المتعاقدان قبل تقرير هذا الاجراء القانونى يعترفان عادة بأن التسلم تم على يد « رجل عادل وصادق » وقبل ذلك وبعده كان الطرفان يقرران فى كثير من الأحيان أن الوزن والمكيال سيجريان بالأوزان والمكاييل الرسمية المحفوظة فى قصر الملك أو فى معابد الآلهة .

ورغم حضور الموظف المختص فانه كان من المحتمل تحرير العقد على وجه يحتال به على القانون ترفع به الفائدة الى سعر أعلى من الحد المرخص به فى القانون وفى هذه الحالة كان الاتفاق يعد لاغيا أن عرف هذا التحايل ويفقد الدائن حقه فى الدين ولكنه يحتفظ بالفائدة التى تسلمها . أما المدين فلا تتخذ ضده أية إجراءات .

وقد احتاط قانون حمورابى ضد الدائن غير الشريف الذى تسلم الفائدة ولكنه ينكر ذلك بقصد مضاعفة ربح قرضه . ولسوء الحظ لم يصلنا النص الجزائى . وكان الأمر يتطلب على أية حال تحرير لوحة جديدة يحدد فيها أصل

الدين وما يتبقى على المدين. وحين لا يستطيع الدائن غير الشريف أن يتهرب من هذا الالتزام فانه كان يسعى جهده كى ينتفع منه فى سبيل أهدافه الربائية — من ذلك أنه كان يخصم الفائدة التى تسلمها فعلا ولكنه كان يعنى فى الوقت نفسه بأن يضيف فى الصك الجديد قيمة الفائدة — التى لا تزال واجبة السداد — الى رأس المال وبذلك يجعل المدين يدفع فائدة الفوائد أو بعبارة أخرى يحصل على فائدة على أساس سعر أعلى من السعر القانونى. وكانت العقوبة فى هذه الحاله الزام الدائن بأن يدفع ضعفى مقدار المبلغ الذى تسلمه بغير وجه حق. ولئن لم تكن هذه العقوبة أشد فربما كان سبب ذلك أن المشرع راعى أن المدين قد أهمل بعض الاهمال فى تأدية واجبه الذى كان يحتم عليه أن يحقق الأرقام المنقوشة على اللوحة وأن يعارض فى أعمال الغش التى أصبح ضحية لها.

وكان استعمال موازين ومكاييل زائفة سواء فى تسليم القرض أو دفع الدين يعرض الدائن لسقوط حقه.

وكذلك نرى أن المدين الذى يحميه القانون من كل تصرف غير شريف من قبل المقرض يستطيع أن يحصل على تسهيلات للدفع حينما يكون من المستحيل عليه أن يرد الدين النوعى فان كان قد استعار مالا وكان لا يملك منه شيئا بينما يكون لديه بعض الشعير فانه على الدائن أن يتقبل الشعير وإن كان له أن يحدد فائدة قدرها ⅓ ٣٣٪ وهى الفائدة الرسمية للشعير بدلا من ٢٠٪ أقصى فائدة للفضة. أما إذا لم تكن لدى المدين فضة أو شعير فان فى استطاعته أن يقدم أى سلع يمتلكها ليتخلص من ربقة الدين وعلى المقرض أن يتقبلها ان كان العرض قد تم فى حضرة شهود. أما حين لا يكون هناك شىء يستطيع المدين تقديمه لسداد الدين فهناك مجال لعقد جديد يتفق الطرفان على نحواه ولا يعتبر هذا العقد عقد قرض بفائدة.

٨ — الرهون

لم يقصر المشرع رعايته على المدين وحده لأنه كان من العدالة أن يضمن للمقرض حقه فى استعادة رأس المال والفائدة ولذا فانه سمح له أن يطلب رهنا أو ضمانا .

ولقد نظم قانون حمورابى رهن الحقول فكان لكل من يتسلم حقلا غير مبذور بصفة رهن ليزرعه الحق فى أن يأخذ وقت الحصاد ما يعادل القرض مضافا إليه الفائدة ونفقات الزرع . أما إن كان قد أخذ حقلا مبذورا فليس له حق مباشر على المحصول بل أن من حق صاحب الأرض أن يبيعه قبل أن يسدد للدائن .

وعلاوة على ذلك كانت توجد أنواع أخرى من القروض مقابل رهن ففى حكم « سامسو ايلونا » أقرضت كاهنة إحدى زميلاتها قدرا من المال يساوى ثمن حقل وذلك مقابل اتاوة سنوية وهدايا فى أعياد معينة وكان الضمان الحقل نفسه الذى يصبح من أملاك الدائنة مقابل الدين المقدم أن لم تف المدينة بالتزاماتها. ولقد انتشر رصيد الرهن انتشارا كبيرا خلال عهد البابلية الجديدة . وكان سداد الفوائد وكذلك الدين يحدث أحيانا عن طريق استعمال الرهن المودع لدى الدائن ... من ذلك — الى حد معين — قضية الخباز « اينا تسيللى بابى رابى » الذى الزمه أبوه أن يخدم السيدة « اهاتا » سدادا لقرض قدره ٤٢ شاقلا من الفضة [1] ولقد ظل فى خدمتها مدى عشر سنوات إذ أن خدمته كانت مقدرة على أساس أجر يومى قدره ٦ قا من الشعير استهلاكا للدين . ومما هو جدير بالذكر أن القانون عدل فى أيام الأسرة الأولى كانت العبودية الجثمانية لا تمتد لأكثر من ثلاث سنوات أما الآن فليس لأمدها من حدود ما لم يتيسر السداد .

---

(1) I t. XII راجع صفحة ٩٦

وكان من الممكن استعمال المنقول وغير المنقول رهنا كالزوجة والأطفال والعبيد والحقول والمنازل والقروض وأدوات المنزل ... ألخ . وفى السنة الحادية والعشرين من حكم نبوخذ نصر الثانى استعار « بابيا » وزوجه « شاناناشى » « مينا » من الفضة من « نابوبان أهى » وقدما له ضمانا لذلك بابا من أبواب مسكن البواب لبوابة ساليمو وكان الخشب نادرا كما هى الحال فى أيام الأسرة الأولى وكان الباب شيئا له قيمته ومع ذلك فقد أضافا إليه « كل ما كانوا يملكون فى المدينة والقرية » مع النص على السلع بمواصفاتها التى لا يستطيع دائن آخر أن يدعى حقا عليها قبل انتهاء أجل الدين[1] ولقد فعل نابو بالاتسى أقبى نفس الشيء حين استعار نصف مينا من الفضة من جاميللو بفائدة قدرها ٢٠ ./· وذلك فى السنة السادسة عشرة من حكم نابونيد وقدرهن بيته ونص فى مستند الرهنية على أنه لا حق لأى دائن آخر على هذا البيت حتى يتم السداد».

وإذا حدث أن اقترض رجل عدة قروض متوالية من نفس المقرض فان هذا الأخير كان يعنى بأن يورد فى اللوحات الجديدة ذكر القروض السابقة تلافيا للخلط بينها وبين القرض الأخير وهكذا نرى «ادّين مردوك» يقرض « نابو اهيدّين» نصف مينا فى التاسع من سيوان من السنة الثامنة من حكم نابونيد ولقد كتب «أموال أخرى يسلمها — أى نابو اهيدين —» وفى العام التالى فى ٢٤ نيسان أعطاه ½ مينا و ⅔ ٤ شاقلا من الفضة وذكر أنه كانت هناك سلف أخرى سابقة دون اغفال ذكر فوائدها كذلك. وفى التاسع من كيسلو أعطاه (٤٥ جور) من الشعير بفائدة ٢٠ ./· وفى هذه المرة أشار المقرض « يضاف الى ذلك القروض السابقة »[2] .

وهناك عقود ثلاثة مؤرخة بالسنة التاسعة من حكم الملك نابونيد تبين كيف انهم كانوا من الناحية العملية يفكون الرهن الذى قد يكون المقرض

---

(1) CXIV NBK. 129.

2) CXIV, NBN 294, 325, 369.

نفسه رهنه ضمانا لقرض آخر فلقد استعار نابو تولتابشى ليشير ٣٥ شاقلا من الفضة من السيدة بنانوتوم وأعطاها أمة كرهن . ولما كانت بنانوتوم وزوجها فى حاجة للمال فانهما طلبا من اينا ايساجيل بعليت قرضا قدره ٣٠ شاقلا وسلماه الأمة وباع نابو تو لتابشى ليشير ثلاثة خدم بما فيهم الأمة المرهونة الى اذ ين مردوك مقابل ٢ مينا و ٥٠ شاقلا . وفى الحادى عشر من اذار طلب اذ ين مردوك من مموله أن يدفع ٣٥ شاقلا الى بنانوتوم وهذه بدورها خلصت الأمة بأن سددت دينها الى اينا ايساجيل بعليت . وفى الخامس عشر من اذار تسلم نابوتولتا بشى ليشير باقى ثمن البيع ولكنه أعطى مع ذلك مخالصة كاملة عن المبلغ كله ما دام وكيل الأعمال قد أعاد إليه لوحة القرض الذى كان قد أخذه من السيدة بنا نوتوم [1] .

ولم يكن الرهن يحول دائما الى المقرض ولم يكن له فى أحيان كثيرة حق فعلى عليه إلا من التاريخ الذى يستصدر فيه حكما من المحكمة بالاستيلاء عليه وذلك فى حالة عدم استطاعته استرداد الدين . وهذا ما حدث فيما يختص بالباب الخاص بـ «بابيا» أما إذا كان الرهن قد سلم فانه كان هناك مجال لعقد اتفاقية بشأن الأرباح التى قد تنتج من استغلاله وشروط هذا الاستغلال .

وكان الرهن أحيانا يستطيع أن يسدد رأس المال والفائدة معا فنى آخر خدمة اينا تسيللى بابى رابى حُسِب بمجموع الفائدة ولم يكن استهلاك سنوى .

ولقد استعار « شابيك زر » من « شولا » ورهن بيته وقدم شولا ليعيش فيه ولم يكن على «شولا» أن يدفع إيجارا أوعلى «شابيك زر» أن يدفع فوائد حيث اعتبر الإيجار مساويا لفائدة المبلغ المقترض. وفى السنة الثالثة من حكم كيروش وضع «بعل أوبالليت» ١ مينا و١٣ شاقلا تحت تصرف «نابو زر اقيشا» وقد أعطى له هذا الأخير عبدا لقاء الفائدة .وفى السنة التاسعة عشرة من حكم دارا رهن حقل كان يأخذ منه المقرض أرباحه وقد نص فى العقد

(1) CXIV NBN 390, 391, 395

أن يظل المدين ملزما بدفع الفرق فى حالة عجز الحصول عن الوفاء بالمطلوب .
وكان فى استطاعة عدة مدينين أن يتعهدوا متضامنين ففى السنة العاشرة من حكم دارا ضمن زوجان معا قرضا برهن كل ما يملكان من املاك .
وكان من الممكن أن يحول الرهن الى طرف ثالث فلقد اعطت السيدة « بناناتوم » أمة كانت قد تسلمتها من «نابو تولتا بشى لشير» الى «اينا ايساجيل بعليت » وتوضح اللوحة المركز الحقيقى لهذه الأمة « شالا مدينينى — أمة نابوتولتا بشى لشير — ضمان بناناتوم » كما أن « شولا » عقد قرضا مع « نرجال اوبالليت » وأعطاه ضمانا البيت الذى كان قد أخذه من «شايكزر» وأضاف إليه كل أملاكه فى المدينة والقرية وكذلك عبدا .

٩ — الضمان

كثيرا مالا يضمن الرهن سوى الفوائد الخاصة بالقرض أما رأس المال فكان يكفله الضمان [1] ... فلما كان « بعل اوبالليت » مثلا غير قانع بعبد « نابوزراقيشا » فانه طلب ضمانا من « موشاليم مردوك » فضمن هذا الأخير رأس المال بكل ممتلكاته وفى دلبات فى السنة السادسة والعشرين من حكم دارا استدان « موشاليم مردوك » آخر مبلغ ١٠ مينا نقدا من معبد انو لمدة شهر وضمنه « سوقاى » و « نابو باللتسو » فان استطاعا فى اليوم المحدد أن يحضرا « موشاليم مردوك » ويجعلاه يسدد دينه أخليا من الضمان وإلا فانهما يلزمان بالسداد طبقا للشروط المعينة .
وكان من الممكن أن يكون الضمان مشروطا ولا يسرى مفعوله إلا فى ظروف خاصة ففى حالة « قدما المدين خارجتان عن يدى الدائن » مثلا فان معنى هذا الاصطلاح القانونى اختفاء المدين وعدم استطاعة الدائن الحجز عليه . وفى السنة الثالثة من حكم كيروش ضمنت المرأة « ديديتوم » « قدمى

---

(1) XLVII.

نابوزر لشير أن خرجتا من يدى جيميل شماش ، فاصبحت ملزمة بأن تدفع ٣٥ جور من البلح — وهو ما يعادل بقية دينه — أن هو استطاع الهرب .

وفى أيام الأسرة الخامسة كانت العادة أن يقدم ضمان حين كان الموظف عند تعيينه لا يستطيع أن يباشر أعمال وظيفته إلا بعد تاريخ التعيين. وهناك المثال التالى من سيبار فى عهد سامسو ايلونا فان «سيبار لبير بمحض اختياره وبناء على طلبه استخدمه اجور شماش وقد تسلم أجره عن شهر شاقلا من الفضة ... سوف يأتى ولا يذهب ... تعهد ملكى : (وإلا) فانه يدفع هذا المبلغ . يده (ضمانه) « ادّين داجان » بن « شماش رابى » [1] » فاذا حدث فيما بعد ان اضطر ادين داجان لاطلاق سراح سيبار لبير لأنه لم يحافظ على تعهده فانه يقال انه «سحب يده»[2] وهذا أشارة الى ما معناه أن يد الدائن التى كانت تستطيع أن تقبض على المدين لاستعباده والتى استبدلت بالضمان فى احتفال رمزى ضربت أثناءه المدين على أعضائه الخلفية لتضعه تحت حمايتها .

أما المدين الذى يتعذر عليه سداد الدين فى الموعد المحدد فقد كان من الجائز استعباده . وغالبا ما كانت تقوم اتفاقية لدفع تعويض . أما إن كان مدينا لعدة دائنين وكان واحد منهم قد استعبده فقد كان من حق الآخرين مقاضاته . وإذا كانوا من مدن مختلفة فانه يتحتم عليهم أن يقيموا عليه الدعوى أمام محكمة بابل . وكان للمدين المعسر من ناحية أخرى الحق فى استبدال نفسه بزوجه أو أطفاله (مادة ١١٧) لمدة اقصاها ثلاث سنوات أو بعبد أو أمة (مادة ١١٨ ، ١١٩) مع الاحتفاظ بحق استرداد الأمة التى استنسلها عن طريق الشراء . وكان يسمح له كذلك — بموافقة دائنيه — أن يحول ديونه لابنه وحالما يحرر العقد ويقبله الدائنون يفقدون الحق فى ادخال أى تعديل عليه .

---

(1) LXXI, No 276

(2) I, t. XIV.

١٠ — الوديعة

الوديعة هى العملية التى يعهد فيهـا شخص بمنقول الى آخر ليعنى به مجانا عـــلى أن يعيده عند الطلب وقد نظمها قانون حمورابى شأنها فى ذلك شأن القرض .

وكان يوجد نوعان من الودائع : وديعة المحصولات ووديعة الأشياء الأخرى . أما فيما يختص بالمحصولات المودعة فى شون أو مخازن فان القانون قد حدد إيجار الشونة أو المخزن بخمسة قا للجور (١ ⅔ ./.) واعتبر صاحب المبنى مسئولا عن التلف . وفيما يختص بإيداع الأشياء الأخرى كان القانون قد قضى بأن يصحب الإيداع تحرير لوحة بحضور شهود يذكر فيها المودع التزامات المودع لديه وليس للغير أى صفة دون ترخيص من المودع للاستيلاء على المحصولات أو الأشياء الأخرى المودعة بقصد استرداد ما قد يكون على المودع من دين لهم . فان فعلوا فانهم يفقدون كل حقهم فى الدين ويلزمون باعادة ما استولوا عليه . وكان المودع لديه مسئولا عن اختفاء الوديعة كما كان من الممكن أن يتم اتفاق بينه وبين المودع على استعمالها على أن يعيد قدرا مساويا لها الى مكانها نفسه أو فى أى مكان آخر يحدد .

١١ — المعبد — الإدارة الزمنية

لم يكن المعبد فى بابل مكانا للعبـادة والصـلاة فحسب بل كان كذلك عنصراً هاما ، للادارة الزمنية . وكان الامر يتطلب موارد ضخمة لاطعام موظفى الادارة الذين يعملون فى خدمة الاله وللقيام باصلاح المبـانى التى تتخرب بمرور الزمن او التى يجتاحها العـــدو . وكانت للإله أراض تجمع محصولاتها وترعى فيها قطعان الماشية . واما فى المدن فكانت له الاهراء والمخازن حيث كانت تكدس أيضا تقدمات الأمراء والمؤمنين ونصيبه

من الاسلاب بعد النصر . وكذلك كانت له فيها أبنية من كل نوع .

ولقد كشف فى تللو عن اجران لـ « انيننو » بناها الملك المسن اورنينا ولدينا من عصر لوجالاندا حسابات منتظمه هى دليل على تنظيم دينى متقدم وهى تحوى قوائم المدفوعات الشهرية لخدم الباو Baou مع ذكر المخازن التى سحب منها الشعير اللازم وكذا سجل لخدم ضيعة الاله — ١٤٥ رجلا و ٣١ امرأة مع بيان نصيب كل منهم واسماء الوسطاء ان مست الحاجة إلى ذلك والاجور المدفوعة مقدما وحالة الصيادين البالغ عددهم ٤٤ وقائمة بعربات واملاك الاله وطعام الحيوانات [1] — وكان لمعبد انليل فى عصر أور متنزه ضخم على مسيرة نصف ساعة من نيبور حيث كانت تفيض عليه الالتزامات (الضرائب) من المدن والايشا كوهات [2] . وفيما بعد — فى سيبار مثلا — نجد خزانة المعبد تمنح قروضا من مال وحبوب وحين كانت تقدم احيانا للفقير أو المريض لم تكن تطلب عنها فائدة وهى تخضع لمطلب الإله من تعويض حين يتم الشفاء أو عند معاودة الحظ والسماح بسداد الدين [3] وكان القادرون يتعهدون عن طريق النذر بتقديم تقدمة فى يوم شفاء من يهتمون بهم من المرضى وعند تقرير قرض بفائدة كان من النادر أن يطلب المعبد الفائدة القانونية بل غالبا ما كان يقنع بنصفها أو ثلثها على الأكثر . ويظهر أن كل معبد كان مقرا للعدالة وكان الكهنة يستمعون عند بوابته الى الشهود وينطقون بالحكم . وحين لم يكن من المستطاع تقديم مستند مكتوب الى المحكمة المدنية أو الدينية — فى حالة فقدان عقد مثلا — فان القسم كان يتم من أحد الفريقين — المدعى عليه غالبا — وكان هذا القسم يؤدى فى المعبد كقاعدة .

---

(1) LII.

(2) LIII, LVI.

(3) LXXI No 76 ; I, t. XIII p. 202.

وكان كثير من الوظائف فى المعبد وراثيا وان كانت أحيانا تباع أو تؤجر . وفى زمن حمورابى كان من الممكن أن يجد الوريث من نصيبه فى التركة إيرادا معيناعن فترة ٦ أو ٨ أو ١٥ يوما فى السنة أو كهانة لمدة محدودة. وهناك باشيهو — ووظيفته مسح التماثيل الإلهية ومواد العبادة بالزيت — باع وظيفته وحقلا بمقدار عشرة شواقل من الفضة وكان كبار موظفى الدولة يؤخذون من هذه المعابد التى كان يفخر الأمراء بأنهم يشغلون وظائفها المقدسة . وفى ظلال المعابد كانت تقوم المدارس التى تخرج الكتاب . ومن الثابت أن الكتابة وجميع المتون من كل نوع كان يعهد بها لرجال الدين وهى التى كان لها الفضل فى أحياء الحضارة البابلية .

الكتاب الثالث

المعتقدات والحرف

الفصل الأول

الدين

١ ـ الآلهة

لا يزال من العسير أن نحدد فى الدين السوميرى الأكادى ما يرجع أصله إلى العنصر السامى من السكان وما هو من أصل سوميرى ذلك لأن العقائد الأصلية قد استقرت كما أن الطقوس جرت فى خطوطها الرئيسية منذ بدء التاريخ وكانت اللغة السوميرية تستعمل فى العبادة حتى بعد اختفاء هذا الجنس وكان لنفس الآلهة الكبار هيا كلهم فى كلتا المنطقتين ولكن هيا كل سومير كانت كما يقال أمعن فى القدم وكان أولها وأعلاها شأنا الايساجيل الذى أقيم فى أريدو على شواطىء الخليج الفارسى .

وقد كانت الفكرة الأساسية فى كل دين هى الاعتقاد فى كائن متسام أو أكثر تلتزم أمامه الإنسانية بواجبات معينة . ولقد آمن السوميرو الأكاديون بوجود عددضخم من المعبودات كانوا جميعا كائنات سماوية وكان حى الذى يعبرعن فكرة الإله يصور كنجم كان معناه الحقيق « سماء » على حين عهد مختلف النجوم تدل عليها نفس العلامة مكررة ثلاث مرات . وكان الأعظم انو يعرف بنجم واحد فقط.. لقد كان إله السماء على حين كانت ة الأخرى تكون جيش السماء ... فيلق النجوم .

ولقد نسب السومير واكاديون الى معبوداتهم فضائل وعواطف انسانية واسبغوا عليهم نفس طريقة الحياة وأن رفعوهم عن الجنس البشرى بأن منحوهم الخلود وآمنوا بهم كخيرين ورحماء فى كل الظروف حتى حين كانوا يقاصّون البشر جزاء اثمهم وأخطائهم . ولم يكن هناك إله شرير بل أن الشر كانت تسببه فى العالم أرواح خبيثة ربما كانت اسمى من البشر ولكنها دون الآلهة . ولم تكن تقام لهذه المسوخ عبادة دينية وكان الناس يحاولون مقاومتهم وإتقاء شرهم عن طريق ممارسة السحر .



(شكل ١٢) إله سوميرى
(حفائر نفر — متحف جامعة فيلادلفيا)

ولم يستطع السوميريون والأكاديون أن يتخيلوا كائنا ازليا دون بدء وكانوا يرون أنه لم يكن هناك شيء كائن عند نشأة العالم وان فى هذا اللاشيء كان يستطاع تمييز عنصرين من الرطوبة مختلفين : ذكر هو « أبسو » وهو محيط الماء العذب الذى كان يحيط بالعالم والآخر انثى هى « تيامات » (البحر) وقد ولدت لهما كل الكائنات . هذا هو ما تدل عليه « قصيدة الخليقة » ومطلعها :

« حين لم تكن السماء العلا قد سميت بعد
ولم يكن للأرض من تحتها اسم
اختلطت الأمواه من أبسو الأوّلى أبيهم
ومن تيامات الصاخبة أم الجميع فصارت واحدا .
ولم تكن الآجام والأغصان مثبته ولم تكن غياض القصب مرئية

حين لم يكن هناك إله له اسم
حين لم يكن هناك قدر مرسوم
خُلق الآلهة [١] »

ولقدأدخل علم تكوين الخلق عندالكلدانيين فى إحدى الرقى نفس عناصر الرطوبة فى أصل الأشياء ومن الزوج الأول خرج أولا « لاهمو » وزوجه «لاهامو» وهما معبودان لم يكن الدور الذى لعباه ملحوظا ثم مرت فترة غير محددة وانبثق من الزوج الأصلى « انشار » و « كيشار » وهما يمثلان فى ذاتيهما كل السماء والأرض ومنهما جاء ثلاثة آلهة آخرون هم الثالوث الأعظم لمجموعة الآلهة البابلية : انو وانليل وايا .

٢ ــ الثالوث الأول

قسم هؤلاء الآلهة الثلاثة الكون (المعمورة) فيما بينهم لأنه طبقا للآراء السامية لم يكن الشىء يستطيع أن يوجد دون أن يكون له سيد. وكان انو الإله الأكبر يحكم فى السماء وكان انليل سيد الجو والأرض وكانت ايا ــ المسماه إنكى فى السومرية ــ تحكم امواه المحيط البدئى وكان لكل منهم طريقه الخاص على مدار الشمس وكانت مساكنهم على قمة السموات [٢].

وكان يعتبر انو الإله الأعظم منذ أقدم العصور التاريخية.وكانت«دير»مدينته فى اكاد أما فى سومير فكان يمجد بـ« اوروك » فى « أى . أنا » أى « مسكن انو أو بيت السماء » حيث حلت عبادة ابنته عشتار إلهة اللذة محل عبادته حتى قبل عصر أقدم الآثار العتيقة . وقد حدث مثل ذلك تماما فى لجش فى حى جيرسو إذ كان هناك كذلك « أى ــ أنا » حيث كانت تعبد ابنة انو منذ عهد اياناتوم تحت اسم « ننّى » NINNI . ولقد التمس لوجال زاجيسى ملك

(1) XLIII, p. 3 - 5.

(2) CXII, t. I, p. 259 ; XLIII, p. 179.

اوروك من انليل أن يقدم دعاءه الى انو كما يذكره جوديا فى صدر اللعنة المصوغة ضد من يغتصب منشآته . ولقد كان هو أول إله يمجده أل « أى — نتو » وكان «ملك الآلهة» كذلك لقبا منحه اياه اور انجور ويسميه حمورابى « الإله الأعظم » فى استهلال قانونه . ولقد كان يسكن قمة قبة السماء « سماء انو » وكان يحرس بوابته معبودان تموز وجيزيدا وكان يوضع أمامه «الصولج والعصابه والتاج وعصا القيادة» قبل نشوء الملكية على وجه الأرض. وحين كان الآلهة فى خوف من الطوفان هربوا وصعدوا إلى سماء انو وجثوا كما يفعل الكلاب على الحائط ورقدوا وظلوا هناك حتى اشتموا الرائحة الجميلة للضحية [1].

ورغم أن انو كان اسمى الآلهة ويعتبر كأب لهم وأول نموذج للخليقة إلا أنه لم يستطع أن يحتفظ بالسلطة العليا حين ركزت بابل القوة فى يديها واخضعت سومير واكاد الى صولج ملوكها .

وكان على التفكير الدينى أن يلائم ما بين القصص القديم والمركز السياسى الجديد . ولما لم يكن هناك شىء كائنا فى هذا العالم بغير أمر الآلهة والمصائر التى قرروها فان تعظيم إله بابل فوق الآلهه الآخرين كان يستلزم أن يتبع سمو بابل على المدن الأخرى رفع إلهها فوق جميع الآلهة الآخرين . وأصبحت كلمة مردوك «مثل كلمة انو» وكان يشار الى خلع هذا الأخير منذ بدء الزمان فحين كلف « انشار » العجوز « انو » بأن يحارب الثائرة تيامات لم يجد فى نفسه الشجاعة لمواجهتها فكر راجعا ولكن مردوك — على نقيضه — أصبح البطل المنتقم لأخوته . وفى مأدبة علنية وقد اسلموا انفسهم أثناءها للسكر رسموا له مصيرا لا يبارى وأعلنوه ملكا عليهم .

وقد اغتصب انليل سيد الأرض أحيانا القاب انو وكان يسمى « أب الآلهة » وقد أطلق عليه هذا اللقب فى نص من عهد «انتمينا» ايشاكو لاجش وكذلك فى قصيدة « إيا » و « اتارهاسيس » . ومن جهة أخرى فان

(1) XLIII, p. 155, 167, 111, 115.

رموزه الموجودة على عدد من الكودورو من العهد الكاسى هى — مثل انو — العرش والتاج . وهو فوق كل شىء مستشار الآلهة وهو الذى أحدث الطوفان ولذلك أرادت عشتار الغضوب أن تمنعه من أن يكون له نصيب فى تضحية « اوتا نابشتيم » وهو نوح البابلى فصرخت قائلة : « دعوا الآلهة يأتون للتضحية ولكن لا تدعوا انليل يأتى لأنه لم يمعن الفكر بل أحدث الطوفان وأنزل الهلاك بقومى » وقد أنبه « إيا » كذلك من أجل نفس العمل « أنت أعقل الرجال! أيها البطل! لمَ ؟ لم لم تمعن الفكر وأحدثت الطوفان؟ » وعلى أية حال فانه حدد مصير « اوتانا بشتيم » وجعله يسكن « مصب الأنهار » وقد كان فى الواقع سيد الكائنات الإنسانية وعهد بهم الى أمراء يقودونهم فى مسالك العدالة ... هو إله نيبور سيد سومير [١] .

والاسم السامى لـ « إيا » ثالث إله فى الثالوث الأعظم معناه « بيت الماء » أما اسمه السوميرى فهو انكى « سيد الأرض » وكانت مملكته الـ « ابسو » « مسكن المعرفة » المياه التى تحمل الأرض وتحيط بها . وكان يرمز له بكائن برمائى هو « العنزة السمكة » .

وكإله للحكمة خلق الإنسان بتشكيل كتلة من الطمى منحها الحياة بنسمته الإلهية وهو الذى انقذ البشر من الهلاك الكامل فى زمن الطوفان . ولقد كشف عن صناعات مختلفة للإنسان ومنح الذكاء للملوك وساعد الكهنة على تأدية وظائفهم المقدسة وخاصة فى طقوس السحر التى كان يستعمل لممارستها ماء مقدسا يؤخذ من حوض ابسو فى معبد اريدو [٢] .

٣ — الثالوث الثانى

كان هناك ثالوث ثان مكون من « سن » الإله القمر وطفلاه « شماش

---

(1) LXXVI p. 62, 38, 286, 280, 212 XLIII p. 133, 135, 103, 107, 119.

(2) LXXVI p. 389, 38, 66, 94.

إله الشمس »و « عشـــتار » نجم الزهره .

وكان سن يقيس الزمن وهو الذى ينهى الأيام والشهور والسنين للملوك المذنبين بالدموع والتأوهات . وكان رمزه الهلال . وكان يعبد فى اور تحت اسم نانّا . ولقد انتشرت من معبده فى حران HARRAN عبادته فى البلاد الآرامية .

وكان شماش فوق كل شيء القاضى الأعظم وكان له طفلان هما كِتُّو و ميشارو أى العدالة والحق . وكان يطأ الظلم تحت قدميه ولقد أملى شخصيا قوانين العدالة على أورانجور وحمورابى . وكان رمزه قرصا مزينا بنجم ذى أربعة أطراف تفصلها عن بعضها مجاميع من الأشعة المموجه . وهو يميز عـــلى الآثار المحفورة — اسطوانات عصر أجاده وقانون حمورابى ونابو البا ادّين (القرن التاسع) — بشعلات ترتفع إلى ما فوق كتفيه [١] .

أما عشتار « العطوف » فمعبود ذكر فى الصباح وإلهة انثى فى المساء وهى أحيانا ابنة انو وأحيانا أخرى ابنة سن وهى إلهة الحرب وإلهة اللذة وهى أخت شماش إله النور وفى الوقت نفسه أخت « ايرشكيجال » معبودة العالم السفلى . وقد حلت عبادتها فى اوروك محل عبادة ابيها وكان محبوها لا يحصيهم العد وكانت تسعى لغواية البشر . وكانت تعتبر فى هالاب HALLAB ابنة لـ « سن » وسيدة المعارك . وأما فى أجاده وسيبار فانها تحت اسم انونيتوم كانت على ما يظهر تمزج بين الشخصيتين وذلك فى عهد نابونيد على الأقل لأنه يسميهـا « سيدة العراك التى تحمل الجعبة والقوس » وكانت فى نفس الوقت تصنع له الفأل المناسب عند شروق الشمس وغروبها . وقد طغت شخصيتها على الإلهات الأخريات وكان اسمها المفرد يعنى أى واحدة منهن أما مدلول اسمها الجمع فهو الإلهات عامة . وكابنة لـ « سن » كان رمزها نجما . وكانت تمثل كآلهة للحرب واقفة منتصبة على أسد أو اثنين وهى تحمل الجعبة

(١) راجع شكل ٧ صفحة ٦٢

وفى إحدى يديها سلاح مقوس وفى الأخرى صولج مكون من عصا تتصل بسلاحين مقوسين يعلوها رءوس أسود .

٤ — مردوك

كانت كل قوى الطبيعة وكل قوى الخير وعلى العموم كل الأجسام السماوية تؤله عند السومير واكاديين وكان عدد المعبودات التى يلتمسونها كبيرا جدا . وكان لكل مدينة معبودها وكان كل رجل فى حماية زوج إلهى . ومع ذلك فقد استطاع أحدهم أن يتفوق على الآخرين بدرجة أنه فى التفكير الدينى لعصر البابلية الجديدة كان الآخرون يعتبرون كمظاهر له . وقد تم تفوقه حين وحدت الأسرة الأمورية فى بابل نهائيا أراضى سومير واكاده فى مملكة واحدة



(شكل ١٣)
الإله مردوك : القرن التاسع (متحف برلين — حفائر بابل)

وعندئذاك استطاع حمورابى أن يرفع مردوك الإله المحلى الى المرتبة الأولى فتألفت أناشيد

جديدة من القصص القديم تتفق والوضع الجديد . وكان انليل يتمتع بلقب «بعل» «سيد» ، وهو يملك لوحات القدر منذ زمن لا يمكن تقديره . وقد اخترعوا — من أجل استلابها منه — قصة عن بدء الخليقة مؤداها أن مردوك هو الذى هزم تيامات (الفضاء) فمنحته الآلهة حق تقرير المصير مكافأة له . وكان الاحتفال يقام فيما بعد فى «دو أزاج» فى بابل أثناء أعياد رأس السنة . ولقد تخلى انو عن سلطاته لـ «مردوك» ومنحه ابوه «إيا» اسمه «الا فليُسَمَّ «إيا» مثلى » وكانت له بالاضافة الى ذلك كل الحكمة بدليل أن إيا قال له « أى بنى ! ماذا هناك لا تعرفه واستطيع أن أعلمك إياه ؟ ان كل ما أعرفه تعرفه أنت أيضا . » وهذا هو السبب الذى اعتبر من أجله — مثل ابيه — ساحر الآلهة وإله الكهنوت وخالق البشر . وكان يمثل بأذنين كبيرتين ترمزان الى فهمه الكثير ويحمل السلاح المقوس الذى قهر به تيامات وتحت قدميه الوحش الذى اخضعه وكانت الحربة رمزا له على كودورو العصر الكاسى والأختام البابلية الجديدة .

وكان آلهة بابل وبورسيبا يأتون سنويا فى يوم عيد السنة الجديدة ليقدموا له ولاءهم وكان موكب عظيم ينظم فى الطريق المقدس وعندما كان يتوجه رسميا الى معبده اكيتى كان يتوقف فى الذهاب والعودة عند «دو أزاج» وفى اليومين الثامن والحادى عشر كان الآلهة يجتمعون هناك ويحيونه فى رهبة ويركعون أمامه وكانت المصائر تحدد أثناء ذلك تحديدا قاطعا للسنة بأكملها . وكان توقف هذه الاحتفالات فى زمن الحرب أو عند حدوث مصاب كارثة تذكر بصفة خاصة فى حوليات المدينة .

٥ — بعض المعبودات الأخرى

يذكر من بين المعبودات الأخرى اينورتا أول مولود لانليل وهو بطله . وكان إله حرب « خبير فى العراك » « لا تستطيع البلاد أن تحتمل وطأته

الثقيلة ، وكان يمتزج با لـ « بعول » (السادة) لبعض المدن وعندئذ كان يطلق عليه اسم إله المكان : ففى لجش فى حى جيرسو كان يسمى ننجرسو أى « سيد جرسو » وفى سوسه كان يسمى « أن شوشيفاك » « السوسى » وكان يمثل فيه آلهه أخرون مثل زابابا فى كيش ، اوراش فى دابات . وكان له على الأقل عشرون سلاحا مختلفا ففى يمناه كان يمسك بالـ «شار أور» وهى حزمة من العصى والأسلحة بسنان محد به تعلوها رأس أسد . وعلى كتفيه يظهر غالبا مقدم أسد كما يظهر نفس الحيوان الرمزى بين قوائم عرشه أو تحت قدميه. وقد قرنه علماء النجوم بمنكب الجوزاء Beteigeuze فى الجوزاء وكانت الجوزاء ككلٌ تكون جيشه .

وكانت باو الزوجة الإلهية لـ «ننجرسو» كبرى بنات انو تلقب «بالمرأة الخيرة» وكانت أما لسبع توأمات وكانت زوج اينورتا يطلق عليها فى عصر حمورابى اسم « ننكرّاك » كما كان يطلق عليها جولا فى عصر الكاسيين :وتحت هذين الاسمين كانت هى إلهه الطب تضمد الجراح التى يسببها الإله وتشفى الأمراض .

ولقد عبد المصريون النيل وأقام اليونان الهياكل لإله النهر ولكن السوميرواكاديين كانوا قد فعلوا ذلك من قبلهم فاختاروه هو وجبيل «إله النار» «ليقضى قضاءه بين البشر» و « حين احتفره الآلهة العظام وضعوا الخير على ضفتيه » ومنحوه قوة التمييز بين العادل والظالم . وطبقا لقانون حمورابى كان من يتهم بالسحر يلقى به فى النهر المقدس الذى يلقى على عاتقه وحده أن يكشف عن مدى براءته أو ذنبه .وهو يمثل على الأختام الاسطوانية من عصر اجاده برأس المحاكمة مستقرا على عرش وممسكا فى إحدى يديه باناء ينبعث منه مجريان تسبح فيها الأسماك .

وكانت تعبد كذلك إلهة للماء هى «نينا» ابنه « إيا » وكان يرمز لها بسمكة فى وسط حوض وكان لها هيكل فى لجش وكانت إحدى ضواحى المدينة مكرسة لها . وفى بعض أيام الأعياد حين كانت تخرج فى الموكب كان قاربها

المقـــدس يبحر فوق القنـــاة .

وكان « أداد » إله الجو مبعث خوف واحترام فى وقت واحد . أليس هو الذى يمنح الغيث أحيانا وأحيانا أخرى يلقى الرعب فى النفوس حين يطلق الرعد ؟ ولقد كان يمثل مرتديا ثيابا قصيرة ويقف فوق ثور وهو مسلح بصاعقة ورافعا سلاحا فوق رأسه .

وكان ينسب الى « نيسابا » أخت « نينا » نمو القصب العظيم وهو أحد مصادر ثراء الأقليم إذ كان يستعمل فى تشييد الأكواخ وعمل الحصير وفى صنع الكراسى والموائد والسلال كما يستعمل وقودا . وكان الساق — إن أحسن قطعه — يستعمل قلما للكتابة على ألواح الطين كما يستعمل الرماد لغسل القماش . وكإلهة للكتابة والخصوبة اعتادت نيسابا ان تجلس فوق كومة من الأغصان وكانت تحب أن ترسل شعرها حتى يسقط متموجا على كتفيها اللتين تنبثق منهما سيقان القصب وكانت تمسك فى يدها اناء يفيض وهو رمز الخير الذى توزعه .

ولقد أله السوميرو اكاديون عددا من الابطال الخرافيين وبعضهم يظهر فى القوائم الملكية لعصور ما قبل التاريخ مثل « دوموزى » وهو تموز السوريين الذى نقش اسمه فى المكان الرابع بين أمراء الأسرة الأولى فى اورك وهو ابن « ننجزيدا » وحفيد نينازو « سيد العرافة بالماء » وقد أصبح زوجا لـ « اريشكيجال » إلهه العالم السفلى بعد أن أحب عشتار ربة اوروك التى كانت سببا فى هلاكه . وكان بصفة عامة إله النباتات فكان يولد من جديد فى كل عام فى الربيع « هو يستقر صغيرا . فى إناء يغوص ثم ينام كبيرا فى حصاد المحصول ويظل راقدا فيه » . وهو صورة من ادونيس اليونانى ففى شهر الصيف المكرس له حين يلقى الحاصد آلة حصاده ويجمع السنابل فى الحزم يموت وينزل الى العالم السفلى وعندئذ تكرر النساء الولولة السنوية التى رسمتها عشتار .

« الى متى ستظل الحبة أسيرة ؟

الى متى ستظل الخضرة مقيدة بالسلاسل ؟ »

وتخرج الإلهة وتسير الى « البلد الذى لا يرجع منه أحد » لتبحث عن حبيبها وتعيده الى الأرض .

٦ — الأمراء المؤلهون

وقد كان كثير من الأمراء الذين خلفوا لنا وثائق رسميه يستمتعون كذلك بامتيازات التأله حتى فى حياتهم. ولعل قائمة الأعلام لحكم مانشتوسو تقوم دليلا على ذلك فى الاسم « شورثوكين ايلى » « سرجون الهى » وتتزايد الأدلة فى حكم « نارام سن » فهو فى الكتابات يسمى « إله اجاده » و « إله بلده » . وعلى لوحة النصر نراه يلبس على رأسه التاج ذا القرون التى يسميها الملك الكاسى « اجوم كاكزين » « عصابة السيادة — علامة الألوهية » . وقد قامت فيما بعد مؤسسات دينية فى لجش لعبادة الايشاكو جوديا. وكان لملوك أور معبدهم وكان هناك شهر فى كل عام يخصص لـ « دونجى » وألفت الأناشيد فى مديحهم وحرق البخور أمام تماثيلهم وقدمت التضحيات لهم . ومنذ أيام ملوك أور كان الناس يقسمون لا بالآلهة وحدهم بل بالملك الحاكم كذلك والقسم عمل دينى محض .

٧ — المعبد

كان الاله يسكن المعبد مع زوجه واطفاله وخدمه . ولسوء الحظ لا يسمح لنا الوصف الذى اورده جوديا عن هيكل ننجرسو فى لجش بمحاولة تصويره تماما . ولم تكشف الحفائر سوى عن كتلة من ركن المعبد ومدخل له [1] يستند على طبقتين من اللبن تفصلهما طبقة من الرمال . وكان الركن

(1) XLI p. 18 et plan K. cf. LXX p. 396 et pl. 50 fig. i.

موجها الى ناحية الغرب . والحائط على الجانب الجنوبى الغربى مستو خال من الزينة أما الحائط الشمالى الغربى فمزين بخطوط من جزءين وعلى بعد خمسة امتار من الركن كانت هناك فتحة واسعة يعترضها على كلا جانبيها بروز يتكرر ثلاث مرات . وليس هناك اثر لثقب يرتكز عليه الباب اولاية علامة لبوابة تغلق المدخل . وعلى مسافة ليست ببعيدة كان احد اسلاف جوديا وهو الايشا كو «أورباو» قد بنى كذلك معبدا لم يبق منه سوى الركن الغربى من ارضيته وقد كشف تحته عن تمثال صغير من النحاس ولوحة اساس موضوعتين فى اناء من الفخار بقاعه ثلاثة ثقوب [1]

ولدينا من عصر البابلية الجديدة أربعة معابد [2] فى نفس المدينة الواحدة وهى بابل وقد امكن الكشف عن التصميم الكامل لها ودراسة هذه البقايا تبين انه وإن كانت هناك قواعد تحتمها التقاليد فان المعماريين كانوا يتمتعون بحرية كبيرة فى ترتيب الأجزاء المتعددة للمبنى . وكانت هذه المعابد منشآت مستطيلة على وجه التقريب لها زوايا (اركان) تحدد اتجاهاتها كمبانى اورباو ، جوديا ولكننا نرى انه بينما استعمل ايشاكو لاجش الآجر والقار نرى نابو بولاسر وخلفاءه يستخدمون اللبن فقط . وفى الخارج كانت الحوائط مقسمة على مسافات متساوية بأعمدة مربعة تزينها قنوات مدرجة فى معبد نمار وشبه دائرية فى معبد إيساجيل ومستطيلة فى غيرهما كما هى الحال فى معبد ازيدا فى بورسيبا ومثل هذه الأعمدة المربعة لا توجد فى أى مبنى مدنى . ويؤدى الى الفناء الأوسط مدخل أو أكثر ببوابات مزدوجة مغطاة بالبرونز ومرتكزة على دعائم حجرية ويربطها مزلاج يثبت الدعامة فى الأرض . وكان هذا الفناء الأوسط — شأنه فى ذلك شأن الفناء الخارجى — مزينا بأعمدة مربعة تزداد تعقيدا بالقرب من البوابات وعند المدخل الرئيسى وأمام الهيكل .

---

(1) CXX p. 241, 400 ; LXXVI, p. 96, 98.

(2) CX b. fig. 38, 114, 119, 137 à 139, 142, 143, 244à 247..

وكان هذا الهيكل يقع عند طرف البهو الى الغرب فى معبد ايساجيل وفى الجنوب الغربى فى معبد ايماه . وقدغطى نبوخذ نصر الثانى حوائطمقصورة مردوك بالذهب واللازورد والرخام [1] وكان السقف المصنوع من أحسن أرز لبنـــان مغطى كذلك بالذهب اللامع . أما لعشتار اجاده فان الحوائط قد طليت فقط بالجير الأبيض وغطيت المشكاة التى تحوى تمثـال الإلهة بمحلول الأسفلت مع وضع شرائط بيضـاء قرب الاطراف كما هى الحال بالنسبة للمداخل الرئيسية . وفى معبد ايماه كان الإله يسكن مبنى صغيرا عثر على أساسه . وكان أمام الهيكل الذى تبلغ مساحته ١٢ × ٥ مترا غرفه وكان لكل من هاتين الغرفتين مخزن للأمتعة المقدسة .

وكان من الممكن رؤية الصنم من الفناء ولـكن ليس من الشارع لأن باب الدخول والحوش لم يكونا فى محور المبنى . وفى معبد « اينورتا » لم تـكن هناك غرف جانبية ولـكن كان هناك مزار صغير على كل من جانبى الهيكل . وحول الفناء الذى كانت تختلف مساحته بين مبنى وآخر — الإيماه كانت واجهته ٣٠ مترا وعرضه ٥٠ مترا ، والإيساجيل كان مربعا طول ضلعه ٦٠ مترا — كانت تصطف (وأحيانا تتجمع حول الأفنية الملحقة) غرف لانعرف على وجه التحديد فيم كانت تستخدم كما كانت هذه الحجرات موزعة أحيانا على أحواش اضافية . وفى ايماه يوجد علاوة على ذلك ممران ضيقان ينتهيـان بزقاق غير نافذ . وفى ايساجيل لوحظ وجود مزار صغير فى الجانب الشمالى .

وكان من المعتاد أن توضع فى أساس كل معبد صور واقية : فعند البوابة الرئيسية لـ « ايماه » وضع طائر — وهو رمز الإلهة — فى مشكاة مكونة من ستة قوالب من اللبن . وتحت أرضية قدس أقداس « اينورتا » اسطوانة الأساس بإسم نابوبولاسر .

(1) XXXII b p. 124, 126.

ولم يكشف عن أى مذبح داخل معابد بابل ومع ذلك فانه يوجد مذبح من اللبن موضوع على أرضية من الطوب أمام مدخل معبد ايماه كما يوجد مذبح آخر من اللبن المجفف فوق أرضية أمام معبد اينورتا. وكانت التضحية تتم فى الخارج ولم يكن مسموحا لغير الكهنة والأمير بالدخول الى قدس الأقداس فى حضرة الإله — وكذلك فانه طبقا لما جاء بهيرودوت « يرى خارج قدس الأقداس (بالإيساجيل) مذبح ذهبي وآخر كبير جـــدا لذبح الماشيـــة »[1].

وكان يقوم الى جانب المعابد الرئيسية مبنى اصم مكون من منشورات رباعية مبنية فوق بعضها البعض وتقل حجما كلما ارتفعت وهذا الجبل الصناعى المسمى زيجورات مثلت صورته على كودورو لـ « مروداش بالادان الأول » Mérodach-baladan I . وكان زيجورات بابل — الـ « ايتمينانكى » —[2] يقع الى شمال الإيساجيل بعد الطريق المقدسة وكان مبنيا من اللبن المجفف ومغطى بالآجر ومكوّنا أعمدة مربعة عثر عليها فى جانبين متجاورين طول كل منها ٩١ مترا — وهذا الزيجورات ليس محفوظا فى مثل حالة زيجورات بورسيبا التى لم يكشف عن خرائبها بعد — وهى ترتفع الى أكثر من ٤٠ مترا فوق السهل ولم يبق من هذا الزيجورات سوى طابق واحد والسلالم الثلاثة التى تؤدى من الناحية الجنوبية الى المدرج الأول وهناك لوحة فى اللوفر أرخت بالسنة ٨٣ من حكم السلوكيين (٢٢٩ ق. م.)[3] تقدم وصفا هندسيا لهذا الأثر وملحقاته الخارجية وكان فى مجموعة يكون مستطيلا طوله ٢١٩٠ قدما وعرضه ١٢٠٠ وكان المدخل الرئيسى الى الشرق — على الطريق المقدس — يؤدى الى شرفتين متتاليتين تسبقان الفناء المربع الذى كان شرفة كذلك حيث يقوم البرج. ويبلغ طول

---

(1) Hérodote I, 183.

(2) CX b. fig. 119.

(3) Memoires de l'Académie des inscriptions, t. XXXIX, 1913.

قاعدة البرج ٦٠٠ قدم . وكان الطابق التالى — الـ « كيجال » — يرتكز على الجانب الغربى للقاعدة وكان طوله ٣٠٠ قدم فقط[1] وكانت به عدة مزارات. فهذا الذى الى الجانب الشرقى كرسى لمردوك ونابو وتاشمتوم وهذا الذى الى الشمال كرسى لـ « إيا » و « لوسكو » وذلك الذى الى الجنوب كرسى لـ « انو » و « سن » . وكان يرى فيه كذلك « بيت السرير » و « بيت الأدوات » و « بيت الشباك » وفناء محاط بحائط تنفتح فيه أربع بوابات . وفى وسط الـ « كيجال » كانت هناك خمسة طوابق متعاقبة يقوم فوقها مزار يتوج المبنى . ويصف هيرودوت الـ « اتيمينانكى » كـ « مربع منتظم طوله إستادان[2] فى كل جانب . وفى الوسط يرى برج ضخم يبلغ كل من طوله أو عرضه استادا واحدا . وفوق هذا البرج يقوم آخر ثم ثالث وهكذا الى أن يبلغ عددها ثمانية ابراج . والصعود إليها من الخارج عن طريق منحدر يدور تباعا حول جميع الطوابق . وفى منتصف الطريق المنحدر تقريبا توجد غرفة ومقاعد يجلس ليستريح عليها أولئك الذين يرغبون فى الصعود الى القمة . وفى أعلى الطوابق يوجد هيكل كبير به سرير مزخرف زخرفة فخمة تقوم الى جانبه مائدة من الذهب . ولا يوجد فى هذا المزار ولا يمضى الليل فيه أحد سوى امرأة من الريف يختارها من بين رفيقاتها الإله نفسه على حد قول الكلدانيين وهم كهنة هذا الإله[3] » .

وقد اخذ نابوبو لاسر مؤسس الامبراطورية البابلية الجديدة على عاتقه اعادة بناء الـ « إيتمنانكى » تنفيذا لامر مردوك[4] . وكما فعل جوديا من قبله لم يفعل شيئا دون أخذ رأى الآلهة ولقد استشار وحيهم وقام بالتطهيرات المطلوبة ... ومثل الملك القديم اورنينا حمل مواد البناء فوق رأسه على حين حمل ولى العهد الطين الذى يصنع منه الطوب واستخدم ابنه الآخر « نابوشوم ليشو »

(1) CXI : 106 mètres.

(٢) يبلغ الأستاد نحو ١٨٥ر٣ مترا (المترجم)

(3) Hérodote I. 181.

(4) XXXII, p. 60 - 62.

المجرفة والمعول . ويظهر أن الطقوس الدينية الخاصة بتشييد أبنية العبادة ظلت متوارثة سليمة مدى عشرين قرنا رغم الثورات .

ونستطيع أن نرى مثلا آخر لروح التقاليد هذه فى الصعوبات التى لقيها نابونيد حين أراد ترميم التاج الذى كان نابوإبال ادين قد قدمه إلى شماش — سيبار فى القرن التاسع [1] وقد أراد الملك أن يعيدصياغته كله من الذهب ولكن الشيوخ ادعوا أنه يجب ألا يدخل عليه أى تغيير . ولقداستشاروحى « شماش » و« اداد » ثلاث مرات وأجاب الوحى ثلاث مرات بالرفض فاتجه نحو مردوك يسأله إلا أن الرواة قرأوا فى كبدالذبيحة تصميم الآلهة على عدم قبول أى تجديد . فنزل الأمير على إرادتهم وأمر باعادة التاج الى حالته الأولى .

٨ - كبار رجال الدين

كان الأمير الكاهن الأكبر لإله مدينته وكان الملك الكاهن الأكبر للإله الوطنى . فأنتمينا كان الإيشاكو الأكبر لـ « ننجرسو » وكان جوديا يقدم بنفسه القرابين ويقوم بالاهراق وكان يستبين بالفأل ويتلقى مباشرة أوامر الإله وهو الذى طهر المدينة قبل اقامة المعبد وقام بالتقديس المطلوب ونطق بالبركات السبع عند التكريس . كما أن لوجال زاجيسى ملك اوروك أطلق على نفسه كذلك لقب كاهن أنو إله أوروك ثم الإيشاكو الأكبر لإنليل إله سومير بعد فتح سومير : « عينه (الآلهة) فى هياكل سومير كإيشاكو للبلاد وفى اوروك ككاهن » .

وكان كبار كهنة الهياكل الهامة شخصيات لها قدرها فكان يتطلع الى شغل مراكزهم أبناء الأمراء وكان الفأل وسيلة تعيينهم وكان هذا الحادث يستحق التخليد بأن تسمى به السنوات . وهكذا أختير ابن « اور انجور » خلال حكم أبيه . . . اختاره المعبود كاهنا أكبر للإلهة « اننا » (عشتار) فى

---

(1) Ibid p. 264 - 270.

أوروك ويعيد تاريخان خاصان بدونجى الى الذاكرة اختيار كبير كهنة نانا .
فلقد مر عامان بين الانتخاب والتتويج وفيما بعد خلال حكم «جونجونوم»
ملك لارسا بلغت هذه الفترة ثلاث سنوات فى حالة الكاهن الأكبر
لشماش . ومنذ أقدم العصور ربما كان هناك مجمع لكبار الكهنة الى جانب
بعض المعابد : وهناك نص من جوديا ينهض دليلا على ذلك. وكان الأمير الذى
يخلع عن عرشه لا يستخف أبدا باحتفاظه بوظائفه الدينية فلقد ظل ننجرسو
ابن جوديا كاهنا لآنو وننينا حتى بعد أن زالت عنه صفة إيشاكو لجش .

وكانت تنتظم تحت الكاهن الأكبر (en بمعنى سيد وفى السامية enou)
طبقات متعددة من الكهنة يجمعهم الاصطلاح العام سانجو (وفى السامية شانجو)
ويظهر أنه كان يطلق بصفة خاصة على مدير المعبد وإن كان يطلق كذلك
على أى شخص يشغل الوظائف المقدسة .

٩ — الطبقة الأولى من رجال الدين (السحرة)

كان رجال الكهنوت ينقسمون الى ثلاث مراتب: السحره وهم الذين يستعطفون الآلهة ويبعدون الأرواح النجسة ؛ والمنجمون الذين يتنبأون بالمستقبل ثم المغنون الذين يباشرون وظائف الشمامسة . ونحن نعرف حوالى ٤٠ وظيفة مختلفة .



(شكل ١٤) بالاجو (متحف اللوفر)

وكان الكاهن من الطبقة الأولى يحمل لقب ما شماش (وفى الأكادية

أشيبو) ولكن الوظائف قسمت منذ أقدم العصور فكان يدعى « كالو » الكاهن الذى يناط به أن يخفف الغضب عن قلوب الآلهة الغضبى بغنائه[١] وكان عليه فى أيام معينة أن يذهب الى المعبد ليقدم التضحيات ويرتل المراثى المقدسة مستعينا بمختلف آلات الضرب فكان يستعمل الـ « بلاجُـو » وهى طبلة ضخمة عثر عل صورتها على قطعة من إناء فى اللوفر[٢] وهى تكرس للاله « لومها » حامى الـ « كالو » — حين يغنى تمجيدا لانليل أو عشتار — واحدة من هذه القصائد المتعددة التى تحمل كذلك اسم بالاجُـو ومع الـ « شِمْ » أو « هالهالاتو » كان يصحبها « إرشم ما » . وكانت لديه كذلك آلة أخرى هى الـ « للسُـو » وهى طبل نحاسى مغطى بجلد الثور . وقد احتفظت لوحة من واركا ترجع الى عصر السلوكيين[٣] بطقس تكريس هذه الآلة . وهناك لوحات أخرى[٤] تحوى الصيغ التى تتلى خلال الاحتفال .

وكان الـ « كَـلاَماه » أوكبير الكالو أهم جماعة « الكالى » . ويظهر أن وظيفته كانت وراثية وكانت هناك وظائف تؤدى أعمالها بعيدا عن أعين عامة الناس ولكن كان يسمح للمبتدئين بالحضور وهكذا يتلقون التعليم الأول . وكان الكالو يتوسط فى ظروف استثنائية معينة فمثلا عندما ينظر فى إعادة بناء معبد مخرب حين يتلقى المنجم فألا بالموافقة على ذلك نرى الكالو فى يوم رائع يتجهز ويضحى خلال الليل بخمس تضحيات تكريما للآلهة الخمسة ويرتل مرثية و « ارشم ما » ثم يقدم ثلاث تضحيات لإله المعبد والإلهة زوجته ولصاحب المعبد . ويقدم عند الفجر ثلاثة أخرى هى فى هذه المره للبعول (الاسياد) الكبار انو وانليل وايا. وكان الاحتفال

---

(1) I t. XVI, p. 121 ; XVII p. 53.

(2) I t. IX pl. III انظر شكل ١٤

(3) I t. XVII p. 55.

(4) I t. XVII p. 95.

التمهيدى ينتهى باغنية «حين خلق انو وانليل وأيا السماء والأرض» التى تغنى أمام طوب أساس المعبد القديم . وبعد ذلك يوضع أساس المبنى الجديد ولا يتوقف الكالو عن تقديم التقدمات والمرثيات حتى يتم البناء .

وكانت مهامه تلتمس فى مناسبة الفأل السىء فان انذرت زلزلة بهجوم لعدو [1] فانه هو الذى يقدم التضحيات ليلا لإله وإلهه الملك بعد تطهيره ثم يضحى فى الصباح للآلهة انو وانليل وإيا . وبعد أن يسجد الملك ويحلق له يأخذ هو فى إناء « لاهان سهار » شعر جسم الملك ويذهب لالقائه على حدود العدو قبل أن تعمل فى جميع المدن المراثى الاستعطافية على معطف الملك : « ان أنت أديت هذه الواجبات كما قررتها الطقوس فان الشر لا يقرب الملك » .

والى جانب الكالو نجد هناك الـ « اشيبو » وعليه واجب تطهير المرضى والآثمة وخاصة بواسطة الرقى والطقوس السحرية وهو يعمل بفضل إيا إله اريدو أو — فيما بعد — بفضل مردوك ابن إيا حين بسطت بابل نفوذها :

«السيد العظيم الإله إيا أرسلنى
لقد أحل رقيته المقدسة محل رقيتى
ووضع فمه المقدس مكان فمى
ووضع لعابه المقدس مكان لعابى
ووضع صلاته المقدسة مكان صلاتى [2]»

وكانت هناك رقى لكل المناسبات وضد كل الشرور « ضد الأرواح الشريرة » اوتوكى ليمنوتى « Outoukki limnouti والشبح « اديمُّو » والـ « لابارتو » . أما ضد الساحر فكانت تستعمل رقية « ماقلو » (الاحتراق) أو « شاربو » (الالتهاب) ذلك لأن صورة الساحر كان يلقى بها فى النار .

---

(1) Ibid t. XVII, p. 87.

(2) XLIV p. 287.

وكان الصداع والحمى والروماتزم تعتبر كائنات حقيقية يجب أن تختفى نتيجة لعمليات السحر. وكان الـ « اشيبو » يقدم الصلوات للآلهة كما يتقدم بالتضحيات ويصب الأهراق .

١٠ — الطبقة الثانية من رجال الدين (المنجمون والعرافون)

كانت الطبقة الثانية من رجال الدين تضم المنجمين وقد عرفتهم لجش منذ فجر التاريخ وكانوا ينقسمون الى فرق عدة تبعا لمختلف أنواع الظواهر التى يمكن ملاحظتها . فى عصر أورنينا التمس كبير المنجمين «باآزو» من الاله أنكى أن يحصل على وحى بشأن تشييد بيت جيرسو [١] وتحت حكم أسلاف « اوروكاجينى » كان على الرجل الذى يرغب فى صب الزيت على الماء حتى يعرف مشيئة الآلهة أن يدفع خمسة شواقل من الفضة للايشاكو وواحداً لكبير الوزراء وواحدا للمنجم « ابكاللو » الذى كان يكرس ذاته خاصة لإدراك الغيب عن طريق دراسة الأوانى [٢] . وفى نفس العصر كان هناك كهنة آخرون يفسرون الأحلام — الـ « إنسى » — أو يلاحظون مختلف الظواهر الـ « إجيدو » . وكلهم يحملون الاسم العام « بارو » .

ولم يكن اللجوء للعرافة يتم فقط بالنسبة للشئون الخاصة بل كان كذلك وقبل كل شىء يتصل بالشئون العامة فلم يكن أمير يقبل على أمر هام دون استخارة المعبود سواء أكان ذلك بأن يبدى المعبود رأيه عن طريق ظاهرة غير عادية أو غير متوقعة أم — كما هو الأمر فى أغلب الأحايين — بأن يلتمس السائل تدخله بالبحث عن الرغبة الالهية فى الظواهر التى يلاحظها المنجم. ولقد استشارهم « أمّـى ديتانا » ملك بابل فيما يختص بنقل حمولة قمح [٣] .

---

(1) LXXVI p. 19

(2) Ibid p. 80.

(3) LXXXIX p. 159.

وكانت مهام المنجم وراثية وكان هو « نسل كاهن مولود من كاهن سليم » ويجب ألا يكون فيه عيب جثمانى . أما العلم الذى لديه فقد وصل إليه عن « إنميدورانكى » سابع الملوك السابقين للطوفان [1] الذى أقام صرح الكهانة ... أما — بعد قرون — ان هو « ارتدى ثيابا طاهرة » فان ذلك يرجع فقط الى تعديلات ادخلت فى الطقوس لأنه فى الأصل كان عريانا عرياتاما عند مباشرته لمهام عمله كما تبين ذلك اللوحات العتيقة من نيبور والأختام الاسطوانية .

ا — ادراك الغيب عن طريق دراسة الكبد والأوانى

كانت العرافة تتناول كل الظواهر المحتملة وغير المحتملة . وفى المجموعات المختارة التى يستعملها المنجمون دُوِّن فى عناية ماتم من أحداث ، بعد ظاهرة أو أخرى من الظواهر والتى كانوا يعتقدون أنه سيتكرر حدوثها فى نفس الظروف... بل وأكثر من ذلك اخترعت فروض معينة وبصور مختلفة من تداعى الخواطر استنتجوا ما ينبغى حدوثه .

وكانت أكباد الحيوان تعتبر مقر الحياة . ومن ثم كان هذا العضو يسمح للمرء أن يرى فيه كما يرى فى المرآه نوايا الإله الذى تقبل الحيوان المضحى كتقدمة . ومع ذلك فقد كان من الضرورى لمباشرة ادراك الغيب عن طريق الكبد أن يختار حيوان مبرأ من العيوب وأن يضحى به وفقا للشروط المقررة فى الطقوس والتى تختلف باختلاف ساعات النهار . ففى الفجر مثلا كان المعبود على استعداد لأن يتقبل شاة وكان العراف يضع أمام الإله موقدا وعلى مائدة خلف الموقد أربعة أوان بها خمر السمسم و ٣٦ كعكة ومزيجا من الزبد والعسل ثم الملح أخيرا . وبعد أن ينفخ الكاهن الموقد يمسك بصاحب القربان من يده ويتلو هذه الصلاة : « فلان عبدك » !

(1) XLIII p. 143.

هلا يقـــدم تضحيته فى ساعة الصباح! ألا فليقدم نفسه أمام عظمة الوهيتك! الا فليكن مرضيا لعظمة ألوهيتك بفضل هذه الشاة ذات اللحم الجيد والأعضاء الصحيحة ،وبعد أن تضحى التضحية كان نصيب الإله الفخذ الأيمن والكليتين وقديدا . وقد عدد أحد الكتب العلامات التى قد يكشفها العراف فى الكبد وحدد أيها مناسب وأيها غـــير ملائم . ولقد احتفظ بالملاحظات التى بنيت على الأحداث التى حلت بأسرة اجاده . ولدى المتحف البريطانى كبد من الطين ينقسم الى خمسين قسما يتصل كل منها بعلامة من العلامات المختلفة .

أما ادراك الغيب عن طريق استقراء الأوانى فقد كان الاشتغال به ايسر وكان العراف يستطيع دون تردد أن يذكر ان كان المريض موضع الاستشارة سيشفى أو يموت ، وان كان المشروع المقترح سيصيبه النجاح أو الفشل وذلك تبعـــا للوضع أو الصورة اللذين تسقط بهما نقطة الزيت فى إناء المـاء .

ب — الظواهر العرضية :

ولكن هناك ظواهر لا يبحث عنها الإنسان بل تفرض نفسها للملاحظة وهذه الظواهر يمكن أن تكون أيضا بشيرا بالحظ الحسن أو نذيرا بسوئه مثال ذلك الشذوذ فى ولادة الأطفال أو الحيوانات ذلك الشذوذ الذى يعتبر فألا للبيت الذى يحدث به وأحيانا للمدينة أو الولاية. فربما دعا تشابه طفيف فى الرأس الى القول بأن المرأة ولدت أسدا وهذا يوحى بفكرة القوة والسيطرة وهى علامه طيبة للبيت أو البلد . وإن كان رأس الطفل يذكر بالحمار أو الحمل فان هذه أيضا علامة طيبة . أما الكلب والثعبان فيحملان الفأل السىء. وحركات الحيوانات وتصرفاتها لها قيمة تنبؤية تختلف باختلاف زمان ومكان الملاحظة: فدخول كلب أبيض الى القصر ينبىء بحصار المدينة ودخول

الجارح من الطير الى البيت نذير بموت صاحب هذا البيت والصراصير فأل سيء للبيت الذى توجد به ... هذا الى أن جميع ظواهر الجسم الانسانى قد أوجدت مجالا لتفسيرات تناقلتها الأجيال بعضها عن البعض جيلا بعد جيل وجمعها اشور بانيبال فى مكتبته العظيمة فى نينوى .

ج ــ الأحلام

كان الآلهة يحبون أن يتصلوا بالاتقياء من الناس وأن يعلنوا اليهم ما سوف يحل بهم من أحداث عن طريق الاحلام . وحين كان يحزب الأمر كان الأمير أو العراف يلتمس هـذه المنحة بالتوجه إلى المكان المقدس والنوم فيه . ولذا نرى اياناتوم ايشاكو لجش حين هاجمه رجال اومَا — وهم الذين هزموا جو إدين ننجرسو — ولم يكن مستعدا لذلك ... نراه يرقد فى معبد إلهه حتى يعرف عن طريق الحلم أى طريق يجب عليه أن يسلكه . ووقف ننجرسو عند رأسه وكشف له عن أن بابار سيسير إلى جانبه ووعده بالنصر [1]

كذلك كان حلما ذلك الذى تلقى فيه جوديا الأمر بإعادة بناء « إننُو » المعبد الرئيسى فى لجش [2] « تنهد جوديا قائلا هلم فلأتكلم فلأردد هـذه الكلمات ! أنا الراعى . لقد أعطيت لى السيادة كهدية . حضر إلى شيء فى منتصف الليل ... شيء لا أعرف معناه ... هلا يسمح لى ان أمكن أن أقص حلمى على أمى عسى العرافة — تلك التى لديها معرفة ما يناسبنى — عسى إلهتى نينا أخت سيراراشوم تفسره لى ! » وقد قدم تضحيات إلى ننجرسو وإلى الإلهة جاتوم دوج . وبعد تضحية جديدة ، تمجيدا هذه المرة لـ « نينا » ، وجه دعاءه لها قائلا : « أى نينا أيها الملكة ياسيدة القرارات التى

---

(1) LXXVI p. 27.

(2) Ibid p. 137 et suiv.

لا تقدر! أيتها الملكة التى هى مثل إنليل تحدد المصير! أى نينتى! إن كلمتك صادقة وتلمع فى أعلى نقطة ... أنت عرافة الآلهة أنت ملكة الأقطار — أيها الأم مفسرة الأحلام — فى وسط حلمى لقد أمرنى رجل ترتفع هامته إلى السماء وهيكله ينافس الأرض ضخامة ... كان إلها ما دام التاج على رأسه وإلى جانبه الطائر المقدس امجيج وعند قدميه أعصار وعلى يمينه وإلى يساره أسد رابض ... لقد أمرنى أن أبنى بيتى ... لم أعرفه ... أشرقت الشمس من الأرض ... امرأة . — ألم تكن هى! من كانت ؟ — كان فى يدها قلم طاهر وكانت تحمل لوحة نجم السماء السعيد . كانت تحمل النصح فى شخصها. رجل آخر شبيه بالمحارب كان يحمل فى يده لوحة من اللازورد وكان يخط تصميم معبد ووضعت أمامى الوسادة الطاهرة ووضع فوقها القالب الطاهر وفى القالب كان طوب القدر ... وضع أمامى ... المقدس ... وكان الحمار مضطجعا على يمين ملكى» فأجابت نينا أم الإيشاكو عليه قائلة «أى راعى أن حلمك سأفسره أنا لك . أما الرجل الذى تنافس قامته السماء وتنافس الأرض الذى هو إله بالنسبة لما هو على رأسه والذى إلى جانبه الطير المقدس امجيج وعند قدميه أعصار وإلى يمينه ويساره يربض أسد ... إنه أخى ننجرسو . أنه أصدر إليك أمرا أن تبنى بيته الـ «إننُّو» أما الشمس التى أشرقت أمامك فانها إلهك ننجزيدا : إنه يخرج من الأرض مثل الشمس . أما المرأة الشابة التى ... التى تمسك فى يدها قلما طاهرا وتحمل لوحة النجم السعيد وتحمل النصح فى شخصها ... انها أختى نيسابا : لقد أعلنت لك النجمة الطاهرة عن بناء المعبد . أما الرجل الآخر الذى يشبه المحارب والذى يحمل فى يده لوحة من اللازورد ... إنه «نندوب» هو ... تصميم المعبد . أما الوسادة الطاهرة التى وضعت أمامك والقالب الذى وضع فوقها وطوب القدر بداخل القالب — إنه الطوب المقدس لـ «إننُّو» . أما ... المقدس ... الموضوع أمامك الذى ... فان هذا معناه أنه لكى تبنى المعبد فانه يجب ألا

يكون أمامك سرور . أما الحمار الذى يضطجع إلى يمين الملك إنه أنت . أنت تضطجع على الأرض فى اننو مثل ... »

وبعد أن نبهت إلى مايعمل بصدد تقديم هدايا معينه للإله أنهت حديثها بقولها : « ننجرسو ... سيكشف لك عن تصميم معبده . والمحارب الذى له القرارات العظيمة سيباركك » وبعد ألفى عام دُعى نابونيد آخر ملوك بابل بواسطة الحلم ليعيد بناء معبد هو معبد «إى هولهول» للإله «سن» فى « حران » ...

وكان يعهد بتفسير الأحلام إلى كاهن خاص هو « الشائيلو »

د ــ التنجيم : الظواهر الجوية

كان يظهر الآلهة رغباتهم كذلك عن طريق حركات النجوم . وكان المنجم يستطيع أن يقرأ على القبة ذات النجوم ماسوف يحدث على الأرض . وسن إله القمر مثلا لم يكن يظهر دائما فى أول الشهر وكان أحيانا يختفى فى اليوم السابع والعشرين وأحيانا فى الثامن والعشرين وأحيانا يُظهر تاجه فى أقصى لمعانه فى الثالث عشر أو الرابع عشر وأحيانا فى الخامس عشر وأحيانا فى السادس عشر . ومن هنا خرجت تفسيرات مختلفة خاصة بشئون الدولة التى تتصل بها هذه الظواهر مباشرة ... وكان الأمر كذلك بالنسبة لظواهر إله الشمس شماش وللإلهة عشتار (كوكب الزهرة) ومردوك (المشترى) ونجوم أخرى . وإليها كانت تنسب الأحداث السعيدة أو السيئة التى تحل بالبلاد : مثل الحملات الحربية والغزوات ومرض الامير اوموته والقحط والفيضان ... إلخ

وقد أضيفت إليها الظواهر الجوية كالزوابع والأمطار والبروق والزلازل كظواهر للإله « أداد » سيد العاصفة .

١١ — الكاهنات

لم يقصر الدين السوميرو اكادى الوظائف المقدسة على الرجال بل كان من الجائز أن تكون النساء كاهنات وساحرات وعرافات ومغنيات . ولقد كانت أم سرجون الاجادى كاهنة وفقا لتقليد معين . أما والدة (كاهنة) جلجامش فكانت تفسر الأحلام وهى التى أخبرت البطل بوجود « انكيدو » [١] . وبالمكتبة الأهلية بباريس خاتم أسطوانى لكبيرة كاهنات الإله « أداد » . وكان تعيين كبيرة الكاهنات يتم عن طريق الفأل كما هى الحال بالنسبة لكبير الكهنة ولدينا دليل على ذلك اسم لعام سابق لعصر أور [٢] . وبعد عشرين قرنا أعلن نابونيد الذى كانت أمه كاهنة لـ (سن) فى حران انه إن كان قد كرس ابنته لمعبد أور فانه فعل ذلك بناء على رغبة المعبود: [٣] « لما كنت مشغولا بهيكله ودعوت جلالته عنيت بالرغبة التى كشفها لى وقدرتها حق قدرها ولم أرفض رغبته ولبيت دعوته فرفعت إلى مرتبة الكاهنة الابنة التى خرجت من قلبى وسميتها باسم « بعل شالتى ننا » ثم أدخلتها الـ (أى جيبار) » . وكان الايجيبار مسكنا بنى فوق شرفة مزروعة أشجارا وكان مخصصا لسكنى الكاهن الأكبر والكاهنة الكبرى .

ومن بين اصلاحات اوركا جينا إشارة إلى مخصصات كبيرة الكاهنات . ويقابل اسمها السوميرى « نن دنجير را » زوجة الإله الكلمة السامية « انتوم » مؤنث « أنوم » (en بالسوميرية) وهو اسم كبير الكهنة . وقد نظم قانون حمورابى مركزها القانونى سواء أكانت متصلة بمعبد مردوك أم نذرت لخدمة إله آخر . وكما أنه من المحتمل وجود عدد من كبار الكهنة

(1) XLI, No 96.
(2) LXXVI p. 329.
(3) I t. XI, p. 144.

لنفس الآلهة تحت سلطان كاهن أعظم بمثابة رئيس عليهم فان الحال كذلك بالنسبة للمعابد الرئيسية حيث توجد مجامع حقيقية من كبيرات الكاهنات مختارات من أرقى طبقات المجتمع وكانت الـ « سال مى » (زوجة الإله). والـ « قاديشتوم » (المكتملة الصحة) والـ « زر ماشيتوم » كاهنات كذلك. وكانت عبادة عشتار تضم كذلك طبقات ثلاثا من بنات الهوى اللواتى يعشن فى الـ « جاجوم » تحت رعاية إحدى الـ « اوكورتوم » كما أنه كان يوجد بالقرب من نفس المعبد مبنى للرجال يديره كاهن أكبر يدعى « اكوروم ».

ولم تكن بنات عظماء النبلاء يحتقرن الوظائف الدنيا فى العبادة المقدسة والدليل على ذلك أن حفيدة نارامسن المدعوة « ليبوش ياو » كانت عازفة على القيثار للإله سن.[1] ومن العصر الكاسى مثلت على كودورو — ناقص لسوء الحظ[2] — امرأة تحمل جعبة وقوسا فى موكب من الكهنة الموسيقيين وهى تضرب على نقيرة (طبلة) وكذلك يظهر أنها امرأة تلك التى تضرب على آلة موسيقية وترية كبيرة فى صحبة يافع فى منظر لحفل دينى من عصر جوديا[3].

١٢ — ضرورة الدين

فسر السوميرو أكاديون أصل الانسان بمختلف الوسائل فى الاشعار الدينية والشعبية ولكنهم اتفقوا جميعا على نقطة هامة هى أن المعبود صنعه من كتلة من الطين وأنه خلق من أجل خدمة الآلهة. ويبين علم تكوين المخلوقات الكلدانى[4] «ان مردوك قد خلق البشر كى يقدم للآلهة مسكنا

(1) LXXVI, p. 237.

(2) XVIII t. VII p. 149 انظر شكل ١١ صفحة ١٢٥

(3) I t. Ix, pl. III انظر شكل ١٤

(4) XLIII, 87.

يأوون إليه حتى يسعد قلبهم. وقد سهم معه ارورو فى اخراج بذرة البشر».
وفى « قصيدة الخليقة » نرى نفس الاله ينوى ايجاد الانسان عن طريق عجن الطين بدمه هو [1] حتى يقيم عبادة الآلهة.

وكان هذا الخلق يتم فى صورة المعبود وكان كل إله يستطيع أن يسهم فيه نظرا لأنه يتكرر كلما حلا لهم ذلك. وكان الخالق يشكل فى قلبه «صورة انو» ويأخذ طينا يشكله بهذا الشبه. وقد فعل أرورو ذلك ليخلق جلجامش والمسخ « انكيدو ». أما إيا وهو أحد الآلهة الذين ينسب إليهم القصص البدائى ظهور الانسان على الأرض فانه خلق « أسُوشونامير » و « ادابا » بنفس الطريقة. وفى زمن الطوفان أدعت عشتار أنها أم البشر وصاحت قائلة « اخلقت الناس كصغار السمك ليملأوا البحر ؟ » [2].

وكان الآلهة — إذا قصرت البشرية فى مهمتها — توقع بها عقوبات مروعة : كالفيضانات التى تحيل البشرية طينا ووحلا والقحط والمجاعة والأوبئة ... وفى كل هـــذه المصائب كان الإله إيا يظهر نفسه دائما عطوفا يسعى الى انقاذ البشر.

١٣ — الرجل وإلهه

وكان كل إنسان يعتمد على إله هو ملاكه الحارس وكان يطلق على نفسه « ابن » هذا الإله. وكان أمراء لجش من أسرة أورنينا تحت حماية إله واحد « دون اكس ». أما اوروكاجينا فقد أدعى نسبته الى ننشوبور. وأما خصمه « لوجال زاجيسى » فقد كانت المعبودة نيسابا معبودته الشخصية. وقرر جوديا صراحة أنه ابن ننجزيدا وكثيرا ما نراه يدعوه « إلهه » ويوقره بصفة خاصة. وفى القرن السابع نجد « شماش شوم اوكين » ملك بابل يستمر

(1) Ibid p. 64.

(2) Ibid p. 113.

في تقاليد الألف الثالث حين يقول فى رقية « أنا شماش شوم أوكين ابن إلهه، الذى إلهه مردوك وإلهته زر بانيتوم » .

وأننا لنجد بصفة خاصة فى عصر الاسرات الأمورية فى ايسين وبابل اشارات الى هذا المذهب الدينى فى قوائم الأسماء . فهناك أسماء مركبة من ايلى (إلهى) : إيلى دورى (إلهى قلعتى) وإيلى أنام (كن رحيما يا إلهى) وايلى أمرانى (إلهى أنظر الىّ) وايلى جملا نى (يا إلهى اعف عنى) وايلى اشمِيَـنّى (إلهى استمع الى تضرعى) وايلى امورروم (إلهى أمورو) وإليا أبى (حقا أن الإله أبى) و ما نُـوم كيما ايلى (من مثل إلهى ؟) وهناك غيرها تحوى مقطع ايلوشو وإيليشو (إلهُهُ) مثل : ايلوشو أبوشو (إلهه أبوه) وإيلوشو ابنيشو (إلهه خلقه) و ايلوشو ايبيشو (إلهه سماه) وشا ايليشو (مِلكُ إلهه) و جيميل ايليشو (عطية إلهه) وابيل ايليشو ، مار ايليشو (ابن إلهه) و ما نُـوم بالو إيلشو (من يستطيع الحياة بغير إلهه ؟) .

وأسماء النساء كذلك تقدم دليلا على نفس المعتقد الدينى فـ « ايلى إمدى » (إلهى سندى) و « ايلى افليم رابى » (إله الانسان عظيم) .

وكان الاله يهتم بالرجل الذى هو حارسه . وكان يعمل كوسيط بينه وبين المعبـــودات الأخرى . وينهى أوروكاجينا بعض نقوشه بهذه الصيغة « الا فليسجد إلهه ننشوبور فى الأيام القادمة من أجل عمره أمام ننجرسو » ونحن نجد صيغة مماثلة فى نصوص انتمينا ولكن هذا الأمير يكتفى بأن يختم قصصه بأشارة بسيطة الى حاميه « إلهه » هو « دون أكس » .

ولما أخذ جوديا على عاتقه أمر إعادة بناء الـ « إننّو » أمسكه إلهه ننجزيدا من يده خلال الموكب الذى كان يسبق صنع اللبنة الأولى فى هذا الأثر . وهذا واحد من الطقوس التى يتكرر ظهورها فى الآثار المنقوشة . ويمثل الختم الاسطوانى للايشاكو المشهور [1] منظرا مماثلا . ونحن لو كان لدينا

(١) شكل ٣١

بقية من التردد فى معرفة الأشخاص فان واحدة من اللوحات المقامة تطرد كل الشكوك فإنه فوق نفس صورة الأمير نجد اسمه مكتوبا داخل خانة ملكية [1] .

وفى العصر المذكور كان الموضوع المحفور على الاسطوانة يمثل عادة منظر طقس يقاد فيه صاحب الختم الى حضرة معبود آخر بواسطة إلهه . وأحيانا حين يقاد من يده كان يرفع يمناه الى فمه وأحيانا يقف فى خشوع ويداه معقودتان الى بعضها وخلفه إلهه تتشفع له [2] ذلك لأن إله الرجل هو حاميه وشفيعه لدى المعبودات الأخرى . وهكذا فاننا نجد فى عصر الأسرة البابلية الأولى أنه حيث تقوم الأسماء الشخصية دليلا فى أمثله عديدة على الاعتقاد فى إله حارس نرى الحفر على الأحجار يقدم كذلك شهادة تؤيد ذلك الأمر . فان البابلى التقى كان يجب أن تنقش أسماء إلهه وإلهته فى الكتابة التى على إسطوانته سواء أوصف نفسه كخادم أم تناسى نفسه أمام المعبود ولم يذكر شيئا عن شخصيته وانه لمن الخطأ أن نبحث عن ايه رابطة مباشرة بين النص والموضوع الذى يحفر على نفس الحجر : فان هذا لم يكن أمرا يشغلهم [3] .

ولقد كان اداد اله الصاعقة : وقد مثله خادمه أويل اداد . . . ويتميز اله الغرب بعصا معقوفة : وهو يحمى زازوم الذى مثله كذلك على خاتمه . وفى مكان آخر نستطيع ان نقرأ الى جانب إلهة الحرب اسماء انليل ونليل ونرجال وباد . كما تظهر أسماء الاله شماش والاهه ايا منذ عصر اور امام الملك المقدس الى جانب اسماء اداد وشالا كذلك . وهى موجودة فى عصر الاسرة الاولى ليس فقط مع اله الشمس فحسب ، بل معبودات أخرى كذلك . وهذان

---

(1) CIV, fig. 368 d.

(2) XLI p. 49, 57.

(3) Ibid Nos. 250. 256. 233. 227. 228. 226. 106. 116. 117. 118. 160. 148. 149. 203. 217. 221. 162. 289. 291. 295. 296. 288. 294.

الاسمان منقوشان على اسطوانات معينة مثّل فيها الحفار اله الغرب . ولقد بدأت تنتشر عاده اختصار الموضوع تحت حكم الملوك الاخيرين للاسرة ثم شاعت تحت حكم الكاسيين فلم يعد يمثل سوى شخص واحد وهو يقدم وعاء . ولكن الكتابة التى عليها اتسعت وتحولت الى نص طويل . وقد حدث ذلك بالنسبة لاسطوانتين تحملان تقديسا لـ « جولا » واله الغرب دون وجود صورة ما [1] وفى مكان آخر نقرأ مثلا: «الى جيرا المولى العظيم الذى يزيد فى الغلال ويكثر فى الكائنات الحية ويخلق خلقا وريثا واسماله « مانوم بالوايليشو » ابن « أدين بلتو » خادم جيرا وإلهة اجاده » [2] كما نقرأ « إلى مردوك الاله المتعالى الاله الرحيم على شماش شيبير الخادم الذى يوقره . » [3]

١٤ — الخوف من الآلهة

(الصلاة والقربان « التضحية »)

كان اول واجب فى الدين هو الخوف من المعبود . وكان حمورابى «يخشى الآلهه» وكان نبوخذنصر الثانى « بكل قلبه المؤمن يحب خشية معبوداته » ويرتعد امام سطوتهم . اما نابو نيد « الذى يمتلىء قلبه رهبة فيرعى كلمة الآلهة » فانه مع ذلك يقول كيروش ان مردوك عاقبه وهجره « لانه لم يرهبه » .

وكان الواجب الثانى فى الدين هو الدعاء أو الصلاة والتضحية :

« قدم الخضوع كل يوم لالهك :
التضحيات والصلوات والبخور الواجب
ليكن قلبك نقيا امام ربك !
ان هذا هو مايرضى المعبود

---

(1) ¶, t. XVI, p. 6 et 89.

(2) XLII, 298.

(3) XLIX, 266.

إن أنت قدمت التوسل والدعاء والصلاة والسجود فى كل صباح
فانه سيمنحك كل الكنوز
وسوف تزدهر ايامك بفضل الهك
وبعقلك راع اللوحه :
الخوف يولد الرفق أو العاطفة
والتضحية تطيل العمر
والصلاة تخلص من الاثم [١] »

وكان القربان يتكون من طعام مقدم للمعبود يصحبه حرق بعض النباتات ذات الرائحه . وكانت السوائل تستخدم عن طريق اهراقها (اراقتها) وتبين الاسطوانات واللوحات المحفورة ذلك . وقد قدم « لوجال زاجيسى » ملك اوروك خبز التقدمة وماء نقيا لاله نيبور واقام جوديا فى الـ « باجا » مائدة القربان التى اجتمع حولها آلهه لاجش كاوضع حمورابى مأ كولات واطعمة طاهرة امام الآلهه . وصب نبوخذنصر نبيذا « فى وفرة ماء النهر » على مائدة مردوك وزربا نيتوم .

وتقدم قوائم الطقوس بيان التضحيات التى تختلف تبعا للغرض المراد وهاك ما قدمه بارو عند الفجر من اجل متعبد تقى لشماش فقد وضع موقدا امام كل من المعبودات الثمانية شماش ، أداد ، مردوك ، ايا ، ىرنين ، كيتـُو ، ميشارو واله المتعبد الشخصى . وعلى مائدة خلف كل موقد وضع اربعة اوان من نبيذ السمسم و ٣٦ رغيفا ومزيجا من الزبد والعسل ثم — اخيرا — الملح وبعد ان ينفخ الكاهن الموقد أمام شماش اخذ صاحب التقدمة من يده وبدأ يتلو صلاته « فلان خادمك . الافليسمح له فى ساعة الصباح أن يقدم لك التضحية . الافليرفع الأرز ويقف امام عظمة الوهتيك . الا فليكن مرضيا لعظمة الوهيتك بفضل هـــذه الشاهذات اللحم الطيب والاعضاء

(1) XLIV p. 21.

المكتملة » [1] ثم تذبح التضحيه ويتقبل الاله نصيبه وهو الفخذ الايمن والكليتان وقديد .

وكانت ذبيحة الدم عادة حملا أو جديا . وهى تصور كثيرا فى المناظر المحفورة فى الالف الثالث والواقع ان الحيوان كان يمثل حقيقة صاحب القربان

«الحمل فداء للبشر

لقد قدم حملا بدلا من حياته

لقد قدم راس الحمل بدلا من راس الانسان

لقد قدم عنق الحمل بدلا من عنق الانسان

لقد قدم صدر الحمل بدلا من صدر الانسان[2] »

وكانت الحيوانات الاخرى على كل حال تستطيع أن تؤدى نفس الغرض وللتكفير عن اخطاء المريض كان يضحى خنزير . يقول الكتاب «قسم الخنزير الى ستة اجزاء وضعها على المريض وطهره بالماء المبارك للابسو واحضر اليه الموقد والمشعل وضع بالقرب من الباب المغلق مرتين سبعة رغفان سويت تحت الرماد . وقدم الخنزير بديلا منه ... اللحم بدلا من لحمه والدم بدلا من دمه . دع الشياطين تتقبله . ان القلب الذى وضعته الى جانب فراشه اعطه بدلا من قلبه وليتقبلوه »[3]

وكانت الذبائح المضحاة تنظم فى عناية . وقد حدد جوديا — بعد ان عمل لوجال اوشومجال ذلك ايضا — عدد الاسماك والثيران والنعاج والحملان والخيل التى يضحى بها فى معابد لجش باسم المدينة لمناسبه اعياد السنة المهمة . وقد فرض دونجى مبالغ لمحافظى المدن ليضمن تنظيم الذبائح الشهريه تكريما

---

(1) Ibid p. 107.

(2) XLIV p. 274 ; XLI No 157.

(3) XLIV p. 273

لا نليل . ويوضح نابو ابال ادين تفصيلات عن القرابين التى كانت ستقدم مستقبلا لشماش وذلك فى لوحته الخاصه بعبادته فى سيبار [1]

وكانت الذبائح (التضحيات) المنتظمة العامة تختلف بالضروره تبعا للموارد التى كانت تحت تصرف كل معبد . ففى اوروك [2] فى معبد انو وفى عصر معين كانت هناك يوميا وجبتان تتكونان من الشراب والخبز والفاكهة واللحوم تقدم للآلهه كل صباح كما تقدم اثنتان اخريان كل مساء وذلك طبقا لوثيقة اعيدت كتابتها فى حكم السلوكيين .

وكان شراب أنو يقدم فى ١٨ إناء ذهبيا : أربعة أنواع من الجعة والنبيذ المعصور . أما فى الصباح فاللبن فقط فى إناء من المرمر . وكان يقدم له ٣٠ رغيفا كل منها مصنوع من ٢¼ لترا من الدقيق (¾ من الدقيق الشعير و ¼ من القمح) يقدم منها ٨ فى كل من وجبتى الصباح وسبعة فى كل من وجبتى المساء . وكان يقدم البلح من بابل . والبلح من دِلمون على شريحة من الخبز منقوعة فى الزيت . وكان يضاف إلى ذلك التين والزبيب .

أما المعبودات الأخرى فكانت تتقبل أنصبة أصغر فـ « انتو » لم يكن يقدم لها النبيذ . وكانت عشتار تحصل على ١٢ إناء شراب بينما لم تكن نانا تحصل على أكثر من عشرة . وكانت كل من هذه الإلهات الثلاث يقدم لها ثلاثون رغيفا كباقى الآلهة يوضع منها ١٢ رغيفا أمام العرش الإلهى والإله المحلى للهيكل وأربعة أمام التاجين و ١٦ أمام البرج المدرج وإلهه المحلى .

وكانت الصحاف الرئيسية تقتضى وجود ٢١ خروفا عمر الواحد منها سنتان علفت بالشعير . وأربع نعاج اطعمت باللبن و ٢٥ نعجة من المرتبة الثانية وثوران وعجل رضيع و ٨ حملان و ٦٠ طيرا من نوعين مختلفين و ٣ دجاجات و ٧ بطات و ٤ خنازير من المستنقعات و ٣ بيضات لورمو و ٣

(1) XLIII p. 391.

(2) LXXVII B.

بيضات من بيض البط . وكانت وجبات الصباح هى الأكثر أهمية فكان لافطار الصباح ١٨ نعجة وثور واحد وعجل رضيع . وللغذاء ٦ نعاج والثور الآخر والحملان ومعظم الدواجن والبيض . وأما وجبة المساء فعشر من النعاج ومثلها من الطيور . وأما العشاء فعشر من النعاج فقط .

وتقدم كتب الطقوس الخاصة تفاصيل العمليات المقدسة التى تباشر خلال الأعياد وأن نحن ضممنا النصوص المجزأة المتعددة الى بعضها لاستطعنا أن نعيد منها تشكيل أعظم جزء من نظام الاحتفالات خلال « اكيتو » مردوك وهو أعظم أعياد بابل شأنا [1] .

وكان الـ « اوريجاللو » (كبير كهنة إكوا) يستيقظ فى اليوم الثانى من شهر نيسان قبل نهاية الليل بساعتين ويطهر نفسه بماء النهر ويرتدى ثوبا من الكتان ويدخل الى قدس أقداس مردوك ويتلو فى السر دعاء ثم يفتح الأبواب حتى يباشر السحرة والكالى والمغنون واجباتهم الطقسية كالمعتاد . وكانت تعمل فى نفس اليوم استعدادات مختلفة وكانت توضع أشياء معينة أمام الآلهة . وفى اليوم الثانى كان احتفال الهجعة الأخيرة الشهرية مماثلا لما سبق . وبعد غروب الشمس بساعات ثلاث كان يستدعى ثلاثة من الصناع واحد النساجين الى المعبد ليصنعوا تمثالين صغيرين ارتفاعها سبعة أصابع مزينين بالذهب وبالأحجار الكريمة ومرتديين ثوبا أحمر ومحزومين بحزام من سعف النخل . وكان أحدهما يصنع من خشب الأرز ويمسك فى يسراه ثعبانا والآخر من خشب الأثل (الطرفاء) ويمسك عقربا . وكلاهما يرفع يمناه أمام « نابو » عند وصوله الى الـ « إى هورساج تيلا » فى اليوم السادس. وعندئذ يقطع رأسيهما سيّاف ويرميهما الى الموقد . ومن اللحظة التى يبدأ العمال فى صنعهما حتى ساعة احراقهما يتناول هؤلاء العمال خير القطع المنتقاة من موائد التضحيات . وكان الصائغ يعطى صدر نعجة . ونحات الخشب

(1) LXXVII b.

فخذا . والنساج الضلوع . وكان الكتف يحجز ويخصص لصانع ثالث يدعى « جورجورّو » (أى حفار المعادن) .

وفى اليوم الرابع كان الاحتفال السرى يحوى وردين ويبدأ قبل الفجر بأربع ساعات . وبعد مشرق الشمس بساعتين يبدأ تطهير المعبد فيرشه أحد السحرة بالماء الذى يؤخذ من بئر الفرات ومن خزان دجله ثم يقرع الدفوف النحاسية ويستعمل مجمرة ومشعلا ولا يدخل الى هيكل مردوك حيث يظل الـ « أوريجوللو » داخله والباب مغلق عليه . ثم يذهب بعد ذلك الى معبد نابو ويباشر نفس الطقوس هناك ويلس بزيت الأرز مصاريع الأبواب ويمسح الحوائط بجسم شاة لا يزال دافئا ويكون السياف قد قطع رأسها لتوه . ثم يخرج هذان الرجلان الى الخلاء وأحدهما يحمل جسم الحيوان والآخر رأسه ويلقيان بهما فى الفرات . ولما كانا قد تدنسا كنتيجة لاتصالهما بالذبيحة فانهما يبقيان خارج أسوار المدينة طيلة عيد الـ « اكيتى » أما الـ « أوريجاللو » فكان يظل داخل قدس الهيكل كى يجتنب التدنيس ولو بمشاهدة المعبد أثناء تطهيره .

وعقب الساعة الثالثة بقليل يخرج ويستدعى الموظفين التابعين له ثم يذهبون الى الخزانة لاستحضار « السماء الذهبية » ويغطون معبد نابو من اعلاه الى أساسه وبعد حين يعد الـ « أوريجاللو » ذبيحة أمام مردوك ثم تنقل المائدة الذهبية التى استعملت فى هذا الغرض الى ضفة القناة حتى يستطيع نابو استخدامها فى لحظة رسوّه .

ويصل الملك فى نفس اليوم وربما كان يصحب إله بورسيبا ويقاد الى الايساجيل ويترك وحده فى الفناء الرئيسى وعندئذ يخرج الأوريجاللو من الهيكل ويخلع عن الأمير علامات الملك والصولج والدائرة والعصا ذات الأسنان والتاج ويذهب ليضعها جميعا على مقعد أمام تمثال مردوك ثم يعود الى الأمير ويضربه على الخد ويقدمه الى حضرة الإله ويشد أذنيه ويجعله يركع . ثم يتلو الملك اعترافا سلبيا :

« أنا لم ارتكب إثما يا سيد الأراضى . أنا لم أهمل فيما يختص بالوهتيك

أنا لم أحطم بابل ولم آمر بتفرقتها

أنا لم أهز الايساجيل ولم أنس طقوسه

أنا لم أضرب الزوار على خدودهم ولم أسبب لهم مذلة

لقد عنيت ببابل ولم أهدم حوائطها »

فيجيب الاوريجاللو الملك « لا تخف . سيباركك بعل الى الأبد وسيحطم أعداءك وسيهزم خصومك » .

ثم يخرج الملك من الهيكل وتعاد إليه علامات الملك ويضربه الأوريجاللو مرة أخرى على الخد ويجب عندئذ أن تتساقط دموعه وإلا كان ذلك طالعا سيئا معناه أن الإله غاضب وأن اعتداءات ستحدث وان نهاية الحكم اذنت .

وفى نفس اليوم بعد غروب الشمس بقليل يصنع الأوريجاللو حزمة من أربعين قصبة تربطها الى بعضها سعفة نخيل ثم يضعها فى حفرة فى وسط الفناء الرئيسى للمعبد ويسقيها بالعسل والقشدة والزيت ويقاد الى هناك ثور يضحى ويشعل الملك بنفسه الحزمة بواسطة غصن مشتعل .

وربما كان اليوم السابع من الشهر — كما هى الحال فى اوروك — مخصصا للاستعدادات النهائية للموكب والباس مردوك .

أما اليوم الثامن فكان الإله يغادر فيه هيكله . وكان الملك هو صاحب الحق فى «أخذ يده» ليقوده الى الـ « اكيتى » . أما فى المدن الأخرى حيث كان يتمتع بنفس الامتياز فانه كان يجوز للملك أن يرسل ثيابه لتمثله . ولكنه كان مضطرا فى بابل أن يحضر شخصيا وإلا فان الموكب لا يتحرك وفى هذا كارثة شاملة لأن أقدار السنة سوف لا تقرر .

وكان مردوك يتوقف عند خروجه من الهيكل . كان يتوقف « بين الأستار » فى مذبح مقام فى وسط الفناء الرئيسى حيث تكون وضعت (طبقا

للنظام المقرر للاحتفال) العلامات المقدسة والآلهة الذين يسمح لهم أن يكونوا في الركب وقد حدد الطقس التضحيات التي تقدم والأغاني التي تردد. أما في المحطة الثانية فكان مردوك يجلس على مقعد أمام نجمة نجهل اسمها. وتقع المحطة الثالثة في «دو — أزاج» هيكل الأقدار. وعند مغادرة الدوأزاج يترك الموكب أبهاء الإيساجيل ويتحرك على الطريق المقدس متجها الى الشمال ومارا خلال بوابة عشتار حتى يصل الى الفرات. وهناك يدخل الإله الى قاربه كي يذهب وينزل الى البر على رصيف الـ «اراهتو» ومن هناك يذهب الى الـ «أكيتو» الخاص به المسمى «إيزور» أي «معبد الصلوات»، ويظل فيه حتى اليوم الحادي عشر من الشهر ثم يخترق الموكب مرة أخرى نفس الطريق في الاتجاه المضاد. وبعد وقفة أخرى عند الـ «دو أزاج» يدخل مردوك الى هيكله مرة أخرى. وفي اليوم التالي يعود نابو الى بيته في بورسيبا.

١٥ — الخطيئة

كان مصدر كل خير للرجل رضى إلهه عنه وكان فقدان هذا الرضى أصل كل المتاعب. وكان الإله الحارس مسئولا بطريقة ما عن الأخطاء التي يرتكبها من هو في حمايته ضد الآلهة الآخرين وكان عليه أن يعاقبه عليها. ويقول كاتب لاجاش الذي كان يرثي تدمير بلدته صراحة: «لم يكن هناك إثم من ناحية أوروكاجينا ملك جرسو. أما من ناحية لوجال زاجيسي، ايشاكو أوما، فلتحمل نيسابا إلهته هذه الخطيئة فوق رأسها[1]». ولكن كيف كان المعبود الغاضب يعبر عن سخطه؟ إنه كان في الأوقات العادية يسكن جسد خادمه وحين يضطر لاظهار عدم رضائه من أجل إثم فانه كان ينسحب منه فتأتي الأرواح النجسة للتو لتحل محله وتجر معها في موكبها المصائب والشقاء.

(1) LXXVI p. 93.

« ان من لا إله له يدثره الصداع كثوب حين يسير فى الشارع » . « إن من ليست له إلهه حامية يحطم كيانه الصداع [1] » .

ولكى يعود إليه رضى إلهه كان يلجأ الى السحر لطرد الأرواح وتكتسب رعايته من جديد عن طريق التكفير والتضحيات والتطهيرات — وفوق كل شىء — الصلاة المصحوبة بمظاهر طقسية . وتحوى « مزامير التوبة » الاعتراف بالخطيئة المعروفة أو غير المعروفة وتنتهى أحيانا بأنشودة مديح:

« مولاى ! إن آثامى كثيرة وذنوبى فظيعة
إلهى ! إن آثامى كثيرة وذنوبى فظيعة
إلهتى ! إن آثامى كثيرة وذنوبى فظيعة
أيها الإله الذى أعرفه أو الذى لست أعرفه أن آثامى كثيرة وذنوبى فظيعة
أيتها الإلهة التى أعرفها أو التى لست أعرفها إن آثامى كثيرة وذنوبى فظيعة
ألا فليخف الغضب فى قلب مولاى
ليهدأ الإله الذى أعرفه أو لا أعرفه
لتهدأ الإلهة التى أعرفها أو التى لست أعرفها [2] »

ويكشف الاعتراف السلبى جزئيا عن الذنوب التى قد يقترفها المؤمن وفيه — بعد الاشارة الى الخطأ الذى يرتكب فى حق الآلهة — يأتى ذكر أولئك الذين يبذرون الفرقة والكذابين والمشاكسين والتجار الذين يغشون فى النوع أو الكمية أو يطففون وأولئك الذين ينقلون علامات الحدود من أماكنها ويسلبون بضائع الغير أو يضرون به والذين يزنون .

١٦ — المجازاة (العقاب)

كان كل إثم — مهما يبلغ أمره — يعاقب عليه فى هذا العالم وبالمثل

(1) XXIII t. XVII pl. XIV ch. XIX.

(2) XLIV, p. 237.

كان للفضيلة هنا جزاؤها. ولم يكن الإنسان الذى خلقه المعبود على صورته ومن أجل خدمته ليتوقع شيئا وراء هذه الحياة التى سيغادرها أن عاجلا أو آجلا لينزل الى العالم السفلى الذى ليست هناك عودة منه » ولقد قالت الجنية سابيتو الى جلجامش انه حين خلقت الآلهة البشر وضعوا الموت نصيبا لهم واحتفظوا بالحياة فى أيديهم » وكان نبات الحياة الذى يجب أن يؤكل للحصول على الخلود ينمو فى « الابسو » . وقد حصل عليه جلجامش بعد رحلة بالغة المشقة ولكن سرقه منه ثعبان . ولقد كاد أدابا يخلص من رق الفناء لو أنه تقبل الطعام والشراب المقدم إليه من الإله انو ولكن قدره شاء له أن يرفضه . وحتى عشتار — رغم خلودها — لم تكن لتستطيع أن تهرب من الجحيم عندما نزلت إليه تبحث عن محبوبها لو لم تكن قد رشت بماء الحياة .

وعلى ذلك فان البابلى — خوفا من الموت — كان يلتمس من آلهته أن يطيلوا فى حياته الحاضرة ولقد كان هذا هو الهدف الرئيسى لصلاته ، كما كان أساس دينه . ولقد طلب لوجال زاجيسى (صاحب) أوروك أن تضاف حياة الى حياته [1] والتمس جوديا أياما طويلة من أجل أعماله التى تنم عن تقواه [2] ورغب أرادسن ، أجوم كاكريم فى « مصير من الحياة » وأطلق نبوخذ نصر الثانى على القصر الذى بناه « إلا فليعش نبوخذ نصر ! ليعش حتى الشيخوخه قهرمان الايساجيل » وقدم نابونيد هذه الصلاة الى إله القمر : « خلصنى من الاثم ضد عظمة الوهتيك وامنحنى الحياة اياما طويلة وأما بالنسبة لبعل شار أوتسور ، أكبر الأبناء الخارجين من قلبى فضع الخوف من عظمة ألوهيتك فى قلبه أجعله لا يرتكب إثما — الا فلتمتلىء نفسه بالحياة الكاملة [3] » .

(1) LXXI p. 55
(2) LXXVI p. 175.
(3) XXXII b. p. 253.

١٧ — بعد الموت



(شكل ١٥) مقابر فى لجش (منقولة عن كتاب الحفائر الحديثة فى تللو ، فحة ١٢٦)

مهما يطل بقاء البابلى فإنه سيأتى يوم يموت فيه . وكان الأحياء يعنون بأن يهيئوا للميت دفنة مشرفة تختلف باختلاف ثراء الميت. وقد تطورت وتبدلت على مر القرون [1] ففى سيبار مثلا فى نحو نهاية الألف الثالث كان الميت يوضع على ظهره فى حوض مستطيل الزوايا من الطوب وتوضع فى متناول يده أوان من الطين والبرونز . وفيما بعد تحول الحوض الى مستطيل وأصبح الأثاث الجنزى يتكون من أشياء مختلفة : كالسكاكين والموازين والحبات من العقيق والبراميل الصغيرة والسهام ... ثم استبدل الحوض فيما بعد بإناءين كبيرين من الفخار . وكان طعام القربان يقدم مرة كل شهر للراحل اتقاء لاذاه أكثر منه تكريما له لأنه كان من المعتقد فى الواقع أن ظل الميت يفترق عن جسده مباشرة عقب الموت ويتحول الى روح شريرة تسمى « إديمّو » وتنضم الى طبقة الـ « اوتوكى » الأشرار وهى لا تستريح طالما لم تدفن الجثة . إن من تبقى جثته ملقاة فى الحقول يظل خياله غير مستقر فى

(1) CX b., p. 214, 265 et suiv.

الأرض . وإن من لا يعنى أحد بخياله يقتطع ما يصل الى يده فى مطافه السريع من بقايا الأطعمة الملقاة فى الشارع ليا كلها » [1] وعلى ذلك فإن الحرمان من الدفن كان أقصى عقوبة « فلتسقط جثته ولا يجد لها قبرا [2] » . وحين تؤدى آخر الواجبات للجسد ينزل الاديمّـو الى « الأرض العظيمة » الى « بيت الظلام » « مسكن نرجال » « الى البيت الذى لا يخرج منه من يدخل فيه » وطبقا لما جاء فى قصيدة « نزول عشتار الى الجحيم » [3] كان ذلك المكان مسورا بسبعة حوائط تتخلل كل منها بوابة وكان يشمله ظلام حالك فى كل الأوقات وكان الموتى « وهم يلبسون ثيابا من الريش كالطيور » يأكلون التراب ويتغذون بالطمى وكان على رأس هـــذه المملكة نرجال واللاتو الملقبة اريشكيجال وكانت تحت امرتهم أرواح الطاعون والمرض ترقب الموتى وتمنعهم من الصعود لمهاجمة الأحياء .

ولما رأى انكيدو رفيق جلجامش نفسه فى رؤيا يتحول الى أحد ساكنى الجحيم رأى هناك المولى والكاهن والساحر والنبى وكل أنواع البشر مجتمعين هناك دون تفرقة بينهم [4] ولمـا استدعاه جلجامش بعد موته ليستعلم عن « قانون الأرض التى كان قد رآها » كان تصويره لذلك مريرا للأحياء الى درجة ابكته . ومع ذلك فان المصير المحزن بالنسبة للموتى جميعا لم يكن واحدا فبعضهم كانت تأكلهم الديدان كقطع من الثياب القديمة وبعضهم كان يملؤهم الغبار ولـكن كان هناك بعضهم أقل تعاسة يستريحون فوق أسرة ويشربون ماء نقيا على حين كان أولئك الذين يسقطون فى المعارك ينالون عون آبائهم وزوجاتهم [5]

أما السماوات التى كانت مقسمة الى مساكن مخصصة للآلهة فلم تكن

---

(1) XIII p. 315.
(2) Ibrd p. 397.
(3) Ibid p. 326.
(4) Ibid p. 215.
(5) Ibid p. 325.

من نصيب البشر . فبطل الطوفان وزوجه اللذان أصبحا خالدين قد وضعا في جزيرة نائية « عند مصب الأنهار » ولم يصعد الى السماء سوى رجلين فقط هما أدابا الأريدى وإتانا ملك كيش [1] وكان على أدابا بعد أن كسر أجنحة الريح الجنوبية أن يظهر أمام انو وقد رفض — مستمعا فى ذلك الى نصيحة إيا — الطعام والشراب اللذين قدما له وقد هدأ غضبه انو بعكس ما كان يظنه إله أريدو : ولقد كان ذلك الطعام والماء طعام الحياة وماؤها فقال له « لم لم تأكل ؟ لم لم تشرب ؟ سوف لا تعيش ! » .

ولقد صعد إتانا — الملك الثانى عشر للاسرة الأسطورية عقب الطوفان — الى السماء كذلك بقصد سرقة الشعار الملكى الموضوع أمام انو . وقد تعرّف عند الجبل الذى ذهب إليه ليبحث عن « نبات انجاب الأطفال » ليضمن لزوجته أن تلد ولادة موفقة ... تعرف الى النسر الذى عرض عليه أن يحمله الى السماء . ولقد حدث ذلك الأمر مما أدهش الرعاة وكلابهم [2] وأراد النسر بعد وصوله الى سماء انو أن يرتفع صاعدا الى عرش عشتار نفسه ولكن الدوار أصاب إتانا الذى جر معه النسر أثناء سقوطه . وتوجد ثانية الاديمّو الخاص بـ « إتانا » — كباقى البشر المؤلهين — بين الموتى فى العالم السفلى [3] .

(1) Ibid p. 148 et 162.

(2) XLII t. 97.; CIV fig. 391.

(3) XLIII p. 215.

الفصل الثانى

الفنون

١ ــ العمارة

كانت المساكن الاولى لسكان سومير وا كاد خياما اوا كواخا من القصب ، وكما هى العادة اليوم فى هذه الاقاليم كان القصب يزرع فى دائرة او فى صفين متوازيين . وكانت السيقان ترتبط الى بعضها عند ثنيها حتى تصبح على شكل مجموعة من الاقواس (القباب) وهناك شاهد قوى على ذلك من بعض المناظر المرسومة على الاسطوانات . ولما لم يكن فى البلاد احجار فان المبانى كانت تغطى بطبقة من « الطين » (طمى مختلط بقش) وسرعان ما لوحظ أن الطين يكتسب من حرارة الشمس فى الصيف صلابة وقد أدى ذلك الى تشكيله فى صورة مكعبات تترك لتجف : ومن هنا كانت قوالب اللبن المجفف فى الشمس . وبوضعها فوق بعضها البعض قبل ان تجف تماما استطاعوا الوصول الى مايربطها دون الاستعانه بالمونة : ومن هنا جاءت فكرة الحائط من الطوب . وقد استطاعوا ان يبنوا منازل سريعة صغيرة الحجم من اللبن المجفف فى الشمس صنعت سقوفها من القصب المغطى بالطين وترتكز على ركائز من اخشاب النخيل (العروش) اما اختراع الآجر الذى يسجل تقدما جديدا فيرجع الى الصدفة فان اللبن اصبح اشد صلابه فى الموقد منه حين يترك ليجف فى الشمس . وهكذا استعملت تلك الطريقة البدائيه ثم تعلموا فيما بعد ان يصنعوا الآجر فى اتون مغلق (قمينة)

وأقدم انواع الطوب من عهد الملك اورنينا فى تللو وغيرها فى ابو شهرين

مستطيلة ومقببة على احد وجوهها واما فيما بعد فهى ملساء. وفى المبانى الرسمية نرى عليها نقوشا محفورة او مختومة. أما احجامها فكانت تحدد فى كل عصر على حدة سواء أكانت مستطيله ام مربعه أم مثلثة الأركان كما هى الحال فى مُغَـيِّر او على شكل اقواس محزومة للاعمده كما هى الحال فى تللو. واما انواعها فتختلف من عصر الى اخر. فتلك التى تمت إلى عصر نبوخذنصر الثانى فى بابل عبارة عن طوب مربع طول ضلعه ٣١½ سم وهى تامة النضج.

وكان هناك دفعة اخرى فى هذه الصناعة الى الامام وهى اختراع القاشانى الذى ساد استعماله فى الامبراطوريه الجديدة لتكسية حوائط القصور وقد نقل البابليون هذا الفن بواسطة الاشوريين.

ولم يكن الحجر يستعمل قبل حكم نبوخذ نصر الثانى سوى فى ارزاز الابواب فى المعابد والمنشآت العامة ويرجع هذا الترف الى عصر سحيق وطبقا لما ذكره هيرودوت وديودور كانت هناك قنطره من الحجر فوق الفرات عند بابل فى القرن السادس ولكن واقع الامر ان الأحجار لم تستعمل فقط الا لتغطيه الدعائم ولتسند روافد الخشب.

ومن الملاحظ ان الدعائم السبع التى كشف عنها مصنوعة من الآجر [1] وقد استعملت الاحجار فى هـــذا العصر لرصف الطريق المقدس فى بابل وللحدائق المعلقه وللحائط الشمالية للقلعه

وكان المبنى دائما مستطيلا متوازى الاضلاع سواء اكان قصرا ام معبدا ام مسكنا خاصا يرتكز أصلا على مرتفع من البناء يدرأ عنه الفيضان. وكان هذا المرتفع ويسمى «تمنو» عبارة عن أربعة حوائط من الطوب الذى غالبا مايكون آجرا يملأ ما بينها بالتراب والأنقاض وغيرها. وكانت تتخلله مجارى بقصد حمايته وتجنبا لتجمع ماء المطر. وقد عثر فى سومير على بعضها عمودية مصنوعة من أنابيب فخاريه ملأى ومحاطة بالنخاف ومغلقة بواسطة

(1) CX b. p. 193.

قبعة مثقوبة بمرغاة «مطفحة» فى مستوى الأرضية (البلاط) .كما عثرفى بابل فى المدينة من عصر البابلية الجديدة على بعضهامن أحجام كبيرة مقببة بشكل جمالون وأخرى صغيرة من قالبين من الطوب على شكل ٧ مغطاه بقالب ثالث أفقى

وكانت المنازل تشيد احيانا كلها من الآجر واحيانا اخرى تقوم على بعض صفوف (مداميك)منه وقد استعملت الطريقة الاخيره فى بابل منذ أيام حمورابى حتى سقوط الامبراطوريه .اما فى الاحياء الخاصة فقد كانت للبيوت حوائط ضعيفة وكان من النادر ان يبنى فوق الدور الأرضى غرفة علويه وكانت البيوت متلاصقة بحيث لا تترك فيما بينها الا ممرات او حارات ومع ذلك فان المبنى لم يكن يقوم بغير نظام لانه منذ الاسرة الاولى نجد هناك تصميما للشوارع لامثيل له فى المدن السومبرية القديمة . وكان هذا التصميم (الذى ظل محتفظا به رغم الثورات) يحدد الشوارع الرئيسية التى تتجه من الشمال الى الجنوب ... وتتقاطع معها شوارع عرضية

ولسنا نعرف كيف كانت توضع السقوف فاننا نرى فى كل مكان بقايا الحوائط القديمة قائمة الى ارتفاع بضعة اقدام فقط وليس لدينا أى اثر لما كان يعلوها وليس من شك ان اصحاب المبانى الخاصة كانوا يستخدمون النخيل الذى كان ينمو في الاقليم ثم يغطون افلاقه بطبقة من الطين تثبت عليه تماما اما بالنسبة للمبانى العامة منذ عصر اورنينا فاننا نلاحظ استعمال جذوع الارز التى ثبت ان خشبها لا يعطب . وقد كان يؤتى بها من الجبال وخاصة من لبنان . وقد كان من النادر عمل فتحات اخرى غير الابواب وأقصى ما كان يعمل هو بعض فتحات صغيرة فى أعلى الحوائط . ولقد كان شكل المبنى عامة لا يوحى بمنظر لطيف.وكانت الحوائط تغطى بطلاء ملون يزينها ويحميها من التقلبات الجوية ولقد شهدنا حتى الآن الترتيبات الخاصة بالمعابد [1] . أما قصر نبوخذ

---

(١) أنظر صفحة ١٧٥ ومابعدها

نصر الثانى فى بابل فكان مكونا من مبان موزعة حول أربعة أفنية رئيسية . أما قاعة العرش — وطولها ٥٢ مترا وعرضها ١٧ مترا — فكانت تواجه الشمال. وتقوم فى ثالث الأفنية وأوسعها وتتصل بكل المبانى المجاورة . وكانت الزينة الوحيدة لهذه القاعة مشكاة ضخمة حيث يجلس الملك وكانت ترى من الفناء . أما سمك الحوائط فكان ستة أمتار وكانت كلها مطلية باللون الأبيض. أما حوائط البهو فعلى العكس من ذلك إذ كانت مزخرفة بطوب مغطى بالمينا. وزخارف ، مستوحاة من الفنين الحيثى والأشورى ، وهى تتكون من عمد صفراء على أرضية زرقاء سماوية اللون تحمل شريطا عريضا مرصعا بوريدات بيضاء ذات لون أصفر فى الوسط ومعينات زرقاء محاطة باللون الأصفر [1] . أما الغرف الشخصية فكان يتقدمها دهليز يمكن الوصول إليه بعد اختراق غرفتين وقد عثر هناك على بئرين دائريتين .

أما فى الركن الشمالى الشرقى من القصر فقد عثر على مبنى ضخم مكون من أربع عشرة غرفة مقببة رتبت فى صفين . وأن وجود بئر وأحجار تناولتها يد الإنسان بالتهذيب لما يدفعنا الى التساؤل ان كان ذلك هو أساس الحدائق المعلقة إحدى عجائب العالم القديم . وعلى أية حال فان الحدائق كانت قائمة داخل أسوار القلعة طبقا لما ورد فى مؤلفات اليونان .

وكان يحيط بهذه القلعة التى كان يشغل القصر معظمها — شأنها فى ذلك شأن المدينة — سور مزدوج . وكان الحائط الخارجى لمدينة نبوخذ نصر مصنوعا من الآجر وبين طبقاته القار وسمكه ٧,٨١ مترا وقد دعم من الخارج من خندق التحصين حتى مستوى الأرض بحائط أخر سمكه ٣,٢٥ مترا. أما الحائط الداخلى (الذى تفصله عن الحائط الآخر مسافة ١١,٢٥ مترا) فقد بنى من اللبن بسمك أقل (٧,١٢ مترا) وجهز بابراج على مسافات متباعدة منتظمة بارزة فى الجانبين . وكانت تبعد هذه المجموعة من الاستحكامات مسافة

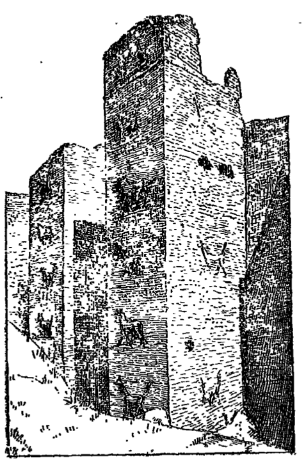
---

(١) أنظر شكل ٣٧ .

٢٤٠٠ متر من الإيساجيل — معبد مردوك — الذى يعد قلب المدينة . وفى القرن السابق تحت الاحتلال الأشورى لم تكن المدينة تشغل سوى مساحة صغيرة. وكانت تحصيناتها التى لا تبعد أكثر من ١٤٠٠ متر من الهيكل تتكون من سور مزدوج من اللبن عرضه ٦,٥٠ مترا تقع على جانبيه أبراج ضخمة بينها أبراج أخرى صغيرة . ومن المحتمل أن المدينة كانت أصغر من ذلك فى القرون السابقة ولكن أسوارها الدفاعية القديمة لم يكشف عنها بعد . وكانت المدن السومرية كذلك محاطة بحوائط من اللبن كشف عن بقايا منها فى تللو .

ولعل أجمل أثر فى بابل هو بوابة عشتار التى أعاد بناءها نبوخذ نصر الثانى وهى تقع بالقرب من القلعة عند النقطة التى يبدأ عندها الطريق المقدس دخول المدينة القديمة . وكانت مكونة من مبنيين من الآجر يمت كل واحد منهما الى أحد حوائط المدينة وكان كل مبنى منها ينغلق عليه باب من الأمام والخلف ويفصلهما بهو يحيط به حائطان صغيران . أما فى الجانبين الآخرين فان البوابة يقع على جانبيها جناح يتخلله ممر . وعلى ذلك فانه كانت هناك ثلاثة مداخل مختلفة تغلق عليها ثمانى بوابات. ويلاحظ أن البرجين المركزيين اللذين يقعان على جانبى المدخل فى جهة الشمال والغرب شأنهما فى ذلك شأن الواجهة كلها والممر الرئيسى والواجهه الجنوبية الشرقية المواجهة للمدينة قد زينت جميعا بحيوانات رتبت فى صفوف أفقية يمثل كل منها نوعا معينا : ثور أداد وتنين مردوك . وهناك صفوف ستة كائنة الى أسفل ما يظن أنه كان ممرا قديما للطريق المقدس وهناك ثمانية أسفل الممر من اللبن وعشرة أسفل ممر نبوخذ نصر المرصوف بالحجارة. والحيوانات فى الصفوف التسعة الأولى منقوشه وهى تتكون من طوب غير مطلى بالميناء. أما الى أعلى فهناك صفان من الحيوانات من الطوب المغطى بالميناء ولكنها ليست منقوشة ثم صفان من الطوب الخزفى المنقوش. وقد أحصى عدد الصور التى توجد بهذه المجاميع

الثلاث عشرة من الحيوانات فرجد أنها ٥٧٥ صورة منها ١٥٢ مازالت قائمة فى أماكنها. وهى كلها تواجه — بقدر الإمكان — الأشخاص الذين يدخلون المدينة . ولقد سور نبوخذ نصر الطريق المقدس بواسطة تحصينات جديدة عند هذه البوابة وذلك بواسطة حائط سمكه ٧ متر تقع على جانبيه أبراج تقوم بينها سباع منقوشة نقشا بارزا ومزينة بالمينا يبلغ عددها ستين فى كل ناحية وهى تواجه المدينة :



(شكل ١٦) بوابة عشتار فى بابل (نقلا عن كولدواى Das wieder erstehende Babylon شكل ٢٤)

وقد رصف الطريق المقدس ببلاطات عريضة من الحجر الجيرى استجلبت من Hit على الفرات من بين طبقتين من البرشيا الحمراء المعروقة بالأبيض . وتقوم الأحجار — التى يربطها ببعضها البعض الأسفلت — على أساس من الآجر المغطى بالقار . ويظهر أن الطريق كان مخصصا للمشاة وللمواكب الدينية . ولا يلاحظ عليه آثار مركبات على الاطلاق . وبعد أن يسير بجوار الزيجورات فى الشرق نراه ينحرف فى زاوية قائمة تاركا معبد مردوك على اليسار حتى يصل الى كوبرى الفرات ثم يهبط مرة أخرى من الشمال الى الجنوب فى اتجاه بورسيبا .

ويظهر أن البابليين كانوا يهدفون إلى ضبط زوايا مبانيهم على اتجاهات البوصلة مما كان يسمح بعدم حرمان أية واجهة حرمانا تاما من أن تظل فى الشمس . ولم يكونوا يقيمون أى مبنى دون تأدية طقوس معينة . وقد اعدوا تحت الحائط أو الرصيف مخابىء صغيرة خبئت فيها نقوش تذكارية ترافق تماثيل صغيرة واقية وأحيانا تمائم وأشياء أخرى . وحين كان يسقط أحد المبانى ويتحول إلى أنقاض ويسمح الآلهة بإعادة بنائه فانه كان من الواجب أن يبحثوا عن النص القديم وان يرش بزيت مقدس ثم يعاد وضعه فى الطبقة السفلى (بدروم) للمبنى الجديد .

وكانت الأكوام الصناعية تتكون من البقايا والمخلفات توضع بين الحوائط من الآجر عادة: وكان الطوب يجفف تماما قبل استعماله . وكان يراعى فى الرصيف السميك ترك فتحات عديدة ضيقة حتى يكون الجفاف محققا . أما فى اشور حيث كانت المواد تستعمل وهى لاتزال رطبة فان مثل هذه الفجوات لم يعثر عليها .

وكان الملاط يصنع من الأسفلت المختلط بالطين أو القش . وقد استعمل فى عصر نبوخذ نصر ملاط من الجير . كما استعمل الأسفلت وحده لحائط الفرات فى عهد نابونيد وكما استعمل ملاط الطين فى مبانى الفرس واليونان .

أما الزخرفة الخارجية للمبانى فكانت تتركب من نقوش وزخارف من الطوب أو العمد المربعة كان الهدف من استعمالها كسر حدة الملل فى الحوائط وكان الطوب يغطى فى كل مكان بطبقة من الطلاء من الجير أو الأسفلت لحمايته من التقلبات الجوية . ومن المحتمل أن استعمال الطوب المغطى بالميناء لم يعرف قبل الاحتلال الاشورى . وقد استخدم بقصد الزيادة من روعة هذه الزخرفة . التى اكتملت بما كانت عليه الأبواب المشغولة من أبهة وفخامة فبوابات جوديا فى اينشو فى لجش صنعت من الأرز المغطى بالمعدن شأنها

فى ذلك شأن الأبواب المتأخرة لمعابد بابل التى رسمها نبوخذ نصر . أو مصاريع بوابة عشتار المزينة بالنحاس. وكانت هذه الأخيرة تدور على «رزاز» من البرونز مثبتة فى عتبة من نفس المعدن وربما استعيرت النقوش التى عليها من الفن الأشورى.

٢ — النحت

لقد كان فن النحت السومير واكادى فى تقدم حتى عصر جوديا وملوك أور إلى أن انتهى به الأمر إلى الانهيار منذ قيام الأسرة الأولى فى بابل فحل محله طراز جديد هو الفن الميزوبوتامى فى عصر الكاسيين . ولقد كان السوميرو اكادى يهدف إلى تمثيل الطبيعة فى تماثيله الكبيرة من الديوريت التى جاءت ثقيلة نوعا ما ولقد نجح فى التماثيل فى إظهار شكل العضلات رغم صلابة الحجر كما حاول إبراز ثنيات النسيج وهو أمر لم يعن به الفن البابلى فيما بعد مما يجعل العصر الغارق فى القدم فى مقدمة العهود من حيث الكمال فى تمثيل الصورة الإنسانية .

أما التماثيل فنادرة . وبمتحف اللوفر ثمانية من الديوريت كان قد وضعها جوديا فى معابد لجش وكلها تبين الايشاكو فى مظهر الولاء أمام المعبود ويداه معقودتان إلى بعضهما وهو إما واقف أو جالس ويمسك أحيانا على ركبتيه تصميما للمعبد أو مسطرة أو قلما ولكن كلها — لسوء الحظ — مقطوعة الرأس . والرءوس المنفصلة التى عثر عليها فى الأنقاض لا تناسبها . ولقد أمكن ترميم واحد من التماثيل الجالسة ذات الحجم الصغير [1] ويلاحظ فى الرأس بعنقه القصير — ويكاد يكون سليما — أنه محلوق كله وتغطيه عمامة . وقد عنى بنحت الشفتين والخــــدين ولكن علينا ألا نعتقد أن هـذه صورة الأمير فان هذا لم يكن غرض النحات الشرقى القديم على الأقل قبل

(١) شكل ٥ صفحة ٣٧

العصر الإكيميني لأن كل تماثيله كانت تقليدية. وقد ظل النحاتون يعنون. بإبراز العضلات والتمثيل الدقيق للحركة الطبيعية للملابس خلال عهد ملوك اور ولكن شأن النحت لم يكن كذلك فيما قبل كما يبين التمثال الصغير المنحوت من الرخام لملك من آداب أقدم من جوديا يرتدى ثوبا كالقراب (الجراب) وليست به عضلة واضحة أما العين فمفرغة جوفاء شأنها فى هذا شأن كثير من التماثيل العتيقة والرأس محلوق تماما [١]. ولم تكن النسب الصحيحة مرعية دائما ومن أمثلة ذلك تمثال أوربا و [٢] أحد أسلاف جوديا إذ أنه قصير قصرا غير متناسب. وكذلك نرى فى أحد التماثيل العتيقة [٣] أن الارتفاع كله لا يبلغ أربعة أمثال الرأس وحده.

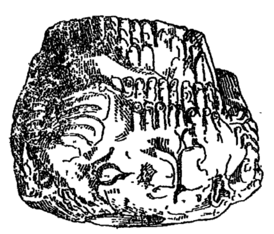


(شكل ١٧) قطعة من نقش بارز دائرى
(متحف اللوفر — حفائر تللو)

وكانت التماثيل الكبيرة من الحجر الصلب الصخرى. أما الصغيرة فمن حجر لين فى معظم الأحيان من الحجر الجيرى أو المرمر أو الأونكس. ولقد بذلت محاولات أحيانا لجعلها طبيعية تنبض بالحياة وذلك عن طريق التطعيم بأحجار من ألوان أخرى أو بالمعادن وليس من شك أن تمثال ملك

(1) LXX pl. 21 fig. 4.
(2) Ibid. pl. 7. et 8.
(3) Ibid. p. 1 ter fig. 3.

آداب كانت عيناه موضوعتين . وهناك تمثال امرأة من الحجر الجيرى الأشهب يرجع إلى عصر جوديا حُلِّىَ معصمه بأساور نحاسية مكسوة بالذهب [1] وهناك آخر أحيط عنقه بعقد من العقيق والفيروز وحبات (خرز) النحاس المذهب [2] . وتسمح لنا مجموعة النقوش البارزة — وهى أكثر كمالا من مجموعة النحت فى التمثيل المجسم (التماثيل) — بأن نتتبع التطور والنمو الفنى فى تمثيل الشكل الإنسانى ابتداء من الصورة ذات الريش [3] حتى لوحات جوديا مارين فيما بين هاتين المرحلتين بالنقش البارز الدائرى [4] وصور أسرة أورنينا [5] ولوحة العقبان [6] والنقش البارز لـ « دودو » ولوحات سرجون ونارام سن [7] وفى لوحة العقبان بوجهيها — وأحدهما تاريخى والآخر أسطورى — المقسمين إلى صفوف متعاقبة نرى تنفيذاً أكثر حرية من نقوش أورنينا . ولقد استطاع الفنان فى آثار نارام سن أن يستخدم فى تكوين موضوعه سطحا غير مستوٍ مثل فيه الملك واقفا فخوراً مما يجعله يحتل المقام الأول .



(شكل ١٨) راس دبوس جوديا
(متحف اللوفر — حفائر تللو)

وتمثيل الحيوان — شأنه فى هذا شأن الصور الإنسانية يكون سلسلة حلقاتها مستمرة . ولقد

(1) XLVIII no 108.
(2 Ibid No. 121.
(3) LXX pl. 1 bis, fig 2
(4) LXX pl. 1 bis fig 2 انظر شكل ١٧
(5) Ibid pl bis fig. 1 انظر شكل ٣ صفحة ٢٦
(6) Ibid pl. 3 à 4 ter. انظر شكل ٨ صفحة ٨٤
(7) انظر شكل ٤ صفحة ٣٦

أمر جـــوديا بنحت اساد بالحجم الطبيعى لم تبق منهـــا إلا قطع قليلة [١] وحوض مزين بصور جانبية لسباع [٢] ولا يزال رأس الحيوان ومقدمه يحملان اسم أورنينا [٣] وصناعتهما بدائية عتيقة والمقارنة بين صولج « مسيليم » [٤] المنقوشة عليه رسوم اساد ونظيره لـ « جـوديا [٥] تكشف عن التقدم الفنى فى معالجة الموضوعات الدائرية . والنقوش التى تمثل المواشى كثيرة كذلك . فعلى النقش البارز لـ « دودو » نرى ثورا مضطجعا وعلى لوحة العقبان نرى ثورا مهيأ للتضحية وهو مربوط إلى وتد . وهناك رأس عجل من الحجر الجيرى [٦] يقدم لنا فكرة عن التطعيم : فلقد صنع محجر العين من الأصداف وقطع انسان العين (سوادها) من القار .



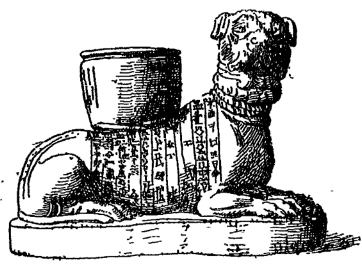
شكل (١٩) اناء لصب السوائل خاص بجوديا (متحف اللوفر — حفائر تللو)

ولم يكن السومير وا كادى — أكثر من ذلك — ليقنع بتمثيل الكائنات الحقيقية إذ كان شديد الميل لاختراع مخلوقات مختلطة غير متجانسة الأجزاء انتقلت خلال الأجيال من عصر إلى عصر معتمدا فى ذلك على تشابه معين قل أو كبر بين الإنسان والحيوان وعلى ما كان يلاحظه من مظاهر شذوذ فى الطبيعة . فالنسر برأس الأسد

---

(1) Ibid pl. 24.
(2) Ibid pl. 24.
(3) Ibid pl. 25 bis.
(4) Ibid pl. 1 ter. fig. 2 أنظر شكل ٢ صفحة ٢٤
(5) Itid pl. 25 tis, fig. 1 انظر شكل ١٨
(6) Itid. p. Il ter. fig. 1

مثلا — وهو رمز الإله نجرسو — كثيرا ما نجده على آثار لاجش . والثور بالرأس الآدمى مزاج من نوعين يظهر انه جاء مباشرة من محاولات لاظهار نوع من الجاموس. وفى واحد من هذه الحيوانات المنحوتة من الـ «ستياتيت» استعملت الأصداف لملء فجوات العينين فيما عدا انسانها الذى لم يعثر عليه . وهذه القطعة أحدث من عصر جوديا ويمكن مقارنتها برسم آخر أكثر ثباتا وبدون تطعيم [1] غطى كل جسمه بصفائح مثلثة من الاصداف . وعلى أوانى التقدمات للايشا كو [2] نرى التنين برأس الثعبان مغطى بحفر كان يملأ من غير شك أصلا بمادة مضادة للون أرضيته وسيصبح هذا التنين رمزا لمردوك بابل وهو فى نفس الوقت الوحش العجيب الذى نراه بعد عشرين قرنا فى أيام نبوخذ نصر الثانى على نقوش بوابة عشتار بنفس الجسم ذى القشور ومخالبه الأمامية مخالب أسد ومخالبه الخلفية مخالب نسر وله ذيل ورأس ثعبان ويعلو رأسه غطاء ذو قرون تتحول إلى التفاف وريش يتحول إلى قرن مدبب. ولم يختف سوى الأجنحة وحلت محلها ذؤابة ملفوفة بطول العمود الفقرى [3] هذا وهناك قطعة فنية رائعة [4] تمثل كلب سوموا يلوم سابع ملوك



(شكل ٢٠) كلب سوموا يلوم (متحف اللوفر — حفائر تللو)

(1) Monuments Piot, VII, pl. 1.

(2) شكل ١٩

(3) شكل ٣٦

(4) شكل ٢٠

اسرة لارسا حوالى ٢٠٠٠ ق م. ولكنه قد لازم قيام الوحدة السياسية واختفاء السومريين كشعب عهد انحطاط بالنسبة للفن . والنقوش البارزة لحورابى دليل واضح على هذا الانحلال . ومنذ عهد الكاسيين تقدم الكودورو دليلا على الاهمال (الابتعاد) المتعمد للصورة الحقيقية بحثا وراء التفصيلات الخاصة بملابس الشخص الذى يمثل .

ولا نزال نجد حقا ملفعات بدون نقوش ولكنها لا تكون ثيابا . ونلاحظ كذلك ظهور الثياب المطرزة التى تنتشر عليها الوريدات والشجر المقدس والحيوانات . وهى كلها موضوعات تثبت لنا تأثير الفن الحيثى الذى ربما وصل الى بابل عن طريق اشور . وانا لنجد نفس الترف فى القرن التاسع على الكونوكو من اللازورد الذى حفره «مردوك زاكرسوم»[1] تمجيدا للاله مردوك وكذلك على مثيله فى اللوفر [2] .

٣ — الصور المعدنية

لم يلجأ سكان بابل الى الحجر وحده كمادة لصنع التماثيل والنقوش التى تصور الآلهة والرجال والحيوانات بل انهم مهروا منذ عصر ممعن فى القدم فى استعمال المعادن وخاصة النحاس فلقد كشف فى تللو [3] عن قرن لثور بالحجم الطبيعى مكون من رقيقة من النحاس ملفوفة حول قالب خشبى وملصقة به عن طريق مسامير صغيرة ويظهر أن هذه الطريقة قد استعملت فى صنع اشياء اخرى ذات احجام اكبر مثل اشجار النخيل التى اقامها « جونجو نوم » ملك لارسا فى معبد شماش فى السنة الثانية من حكمه (٢٢٦٣ ق . م .) ولقد نصب فيما بعد تماثيل نحاسية فى هياكل متعددة كما امر خلفه الثانى «سوموايلوم » بصنع اسود نحاسية . وهناك من نفس الفترة ذكر لعدد من

(1) شكل ١٣ صفحة ١٧١

(2) XLII, pl. 39. A. 830

(3) LXX pl. 45 fig. 1

التماثيل من المعادن الثمينة الى جانب تمثال من العقيق واللازورد اوصى على صنعه « ابى سارى » . ولقد صنع « سن ايقيشام » (٢١٧٣ — ٢١٦٩) لنفسه احد عشر تمثالا من الفضة وواحدا من الذهب للإله « شماش » كما قدم واراد سن تمثالا ذهبيا لأبيه « كودورما بوج » لنفس معبد الاله. وصنع « رم سن » واحدا لـ « سن ايدّينام » أحد اسلافه لمعبد اداب. ومن المحتمل ان هذه الاشياء لم تكن تصنع من معدن خالص وربما كانت تصنع من النحاس اوالبرونز وتغطى بطبقة من الذهب أو الفضة وهى لم يعثر عليها ولابد انها هشمت وان كان لدينا من حفائر سوسة تمثال ذهبى صغير موجود باللوفر الآن .

اما المستندات النحاسية فلدينا منها بالعكس عدد كبير فهى تماثيل صغيرة صلبة موضوعة تحت الأساس تحمل نقشا وتصحبها لوحة تخلد ذكرى اقامة المبنى. ولعل اقدمها تماثيل نصفية لنساء ذوات شعور طويلة مموجة ذات منظر جانبى حاد التقاطيع كما هى الحال بالنسبه للنقوش البارزة وتنتهى هذه التماثيل النصفيه بمسامير وكانت تثبت فى دوائر ذات مركز واحد فى مكانين فى الطابق الأرضى (بدروم) من مبنى يرجع عهده الى ما قبل عهد اورنينا [١] وفى عهد اورنينا نفسه [٢] وفى عهد خلفه الرابع انتمينا [٣] وكانت هذه الصور لاتزال صور نساء ميزت فى الحالة الأخيرة بوضوح كانما هى حوريات بقرون واضحة على الجبهه . وفى حكم « أورباو » اختلف الموضوع فظهر الاله راكع ولم ينته بسن لينغرس فى الأرض ولكنه يمسك بيديه وتداضخما كأنما هو يهم بغرسه فى الأرض (انظر شكل ٢١) ولعل هذا هو أجمل مثال لهذه المجموعة من التماثيل [٤] وفى حكم جوديا [٥] لانجد نفس الطراز يصل الى هذه الدقة من التنفيذ ثم يبدأ بعد

---

(1) LXX, pl. 1 bis.
(2) Ibid, pl. 2 ter.
(3) Ibid. pl. 5 bis.
(4) Ibid. pl. 8 bis.
(5) Ibid. pl. 28.

ذلك ظهور حملة السلال واقفين على أوتاد وكن من النساء فى عصر دونجى ، بورسن وقد ظهروا مرة أخرى فى عصر رم سن .



وكانت تماثيل الحيوانات تحل احيانا محل الصور الانسانية فمن عهد جوديا صنعت تماثيل لثيران على قاعدة تقوم على مسمار ضخم وفى عهد دونجى (١) نجد نفس الموضوع ممثلا تمثيلا خيرا من ذلك .

وكانت التماثيل المعدنية الأكبر حجما تصب جوفاء (٢) وهناك راسان لثورين هما نموذج طيب لعصر ما قبل السرجونية . وكما هى الحال فى بعض التماثيل الحجرية كانت العيون ترصع . وفى هذه الحالة كانت من الصدف وكان انسان العين من اللازورد . وهناك ثور من البرونز (٣) من اصل غير معروف

(شكل ٢١) معبود دواق (تللو — اللوفر)

مطعم بالفضة وقائم على قاعدة يعتبر دليلا واضحا على ثبات ودوام الطراز السوميرو اكادى . وطبقا لنقوش نبوخذ نصر الثانى نراه أقام ثيرانا من البرونز وتنانين عند بوابة عشتار ولم يكشف عن واحد منها بل ان نفس قطعها قد اختفت

ولقد اشتق فن النحت فى الحجارة اوالمعدن أو حتى الطمى المجفف فى الشمس ـ مثل نقوش بوابة عشتار — من التشكيل بالطين وانا لنجد من عصر ماقبل السرجونية إلى جانب التمثيل من الطمى (maquette) تماثيل

(1) Ibid pl. 28.

(2) Ibid p. 5 lér.

(3) Monuments Piot VII, pl. I

صغيرة مشكلة بأكلها فى قوالب من قطعة واحدة شكل الجانب الآخر منها باليد مثل إلهات عاريات او مكسوات وآلهه بالتيجان فوق رءوسهم [١].
ويقدم لنا عصر جوديا موضوعات متعددة عنيت القوالب باعدادها : وهى خاصة بآلهه والبطل جلجامش وحامل الجدى والهات لابسات وبصفة خاصة إلهة تقوم بحركة الشفاعة وقد ظلت هذه التماثيل الصغيرة حتى العهد اليونانى الفارسى وازداد تكاثر الالهات العاريات أكثر من غيرها [٢]. ويوجد فى ودائع الاساس من المعابد البابليه الجديدة عادة تمثال صغير من الفخار لـ «پابسوكال».

٤ — النقش



(شكل ٢٢) نقش على الصدف .
(متحف اللوفر — حفائر تللو)

يرجع الحفر على الأصداف الى عصر بعيد جـــدا . ومن « كلوملا » أصداف معينة كانت تؤخذ رقائق صغيرة أو شرائح مقوســـة . وربما جاء استخدام الأختام الأسطوانية من استعمال الأصداف . وأننا لنجد على قطع الأصداف نفس ما نجده عـــلى الأختـام الاسطوانيـــة العتيقة مـــن نسر برأس أسد منقض على ثور برأس بشرى بقصد افتراسه [٣] كما نجد على قطعة من إناء صورة أخرى شائعة هى الصراع بين أسد وثور تتدخل فيه شخصية ثالثة يذكرنا

(1) LXX pl. 39

(2) XL

(3) LXX pl. 46 انظر شكل ٢٢ ، ٢٣.

بطراز الدبابيس من عهد مسيليم وهناك حامل زاد [١] هو أقدم كذلك من أورنينا ان نحن استطعنا الحكم على ذلك من رداء ستر عورته (كادناكس) الذى يتصل به صف واحد من الأهداب. وهناك أدوات أخرى معدة لتطعيمها مثل جدى يقفز أو جذع مكسور ثقب بعناية فيما بين الصدر والذراعين. ولكن لعل خير قطعة من الصدف ترجع الى هذا العصر السحيق هى رأس أسد عرضها ٢٤ ملليمترا مجسمة بعيون مطعمة وإنسانها من اللازورد [٢].



(شكل ٢٣) نقش على الصدف
«حفائر تللو — متحف اللوفر»



(شكل ٢٤) إناء فضى « تللو — اللوفر »

ولقد بدأ اللؤلؤ يحل محل الأصداف. وانحدر الحفر على هذه المادة السريعة القصف الى تخطيط مستقيم [٣]. أما الحفر على المعدن فمثاله حربة

(1) LXX, pl. 46 انظر شكل ٢٢ ، ٢٣

(2) LXX pl. 46,

(3) LXX p. 271.

ضخمة حفر عليها ملك من ملوك أجاده صورة أسد [1] وكذا ناء فضى لأنتمينا [2] وجسمه مزين بنسور لها رءوس سباع ترتبط على التوالى بأسود وأيائل ثم أسود مرة ثانية وأخيرا وعول (تيوس وحشية) . وهذه المجاميع الأربع ليست مستقلة . وكل أسد يعض الايل فى فمه أو الوعل فى المنظر المجاور . وفوق الخط الذى يحد الحقل (الساحة) توجد سبعة عجول يرقد الواحد منها خلف الآخر وكل منها يرفع أحد حوافره الخلفية . وقد تم الحفر بعناية زائدة. والخطوط حادة ومتساوية وقد مثلت الحيوانات من الجانب (بروفيل) بأمانة بينما نرى الوجوه الممثلة من أمام للنسر والأسد ليست لها نفس الطابع كما هى الحال فى اسطوانات هذا العصر لأن الفنان لم يستطع اعطاءها شبها بالحقيقة .

٥ — الأختام الاسطوانية

كان الحفر على الحجر يمارس منذ العصر العتيق . وقد حفظت اطلال نيبور ولاجش بعض الأمثلة له على لوحات كبيرة الحجم ولكنه تطور أكثر ماتطور على الأختام الاسطوانية التى ظلت تستعمل حتى العصر الفارسى لتوثيق المستندات. وهناك آلاف من تلك الأحجار فى المتاحف والمجموعات الخاصة الأولى مستخرجة من الحفائر الرسمية والأخرى وعددها هائل قذف به الى السوق الحفارون الوطنيون : وهى مرتبة طبقا لفترات تاريخية محددة تمامادون أى اعتبار لماهيتها الفنية وذلك اما نظراً للكتابات المحفورة عليها وإما بالمقارنة بما هو منقوش على اللوحات المؤرخة. أما الموضوعات فليست تختلف كثيرا عن نظائرها فى النحت ولكن بالنسبة لانتشارها فى عدد كبير من الأشياء الخاصة نراها تمثل الذوق السائد فى كل عصر واختيار نوع الحجر نفسه فيه الدلالة

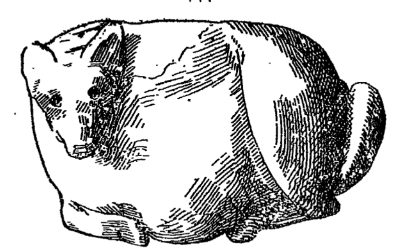
---

(1) LXX pl. 5 ter.

(2) LXX pl. 43, 43 b.

الكافية : فقبل عهد ملوك أجاده كانت الأصداف الحلزونية والحجر الجيرى والحجر اليمانى الأخضر واللازورد كثيرة الشيوع .
أما الرخام فكان نادرا فى عصر أجاده وقد بدأ ظهور الستياتيت والحجر الأرقط serpentine وحجر الحديد Hematite, . وكانت لحجر الحديد السيادة فى عصر جوديا وملوك أور وظل الحفارون يستعملون الحجر الأرقط واللازورد وبدءوا يقومون بتجاربهم على بعض أنواع اليشب والبللور الصخرى . وقد ظلت لحجر الحديد المكانة الأولى خـــلال عهد الأسرة الأمورية فى بابل . ولكن فى عصر الكاسيين كثر استعمال اليشب وبدأ العقيق اليمانى يأخذ دوره فى الاستعمال . وبدأ استعمال العقيق الأبيض يكثر فى القرن السادس وخاصة فى الأختام المسطحة بينما كان صانعو الحلى الفرس يستعملون العاج والكوارتز البللورى (البللور الصخرى) واليشب والعقيق .
ويمتاز أقدم العصور العتيقة بمجموعة من الرسوم الهندسية [١] مشتقة من الرسوم الاصطلاحية لبعض الأشياء والحيوانات والصور الإنسانية ثم مجموعة متناثرة من الحيوانات يحفرها الصانع بالمثقب بغير دقة . وكانت صورة الإنسان تنقش بنفس الطريقة فلقد كان وجهه يمثل على شكل منقار الطائر أن استعمل الفنان المثقاب أو على شكل المعيَّن أن هو استعمل المنحت (المسمار). أما الاسطوانات [٢] فكانت لا تزال نادرة وكان يفضل عليها الختم المسطح المحفور فى شكل حيوان بأعين مستديرة مجوفة وربما مطعمة [٣] ثم تظهر مناظر عراك الحيوانات أمابين بعضها البعض أو ضد الأبطال مثل جلجامش وصاحبه الوفى انكيدو. وهناك نحو أثناعشر منظرا تتجمع حول اسم «لوجالنداء ايشاكو لاجش الذى أمكن العثور على طبعات لثلاثة أختام مختلفة له [٤]»

(١) شكل ٢٥
(٢) شكل ٢٦
(٣) شكل ٢٧
(٤) شكل ٢٩



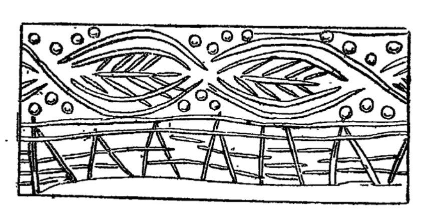
(شكل ٢٥) خاتم عتيق (متحف اللوفر)



(شكل ٢٦) اسطوانة

ويستمر فى خلال حكم « نارام سن » و « شارجاليشارى » ظهور معارك جلجامش وانكيدو مع الأسد والثور . وتمتاز إحدى الاسطوانات من تللو بعمق الحفر وبراعة تصوير الوجوه وهى تحمل الاسم الإلهى لـ « نينين » [1] .

ولعل هذه هى أروع فترات صناعة النقش على الأحجار الكريمة حين يبذل الفنان قصارى عبقريته فى تنويع الموضوعات

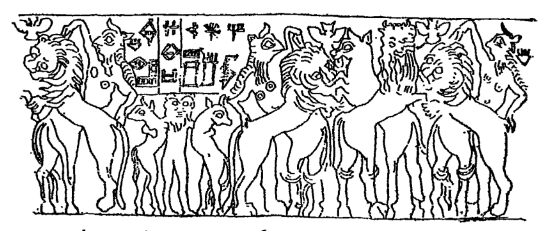


(شكل ٢٧) اسطوانة اركية « متحف اللوفر »

(١) شكل ٢٨



(شكل ٢٨) اسطوانة من عصر أجاده « متحف اللوفر — حفائر تللو — »



(شكل ٢٩) اسطوانة لوجالاندا إيشاكو لاجش « مجموعة الوت دى لاقى »

المشتقة من الأساطير الهامة . ومجموعة شماش إله الشمس والقاضى الأول



(شكل ٣٠) أسطورة زو — عصر أجاده « المكتبة الأهلية »

أعلاها شأنا إذ عولجت معبودات الزراعة ومحاكمة زو [١] الذى حاول سرقة لوحات القدر وأسطورة إتانا الذى رفعه نسر الى السماء والشجرة المسحورة ... عولجت جميعا ولكن ليس بنفس الدقة .

وفى عصر جوديا وملوك أور كانت تفضل المناظر الدينية التى كان يمثل فيها المخلوق وهو يتصل بالمعبود عن طريق وساطة إلهه الخاص الحارس .

والأمثلة لهذا عديدة جدا ولا تختلف عن بعضها البعض كثيرا وتكاد لا تكون هناك مناظر معينة تسترعى التفاتا

شكل ٣١) اسطوانة جوديا ايشاكوجش «حفائر تللو — متحف اللوفر»

خاصا . ويمتاز ختم جوديا بفنه [٢] الخاص وبتكوين الموضوع بآلهته موضحة توضيحا تاما وبالتنين ذى رأس الثعبان الذى تظهر دقة تفصيلاته واضحة رغم صغر الوجه. كما يظهر كذلك واضحا على إناء السكب الخاص بالايشاكو.

وبعض الاسطوانات لا تتصل بهذه المجموعة ولكنها — كما هى الحال فى القرون السابقة — تصور صراع بطل مع الحيوانات البرية .

ولقد ظلت الحال كذلك خلال حكم ملوك الأسرة الأولى

(شكل ٣٢) اسطوانة كاسية « متحف اللوفر »

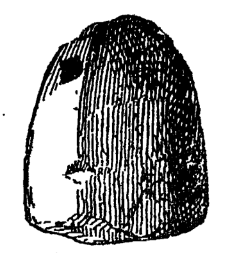
(١) شكل ٣٠

(٢) شكل ٣١

البابلية : فجلجامش لا يزال شخصية شعبية وبطلا قويا على أتم استعداد للنزال وهو فى صحبة انكيدو نراه يتولى تقديم الجدى الى المعبود وخاصة إلى شماش . ثم يظهر إله آخر للمرة الأولى فى زى قصير وهو معمم ومسلح بهراوة ويظهر أنه أمورو إله الغرب . كما يظهر أداد وفى النادر مردوك وإلهات حرب والآلهة العارية لتكمل قائمة (مجموعة) هذا



(شكل ٣٣) اسطوانة نوبابلية «متحف اللوفر»



(شكل ٣٤) قالب ختم نيوبابلى



(شكل ٣٥) ختم نيوبابلى « متحف اللوفر »

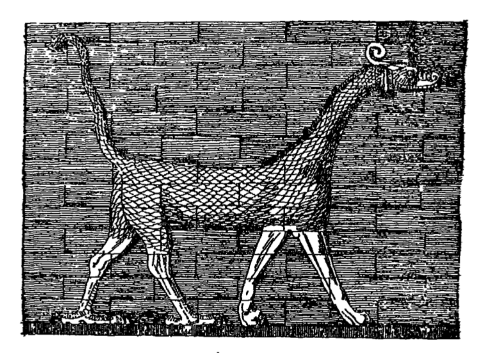
العصر وفى خلال الفترة الكاسية نرى الموضوع يقتصر فى كثير من الأحيان على تصوير شخص واحد فقط أو بضع رموز مقدسة وتصبح الكتابة لها القدح المعلى وهى عادة دعاء للمعبود لالتماس العون والحماية والعمر الطويل لصاحب الختم خادمه الأمين [1] .

وفى خلال الاحتلال الاشورى قلما نجد الحفر او النقش على الأحجار يقدم لنا شيئاً له مميزات خاصة فلقد سمح لنفسه أن يتنزل ليحل الختم

(١) شكل ٣٢ .

المسطح [١] ذو الحجم الصغير محل الاسطوانه واخذ منذ ذلك الحين يقدم المناظر المميزة للفترتين النيوبابليه والاكيمينية : وفيها يظهر كاهن وهو يقوم بشعائر الصلاة ويداه مرفوعتان امام المذبح الذى توضع فوقه رموز مقدسة [٢].

ولم يتوقف انحطاط فن الحفر على الاحجار الكريمة منذ عصر اجاده :فلقد استبدل بالسعى وراء التكوينات الاصلية والفنية منذ ايام ملوك أور مجرد صنع



شكل ٣٦) تنين مردوك على بوابه عشتار نقلا عن كولدواى
Das wieder erstehende Babylon

الاختام بالجمله وبسرعه الى ان اصبحت مجرد رسوم. وخاصة فى القرن السادس

٦ ـــ الطوب الخزفى

استعمل البابليون فى الامبراطورية الحديثة ـــ كما سبق ان لاحظنا ـــ طوبا خزفيا لتزيين المبانى العـــامة وهذا هو اهم استعمال للألوان فى الزخرفة الى جانب التطعيم فى التماثيل والنقوش . ولقد كانت حوائط بوابة عشتار مزينة بحيوانات غريبة الشكل وثور ادلد وتنين مردوك التى توجد

(١) شكل ٣٤
(٢) شكل ٣٥ ، قارن شكل ٣٣

تسعة صفوف منها منقوشه على طوب المبنى والى اعلاها صفان من حيوانات.
مشابهة من الطوب الخزفى يعلوهما أيضا صفان آخران من الطوب الخزفى المحفور.
اما الارضية الزرقاء فقد توصلوا الى صنعها عن طريق اللازورد المسحوق.
كما هى الحال فى القرن الثامن فى اشور فى قصر سرجون . ولون الثيران
اصفر ولها قرون وحوافر
خضراء اما اهداب الذيل
والشعر فزرقاء وتنين مردوك
ابيض اما قرونه ولسانه المشعب
ومخالب الاسدو مقدماه وكعبا
مؤخريه فمن الاصفر الخفيف
واما الاقدام الخلفية فمكونة
من معجون زجاجى ملون
احيانا بالخزف المجاور له . وقد
كشف اخيرا عن طريقة معالجة
هذا الطوب [1] . ويظهر انه

(شكل ٣٧) زينة الحوائط الخارجية لقاعة العرش
فى قصر بنوخذ نصر فى بابل « نقلا عن كولدوى
Das wieder erstehende Babylon

اخذ من الاشوريين الذين ربما نقلوه عن الحيثيين ثم انتقل الى فارس حيث
استخدمه دارا فى زخرفه قصر سوسة . اما اختيار الالوان واستخدامها
فمأخوذ من غير شك عن اشور واما فكرة المناظر نفسها فتقليد للفن الحيثى.
فمثلا نجد ذلك على الحوائط الخارجية لغرفة العرش حيث تغطى الاعمدة
الصفراء من اعلى بتاج مزدوج من الحلزونات الزرقاء التى تعلوها وريدات.
بيضاء ذات لون اصفر فى الوسط على ارضية داكنة الزرقة وهو طراز كان
معروفا فى اسيا الصغرى انتقل منها كذلك الى الفن القبرصى .

---

(1) Bigot : Reconstitution des frises du palais de Darius, 1913

٧ — الزى

يمتاز الآلهة فى كل الآثار المصورة من كل العصور عن الناس بلباس الرأس الذى هو عبارة عن قلنسوة مزينه بقرون تتقابل اطرافها من امام كل اثنين معا . واذا نحن استثنينا بعض الحالات النادرة جدا فيما يختص بالمعبودات الثانوية نرى صورها انسانية بحتة وللتميز فيما بينها نراها تخصص بالاسلحه التى تمسكها بايديها وبرموز معينة فوق أكتافها اوبالحيوانات التى تطأ عليها بأقدامها . وقد استبدلت صورها فيما بعد برموز مشتقة من شخصياتهم الأسطورية وصفاتهم وبعض تقاليدهم الموروثة...ولقد كان انو سيدا للآلهه وكان رمزه التاج ذا القرون وهو الرمز الالهى البحت يوضع على العرش . اما مردوك فقد استحوذ على السلطان بعد صراعه مع تيامات ولذا فاننا نرى عند قدميه تنينا مهزوما . واما رمزه فحربه . واما نابو اله الكتاب فيرمز له قلم اوطائر واما «اداد» اله العاصفة فيرمز له بالصاعقة . واما شماش اله الشمس فيرى محاطا باللهب كما تظهر نيسابا الهة الزراعة فى وسط القصب .

وكان تمثيل الأشكال العارية نادرا . ومن بينها معبودات فى نزاع مع بعضها البعض وكاهن يباشر عملية الاهراق (السكب) وبعض الاشخاص الثانويين فى بعض المناظر المحفورة على الاحجار الكريمه والهة الخصب وخاصة فى التماثيل الصغيرة الفخارية وعلى اسطوانات اسرة حمورابى . وكان جسم البطل جلجامش فى النقش الغائر الاركى مشدودا فى حزام ينزل طرفه فى محاذاة الساق . وفى عصر اجاده نرى بعض الآلهه أو الجان يلبسون قطعة من قماش يمر فيما بين سيقانهم ويمسكها حزام .

واقدم زى للسوميريين والا كاديين كان يتكون من ملفعة (شال) مستطيله تلف كالنقبة (الجونلة) حول العجز و تنسدل حتى الركبتين وكانت من لون واحدولها اهداب على شكل الخيوط او العنكبوت تنتهى بأهداب فى صفوف .

منتظمة وهو ماعناه اليونان بكلمة «كادنا كس» الذى كان ينسج فى اكبتانا فى ايام ارستوفان

ولقد كان ذلك زى الإله على أقدم الآثار وعلى ذلك فانه كان أيضا زى اورنينا الملك العجوز للاجش . ثم أضيفت قطعه أخرى تدور حول الكتف اليسرى مثل زى الملك «اياناتوم» على لوحة العقبان . وبمرور الزمن ازداد حجم الملفعة حتى غطت الجسم كله وأصبحت تربط تحت الإبط وتلف الذراع اليسرى ثم تمر نهايتها الأخرى تحت الذراع اليمنى ولقد كان ذلك لباس الآلهة والرجال منذ عصر سرجون الاجادى كما كان لباس جوديا وحمورابى . أما الكاسيون فقد ارتدوا قميصا ذا أكمام طويلة ضيقة . وتدثروا بملفعة «شال» مزركشة أو منسوجة من ألوان متعددة [1] وهى من الأشياء التى كانت تستعمل منذعهد بعيد ودليلنا على ذلك أن أنوالملوك اور كانت تورد للأمراء قطعا من الثياب الثقيلة المنسوجة من الصوف المختلف ذى الصبغات المتناسقة الألوان . وتظهر الزخارف والوريدات والأشجار المقدسة والجان والحيوانات حوالى عام ١٠٠٠ ق . م . فى أقمشة الزى الملكى وقد أخذت جميعا عن الفن الحيثى أما مباشرة (ذلك لأن التأثير الحيثى ظهر فى الفن حتى السلاسل المحيطة بايران) أو عن طريق اشور حيث ظهرت نفس الطرز .

أما رداء الأشخاص العاديين فقد ظل بسيطا ذا لون واحد وكانت له عادة أهداب . وقلما يضع جلجامش على رأسه لباس رأس بينما نجد رجالا من عصر أورنينا يلبسون أحيانا تاجا ذا عريشه يشبه «الكلاثوس» الذى عرفه اليونان . ثم ظهرت فى عصر جوديا العمامة التى أصبحت لباس الرأس عند حمورابى . وكان الآلهة ملتحين بشعور طويلة معقودة عند القفا مزدوجة أصلا ثم بسيطة فيما بعد وكانوا يعنون دائما بتصفيفها . وكانت للإلهات أحيانا ضفائر وأحيانا عقائص تمسكها عصبة . وللأبطال القدامى لحى وشعور طويلة

---

(1) XC pl. LXXIV.

هى فيما يختص بجلجامش يقسمها فرق دقيق واضح يكون ثلاثة صفوف من الحلقات (البوكل) على كل من جانبي الرأس. ولقد صور اكورجال بن اورنينا برأس محلوق مرة وبشعر طويل معقود على القفامرة أخرى. ويرى «نارام سن» بلحية على لوحة النصر. أما جوديا ومعاصروه فى لجش فلهم عادة بشرة ناعمة ورأس حليق مثل أشخاص لوحة الكودورو الخاصة «بمردوك بالاتسو إقبي»[1] فيما بعد.

أما كهنة البابلية الجديدة فيضعون شعرا مستعارا يربطه الإكليل وكانت نساء السوميريين والاكاديين يعنين عناية خاصة ويبذلن جهدا ملحوظا فى تصفيف الشعر فى أشكال مختلفة ويثبتونه فى مكانه عن طريق شرائط وشبك وملفحة يثبت أحد أطرافها عن طريق الأهداب التى تصبح على شكل عصابة. وكان الرجال والنساء فى أكثر الأحيان حفاة فى الفترة البدائية ثم انتعلوا النعال فى عصر اجاده. وكانوا يضعون حول رقابهم عقودا من أصداف أو أحجار منحوتة أو تمائم وكانوا يضعون أساور حول أذرعهم.

٨ — الأثاث

كان الأثاث يتكون من أسرة وكراسى منوعة وأدوات منزلية. والقوائم دلالة تشهد على وجود عدد كبير من المقاعد ذات الأشكال المتباينة والآثار المصورة تقدم لنا ما يكفى لتعريفنا ببعضها ابتداء من المقعد البسيط الذى يجلس عليه جوديا إلى العرش المحفور للمعبود على اسطوانة «حاشهامر» المعاصر «لبورسن» ملك اور. فهذه الآثار تصور لنا: مقاعد مكعبة ذات إطار من عصر اجاده وأخرى مغطاة بالكاوناكس من عصر دونجى وكذا مقاعد وكراسى ذات ذراعين من طرز متباينة.

(1) Ibid. XCVI.

وكانت الأوانى تصنع من الأحجار والطين وكذا من المعدن . وكانت تصنع من النحاس أو من معادن أخرى أشد نفاسة ومنها الإناء الفضى لانتمينا عند بدء الألف الثالث المزخرف بحفر دقيق والمركب على قائم نحاسى [1] . وكانت الأوانى الحجرية رمزا للترف وكان يحتفظ بها عادة للمعابد وكثيرا ما كانت تحمل تكريسا [2] .



(شكل ٣٨) إناء مزخرف (حفائر تللو — متحف اللوفر)

أما الأوانى الطمية وبعضها مصنوع باليد والبعض الآخر على العجلة فكانت تغطيها النقوش أحيانا ولكن هذه الصناعة لم تكن متقدمة فى سومير وأكاد كما كانت فى سوزيانا حيث كرس الفنانون جهودهم مدى فترتين طويلتين عتيقتين لتنويع زخارفها [3]

ويمكن حصر طرزها فى ثلاثة أشكال : إناء الشرب المخروطى والصفحة ذات الحافة المثقوبة لوضع الطعام بها والقدر لحفظ ونقل السوائل .

---

(١) انظر شكل ٢٤ صفحة ٢٤٢

(2) LXXI p. 261.

(3) XVIII. t. XIII:cf. LXXIX p. 349.

الفصل الثالث

الآداب والعلوم

١ — الكتّاب

لقد استخدم الإصطلاح العام «عقد» استخداما فى غير موضعه حين أطلق فى مختلف العصور على جميع الوثائق القانونية التى تنشىء التزاما يُقره القانون أو العرف. ولقد ذاع استعمال الاتفاقيات المكتوبة ولم يكن لمعظم التصرفات المدنية التى ينشأ عنها تعهد أو التزام أية قيمة قانونية ما لم تكن على صك مكتوب.

ويحوى الخط المسمارى عدة مئات من العلامات وكانت علما قائما بذاته يتطلب الإلمام به مجهودا كبيرا ووقتا طويلا وذلك لصعوبته بيد أنه كان يوجد فى جميع العصور عدد كبير من الكتاب، رجالا ونساء. وقد بلغ بعضهم اسمى مراتب الشرف حتى أن كلا من «لوجال أوشو مجال» الذى عاصر نارام سن «وأور آبا» فى أيام ملوك أور أصبح ايشاكو لجش كما أن أشور بانيبال ملك أشور يفخر بأنه ملك زمام الكتابة.

ولقد قامت المدارس حيث كانت تعلم المطالعة وتدرس مبادىء الكتابة والرسم على الطين. وكانت مدارس سيبار [1] أشهرها وذلك فى الألف الأول فيما يتصل بقدم النصوص المحفوظة فى أضابيرها. ويكشف لنا عدد من اللوحات من قرن حمورابى، بعضها نماذج وبعضها نسخ — عن طرق التعليم: هى قراءة وكتابة العلامات البسيطة أولا مع دراسة قيمتها الصوتية ثم تعليم التلاميذ تدريجيا استعمال مجاميع العلامات والاشارات ثم الصيغ

(1) LXXI, p. 33.

المتداولة . وكان التلميذ يعطى بعد ذلك دروسا فى النحو فى صورة الصيغ المختلفة من تصريف الأسماء والأفعال وينهى تعليمه فى آخر الأمر بالرياضة: بقواعدها الأربعة والموازين والمقاييس والمعايير والمسكوكات .

وأحس الكتاب منذ البدء بحاجتهم الى مفكرة أو جدول يجمع شتات العلامات والكلمات والجمل . وهناك لوحة أركية تحشد معا كل مركبات « كا » و ساج . وهناك أخرى من عصر أجاده تحوى العلامات التى تظهر فيها « جال » وهناك ثالثة تقدم أسماء عدد معين من المراهم وهى تضم بذلك كافة العبارات التى تدور حول « شم » [1] .

وكان الكاتب يفخر بعلمه . وكانت الدراية بالقراءة والكتابة لقبا يعدل لقب مدير المعبد أو القاضى . ولم يكن هناك من يغفله فى عقوده . وكان لا يفوت أحد ذكر اسمه فى العقود أو نقشه على الأختام الاسطوانية . وفى عهدلوجالاندا خصص كاتب لبيت زوجته الأميرة «بارنا متارا» ويحمل خاتمه النص الآتى : «أنيجال — كاتب بيت الزوجة» وبعد اصلاحات أورو كاجينا حين أعيدت الأملاك الى الآلهة بعد أن كانت قد استخدمت فى أغراض دنيوية بغير وجه حق استبدل هذا النص بـ «انيجال كاتب الإلهة باوو» وكان تمرين الكتاب يتم فى ظل المعابد ولهذا نراهم يكونون تدريجيا طائفة معينة متصلة بمديرى الهياكل حتى أن الوظيفتين اختلطتا ببعضهما فى عصر البابلية الجديدة فى بعض المدن وخاصة سيبار . فهناك كان يذكر اسم الشانجو (مدير المعبد) فى غالب الأحيان على الألواح بينما قلما يظهر لقب دوبشارو (كاتب) .

وكان إعداد اللوحات يتطلب طميا ناعما تم عجنه مدة طويلة يوضع فى شكل قوالب تختلف حجما ولونا وشكلا باختلاف المكان والزمان .

وأقدم ألواح لجش قبل عهد أورنينا مصنوعة من الطمى الذى لم يدخل

(1) XVIII, t. XIV, p. 87 - 89.

النار ، وهى مستديرة وهناك ألواح أخرى تعادلها فى القدم مستديره مثلها ولكنها سويت فى النار ومصدرها شوروپاك ووجهها مستو بينما الوجه الآخر مقبب . ولم يختلف شكل اللوحات فى عصر لوجالاندا وأوروكاجينا فى لجش ولكنها كانت تسوى فى النار . وبعد أقل من نصف قرن حدث تغيير واضح فأصبحت الوثائق المعاصرة للملوك أجاد تختلف اختلافا بينا عن سابقتها: فالطين لم يعرف النار وفيما عدا النصوص المتصلة بالمساحة نجد اللوحات مستطيلة وهو الشكل الذى سيحتفظ به منذ هذا الوقت .

وكان الكاتب يرسم علاماته والطين لا يزال طريا وذلك بواسطة قلم مثلث منشورى الشكل يمسك به مائلا وهو يضغط بخفه. وكان الركن يترك خطا صغيرا بينما تترك القاعدة علامة أكثر أو أقل عمقا . ويكوّن كل ذلك شكلا يشبه الوتد أو المسمار ومن هنا جاءت كلمة المسمارية التى أطلقها المحدثون على الكتابة السومير وأكادية . ويرجع شكل عناصر العلامات الى استعمال القلم والطين. ولقد سرى استعماله بعد ذلك فى الكتابة على الأحجار ولكننا لا نراه فى العصور البدائية على المواد الصلبة التى لا نشهد عليها سوى خطوط بسيطة .

وحتى عصر ملوك أور لا نستطيع أن نترسم سوى طريقتين لحساب الأعداد والأرقام وبعضها مكون من مسامير — شأنها فى ذلك شأن باقى علامات الكتابة — والبعض الآخر من دوائر واشكال مشتقة من الدوائر. وكانوا يتوصلون الى رسمها عن طريق قلم اسطوانى يوضع عموديا أو منحرفا على اللوحة . ولقد أبطلت هذه العادة فى النصف الثانى من الألف الثانى حين لم يعد الكاتب يستعمل سوى القلم المثلث .

ولم تكن هذه الاداة لتسمح برسم الخطوط المستديرة وعلى ذلك كانت كل العلامات مكونة من خطوط مستقيمة راسيه أو أفقية أو منحرفه كما تحولت دوائر الارقام الاصليه الى مربعات اومعينات وكانت كل المسامير الافقية

العلامة ماترسم قبل المسامير للنحرفه او الراسيه التى غالبا ما تتقاطع معها وكانت كل علامة تكمل قبل الانتقال الى علامة أخرى لانه قد يحدث ان العلامة القديمة تطغى على سابقتها. ولكن حين نتكلم عن المسامير الرأسية أو الافقية فان هذا يعنى تبعا لطريقتنا الحديثة فى القراءة المبنية على اساس ترتيب النص على الآثار الحجرية ابتداء من العصر الكاسى . وكانت العلامات ترتب فى خطوط راسية فى العصور القديمة كما هى الحال بالنسبة لقانون حمورابى ومسلة « مانشتوسو » ولوحة العقبان . وربما كان الكاتب يرسم على اللوحات كل المسامير من اعلى الى اسفل . ثم يدير اللوحه فى زاوية قدرها ٩٠° من اليمين الى اليسار ومن اليسار الى اليمين : وكل عناصر العلامات تتشـــابه تماما فى الواقع مع بعضها البعض . واننا لنرى انه اذا ضغط القلم فى عمل المسامير افقية فان هذا الضغط يحدث عند تخطيط المسامير الرأسية .

ولقد تغيرت الكتابة من قرن الى قرن بل ولم تكن متشابهة تماما فى كل المدن فى عصر من العصور . وكان لكل مدرسه تقاليدها وطرائقها الخاصة : ففى ايام ملوك اور مثلا كانت مدارس اوماً تختلف اختلافا بينا عن مدارس لجش المدينة المجاورة .

ولقد كانت الكتابة على الطين بقلم مثلث سببا فى تحريف الكتابه المقدسة الاصليه حتى انه من الصعب التعرف عليها ومع ذلك فان بعض المستندات يرجع بنا الى عصر كان الشىء فيه يمثل بصورته الطبيعيه . فعلى لوحة يملك المتحف البريطانى قطعا منها نرى كاتبا اشوريا قد جمع اقدم الصور المعروفة لديه جنبا الى جنب مع العلامات المستعمله خلال حكم اشور بانيبال [1] .
وعلى لوحة حجرية عثر عليها فى أوماً [2] نجد اناء ذاصنبور (بزبوز) بقاعدة مخروطيه مغطى بقطعة من النسيج وهناك اناء آخر مشابه له موضوع على قائم.

(1) LX, t. I p. 727
(2) XVIII, t. II, p. 130.

وأننا لنرى العلامة التصويرية لـ « مولى » و «قلعة » — التى نستطيع متابعة تطورها حتى اخر الامبراطوريه البابليه — ممثلة — كما هى الحال على تميمة باللوفر — بواسطة مبنى مستطيل على جانبه برج. اما القدم فله شكل يمكن ادراكه فى احدث الكتابات وعلى قطع اخرى يمكن تمييز انواع من الاوانى والصاعقة والمشط والقيثار والفأس والقوس والسهم والاغصان والازهار .

وكان الامر كذلك فى عيلام حيث ظهرت كتابة خاصه تفرعت من نفس نقطة البدء وتطورت تطورا مستقلا عن ذلك التطور الذى ادركناه فى سومير واكاد . وقد اخرجت حفائر سوسة علامات اركيه يظهر من بينها عدد من علامات الكتابة المقدسة البدائية [1]

وكان النص قبل ملوك اجاده — وفيما بعد على اللوحات الكبيرة الحجم — يرتب فى أعمدة تقسم الى خانات وكان كتاب لجش فى عصر « لوجالاندا » و « اوركاجينا » بعد ان يملأوا الوجه الاول من اليسار الى اليمين يقلبون اللوحه من اسفل الى اعلى ويستمرون فى الكتابة على الوجه الآخر من اليمين الى اليسار . وعلى هذا فان الخانة الاولى للوجه الثانى تقابل الخانة الاخيرة للوجه الاول . ولم يكن ملخص النص يتبع النص الكامل بل يبدأ فى رأس العمود الايسر من الوجه التالى ويستمر فى الاعمدة المجاوره ان لزم الامر . ومنذ عصر اجاده نرى فيما يختص باللوحات الحسابية ان مسافة تترك فراغا لتفصل بين مختلف العمليات الحسابية والمجاميع النهائية . وفى عهد الاسرة الأولى البابلية اخذ استخدام الخطوط بين سطور الكتابة يختفى . ومع ذلك فقد ظل باقيا ليفصل احيانا قائمة الشهود واحيانا اخرى التواريخ او المجموع . وفيما بعد نرى خطوطا مرسومه متوازية مع اطول جانبي اللوحة كما نرى النص مقسما الى اقسام يفصل ماينها فراغ .

* * *

(1) XVIII, t. VI

والوثائق الممهورة باختام كثيرة العدد . وكثيرا ما كان الكاتب يشير اليها فى النص. وقبل الاسرة الاولى البابلية كانت الاسطوانه تدار احيانا فوق سطح اللوحة كلها واحيانا اخرى كان يكتب اسم ومهنة واجداد صاحبها . وكانت هذه العملية تسبق كتابة النص . ومن عهد السيادة البابليه كان اغلب الشهود يثبتون اختامهم فى العقود بالقرب من اختام المتعاقدين ويفضل ان يكون ذلك على اطراف الوثيقة . ولما كانت هذه الاختام غير منقوشة عادة فان اسم صاحبها كان يكتبه الكاتب على القرب من البصمة . ولقد انحدرت العادات المحلية عن طريق المدارس . فنى نيبور نرى فيما يختص بعقود معينه ان قالبا معينا تم صنعه بعد ان نقش عليه اسما المتعاقدين . وفى عهد الامبراطورية الجديده نجد ان بصمه الاختام توضع احيانا على الاطراف واحيانا اخرى فى الفراغ الكائن بين الخانات المختلفة للنص بعد تحريره .

ويظهر ان هذه الاحتياطات لم تكن كافيه لحمايه المستند ومنع تزويره ولذا فاننا نرى انه منذ فتره ماقبل السرجونيه روعى فى بعض اللوحات الهامة ان يرش عليها مسحوق من الطمى الجاف وان توضع فى غلاف طمي يكرر عليه النص وكان عليه وحده عادة بصمات الاختام [1] فاذاقام نزاع كأن انكر الطرفان صحة المستند مثلا فإن الغلاف يفض فلا يستطيع أحد التشكيك فى اللوحة الموجودة بداخله .

وقد استعمل الغلاف الطمي كذلك فى المراسلات الرسمية اوالشخصية وكان ذلك على الاقل منذ عصر اجاده . ولكنه كثيرا ماكان يستبدل بقطعة من القماش تلصق بها كتلة صغيرة من الطين تحمل بصمة الخاتم وتؤدى وظيفة ختم الرصاص الحالى .

وحين الفراغ من اللوحة كانت تسلم نسخة منها لكل من يهمه الاحتفاظ بواحدة . وغالبا ماكانت تودع أخرى فى محفوظات المعبد أو القصر . وكان

(1) XLII pl. 112 et suiv.

أمين المحفوظات يخزنها فى سلال عليها بطاقات وضعت بعناية . وكانت البطاقات من الطمى كذلك . وفى خلال حكم لوجالاندا كانت مشابهة للوحات واحداها تحمل النص التالى « سلة لوحات (لمـا) جاء به سماكو البحر وسماكو الماء العذب — « بارنامتارا » زوجة لوجالاندا إيشاكو لاجش : السنة الثانية » ثم أخذت فيما بعد شكل الزيتون المثقوب الذى يمر بداخله خيط . وطبقا للترتيب متسق للموضوعات من عصر اور نرى أمين المحفوظات يجمع فى سلة الأحكام التى أصدرتها هيئة أو أخرى من هيئات القضاة . وكذلك القرابين التى قدمت للمعابد أو الآلهة فى مناسبة الأعياد أو مدفوعات المستأجرين سنة بعد سنة مع ذكر اسم الموظف المختص بالحسابات أو قيمة الأجر من الشعير والصوف للعمال الذين يعملون فى المؤسسات الملكية للنسيج أو بيانا بمقدار الشعير الذى يسلم للبذر أو الاستهلاك . . . وهكذا فيما يختص بكل فرع من فروع النشاط الإجتماعى . [1]

وكانت الرسائل ترسل من مدينة إلى أخرى فى سلال مختومة . وكانت تثبت كتلة من الطين إلى عقدة الخيط الذى يربط السلة ثم تبصم بخاتم الراسل ويكتب عليها اسم المرسل إليه . وإننا لمدينون إلى هذه العادة بالمعلومات التى لدينا عن مجموعة من النماذج الطينية للنقش على الأحجار من عصر اجاده .

ولقد انتشرت اللغة الأرامية فى بابل فى عهد الإمبراطورية الجديدة . وكان للاسرى المستجلبين من سوريا طريقة كتابة أبسط وأقرب من الناحية العملية من الخط المسمارى . ومع أنها لم تستعمل إلا أن العادة جرت منذ القرن الثامن على استعمال الارامية فى مناسبات كثيرة فى تدوين ملخص المستند على هوامش اللوحات المسمارية . وكان هذا من عمل الكتاب الذين يتقنون اللغتين معا . ولقد كان ذلك أمرا له قيمته فى أكثر من ناحية وأعانه على تحديد نطق بعض الحروف فى اللغة البابلية للعصر المذكور .

---

(1) XIX Nos. 810, 695, 713, 651, 7911 etc.

٢ — الآداب

لم يقنع الكتاب السوميريون والبابليون بأن يضمنوا لوحاتهم حسابات أو عقودا بل دفعهم الأمراء إلى ذكر أهم أحداث حكمهم على أوقاب الأبواب وقوالب المبانى والألواح الحجرية واللوحات . ولقد سجلوا القوانين ونسخوا القصص والطقوس والدعوات والرقى بل أن هناك بعض ما خلفوه مما يهم القارىء من الناحية الأدبية البحتة .

وها كبدء القصة السوميرية التى يحكى فيها انتمينا معارك لجش مع جارتها أومـا :

«حدد ننجرسو (إله لجش) وشارا (إله أومـا) تخوم حدودهم تبعا للكلمة الحقة لـ « إنليل » ملك البلاد . وأقام مسيليم ملك كيش تنفيذا لصوت آلهته « كادى » فى مكانها لوحة . وتصرف أوش إيشاكو أومـا طبقا لخططه الطامعة

فزحزح اللوحة وأتى إلى سهل لاجش فحدث صراع مع أومـا طبقا لكلمة العدل من ننجرسو محارب إنليل وكنتيجة لصوت إنليل العظيم هزمت الشبكة (الإلهية) العدو . وأقيمت فى السهول فى مكانهـا أكوام جنزية .

وأقام إياناتوم إيشاكو . لجش سلف انتمينا إيشاكو لجش تخوم الحدود : فحفر حفرة من النهر العظيم إلى « جو إدين » وأقام لوحة على هذه الحفرة وأعاد لوحة مسيليم مكانها ولم يغز سهل أومـا » .

وبعد أن يقص كيف أنه هو بنفسه أملى السلم على العدو الذى عاد إلى غزو مقاطعة لجش نراه ينتهى بهذه اللعنات « إذا عبر رجال أومـا حفرة الحدود لننجرسو وحفرة الحدود لـ «نينا» بواسطة رجال أومـا أو رجال بلاد أخرى

بوضع أيديهم على القطر .. الا فليهلكهم انليل ويقضى عليهم تماما ... الا فلتهزمهم شبكة ننجرسو العظمى ! الا فلتسقط (عليهم) يده الرفيعة وقدمه السنية من عل . إلا فليمتلئ جند مدينته غضبا وليدخل الخوف فى كل قلوب أهل مدينته [1] » .

وهكذ — أى باللعنات — كانت تنتهى نصوص عديدة يذكر فيها الملوك مؤسساتهم ونظمهم ومبانيهم وقراراتهم . وهذه هى خاتمة لوحة كتب عليها كاتب من لجش هذه المرثية المؤثرة حقا عند تخريب مدينته فى أيام أوركاجينا [2] .

« رجال أومّا فى الـ «إيكى» ... اشعلوا النار ... احرقوا الـ «انتاسورّا» ونهبوا الفضة والأحجار الثمينة وأسالوا الدماء فى قصر «تيراش» وأسالوا الدماء فى الـ «ابزوباندا» وأسالوا الدماء فى هيكل إنليل وهيكل بابار . وأسالوا الدماء فى «أهوش» ونهبوا منه الفضة والأحجار الكريمة وأسالوا الدماء فى «أى بابار» ونهبوا منه الفضة والأحجار الكريمة . وأسالوا الدماء فى جيكانا — نما بالغابة المقدسة ونهبوا منه الفضة والأحجار الكريمة » .

ويتكرر هذا الدعاء دون اغفال هيكل واحد ودون أن ينسى حتى الحقل المقدس لننجرسو الذى سلبت منه غلاله . وأمام هذه الكارثة لم يستطع هذا اللجاشى العجوز التقى إلا أن يبدى هذه الأمنية :

« إن رجال أومّا باتلافهم لاجش قد ارتكبوا اثما ضد ننجرسو » وستسترد منهم القوة التى كانت منحت لهم ... إن إثما لم يحدث من جانب أوركاجينا ملك جرسو أما بالنسبة إلى لوجال زاجيسى إيشاكو أوما فلتضع إلهته نيسابا هذا الاثم على رأسه »

(1) LXVI p. 63.

(2) Ibid p. 91.

قصيدة الخليقة :

أنشئت قصيدة الخليقة تمجيدا لمردوك إله بابل وهدفها وصف لكيفية ظفر هذا الإله بمكان الصدارة فى عراكه مع تيامات :

فلقد أخرجت تيامات البحر وأبسو المحيط من اختلاط امواهيما الآلهة جميعا ولما لم يرضيا عن خليقتهم قررا — بنصح من مومئو أول مولوداتهم أن يحطاها ويقضيا عليها . وعرف أيا إله الحكمة مؤامرتهما وأسر أبسو ومومو . وأرادت تيامات الانتقام لهما فخلقت جمعا من الجبابرة تردد الآلهة انو وايا فى الدخول معهم فى معركة ... وطلب مردوك عندما دعاه انشار إلى أن يمجد من مجمع الآلهة قبل الموافقة على الدفاع عنهم فارسل انشار رسوله جاجا ليدعو أولا أقدم المعبودات لاهمو ولاهمو ... (1)

« ذهب جاجا وسار فى طريقه
وأمام لاهمو ولاهامو الآلهة والداه
تواضع . وقبل الأرض أمامهما .
وركع ثم قام وقال لهما :
« ارسلنى انشار إبنكما
وكشف لى عن بغية قلبه
وهى أن تيامات أمنا حملت الكراهية ضدنا
وهى تجمع حشدا ... وهى تعصف غضبا
استجاب لها الآلهة جميعا
حتى أولئك الذين خلقتماهم ... يسيرون الى جنبها
هم يلعنون اليوم . والى جانب تيامات يتقدمون
إنهم غاضبون ويتآمرون ليل نهار دون راحة

(1) XLIII, p.

إنهم يستعدون للقتال ويدمرون ويثورون
ويكونون عصابة وينظمون المعركة
أم الجميع خالقة الأشياء كلها
جمعت أسلحتها التى لا تبارى وولدت أفاعى ضخمة
حادة الأنياب لا ترحم فى القتال
استبدلت الدم بالسم فى أجسادها
والبست التنانين المخيفة ثوب الرعب
وملأتها بالجلال والبهاء وأعطتها سحنة متعالية
حتى يهلك فزعا من يراها
حين تقوم أجسامها لا يستطيع أحد أن يقاوم هجماتها
لقد أمرت بتدفق الأفاعى والزواحف الوحشية واللهامو
ووحوش العواصف والكلاب الغضبى والرجال العقارب
والأعاصير القوية والرجال الأسماك والكباش
التى تحمل أسلحة لا ترحم ولا تخشى العراك »

وبعد أن ذكر الرسول أن «قنجو» على رأس هذا الجيش المكون من أحدعشر نوعا من المسوخ استمر يقول باسم انشار :

« لقد أرسلت أنو ولكن لم تكن له القوة ليقترب منها
وخاف إيا وتراجع
فقام مردوك العاقل من بين الآلهة من ذريتكما
واستحثه قلبه ليواجه تيامات
وذكر لى من فمه :
« إن كان لى ... أنا المنتقم لكم
أن أقيد تيامات بالأغلال لتبقوا أحياء
فأجمع مجمعا ومجدنى وأعلن مصيرى

أجلسوا جميعا فرحين فى الـ (ابشوكينا)
ولتقرر كلمة فى المصائر كما تقررها كلمتكم
ليكن كل ما أعمله غير قابل للتغيير مستقبلا
لتكن الكلمة التى تخرج من شفتى غير قابلة للتغيير أو التبديل
اسرعا — سارعا وحددا له مصيركما
كى يذهب ويهاجم تيامات عدوكما المرعب
وسمع لاهمو ولاهامو ذلك وصرخا بصوت عال
وبكى الـ « اجيجى » [1] معا بدموع مريرة قائلين
« من هو العدو الذى جعل المحيط يطفح
لسنا نقر عمل تيامات »
واجتمعوا وذهبوا
الآلهة الكبار معا — الذين يحددون المصائر
واتوا أمام انشار وملأوا ...
واحتضنوا بعضهم بعضا فى المجمع
وتحدثوا معا وجلسوا فى مأدبة
وغيّر النبيذ الحلو من ...
وواصلوا الشرب حتى سكروا وانتشت أجسامهم مرحا
وأخذوا يصيحون كثيرا وقلوبهم فرحة سعيدة
وحددوا لمردوك المنتقم لهم مصيره .
ولما انتهى العراك وأعلن مردوك المنتصر عزمه على أن يعجن الطين بدمه ليقيم الإنسان...اجتمع الآلهة مرة أخرى وأعلنوا أسماءه الخمسين» [2] .

* * *

(1) آلهة السماء

(2) XLI p. 109.

ولسنا نستطيع أن نغفل ذكر قصص الطوفان وإحداها هى التى نورد منها الفقرات التالية مأخوذة من قصيدة «جلجامش» وفيها يصف «أوتا نابشتيم» — نوح البابلى — لملك أوروك كيف أنه إكتسب الخلود . ولقد بنى سفينته بناء على طلب الإله إيا :

«قال : حملتها بكل ما كنت امتلك ... كل بذور الحياة
انزلتها اليها . . اسرتى كلها وأقاربى
ما شية الحقل وحيوانات الحقل والصناع ... انزلت كل ذلك
ثم دخلت السفين واغلقت الباب .
وعهدت إلى « بوزور انليل » الملاح بقيادة السفينة
عهدت اليه بها بكل ما تحوى
ولما اضاء الفجر
خرجت من بطن السماء سحابة داكنة
وزأر اداد [1] فيها
وكان نابو [2] والملك [3] يسيران فى المقدمة
وسار المنادون فى الجبال والسهول
وانتزع نرجال [4] الصارى
ومضى اينورتا [5] يقود المعركة
وحمل الـ « اتوناكى » [6] المشاعل
والهبوا الارض باضوائهم .

---

(1) اله الاعاصير
(2) المنادى الحربى للآلهه
(3) الاله مردوك
(4) اله الجحيم
(5) اله الحرب
(6) الارواح الجهنميه

وارتفع ضوضاء اداد الى السموات
وانقلب كل ما هو مضئ الى ظلام
فلم يعد الأخ يرى اخاه
واصبح الناس فى السماء لا يعرف الواحد منهم الآخر
وخشى الآلهه من الطوفان
فهربوا وصعدوا الى سموات انو
وربض الآلهه واضطجعوا كـكلاب على الحائط
واستمرت الريح والطوفان ستة ايام وست ليال
وساد الارض اعصار
فلما أشرق فجر اليوم السابع هزم الاعصار
وكذلك الطوفان الذى كان قد حارب كجيش باسره
وارتاح البحر وهدأت الريح الرديئة وتوقف الطوفان
ونظرت الى البحر وكان صوته قد سكت
وكانت البشريه قد تحولت طينا
وارتفع المستنقع الى السقوف
وفتحت النافذة وسقط الضوء على خدى
وانهرت على مقعد وظللت جالسا ابكى
واخذت الدموع تسيل على خدى
نظرت الى العالم ... الى افق البحر
فرأيت هناك على مبعده ١٢ (مقياسا) جزيرة برزت
وبلغ السفين جبل نتسير [1]
واستوقف جبل نتسير السفين ولم يدعها تتحرك
ولما جاء اليوم السابع

---

(1) بين دجله والزاب الصغير

اخرجت حمامة واطلقتها
ذهبت الحمامة ولكنها عادت
عادت لانها لم تجد مكانا
فأخرجت سنونو واطلقته
فذهب ولكنه عاد
عاد لانه لم يجد مكانا
اخرجت غرابا واطلقته
ذهب الغراب ورأى الماء يختفي
واكل ومشى في الطين ونعب ولم يعد
فاخرجت من السفين عددا اطلقته الى الجهات الاربع..وسكبت سكيبا
وقدمت قربانا على قمة الجبل
ووضعت ١٤ اناء « ادا جورو »
ونشرت من تحتها القصب والأرز والآس
واشتم الآلهه عبيرها
اشتم الآلهه عبيرها المعطر
وتجمع الآلهه كالذباب فوق مقدم القربان .

* * *

وفى اسطوره « اتانا » احد اوائل الملوك قبل العصر التاريخى نجد خرافة طريفه هى خرافة النسر والثعبان . فلقد عقد نسر نيته على التهام صغار الثعبان ورغم نصيحة ملؤها السداد من احد صغاره العقلاء انفذ مشروعه وشكا الثعبان الى شماس اله العداله [1]

« فحين سمع صلاة الثعبان
فتح شماس فمه وقال للثعبان : .

(1) XLIII, p. 167.

اذهب فى طريقك حتى تصل الى الجبل
وساحجز لك جاموسة
افتح امعاءها واخترق بطنها
واتخذ بطنها مسكنا لك .
وستنزل من السماء كل انواع الطيور
لتأكل من لحم الجاموسه
وسينزل النسر معها
وما ليس يعرفه ...
وسيبحث عن مدخل الى اللحم فى الـ ... سيرفرف حولها
وسيحلم بالمكان الخفى للقلب
فحين يصل الى الداخل اقبض عليه من اجنحته
واقطع هذه الاجنحه وريشها ومخالبه
ومزقه وارمه فى حفرة
ودعه يموت ميتة الجوع والظمأ »
واطاع الثعبان واختبأ فى بطن الجاموسه
« ونزلت كل طيور السماء واكلت من اللحم
ولو كان النسر يعرف ما قدر له من سوء طالع
لما نزل مع صغاره ليأكل من اللحم
ولكنه فتح فاه وقال لهم
« لننزل ونأكل نحن من لحم هذه الجاموسة»
ونطق نسر صغير ملىء بالفهم الى أبيه النسر قائلا
« لا تنزل يا أبى ربما كان هناك ثعبان يرقد مختبئا فى بطن الجاموسة
وقال النسر لنفسه كذلك كلمة
أنه لم يفهم ما قيل له ... أنه لم يتدبر ماقال الصغير

فنزل وجثم فوق الجاموسة
ونظر النسر الى اللحم وقدر ما أمامه وما وراءه
وكرر الأمر ونظر ثانية الى اللحم وقدر ما وراءه وما أمامه
وأخذ يطوف فى ... وأخذ يحلم فى خفايا القلب
وحين دخل قبض عليه الثعبان من أجنحته ...
وفتح النسر فاه وقال للثعبان
« ارحمنى وسأعطيك بائنة كما يعطى للعروس »
وفتح الثعبان فمه وقال للنسر
« إن تركتك فكيف استطيع أن أجاوب شماش المعظم ؟»
سوف ترتد العقوبة علىّ
تلك العقوبة التى أفرضها عليك
وقطع أجنحته وريش أجنحته ومخالبه
ومزقه ورماه فى حفرة
حتى يموت جوعا وعطشا » .

* * *

ولقد كانت مشكلة الخير والشر تسترعى انتباه البابليين فالألم يحل بالمستقيمين ولا يمس أهل السوء مما دعا الرجل التقى الذى يرعى الواجب الى أن يتساءل عن سبب نكبته[1] :

لم أكد أصل الى الحياة حتى عبرت الزمن المحدد
فأستدرت ... أنه شر ... وشر أكثر
زاد الجور علىّ ولم استطع بلوغ حقى
صرخت إلى إلهى ولكن لم ينظر إلى
توسلت إلى إلهتى ولكنها لم تعن برفع رأسها

(1) XLIII p. 205.

إن العرّاف بعرافته لم يحدد مستقبلى
والساحر بضحية لم يستطع أن يجعل محاكمتى جلية
لقد تحدثت إلى العراف ولكن لم يعلمنى شيئا
إن الساحر برقاه لم يستطع أن يحل اللعنة التى أنا هدفها
ما أكثر اختلاف الأحداث فى العالم !
لقد نظرت ورائى : فوجدت الشرّ فى عقبى
كأنما لم أكن أقدم التقدمات بانتظام لإلهى
وكأنما كنت لا أخلد ذكرى آلهتى فى الوليمة
وكأنما لم أحن وجهى وكأنما لم ينظر إلى عبادتى
فكنت كمن توقفت الصلوات والابتهالات فى فمه
وكنت كمن انتهى يومه الإلهى . لقد مات القمر الجديد
وأصبحت مثل ذلك الذى اضطجع على جانبه واحتقر صورهم
والذى لم يعلم أتباعه الخوف والإجلال
والذى لم يذكر إلهه والتهم الطعام المخصص له
والذى هجر إلهته ولم يأت بالمقرر عليه
والذى كان ظالما ، والذى نسى مولاه
والذى نطق كلمة إلهه القوى باستخفاف
إننى أصبحت مثل ذلك الرجل
إن مضطهدى يتبعنى كل يوم
وعند قدوم الليل لا يدع لحظة أتنفس فيها
إن أعصابى تتفكك من كثرة اضطرابى
وقواى تنحل وأدى فألا سيئا
فأرانى ملقى على سريرى كالثور ملوثا ببرازى كالشاة
لقد عذبت الساحر عضلاتى المريضة

وضللت العراف التنبؤات التى جاءته عنى
إن صاحب الرقى لم يفهم شيئا عن مرضى
ولم يضع العراف حدا لعجزى
ولم يأت إلهى لعونى ولم يأخذ بيدى
ولم ترحمنى إلهتى ولم تسر إلى جانبى
القبر مفتوح ومسكنى تم الاستيلاء عليه (؟)
وانتهى الحزن على حتى قبل أن أموت
لقد ردد كل الناس « كم هو مهدم ! »
وسمع عدوى بذلك وتهللت أساريره
لأن بشارة الخير قد وصلته فانبثق النور من قلبه »

* * *

وقلما اختلفت أساليب الإنشاء على مر العصور . واننا لنرى لوجال زاجيسى ملك أوروك فى القرن التاسع والعشرين يذكر بركات الآلهة عليه فى مقدمة نقوشه السومرية كما نجد نابونيد آخر ملوك الامبراطورية البابلية الجديدة يستعمل نفس الصيغة فى القرن السادس . فقد قال الأول : [1]

« حين منح إنليل ملك البلاد إلى لوجال زاجيسى ملك أوروك سيد البلاد

كاهن أنو نبى نيسابا ابن أوكوش إيشاكو إوما ونبى نيسابا الملحوظ بعين رعاية أنو ملك الأقاليم الإيشاكو الأكبر لا نليل الممنوح فهما من أنكى الذى ردد اسمه باباّر كبير وزراء أنزو شاكاناكو بابار قهرمان أنيناطفل نيسابا الذى يطعم على لبن

« ننهارساج » المقدس ، رجل الإله مس ، كاهن أوروك ... تلميذ

(1) LXXVI, p. 219

«ننابو هادو» سيدة أوروك ... الأباراكو الكبير جدا للآلهة ... حين منح إنليل سيد البلاد إلى لوجال زاجيسى مُلكَ الأرض ... حين جعله ينجح أمام الأرض ... حين أخضع البلاد لسلطانه ... حين هزم الجميع من مشرق الشمس إلى مغربها ... فى ذلك اليوم ... »

ويقول الثانى : [1]

« حين خلق مردوك سيد الآلهة العظيم سيد العالم ... حين خلق الأمير سماه نابونيد ملكا مكرسا للعبادة ليمارس السلطان . ورفع رأسه فوق الملوك جميعا . سعد الآلهة العظام بكلمته من أجل ملكه ولقد منحه أنو وإنليل العرش إلى الأبد ، والتاج والصولجان وعصا الملك وكتاب الطقس الملكى ... جعله إيا خالق جميع الأشياء ... كامل الحكمة ... أما بغليت إيل خالقة العالم فاكملت تكوينه . وأما « نابو » مراقب العالم فقد منحه العقل . وأما سن ابن الأمير فقد تبصر فى صورته. وأما شماش ضوء الآلهة فقد جعله راعيا لقطيعه ووضع رعاياه تحت إمرته. وأما إيرا العظيم القوى بين الآلهة فقد منحه القوة وأما زبابا المعظم فقد جعله كاملا فى همته . وأما نوسكو المخيف فقد زينه بابهة الملك ثم استدار إلى روحه الحارسة حتى يستطيع تنظيم الرؤيا الإلهية واتخاذ القرارات وتحديد المستقبل. واستدعته الآلهة المعظمة لمعونته حتى يستطيع انفاذ أوامره »

وأما بقية النص فنموذج طيب للنصوص التاريخية البابلية : [2]

« نابونيد ملك بابل الأمير العظيم الراعى الفطن الذى يحترم الآلهة العظمى الوكيل التقى

الذى يعنى برؤيا الآلهة والذى يشغل نفسه كل يوم بطقوس الآلهة والإلهات ابن « نابو بالاتسو اقبى » الأمير العاقل .

(1) L. t. XI p. 113

(2) L. t. XI, p. 114.

إنى منذ عين مردوك السيد العظيم أسمى سيدا أعلى للبلاد ومجد نابو ابن الأمير أسمى الملكى ... إننى أكرر كل يوم احترامى لجلالتهم وأشغل نفسى باستمرار بما يرضيهم وأزيد من عنايتى بالإيساجيل [1] وال «أزيدا» [2]. إننى أقدم لهم خير مالدى من أشياء جميلة واهتم بألا ينقطع تقديم القرابين وابنى اليها كل تمجيدالهم كما ابنى مدنهم العظيمة وأمجد أسماءهم على لسان كل الأحياء.

أما بالنسبة لشماش القاضى العظيم والإله الفخم سيد سيبار فان الـ «أبارا» الهيكل الطاهر بيته الأصلى الذى لم يدع ملكا من قبلى يرى الـ «تمن» الخاص به فان شماش انتظرنى حتى أقيمه وقد وضعت أساسه على «تمن» نارام سن. ورفعت رأس حائط أوجال أمارو، حائط كوثا وأمرت بحائط «ميلام كوركورا دولا» حائط كيش أن يرتفع كالجبال.

أما بالنسبة للسيد العظيم أوراش فقد جددت — كما كانت الحال من قبل — قصر الأعياد الهادى. وأما عن المدينة — بين بابل وبورسيبا — فقد رفعت أبراجها بالأسفلت والآجر وأدخلت نانا الإلهة المؤمرة إلى هيكلها.

أما عن سن السيد العظيم الذى يسكن «اكيس شرجال» التى تقع فى أور فقد قررت أقصى كمية من تقدماته الثابتة وعنيت بأن تكون تقدماته الاختيارية فخمة. ولما كنت مهتما بهيكله متضرعا الى جلالته فقد أظهرت احترامى للرغبة التى أبداها. واهتممت بها ولم أرفض طلبه وأطعت أمره ورفعت الى مرتبه الكهنوت الابنة التى أنجبها قلبى وسميتها بعل شالتى نانا ثم أدخلتها الـ «اجيبار» [3] وقادنى قلبى الى أن أعنى بمدن جميع الآلهة العظام فمجدت سيدى لوجال مارادا المحارب الصنديد والبطل الرائع الكامل القوة الأعصار الذى لا يقاوم الذى يخرق الأراضى المعادية ويغتال أرض

---

(1) معبد مردوك

(2) معبد نابو

(3) مسكن كبيرة كاهنات أور

الأعداء الذى يسكن فى معبده الـ « أى ايجى كالاما » . أما بالنسبة لعجلته — عربة جلالته رمز شجاعته التى تغتال أرض العدو المعدة للمعارك تلك العربة التى لم يعد مثلها منذ أقدم العصور ملك آخر من قبلى فقد وجدت أحجار زخرفتها وطاقها فى أساس الـ « أى ايجى كالاما » هذه العربة فأعدت بناءها من جديد وزينتها بالفضة النقية والذهب اللامع والأحجار الكريمة ثم قدمتها له. اما معبده « أى ايجى كالاما » الذى كان قد أقامه ملك سابق ورفع رأسه ولكن لم يحط الأسوار بحوائط تسندها ولم يدعم حائط الحراسة فقد كان هيكله مخربا وأحجار عتبة بابه غير متماسكة فقد هدمتها وفحصت الـ « تمن » القديم وحددت أساسه على « تمنه » ، وأعدت بناء الإسوار وقويت حائط الحراسة وحددته ورفعت قمته أعلى مما كانت ...

أى لوجال مارادا ! أيها السيد العظيم والمحارب القوى !
حين تدخل فرحا الى معبدك وحين تشهد كل الأعمال الطاهرة التى أتممتها ... الا فلتكرر كل يوم أمام مردوك ملك السماء والأرض.
ما يسعدنى ... ألا فلتطل أيام حياتى ! الا فلأكلل بذرية ضخمة ! ... الا فلتسحق أعدائى بذراعيك القويتين وتقضى على كل أعدائى ! . »

٣ — التعامل بالمراسلة

يظهر ان التعامل بالمراسلة كان معروفا منذ اقدم العصور. فكان الخطاب يكتب على لوحة جففت فى النار عادة ثم تغلف بغلاف من الطين . ولم يكن يستطيع أحد مطالعتها دون كسر الاختام مما كان يسمح بتلافى افشاء محتوياتها. وكان يكتفى احيانا بلفها فى قطعة من القماش تثبت عليها قطعه من الطين تحمل بصمة ختم مرسلها .

ولعل اقدم خطاب حفظ لنا رسالة تتصل بالغزو العيلامى لارض

السوميريين [1] وهى موجهة الى « انيتارزى » الايشا كو المقبل للاجش ـ ومرسل الخطاب المدعو «لوانا» يخبره انه هزم العدو ثم يعدد الاسلاب وربما اوقع من نصيب الايشا كو الذى ضاع اسمه لسوء الحظ وكذا ماكان من نصيب « الابارا كو » والإلهه « تنمار . »

«هذا ما يرسله « لو إناً » سانجو (مدير) تنمار الى « انيتارزى » سانجو ننجرسو ليبلغه : لقد استطاع ٦٠٠ عيلامى ان يستولوا من لاجش على اسلاب لاخذها الى عيلام: لقد حارب «لوإنا» سانجو (ننمار) ضد العيلاميين ولقد هزم العيلاميين (وقتل أو اسر ؛) ٥٤٠ عيلاميا . اما اورباو أحد عمال نجلونوتوم رئيس السباكين فقد استلم ٥ مينامن الفضه الخالصه و ٢٠ ... و٥ اثواب ملكيه و ١٦ مينا من صوف أغنام الاكل . . .

ل... ايشا كو لاجش وهو ما يخصه . ولاينانا توم سبزيد (الاباروكو ما يخصه) الافليؤخذ الـ ... الى تنمار «السنة الخامسة »

وهاك خطابا آخر كتب فى زمن لوجالاندا [2]

« بخصوص الـ ٦٦٠ نعجة وحملا والـ ٢٤ ثورا وبقرة والـ ١٦ جحشا التى ارسلها « جوبى » له إنه يقول لـ « لوجالمو » : لقد نفذ الكاتب امر ارسالها فليبلغه ذلك ـ (السنة) الرابعة . »

ولعل صيغه « مايرسله س له انه ابلغه الى ص » تعيد الى اذهاننا تلك الفترة حين كان يعهد بالرسالة شفويا الى رسول اذ انها موجهة الى الكاتب الذى سينقل الى المرسل اليه محتويات المستند ذلك لان اغلبية السوميروا كاديين لم يكونوا ملمين بالقراءة وكان من الضرورى ان يلجأوا الى خدمات المتعلمين . ولقد طرأ بعض التعديل على هذه الصيغة فى عهد اجاده [3] وان بقيت

(1) XLI p. 52.

(2) I t. XI p. 65.

(3) XIX No. 1058, 1170, 1261.

جارية الاستعمال مهما تكن وظيفة او صفة المرسل اليه « مايرسله لوبالدنو باندا» (الرئيس) ابلغه الى ملكي » وقد اختصرت الصيغة احيانا الى « الى ملكي مايرسله انيجلولا » وقد اختفى فى عهد ملوك أور الجزء الاول الذى كان يحوى اسم المرسل ولم يبق سوى :« ابلغه الى فلان »

ولدينا عدد من الخطابات ابتداء من عهد الأسرة الأولى البابلية يشير بعضها إلى شئون الدولة والبعض الآخر إلى أمور خاصة وليس هدف النوع الأول — كما هى الحال بالنسبة للنقوش الرسمية — أن يبقى للأجيال القادمة ولكنه يهدف إلى تصفية منازعات أو ابلاغ أوامر أو تقارير . وهذا النوع أحسن ما يقوم مثالا لتعريفنا بالعرف المتبع والتقاليد والعادات والأحداث . وهكذا تبين مراسلات حمورابى مع « سن ايدينام » محافظ لارسا كيف كانت السلطة المركزية تعنى بإدارة شئون الدولة وتهتم بأقل التفصيلات وتركز فى بابل ادارة جميع الشئون . وأننا لنرى أن وحـــدة الإمبراطورية تحققت فى النهاية وأن الملك يشغل نفسه ويهتم باستقرار كل الأنظمة التى وضعها أو عدلها وقد نجح فى ذلك . ولقد كانت ثروة المعابد ضخمة وكان للمشرفين عليها نفوذ واسع وكان حمورابى يطلب حسابا عن ايراداتها ويعنى بالترميمات أو إعادة البناء أو زخرفة الهياكل . ولما كان الأمر يتطلب أعمالا انشائية كبرى فانه كان يهتم بتعيين العمال وتحديد أجورهم وكان البت فى بعض الشئون من اختصاص السلطات المحلية فأصبح من اختصاص السلطة المركزية . ولقد كان التقويم من هذه الشئون إذ كانت كل مدينة تحدد إن كانت السنة الحالية بها ١٢ أو ١٣ شهرا . وقلما كان يتم اتفاق على هذا الأمر بين الأمراء المتجاورين لأن كلا منهم كان يتصرف حسب هواه . إلا أنه منذ ذلك الوقت بدأ العمل بحساب واحد لكل الامبراطورية وكان الملك بما له من سلطة ملكية يقرر ما إذا كان يجب إضافة شهر إلى السنة الجارية وهكذا نرى حمورابى يخطر « سن ادينام » فى واحد من كتبه انه قد حل

احتساب ايلول آخر فى تلك السنة .

ولم يكن الملك يكتفى بجمع الأحكام القضائية ووضع التشريعات واصلاح بعض المساوىء فحسب ولكنه كان يتولى الحكم بنفسه فى القضايا الكبرى ويتلقى التظلمات ويوجه قضاة المقاطعات . فلقد ضبط حادث رشوة فى « دور جور جورى » فأمر بالتحقيق والتحرى وأشار بأن يرسل المجرمون إلى بابل ليعاقبهم بنفسه .

« إلى سن ادينام قل : هذا نطق حمورابى ! هكذا نطق
شوماً ايلو لا ايلو ... هكذا يقول: حدثت رشوة فى دور جورجورى.
إن أولئك الذين سمحوا لأنفسهم بقبول رشى وشهود الحادث
هنا ... هكذا قال : إنى أرسل لك شوماً ايلو لا ايلو بنفسه ...
لتقم بالتحقيق بمجرد وصول هذا الخطاب فإذا كانت هناك رشوة
فلتؤخذ الفضة ، أوما أعطى كرشوة ولتوضع فى حرز مختوم
وترسل إلى . أما المرتشون وشهود الحال الذين سيكشف
عنهم شوماً ايلولا ايلو فليرسلوا إلى . [1] »

وقد نزعت أرض ايالو بانى منه وقدم صك بسند الملكية إلى الملك فأمر هذا بردها إلى صاحبها [2] . ولقد شكا أحد أهالى سيبار من أن الحبوب التى أودعها مخزن غلال قد سرقت فاتصل الملك بـ « سن ادينام » لإنهاء هذه المسألة [3] .

« إلى سن ادينام قل : هكذا تكلم حمورابى ! أخبرنى
تمومو من نيبور بما يأتى : قال : لقد أودعت ٧٠ جورا
من الشعير فى مخزن فى « أونابو » وفتح « اويل إيلى » المخزن
وأخذ الشعير ... هذا ما أخطرنى به . إنى أرسل

---

(1) LXXXIX No 11.

(2) Ibid No 76.

(3) Ibid No. 12.

تمومو بنفسه . استدع « اويل ايلى » واستمع اليهما وليعد
اويل ايلى إلى تمومو شعيره الذى أخذه منه ... »

وكان « ايلوشو ايقيش » [1] قد أعار « سن ماجير » ٣٠ جورا من الشعير وأخذ إيصالا عنها ولكنه ظل مدى ثلاث سنوات يطلب السداد دون جدوى . وقد أطلع الملك على الايصال فلم يكن هناك من داع لتحقيق الأمر وحل الملك المشكلة بنفسه فكتب إلى الحاكم يقول «ليرجع سن ماجير الشعير والفائدة وليعطهما إلى أيلوشو ايقيش »

ولم يكن جباة الضرائب يتعجلون تقديم حساباتهم إذ أنهم كانو مزارعين يدفعون مبلغا معينا إلى الخزانة ويحصلون على مسئوليتهم الضرائب المستحقة فى الناحية التى سبق أن تعاقدوا عليها . ولقد اشتهر « شب سن » بتباطئه فى دفع التزامه وقد طالبه الملك ذات مرة بتسديد ما عليه [2] . وفى مرة أخرى اعتذر بصعوبة جمع المال المستحق لمعبد معين [3] وأخيرا غضب حمورابى وكتب إلى سن ادينام : [4]

« انى كنت قد كتبت إليك طالبا إليك فيما يختص برئيس الجباة
شب سن أن ترسله ومعه ١٨٠٠ جور من السمسم ؛
١٩ مينا من الفضة واجب عليه سدادها . وكذلك رئيس
الجباة سن موشتال ومعه ١٨٠٠ جور من السمسم ،
٧ مينا من الفضة مستحقة عليه ، وأرسلهما الى بابل ...
ولكنك أخبرتنى بأن رئيسى الجباة هذين قالا : لقد حل
موسم الحصاد وسنذهب بعد الحصاد . — هذا ما قالاه وأخبرتنى
به ... والآن وقد انتهى الحصاد فحالما ترى هذه اللوحة التى أرسلها

(1) Ibid No 24.
(2) Ibid No 16.
(3) Ibid No 30.
(4) Ibid No 33.

ذلك أرسل الى بابل «شب سن» رئيس الجباة ومعه ١٨٠٠ جور
من السمسم و ١٩ مينا من الفضة مستحقة عليه وكذلك
سن موشتال رئيس الجباة ومعه ١٨٠٠ جور من السمسم
و٧ مينا من الفضة مستحقة عليه كذلك . وأرسل معهما حارسك
الأمين . وكلفهما بأن يقدما نفسيهما أمامى بكل ما يملكان . »

ولقد تعرض موظفون آخرون للوم عنيف واستدعوا كذلك أمام الملك . وهذا ما حدث لـ « اتيل بى مردوك » بسبب ما اعتاده من ربا فاحش [1] فلقد طلب ايشاكو خاضع لأوامره أن ينقل إلى خدمة سيد آخر [2] كما شكا أحد الرعاة من أنه فرض السخرة على رعاة كانوا معفين منها [3] . وكانت صيانة القنوات من أهم الأمور ليس لرى الأراضى وصرفها فحسب بل لأنها وسيلة للعلاقات التجارية كذلك . وكان أولئك الذين يعيشون على ضفافها يخضعون للسخرة تحت إشراف المحافظين . ولم يكن الملك ليأنف من أن يعطى أوامره بإستدعائهم وتكليفهم بتطهير القنوات فى فترة يحددها [4] . ولقد تبين له ذات يوم أن تطهير قناة معينة لم يتم فأمر باتمامه خلال ثلاثة أيام [5] . وكانت قطعان الملك وأراضيه الخاصة موضوع خطابات عديدة . وكان يتلقى عنها تقارير ويرسل ضباطا من رجاله لمراقبة الرعاة . وكان يستدعى الى القصر أحيانا ٤٧ راعيا فى وقت واحد ليستقى منهم الأخبار مباشرة . وكان يهتم بجز الغنم ومحاصيل البلح والبقول وتخزين الأخشاب ... الخ

وقد حدث فى خلال حملة ضد ايمو تبال (وهو اقليم على حدود عيلام) ان

---

(1) Ibid No 18, 30, 73.

(2) Ibid No 38

(3) Ibid No 3.

(4) Ibid No 26.

(5) Ibid No 5.

استولت الجيوش الملكيه على ألهات هذه البلاد وحملتها عند عودتها الى بابل. وطبقا للعقائد الدينية كان يجب أن تعامل هذه الآلهة الاسرى باحترام وان توضع فى معابد الآلهة البابلية حتى تصبح موالية للغزاة فيسمح لها ان تعود الى هيا كلها توطئه لتسهيل الغزو السلمى للمقاطعة التى تخضع لسلطتها الشرعية . ولقد كتب حمورابى عنها الى سن ادينام [1] :

« ضع الالهات حالا على (مركب) موا كب وارسلها الى بابل .
ودع العاهرات (داعرات المعابد)
يصحبنها . ولتحمل السفين طعاما من اجل ولائم الالهات وكذا شرابا
وصغار ما شية ومستلزمات ومعدات للعاهرات حتى يصلن الى بابل .
وليعين من يعملون فى جر المركب ولتأت الالهات الى بابل دون عائق
ولا يتأخرن بل يأتين بسرعة الى بابل». ولسنا ندرى كيف نفذ ماجاء فى هذا الخطاب. وهناك كتاب آخر كذلك موجه الى حاكم لارسا يأمر فيه باعادة نفس المعبودات الى معابدها :

« قل لـ « سن ادينام » : هكذا يتكلم حمورابى : ان
الهات « ايمو تبال » اللواتى تحت رعايتك سوف تحضرها
جيوش « انو حسامار » لك تحت حراسة قوية وحين تصل
اليك ضم هذه الجيوش الى جيوشك واعد هذه الالهات
الى هيا كلها » [2]

وقد شكا « لالو » الى ساموايلونا » خليفة حمورابى من حاكم كان يدعى حقوقا على محصول من متعلقات « ايلكو » واستولى عليه . وكانت اللوحة فى القصر . وكان المدعى فى الواقع صاحب حق استثمار عدد ٢ جان من الارض . فأرسل أمر الى سن ادينام [3] للتحقيق وان يلام الحاكم ان كان

(1) Ibid No 34.
(2) Ibid No 45.
(3) Ibid No 6.

قد اعطى سلفة على رهن هذه الارض .

وكان هناك فى ذلك الوقت نظام خاص بصيد الاسماك . وكانت كل ناحية تحتفظ لنفسها بحقوق معينة فى حدود اراضيها تعويضا عما يؤدى من اعمال خاصة بصيانة القنوات وتطهيرها . وحين تلقى « سامسوا إيلونا » شكاية اعطى الأمر التالى [1]

« الى سن أدينام ... قل لـ « كارسيبار » وقضاة سيبار :
هكذا يقول سامسو ايلونا : لقد وصل الى علمى أن
قوارب الصيادين تنزل الى نواحى « رابى » و « شامكانى »
تصيد سمكا هناك . لذلك فانى أرسل ضابطا من
ضباط « بوابة القصر » وحين يصل إليك استدع قوارب
الصيادين التى تصيد سمكا فى نواحى رابى وشامكانى
ولا تسمح مرة أخرى بأن تنزل قوارب الصيادين الى نواحى
رابى وشامكانى »

ويشهد خطاب لـ «أمى ديتانا» محفوظ فى اللوفر [2] بعادة القيام بطقوس شهرية للموتى .

« قل لـ « شوما ايلوم بن أدين مردوك :
هذا ما يقوله أمى ديتانا : لا يوجد اللبن والزبد
اللازمان للتقدمات الشهرية لشهر آب . فبمجرد وصول
لوحى هذه إليك دع خادمك يأخذ ٣٠ بقرة ،
٦٠ قا من الزبد ويأتى الى بابل . ودعه يحضر لبنا
حتى تنتهى التقدمات الجنازية . ولا تدعه يتأخر بل دعه

---

(1) Ibid No 80.

(2) XXIV p. 160.

يأتى سريعا »

وهناك خطاب آخر من « سامسو ديتانا » [1] يكشف عن ظروف اضطراب الأمن خلال أخريات عهد الأسرة الأولى :

« بالاشارة الى ما كتبته الى قائلا عن الحبوب التى تنمو فى
مقاطعه سيبار — يارورم وأنه ليس من الصواب
أن تترك فى الحقول تحت رحمة جند الأعداء ... الا
فليسمح سيدنا باعطاء الأمر بإرسال تعليمات إلينا
لفتح بوابة شماش ونقل هذه الحبوب الى المدينة »
هذا ما كتبته لى ... وبمجرد جمع الحبوب من كل الأراضى
فلتفتح حالا بوابة شماش وحتى يتم ادخال الحبوب
هناك فلتستمر جلسات القضاة منعقدة ولا تدعهم يهملون
حراسة البوابة »

أما الخطابات الشخصية التى تعالج شئونا خاصة فهى غامضة لأننا لانعرف شيئا عما وراء نصوص اللوحة نفسها . ونصها فى أغلب الأحيان مقتضب جدا ومحشو بالاشارة إلى أمور يعرفها المرسل إليه ونجهلها نحن .

فهناك فلاح أغار العدو على ماشيته يسأل مولاه أن يزوده ببقرة وهو يرسل له خمسة شواقل من الفضة ويعد بدفع باقى الثمن حين يتسلم البقرة

« إلى سيدى قل — هكذا يقول « ابجاتوم » خادمك :
كما علمت ياسيدى استولى العدو على ماشيتى .
إننى لم أكتب إليك من قبل والآن أطلب تحرير
خطاب إليك ياسيدى . ارسل لى ياسيدى بقرة
صغيرة وسأزن وارسل لك خمسة شواقل ياسيدى !
ارسل البقرة الصغيرة مع أخى ايلى ايقيشام ولكى

(1) Ibid p. 161.

يوافق مولاى بدون تأخير ويرسل لى البقرة الصغيرة
فانى سأزن فى الحال وأرسل لك ١٥ شاقلا من الفضة ياسيدى »

وكان اريب سن ، ابنى نابو شريكين فى عمل من الأعمال . وطلب الأول من الأخير أن يدفع ١٤ شاقلا إلى المدعو «شماش بل ايلانى» وأجابه الأخير بأن يأخذها من مبلغ الـ ٢/٣ مينا من الفضة السابق تسليمها إلى المدعو «واراد ايليشو » [1].

« أما فيما يختص بـ » واراد إيليشو . ابن « ابنى ديتّارا
فانى سلمته ٢/٣ مينا من الفضة واعترف بذلك كتابة
بحضور شهودى . وقد ذهب إلى اشور ولم يدفع المال
إلى « شماياتو » . وقد تقابل « شماياتو » معى فى ذاجانا
و تناقشنا فى هذا الموضوع وقلت له « لقد أرسلت لك
النقود مع واراد ايليشو » فأجاب قائلا « إن كان
وأراد ايليشو قد دفع النقود بالأبل ... »
أما فيما يختص بما كتبته عن الـ ١٤ شاقلا الخاصة
« بشماش بل ايلانى » فانى لم أدفع له النقود . اقبض
على واراد ايليشو وألزمه بأن يزن الفضة بفائدة أكثر
أو أقل وخذ من هذا المبلغ ١٤ شاقلا وارسل لى الباقى » .

وهناك رجل ألقى فى السجن منذ خمسة شهور يشكو تعاسته ويلتمس من مولاه بان تيسر له سبل العيش [2].

« ارسل لى نصف مينا من الفضة او ٢ مينا من الصوف
لاستعمالها لى الا لا يرجع ما رابو للى فارغ اليدين .
ان رجع خاوى الوفاض فان الكلاب ستنهشنى .

(1) Xcv p. 334
(2) Ibid p. 331.

انت تعلم يامولاى كما يعلم كل اهل سيبار وبابل
انه لم يلق بى فى السجن من اجل سطو اواقتحام منازل .
لقد ارسلتنى يامولاى عبرالنهر بزيت فهاجمنى السوتيون
وسجنت ... لتقل كلمة فى مصلحتى لاخصاء « اباراكو » الملك .
ارسل لى شيئا حتى لا اموت فى بيت البؤس . ارسل لى
« قا » من الزيت و ٥ قا من الملح . ان ما سبق ان
ارسلته إلىّ لم يسلم إلىّ . »

وقد وصلتنا عن طريق الحفائر فى نيبور خطابات موجهة الى الملوك الكاسيين ومراسلات بين الموظفين فى القرنين الخامس عشر . والرابع عشر وهناك مذكرة بغير امضاء تبين أن طريقة مسك حسابات المعابد والضياع الواسعةظلتمعقدة كما كانت منذ البدء [1]

« هكذا يقول أبوك : اعط وجهك — كن عطوفا وارسل
بأسرع ما يمكن التقرير إلى « رئيس الشعير» حتى استطيع
أن ارسل تقريرا من عندى ...»

وكان الأمر يتصل بحسابات امراء او صوامع مختلفة فى عهـــدة نفس الموظف وكان على كل حارس ان يقدم قائمة بالسلع حتى يستطاع عمل القائمة الاجمالية التى ترسل الى السلطة الرئيسية. وقد بدأت تظهر اذذاك اصطلاحات « اب » و « أم » بمعنى « رئيس » واصطلاح « اخ » بمعنى زميل او صديق اوند : تلك الاصطلاحات التى انتشر استخدامها فى الرسائل الكتابية فى عهد الدولة الحديثة .

وهناك آخر يشكو من خطأ : انه كان قد طلب بعض الأوانى وارسل له تبن بدلا منها [2] كما نرى السيدة « انبي ايرى » تكتب الى رئيس حراس

(1) XXV t. XVII, 76.

(2) Ibid, 45.

المخازن لمعبد نيبور وتأمره ان يسلم كمية معينة من الشعير .

« الى ايناً نى قل : هكذا تقول انى ايرى :
اعط ادين نرجال ٣ جور من الشعير .
لا تعاملنى معاملة لا تنطوى على روح المودة ولكن
— كما قلت له — دعه يأخذ ويحضر هذا الشعير .
أما فيما يختص بضمانة الناس فارسلها الى سن ايساهارا
وأرسل إلى « دينى » ابنة « ابيا » ٤ جور من الشعير »

وكان الملك غالبا ما يحكم فى القضايا بنفسه كما كانت الحال خلال عهد الاسرة الاولى :

قل الى اديل مردوك : هكذا قال الملك :
هكذا يقول الى اديل مردوك : ان « ايريش نادين شوم »
ابن « اباناى » الذى افترى على هانيبى وداجو ابن ...
الذى افترى على سن ... احضره أمامى [1] »

وكان اديل مردوك هذا رئيس شرطة نيبور ايام حكم « شاجارا كتى شورياش » (حوالى ١٢٧٠ ق . م .) ويبدأ اجوروم تقريرا مقدما الى الملك «بورنا بورياش» عن الشئون التى تحت رعايته على الصورة التالية :

« خادمك اجوروم . الا أستطيع ان أحضر أمام سيدى ؟
تحيات الى بيت مولاى ! »

ثم يصف حالة العمل فى مختلف المبانى الجارى بناؤها بعضها من اللبن والبعض الآخر من الآجر ثم يشير الى عدم وصول الصوف من «بعل اوساعتوم » ويبين كيفيه توزيع الصوف الذى تسلمه ويلتمس من الملك ان يرسل بعض الصوف ما دام لا يستطيع الحصول على شىء منه فى دور كوريجا لزو ويقرر انه « لا يجد لذة فى هذه الوظيفة » ثم ينهى خطابه بأن يطلب الافراج عن

(1) Ibid 76.

النساجين المسجونين فى بان بالى . وكان قدتحدث الى الملك من قبل وكتب اليه ثلاث مرات فى هذا الشأن دون ان يتلقى جوابا .

وهناك شخص اخر يدعى « كالبو »[1] يصف نفسه بانه متواضع كالتراب وخادم محب لمولاه ويبدأ خطابه بهذه المجاملة :

« الى مولاى الرائع فى بهائه ذى الاصل السماوى ، القوى ،
الجبار ، العاقل ، ضوء اخوانه الذى يضئ مثل الفجر ،
هادى السادة الجبابرة المرعبين ، قوت الشعب ،
مائدة النبلاء ، بطل عشيرته ، ذلك الذى منحه أنو
وانليل وإيا وبعليت إيلى إقطاع النعمة والعدل ...
الى مولاى أقول : هكذا يتكلم كالبو التراب والخادم الذى يحبك »

كان هذا المتملق حاكما على « مانوجير رمان » واجتيحت مقاطعته . اجتاحتها « أمطار السماء وأمواج الهاوية » ... حطم الفيضان البوابات وقضى على قطيع من النعاج عمرها عامان ولم يبق شيء لغذاء السكان . وبعد أن يعرض بعض الشئون الأخرى نراه ينهى خطابه ملتمسا ردا عاجلا .

ومن العصر نفسه فإن المجموعة التى لاتقدر من خطابات تل العمارنة تلقى ضوءا قويا على سياسة الأمبراطوريات الشرقية وسياسة مصر فى كنعان وفى عمورو وهى أقطار كان يطمع فيها دائما جيرانها الأقوياء ليس لأنها كانت أقطارا غنية فحسب بل ولأنها أيضا كانت الطريق التجارى الوحيد الذى يهبط من بلاد بابل وأشور ومن المملكة الحيثية نحو أمبراطوية الفراعنة . وليس خطاب « خاتوسيل » ملك الحيثين الى « كاداشام — اليل » ملك بابل[2] بأقل قدرا أو أهمية فى المعلومات التى يقدمها لنا عن العلاقات بين البلدين. ويحمل خطاب بابلى من القرن السابع — كتبه ملك أشورى — أمرا

(1) Ibid 24.

(2) قارن ما ذكر قبلا فى صفحة ٥٦

بالبحث عن وثائق قديمة كان يحتاج لنسخ منها لمكتبته . وهو يعطى لمحة واضحة عن الطرق التى كان يتبعها أشور بانيبال فى تكوين مجموعة كبيرة من النصوص فى قصره فى نينوى :

« أوامر الملك الى شادونو ... أنا بخير ... ليسعد قلبك
فى اليوم الذى تقرأ فيه لوحتى ، خذ « شوما » بن « شوموكين »
وأخاه « بعل اتير » و « ابلا » بن « أركات ايلانى » وصناع
بورسيبا الذين تعرفهم ... خذهم فى خدمتك وابحث عن
كل اللوحات التى فى منازلهم وكل اللوحات المودعة فى « أزيدا » ولوحات
تمائم (؟) الملك والأنهار والحرائق (؟) وشهر نيسان وال ... الأنهار
وشهر تشريت ومنزل ألرش وال ... الأنهار (؟) وإحصاء الأيام
وأربع (؟) تمائم وسادة سرير الملك و ... الملك
وسلاح « إرمو » لو سادة سرير الملك ورقية « ايا ومردوك الحكمة التى
يباشرانها واجتماع ... » وقصص المعركة وكل ماهو كائن مع اللوحات الكبيرة
مما هو هناك ؛ (والمجموعة) : « لا تدع (السوء) « آس مى جى »
يقرب الرجل
الذاهب الى الحقول (أو) الداخل الى القصر » . وابحث عن
النصوص الخاصة
بالطقوس ورفع الأيدى والنقوش على الحجر وكل ما يفيد جلالتى
و (مجموعة) تطهير
المدنية (؟) كلها وكل ما فى القصر خاصا « بالكروب والحاجة الملحة »
وكل اللوحات
الثمينة فى منازلكم (الخاصة) الغير موجودة فى أشور ... ابحث (عنها) جميعا
وارسلها الىّ . ولقد كتبت فورا الى الوكيل والضابط . وضعها فى
مخزنك . لا تدع

أحدا يرفض إعطاء لوحة لك . واذا وجدت لوحة أو نصوص خاصة بالطقوس لم اكتب لك عنها

وترى أنت انها ذات نفع لقصرى فخذها وارسلها الى [1] »

٤ — المقاييس والموازين

هنـاك تمثالان من بين تماثيل جوديا المحفوظة فى اللوفر يرى فيهما الايشاكو جالساوهو يمسك على ركبتيه لوحة تستقر فوقها مسطرة مدرجة : لعلها المقيـاس الوحيد لدينا لتقدير الأطوال فى الألف الثالث . واحد النموذجين كامل ويبعد أقصى خد شين فيه عن بعضهما بمسافة ٢٦,٤٥ سنتيمترا واحد المقياسين مقسم الى ١٦ جزءا متساويا أربعة منها مقسمة الى جزءين أو ثلاثة أو أربعة أو خمسة أو ستة أجزاء . أما الآخر فمقسم كذلك الى ١٦ قسما متسـاويا من بينها اثنان مقسمان الى ١٢ و ١٨ جزءا . والتماثيل أصغر قليلا من الحجم الطبيعى ولسنا ندرى على وجه التحقيق أتمثل المسطرة مقياسا حقيقيا أم هى مصغرة وتمثل مقياسا للرسم فقط [2] وهناك دلالات أخرى أهمها أحجام طوب البناء مما يسمح لنا باعتبار الأقسام كأنما يساوى كل منها كسرا من وحدة الطول المعمول بها فى هذا العصر . وهذا الـكسر الجزئى لا يمكن أن يكون سوى الاصبع وهو ١/٣٠ من «المقياس» أو الذراع المستعمل فى لجش منذ عصر ما قبل السرجونية. والذراع يساوى على وجه التقريب ½ ٤٩ سنتيمترات [3] .

أما كسور الذراع ذى ال ٣٠ إصبعا فهى « المقيـاس » أو القدم ذو العشرين أصبعا و « اليد المفتوحة » ذات الخمس عشرةاصبعا و « يد البناء »

---

(1) LVIII, p. 10.

(2) LXX, pl. 15

(3) V. t. XVIII, No 3.

ذات عشر الأصابع وأخيرا الأصبع . ومضاعفاته هى : « القصبة » وتعادل ست أذرع و «الشاخص» ويعادل ١٢ ذراعا و «التسوبّان» ويعادل ٦٠ ذراعا وشريط المساح ويعادل ١٢٠ ذراعا .

والجدول التالى يبين قيم هذه المقاييس بالنظام المترى :

الاصبع		= ٠,٠١٦٥	مترا
يد البناء	= ١٠ أصابع	= ٠,١٦٥	»
اليد المفتوحة	= ١٥ اصبعا	= ٠,٢٤٧٥	»
القدم	= ٢٠ اصبعا	= ٠,٣٣٠	»
الذراع	= ٣٠ اصبعا	= ٠,٤٩٥	»
القصبة	= ٦ ذراعا	= ٢,٩٧	»
الشاخص	= ١٢ ذراعا	= ٥,٩٤	»
نصف الشريط	= ٦٠ ذراعا	= ٢٩,٧٠	»
شريط المساح	= ١٢٠ ذراعا	= ٥٩,٤٠	»
الفرسخ	= ١٨٠ شريطا	= ١٠٦٩٢,—	»

ومنذ الأسرة الثالثة البابلية نجد مقياساً ثالثا أو ذراعا طوله ٤٥ اصبعا وكان يسمى «بالمقياس الطواف» أو الذراع الكبير ويعادل $\frac{٣}{٤}$ متر تقريبا[1] ولقد أمكن تحقيق هذه التحديدات بمقارنة مقاييس سيجورات بابل التى تقدمها لنا لوحة من عصر السلوسيين مع المقاييس الصحيحة التى عملت لاطلال هذا الأثر حين الكشف عنه .

وكانت وحدة المساحة فى الألف الثالث هى الـ « سار » (ربع الفدان) وهو مربع طول ضلعه شاخص وأجزاؤه $\frac{١}{٦٠}$ و « القمحة » التى تعادل $\frac{١}{٦٠}$ الـ $\frac{١}{٦٠}$. وأمامضاعفاته فهى : الـ « جان » أو الحقل ذو الـ ١٠٠ سار ثم الـ « بور » ذو الـ ١٨ جان وتحقيق هذه المساحات بما يقابلها من مقاييسنا الحديثة هو :

(1) I t. XV, p .59.

القمحة = ١٩٦ و ٠ سنتيمتر مربع

$\frac{١}{٦٠}$ = ٥٨٨ و ٠ »

ربع الفدان = ٣٥,٢٨٣٦ »

الفدان = ٣٥,٢٨٣٦ ار

البور = ٦,٣٥١٠٤٨ هكتار

وقد ظهر مع الكاسيين مقياس مساحى جديد يرتبط بمقياس الأطوال الجديد . وكما ان هناك ذراعا كبيرا يرتبط بالخطوة المعادلة لـ ٧٥ سم وهو $\frac{٢}{٣}$ الذراع المعتاد فاننا نجد الامر كذلك بالنسبه للاراضى التى تمسح بـ « الجان الذى يقاس بالذراع الكبير » وهذا الجان او الحقل الذى ظل ثابتا متوافقا مع الجان القديم حتى سقوط بابل كان مقياسه ٧٩,٣٨٨١ آر ونسبته الى الجان الآخر كنسبة ٩ : ٤ ، أما وحدة مقاس الاحجام فكانت $\frac{١}{٣٢}$ من الذراع المكعب وتعادل ١٧,٤٦٥ مترا مكعبا واجزاؤها الـ « جن » او الـ $\frac{١}{٦}$ [١]

والوحده الاساسيه لقياس المكاييل كانت الـ «قا» ويعادل $\frac{١}{١٤٤}$ من الذراع المكعب او حوالى ٨,٤٢ ديسيلتر . وكان هناك تقسيم لمكاييل السوائل فالـ « جن » او الـ $\frac{١}{٦}$ الذى يذكر كثيرا فى لجش فى عصر أور فى تعيين كميات الزيت التى تعطى لمناسبة مآدب الموظفين المرتحلين الى جانب مكيال آخر هو الـ « أجام » الذى يظهر انه كان يساوى ٥ جن او $\frac{١}{٣}$ قا . اما مضاعفاته فـ « الوعاء الصغير » سعة ٥ قا والـ « نجن » سعه الـ ١٠ قا والـ « دُج » اوالوعاء سعة ٢٠ قا فى عصر ما قبل السرجونيه — وكان الوعاء يعادل ٣٠ قا فى عصر اسرة اجاده — ثم الـ « سادوج » او « الجرة » سعة ٣٠ قا ، ثم الجرة المزدوجة ثم الـ « أدابا » سعة ٣٠٠ قا .

وقد عرفت المكاييل للمواد الجافة سعة ٦ ، ٣٦ ، ٧٢ ، ١٤٤ قا فى عصر لوجالاندا واوروكاجينا . والمكيال الأخير يسمى الـ « جور سجال » وكان

(1) I t. VI, p. 75.

له كذلك مضاعف يعادل حجمه ٣٦٠٠ مرة. وقد ظل مستعملا حتى عصر أور ولكن كان هناك فى نفس الوقت مكيال آخر هو الـ « جور » سعه الـ ٣٠٠ قا (٢٥٢,٦ لترا) الذى سمى فيما بعد جور أجاده او الجور الملكى . وقد ظل استعماله قائما حتى عصر الاسرة الثالثة حين حل محله الجور سعة ١٨٠ قا (حوالى ١٥١,٥٦ لترا) .

أما وحدة الوزن فكانت الـ « مينا » وزنتها $\frac{1}{240}$ من الذراع المكعب من الماء وليس من الـ « قا » التى كانت $\frac{1}{144}$. وكانت المينا مقسمة الى ٦٠ شاقلا وكانت كل ٦٠ مينا تعادل « وزنة » . وهناك عدد من الاوزان البابليه والاشوريه والعيلامية استطعنا عن طريقها ان نحدد وزنة المينا بحوالى ٥٠٥ جراما. وكانت المينا مقسمة فى الالف الثالث الى ٦٠ شاقلا والشاقل الى ١٨٠ قمحة .وكانت كل ٣ قمحات تعادل شاقلا صغيرا وكل ٦٠ تعادل « مينيت » وكل ٩٠ نصف شاقل وكل ١٢٠ مينيت مزدوجه وهذا هو الجدول :

القمحة	٠,٠٤٦	جراما
الشاقل الصغير	٠,١٤٠	«
المينيت	٢,٨٠٥	«
نصف الشاقل	٤,٢٠٨	«
المينيت المزدوجه	٥,٦١١	«
الشاقل	٨,٤١٦	«
المينا	—,٥٠٥	«
الوزنه	٣٠,٥٠٥	كيلو جراما

وكان الشاقل يقسم فى العهد البابلى الجديد الى $\frac{2}{3}$ ، $\frac{1}{2}$ ، $\frac{1}{3}$ ، $\frac{1}{4}$ ، $\frac{1}{5}$ ، $\frac{1}{6}$ ، $\frac{1}{8}$ ، $\frac{1}{10}$ ، $\frac{1}{12}$ ، $\frac{1}{24}$. وكان اسم الاخير هو الـ « اوبول » ويعادل ٣٥ سنتيجرام . وكان السوميرواكاديون يقسمون محيط الدائرة الى ٣٦٠ درجة بكل منها ٦٠ دقيقه وقد ظل هذا التقسيم قائما رغم عدم تكافؤه مع النظام المترى. ويظهر

انه لم تكن به قابليه للتقسيم الى درجات (Grades) لسنين كثيرة بعد ذلك .

* * *

كيف توصل السوميريون القدماء الى اختراع الطريقه الستينيه للعد. ان اسماء الاعداد نفسها تقدم لنا الاجابة : فهم من اول الامر لاحظوا الاصابع الخمسة لليد وبدأوا فى العدد : آش (١) ، : منْ (٢) ، إش (٣) ، لِمُو (٤) ، اى اويا (٥) ولما كان العدده غير كاف كما هو واضح فانهم زادوا فى الترقيم بالاضافه إلى الاربعة الاولى وهذا يعطينا آش (ياش) (٦)، ايمين (اى — مين = ٧) ، اوشُو (اى — إش ٨) ،إلِمُو (اى — لمو=٩). ولمجموعتى الخمسه اخترعوا اسما جديدا جعلوه وحدة جديدة اعلى هى العشرة « أو » (١٠) وضعفهـــا ٢٠ المسماه نش (٢٠) . ومن هاتين التسميتين للعشرات صنعوا مركبات تعنى أربعة امثال هى : اوشو (اوش أو ثلاث عشرات = ٣٠) ، نيمين (نيش مين = عشرونان = ٤٠)، نينو (نين او = عشرينان + عشرة = ٥٠) اما الستون فجعلوا لها اسما جديدا هو «جش»

وكان اعلى الاحاد المربع والمكعب والقوة الرابعة لـ ٦٠.وكانت ستون مربعا تسمى سار (٣٦٠٠) وكانت القوة الرابعه (١٢٩٦٠٠٠٠) تسمى «بالسار العظيم » او « السار العظيم الذى لاتدركه الحواس »

وكانت الأرقام تطبع أولا على اللوحات بواسطة قلمين مستديرين فى القاعدة لكل منهما قطاع نصف قطرى يختلف عن الآخر . ويضغط الدائرة الصغرى بانحراف على الطين نستطيع الوصول إلى مايشبه نصف دائرة ممدودة تمثل الوحدة . وكان اثنان أو ثلاثة تصنع عن طريق تكرار هـذه الوحـدة على نفس الخط . ثم — ابتداء من ٤ — كانت ترتب الأرقام فى صفين لتسهيل عملية القراءة وحين الوصول إلى ٩ كانوا يفضلون كتابة (١٠ — ١) وكانت علامة الناقص يشار اليها بزاوية قائمة متجهة نحو العدد المطروح منه وكانت هذه العلامة كثيرة الاستعمال بقصد تجنب الخطأ ولتسهيل

الكتابة : ولذا فاننا نجد أن رقم ٧ يكتب « ١٠ — ٣ » ونجد مبلغ ٥٦ شاقلا من الفضة يكتب « ٣ مينا — ٤ شاقل » .

أما العدد للعشرات فكانوا يصلون اليه بنفس القلم حين يمسك عموديا وليس مائلا حتى يترك دائرة تامة . وأما العشرات بعد ٣ فكانت ترتب فى صفين كالآحاد .

وكانت أعلى وحدة وهى الستون تختلف عن العدد ١ بحجمها الأكبر وكانت تصنع بواسطة قلم كبير يستعمل مائلا . أما علامة عشرة ستينات فتعمل على شكل نصف دائرة تمثل ٦٠ مع الدائرة الصغيرة التى تمثل ٦٠ منقوشة بداخلها أو متقاطعة مع حافتها وكان السار (الستون المربعة) يرسم بالقلم الكبير ويكون دائرة كاملة . ولتبيان عشرة من السار (٣٦٠٠٠) كانت تطبع الدائرة الصغيرة فى وسط الدائرة الكبيرة وكانت ترسم ٤ خطوط صغيرة على شكل × مقاطعة للشكل المذكور وذلك لتشير إلى مكعب الـ ٦٠

و قد اخترعت منذ زمن بعيد علامات الكسور وكانت علامة الوحدة داخل ٩٠ درجة إلى اليمين تقسم بواسطة خط صغير لتشير إلى كسر الـ $\frac{1}{2}$ أو تصحب بزاوية لتمثل الـ $\frac{1}{3}$ أما الكسور أكبر من $\frac{1}{3}$ فقد استخدمت لها بعض اصطلاحات ؛ فـ « ايجى — ٣ جال » = $\frac{1}{3}$ ، « ايجى — ٤ — جال » = $\frac{1}{4}$ ، « ايجى — ٥ — جال » = $\frac{1}{5}$ وهكذا .

ولبيان المساحات كان الـ « جان » أو الفدان يمثل بوحدة وأما ٦ جان وتعادله ٦٠٠ سار فتمثل بالعدد ٦٠٠ والبور من ١٨ جان برقم ١٠ وأما ١٠ بور فبنفس العدد تقطعه ٤ خطوط على شكل × وكانت ٦٠ بور تبين على شكل دائرة كبيرة وأما ٦٠٠ بور فدائرة صغيرة داخل أخرى أكبر منها وأما ٣٦٠٠ بور فبنفس الشكل تقطعه علامة × المكونة من أربعة خطوط صغيرة .

ومع الجور كمكيال استعملت الأعداد العادية للحساب وهى ١ ، ١٠ ،

٦٠، ٦٠٠ وكانت الوحدة الراقدة على الجانب الأيمن تشير إلى ١/٥ الجور. وقد تكرر الى أربع مرات وكان نفس العدد إذا قطعته خطوط مابين واحد وخمسة يمثل من ١/٤ الى ٢/٣ من الجور على التوالى .

ومنذ عصر لوجالاندا لا نجد الكاتب يستعمل دائما القلم بالقطاع الدائرى لكتابة الأرقام وكان يستعمل أحيانا القلم المثلث الذى كانت ترسم به العلامات الأخرى وحينئذ كان يستطيع عمل مسامير مائلة بدلا من الدوائر ومسامير قائمة بدلا من أنصاف الدوائر .

وقد ظلت الطريقتان تستعملان جنبا إلى جنب حتى عصر ملوك اور حين اختفت الطريقة الدائرية ولم تبق سوى الطريقة المسمارية وفى النصوص التى تستعمل فيها الطريقتان معا نجد أن ذلك لم يكن فى أغلب الظن يرجع إلى الصدفة أو إلى مزاج الكاتب « لقد كانت الواحدة من الإثنتين تستعمل عادة لهذا النوع أو ذاك من الحساب ولكنها تستبدل بالأخرى حين يراد إحداث تمييز من شأنه أن يساعد على وضوح النص كما نستعمل نحن الحروف الكبيرة لنفس الغرض »[1]

ويظهر أن مسح الأراضى كان نظاما وطيد الأركان قبل أن تصبح مصائر لاجش فى يد لوجالاندا واوركاجينا بزمن طويل ذلك لأن القوم هناك كانوا يرسمون تخطيطات ذات أرقام وكانوا يستطيعون أن يحسبوا مساحة الأراضى مهما بلغ من عدم انتظام شكلها وكانت للسومريين صيغة لايجاد مساحة المثلث والمنحرف والأشكال ذات الجوانب الأربعة غير المنتظمة وكانوا يقومون برسم صورة مساعدة تقاس بسهولة ثم تضاف اليها مساحة مايقع خارجها لحساب الشكل ذى الزوايا والأضلاع الكثيرة العدد وكانت القصبة ذات الستة الأذرع هى الوحدة الطولية للمساح وطولها

(1) I, t. XII, p. 121.

٢,٩٧ متر وكانوا يتجاهلون عند قياس الحقول كل طول يقل عن القصبة كما كانت تحذف كذلك كل مساحة تقل عن ½ جان وكان الخطأ الناتج لا يتجاوز (٤,٥٠) آر . وفى حالة الأراضى المستعملة كحدائق فان وحدة المساحة كانت السار وهو ١/٦٠٠ من الجان وذلك لارتفاع قيمتها وصغر حجمها وكانوا يتجاهلون الكسور الأقل من ½ سار وكان تجاوز الخطأ فى حدود ٩ سنتيير وأما فى أرض المبانى فان القصبة لم تكن تصلح لذلك الأمر فاستعاضوا عنها بالذراع وكانت المساحة تعد صحيحة الى ١/٦ من السار أو ما يعادل ٥٨ ديسيمتر مربع

وقد خلف لنا ما نشتوسو ملك أجاده ما ينبىء عن شرائه لضياع واسعة سجل أمرها على مسلة ولعل أكبرها جميعا كانت تحتوى على ٣٨٣٤ جان أو أكثر بقليل من ١٣٥٢ هكتار وكانت الحدود تذكر أحيانا وأن كان يغفل أمرها فى غالب الأمر . وليست هناك تفصيلات عن تحديد المساحات بل اقتصر على ذكر أن هدايا أعطيت للمساجين [١] .

وقد كشفت حفائر تللو عن عدد كبير من مستندات المساحة من عصر أجاده الى عصر أور [٢] وبعضها يقدم بالتفصيل حساب الوصول الى مساحة الحقول : من طول جوانب للمسطح الاضافى والأجزاء التى تضاف أو تخصم والمساحة الحقيقية للأرض التى تقاس . وفى بعض التصميمات الأخرى يوجد منها ما هو خاص بالمنازل والمدن والأراضى المقسمة الى قطع والأراضى التى تخترقها قنوات ولم تعد وحدة القياس هى القصبة ذات الستة الأذرع بل الشاجص ذو الـ ١٢ ذراعا الذى كان مربعه يعادل السار تماما (٣٠,٢٨ سنتيير) وهو ١/٦٠٠ من الجان وهكذا نجد على لوحة واحـــدة من أجاده [٣] قطعتين

(1) XVIII, t. II.

(2) LXXV, pl. 63 à 68 et 150.

(3) XIX No 2923.

من الأرض بالتحديد التـالى .

٢٠ من الأمام (مزدوج) ١٨٠ من الجانب (مزدوج) حقل مساحته٢ بور

١٧ من الأمام (مزدوج) ١٨٠ من الجانب (مزدوج) حقل مساحته ١بور

٢/٣ ، ١/٢ جان

ذلك لأن ٢٠ × ١٨٠ = ٣٦٠٠ = ٦٠٢ ومن الناحية الأخرى من المعادلة

٢ بور = ٣٦٠٠ سار فوحدة الطول هى على ذلك جانب السار أى الشاخص.

أما بالنسبة للقطعة الثـانية فان مساحة ما هو أقل من ١/٤ الجان كان يهمل كما

هى الحـــال فى عصر ما قبل السرجونية . وما دام حاصل ضرب

١٧ شاخصا × ١٨٠ شاخصا يعادل ٣٠٦٠ شاخصا مربعا أو سار فان هذا

يعنى ١ ٢/٣ بور ونصف جان و ١٠ سار .

ولم يتخلوا عن استعمال السطوح ذات الجوانب فى عصر حمورابى [1].

وكانت أرض البناء تقاس مضبوطة الى ١/٢٤ من السار أو ١٤٧,٠ مترا .

وقد أدخل الملوك الكاسيون تجديدات على مقاييس الأراضى أو بمعنى

أدق على صيغ العقود . وبينما نرى « مانشتوسو » يشترى قطعة من الأرض

مساحتها عدد معين من الجان قيمتها فى أول الأمر مقدرة بالشعير ثم محولة

الى نقود نجد ان « كاشتلياشو » ، « نازيما ردُنا شى » والامراء الاخرون

من أسرتهم لديهم املاك يتبادلونها حسب اتساعها بـ « اجوار » من الشعير

وكان الجور منها يساوى ٣٠ قا للذراع الكبير . ومن الواضح ان هـذه

الكمية الصغيرة من الحبوب تمثل من الناحيه التقليديه البذور المستعملة .

وقد ظلت هذه الطريقة الجديدة فى تقدير الاراضى قائمة حتى نهايه عهد

الامبراطوريه البابليه الجديدة رغم اختلاف النسب .

ولقد ادخل الكاسيون كذلك طريقة جديدة لحساب مالديهم من طوب.

وكان المتبع منذعصر اجاده ان تقاس جوانب الكومة ويسجل الكاتب ارتفاعها

(1) LXXI et XLVI.

وطولها وعرضها . وبدأ منذ الاسرة الثالثة الاحصاء بالوحدات وظلت هذه هي القاعدة خلال حكم نابو نيدوار تكز ركسيس الاول .

٥ - . النقـــود

لم يعرف البابليون النقود حتى الاحتلال الفارسي. وكان الشعير في العصور القديمة واسطة التعامل واضيفت اليه قبل الالف الثالث سبائك من النحاس والفضة ومن ثم كان الشعير والفضة معيارين تحدد بهما قيمة كل شيء

وكانت العلاقة بينهما تختلف وعلى ذلك كانت التقاليد والعادات تفرض عمل الحساب في بعض الظروف باحد المعيارين لا بهما وهكذا نرى أن أجور الموظفين الملكيين في عصر حمورابي شانها في ذلك شأن الاجور الزراعية كانت تحسب شعيرا وان الصناع والقلافين وضاربي الطوب والبنائين والنجارين. كانت تدفع اجورهم فضة شأنهم في ذلك شأن المعماريين والأطباء .

ولعل من الطريف ان نتابع التغييرات التي طرأت على قيمة المواد الرئيسة للمعاملة التجارية من البدء حتى نهاية الامبراطورية ولكن مالدينا من معلومات. غير كاف ولا يسمح لنا بالقيام باحصاء في هذا الشأن . ولدينا « سن جاشيد» ملك اوروك الذي تمنى ان يمتد حكمه سنين عديدة مليئة بالخيرات[1] وان يكون في الاستطاعه الحصول على ٣ جور من الشعير و١٢ مينا من الصوف و١٠ مينا من النحاس، ٣٠ قا من الزيت مقابل شاقل من الفضة ومعنى هـذا انه يتمنى ان تبلغ قيمة الفضة ٦٠٠ مرة وزنها من النحاس أو ٧٢٠ مرة وزنها من الصوف . والواقع ان الاثمان كانت مرتفعة عن ذلك فمثلا نرى ان الصوف كان يبلغ ضعف الثمن المذكور والزيت ثلاثة امثاله في عصر « اميد يتانا » و « أميزادوجا» . وكان سعر الشعير غير ثابت خلال السنة فكان ثمنه يتضاعف احيانا : وكان يساوى في الشهر الرابع خلال حكم اميزدوجا ١½ شاقل للجور بينما يرتفع في نهايه العام — قبل الحصاد بقليل — الى اكثر من ٣ شواقل.

(1) LXXVI, P. 315

وقد قدرت قيمة الذهب فى بعض النصوص من مختلف العصور : فكان يساوى ثمانية امثال وزنه من الفضة فى عصر اجاده ووصل الى نسبة ١٠ : ١ فى السنه الثامنة (٨) من حكم بورسن ثم هبط الى (٧) فى زمن «جميل سن» و ٦:١ فى السنة الخامسة والثلاثين لحورابى ثم ارتفع مرة اخرى الى ١٢ : ١ فى السنة الحادية عشره من حكم نابونيد .

٦ — التقويم (النتيجة)

بعد اليوم الذى فرضته الطبيعة على البشر كان اول مقياس للزمن اعتمده السوميروا كاديون هو الشهر القمرى . وقد نظموا ابدأه بظهور الهلال فى السماء وكان يستمر حتى ظهوره مرة ثانيه . ومازالت هذه الطريقة التجريبية مستعملة فى البلاد الاسلامية لتحديد نهاية رمضان شهر الصوم . ولقد كان الامر كذلك عند اليهود فكانوا حتى عام ٣٦٠ الميلادى حين انشئت نتيجتهم الحالية يحددون بهذه الطريقة بدء نيسان شهر عيد الفصح . وكان ظهور القمر الجديد والبدر واختفاء الهلال موضعا لاحتفالات دينية : وفى الحالتين الاولين كانت تقدم التضحيات فى القصر . اما يوم اختفاء القمر فكان يعتبر يوم حزن وكآبة .

وسرعان ماروُى ان من الضرورى ان تدخل فى حسابهم فترات اطول فقامت محاولات لايجاد عدد ثابت من الشهور تتفق ودورة الفصول ولكن ليس هناك مقياس مشترك بين وجوه القمر والسنة الشمسية وكان لابد لتحديد سنة مدنية يعترف بها فى كل مكان انتظار تركيز السلطة فى يد واحده.

وكانت اسماء الشهور فى عصر ما قبل السرجونية تختلف من مدينة الى مدينة ويبلغ عدد هذه الاسماء فى لجش وحدها خمسة وعشرين اسما على الاقل وقد ادخل احد الاصلاحات فى ايام ملوك اجاده اوغيرت بعض الاسماء على الاقل . ولم ينجح ملوك اور فى فرض قائمة واحدة لهذه الاسماء فى كل

أنحاء امبراطوريتهم إذ أن كل مدينة كانت لاتزال لديها طريقتها الخاصه للحساب والعد وليس هذا فحسب بل إن بدء السنة كذلك كان مختلفا وكان اعتراض بعض الشهور الاضافية فى نظام مخالف دون قاعدة معينة مما سبب ارتباكا جديدا فى التقاويم فهل لنا ان نعجب لهذه الحاله منذ اربعة الاف سنة فى الوقت الذى نرى فيه الناس فى اوربا اليوم فى القسطنطينية من إغريبين ويونان وأرمن ومسلمين ويهود لايزالون يستعملون تقاويم متباينة فى مدينة واحدة ؟

وقد كان تحديد السنين التى يبلغ عدد الشهور فيها ١٣ بدلا من ١٢ يتم بطريقة تجريبية . وفى بعض الأحيان أيضا كانوا يفرضون شهرا عرضيا بعد الشهر السادس وآخر يقع بعد الشهر الثانى عشر فتصبح السنة مكونة من ١٤ شهر . وقد لوحظ أن عدد الشهور الإضافية فى السنة ٥٤ من حكم دونجى قد بلغ فى « درهم » ثلاثة شهور [1] . وقد ضمن حمورابى اصلاحاته واحدا خاصا بالتقويم [2] . فقد جعل من حقه أن يقرر شخصيا متى يحل الوقت لاستبدال السنة العامة بسنة اعتراضية [3] كما حدد أسماء الشهور نفسها فى كل أنحاء الامبراطورية . ولكنه لم يدخل أى تعديل على العادة المتبعة منذ عهد ملوك اجداده حين كان يطلق على كل سنة اسم أهم حادث تم خلالها مثل اقامة تمثال أو تكريس معبد أو شق قناة أو حادث وقع أخيرا كاعتلاء الملك للعرش أو هزيمة بلاد معادية أو تعيين كبير الكهنة . وتدل هذه العادة نفسها على تقدم فى طرق الحساب التى كانت متبعة فى عصر ما قبل السرجونية حين كان الناس يبينون على اللوحة بواسطه رقم مسلسل عدد سنى حكم الأمير وذلك عندما كانوا لا يقنعون بنص كالآتى مثلا « فى هذا الوقت كان أنتمينا

(1) I, t. XVII, p. 208.

(2) I, t. XVII, p. 211.

(3) أنظر صفحة ٢٦٠

إيشا كو وكان انلى تارزى سانجو ننجرسو » .

وقد بَسّط الكاسيون حساب السنين بأن جعلوا لكل حكم عددا من السنين غير محدود يبدأ بالسنة الأولى بعد ولاية العرش وقد ظلت هذه الطريقة متبعة حتى أيام السلوكيين الذين أدخلوا تاريخهم إلى بابل واستمرت متبعة تحت حكم الارساكيين .

٧ — الطب والفلك

كان الطب البابلى طبا تجريبيا بحتا . وكان يلعب دورا أقل أهمية من مزاولة السحر فى شفاء الأمراض . وحين كان المريض يتلوى فى سريره عللوا ذلك بأن الأرواح الشريرة الموجودة من حوله وفى جسمه تؤذيه بسحرها [١] وكان واجب الساحران يطردها ومع ذلك فقد كان للطبيب دوره إذ كان يستخدم فى حالات الرمد المنتشر فى هذه الأقاليم نوعا من المراهم للعين مكونا من نباتات تطبخ فى الدهن أو خلاصة النحاس الخام فى الجعة . وكان يعطى من يشكو امساكا مزيجا من مركب النباتات المطبوخة تشرب بالجعة . وقد استخدم فى دستور الأدوية كل أنواع العناصر سواء أ كانت من أصل معدنى أم نباتى أم حيوانى كما أن روث الغزال لم يكن أشد ما تتقزز منه النفس . وكان بعض الأطباء يتمتعون بتقدير كبير . فقد كان «اورلوجال ادينا» المحفوظ ختمه باللوفر [٢] أحد المشهورين فى لاجاش فى عصر اور ننجرسو بن جوديا . وفى الألف الثانى كان ملوك الحيثيين يطلبون إلى ملك بابل أن يرسل لهم أطباء إذا مرضوا هم أو مرض أحد أقاربهم مرضا خطيرا . هذا وإن كان قانون حمورابى لم يشر إلى الأطباء إلا أنه يحدد

---

(1) LXVIII No 122 ; XLII, A. 831 ; I, t. XVII.

(2) XLII, T. 98.

أجور الجراحين تبعا لمركز المريض وهو يفرض جزاء قاسيا بسبب أى خطأ مهنى مراعيا نفس الاعتبارات .

وهناك نص من القرن الخامس هو عبارة عن مقدمة لدراسة علم الفلك يبين كيف أن العلم كان بدائيا فى هـذا العصر فالنجوم والاجرام الرئيسية وعددها ٧١ كانت مقسمة إلى ثلاث مجاميع يحكم كلا منها أحد الآلهة العظام للثالوث الأكبر : فهناك ٣٣ من نصيب انليل و ٢٣ لآنو و ٥٠ لـ « ايا » وهناك جدول آخر يبين الشروق الشمسى لبعض النجوم الهامة . وقد دُوِّنت كذلك أجور الملاحظين وهى ٤ مينا فى النهار و ٢ مينا فى الليل صيفا ابتداء من ١٥ تموز إلى ١٥ تبت و ٢ مينا نهارا و ٤ مينا ليلا أثناء بقية الشهور . وهناك قائمة ثالثة تحوى ٥٥ نجما تتفق مع الشمس فى الشروق والغروب . وهناك أخرى تبين فترات من النهار بين الشروق الشمسى و ١٦ نجما هاما . وقد تبينوا الوقت الذى تلاحظ فيه ظواهر معينة فى شروق وغروب النجوم فهناك ١٤ نجما لـ « السِّيل » تستعمل لضبط الملاحظات عن الشروق والغروب الشمسى . وكذا عن النجوم والاجرام المنتثرة على طول مجرى القمر . ومن ملاحظة السموات سعى البابليون وراء الطيرة .

٨ — الجغرافيا

لم يكن البابلى بأقل شغفا لمعرفة حقيقة شكل الأرض التى يعيش عليها . وقد استطاع هؤلاء الناس الذين تمكنوا منذ أقدم العصور من وضع أسس دقيقة لمساحة أملاكهم وأراضيهم ... استطاعوا كذلك ان يرسموا خرائط للمدن والقنوات مجمعة أحيانا فى حلقات . وقد وصلتنا خريطة مفردة للعالم الذى يمثل على شكل دائرة تبرز من خارج محيطها مثلثات مختلفة المساحة . أما التاج الدائرى فيمثل « النهر المر » أو الأوقيانوس الذى يحيط بالعالم حيث يمتـــد التأثير البابلى . أما مدينة بابل نفسها فمبينة الى يمين وفوق

الوسط . وحول المحيط من الداخل من أعلى الى أسفل نرى على اليمين مدينة أشور وأقليم دير وبيت ياقين . وهذا الاقليم الأخير الأبعد الى الجنوب تفصله عن بابل مجموعة مستنقعات . ومن بين الأراضى الواقعة فيما وراء المحيط واحدة فى الشمال «حيث لا تُرى الشمس» . أفنستطيع من وراء ذلك أن نقرر أن البابليين عرفوا الأقاليم القطبية ؟ أو أليس من المستحسن أن نعود بذاكرتنا إلى ملحمة جلجامش البطل الذى ذهب فى رحلته إلى نهاية الأرض — ربما الى الشمال الغربى — حيث يتبع الطريق الليلى للشمس فى جبال ماشو : «الظلام هناك كثيف وليس هناك ضوء» . فى مرحلة قطعها فى عشر ساعات مزدوجة [1] .

أما اللوحة التى رسمت عليها هذه الخريطة فتتضمن صورة من نص قديم عن حملات سرجون الأجادى فى أقليم طوروس [2] .

وقد استعاضوا عن عدم وجود خرائط جغرافية دقيقة بجداول تبين مثلا الأبعاد بين نقطتين أو الأقاليم الواجب عبورها للوصول من بقعة الى أخرى أو أسماء المدن والمعابد والقنوات فى اقليم ما.

* * *

ولم يحاول الكتاب البابليون ان يفرغوا جهودهم لتصنيف رسائل تهذيبيه عن نظم العقل وكان التجزد شيئا غير مفهوم بالنسبة لهم . وكانوا يقنعون بجمع حقائق فردية خاصة وحالات جامدة ، يختلف عددها قلة أو كثرة ، طبقا لقواعد تعسفية . وهـــذا هو المبدأ الذى قامت عليه اللوحات الجغرافية والرياضية والنصوص التكهنية ومجموعات القوانين وقد سادت نفس القاعدة فيما يتصل بالتعليم والآداب . ويضاف الى ذلك أنه — كما هى الحال فى المجتمعات البدائية — كانت الفكرة التى تتملك خيال المخترع يكررها بقدر

(1) XLIII p. 275 - 277.

(2) XXXI b. fasc. 6, p. 92.

ما ... يستطيع فى نفس الأسلوب فى العمل الواحد ثم يتناقلونها بغير نهاية فى القرون التالية . أما قواعد الإنشاء فى كل طراز فكانوا يتناقلونها عن بعضهم البعض دون تحريف منذ بدء سوميرو أكاد حتى بعد انهيار الامبراطورية البابلية الجديدة .

وقد لجأت أشور فى كل قرن الى مثل هذه المصادر بقصد تدريب كتابها . وحتى حماس السرجونيين لترقية الآداب والعلوم فى العصر الذى بلغت فيه امبراطورية نينوى الذروة كان يقتصر غالباً على نسخ صور من الوثائق البابلية القديمة تودع فى مكتباتهم فى نينوى .

الجزء الثانى

الحضارة الأشورية

الكتاب الاول

الحقائق التاريخية

تقع أشور الى شمال بابل وتبدأ مع السهل المرتفع لميزوبوتاميا على ارتفاع قليل عن ملتقى الأدهم ودجلة وتشغل الجزء الأوسط من حوض هذا النهر حتى كورنيب ويفصلها من ناحيه الشرق الجزء الأوسط من الزاب الكبير وجبال زجروس عن الكاسيين ويحدها شمالا جبل ماسيوس . وهى لا تصل غربا الى الهابور أو الفرات .

وليس لهذا البلد المثلث الشكل الوحدة الجغرافيه التى تتمتع بها بابل : والجزء الغربى من ميزوبوتاميا هضبة واسعة متموجة تنتشر فيها بعض التلال من الحجر الجيرى . أما فى القطاع الشرقى فيما وراء دجلة فتوجد كثير من التلال المليئة بالغابات والوديان التى تجرى فيها مجار مهمة كالكورنيب والزابان والأدهم وهو منطقة غنية فى معادنها خصبة فى الغلال والثمر . ويكوّن الزجروس فى الشرق حدا طبيعيا مكونا من سلسلة من الجبال الوعرة التى لا يوجد بها إلا ممران أو ثلاثة لا يمكن عبورها خلال فترة من السنة. ونحو الشمال تتلاحق مرتفعة الواحدة بعد الأخرى مسطحات ترتكز فى النهاية الى جبل أرمينيا. وفى الجنوب يقع السهل الفيضى الذى يسكنه البابليون. وينفرد الغرب وحده بعدم وجود حدود طبيعية وهو الاتجاه الذى ستمتد منه فتوحات الدولة الأشورية نحو البحر المتوسط ومصر . وقد ذكر ج . رولنسن ان مساحة أشور تساوى مساحة بريطانيا على حين تقرب مساحة بابل من مساحة الدنمارك [1] .

---

(1) XVI, 1914 No 54.

وأقدم الوثائق التى اكتشفت تحت أحد معابد عشتار فى خرائب أشور أول عاصمة لأشور عبارة عن تماثيل تشبه التماثيل السومرية هى : تمثال لرجل جالس ولكنه للأسف مشوه وبدون رأس. وتمثال لرجل واقف بعينين واسعتين فارغتين ورأس حليق ولكن له ذقن تكسوها لحية بخلاف ما هو متبع لدى السومريين

وقد اكتشف صدفة أثناء الحفر فى «كالاتيبة» بالقرب من «كارا ايوك» وهو تل يقع على مبعدة ١٨ كيلومترا من شمال شرق شيزارية بكبادوكيه لوحات مكتوبة باللغه الساميه وعليها أسماء مركبة من الإله أشور : أبى أشور، تاباأشور، أشور ملك، أشور موتابيل ولم يعد هناك شك فى أنه كان يوجد بهذه المنطقة النائية من أشور عباد لأشور فى القرن الرابع والعشرين قبل الميلاد وذلك بعد نشر لوحة [1] من هذه المجموعة التى يحمل غلافها رسم ختم سومرى باسم أحد خدم «أبى سن» آخر ملوك أور. وهذا الختم مزين برسومات أخرى

(شكل ٣٩)
تمثال كشف عنه فى خرائب أشور (متحف برلين)

(1) I, t. VIII. p. 142.

مقتبسة من الفن السوميرى للحفر على الحجارة الكريمة فى هذا العهد ولكن من طراز مختلف تماما يلاحظ فيه منذ ذلك العهد وفى أكثر الأحيان الميل الذى سيبرز فى الفن الميزوبوتامى الى عدم تشكيل الوجوه مقابل الاهتمام بصفة خاصة بالزينة الخارجية التى جرت العادة على أن تنقش فيها الكتابة — فضلا عن التفاصيل المتصلة بالعبادة والعادات المحلية — فى اتجاه القراءة المباشرة على الاسطوانة نفسها . وتدل النصوص على وجود مدنية تطورت تطورا كبيرا خارج نطاق الثقافة السومير واكادية كما تدل على أن لها شكلها واصطلاحاتها الخاصة التى وجدت ثانية فى أشور حتى سقوط نينوى. من ذلك أنهم بدءوا يذكرون على الأغلفة الأختام المطبوعة لجعل الوثيقة صحيحة ولكن الشهود كانوا يضعون هنا الى جانب أختامهم ختم حامل السندعلى حين نجد أن هؤلاء الشهود فى نينوى فى عهد السرجونين يذكرون فقط فى نهاية الاتفاق. وأسوة بالمتبع فى أشور كانت السنوات تعرف بأسماء الأشخاص لا الأحداث الهامة أسوة بالعادة المتبعة فى سومير وأكاد ولكن لا نستطيع القطع وقتئذ بأن الاسم هو ذاته فى أشور . أما أسماء الشهور فهى واحدة فى كبدوكيه وفى أشور .

ومن المحتمل جدا أن تجارة منتظمة فى مختلف أنواع النسيج والمعادن التى تستخرج من مناجم البلجار داج كانت تجرى مع أشور : وكانت القوافل تنزل إلى الفرات حتى نقطة اتصاله بالهابور ثم تعبر بلاد هانا التى كانت حضارتها واقعة تحت نفس المؤثرات وحيث كان جزء كبير من السكان يمارس صناعة النسيج كما حدث بالفعل فيما بعد [٢] .

وتثبت هذه المجموعة فى آسيا الصغرى وهذه الشهود للحضارة السوميرية التى كشف عنها فى اشور ان الاشوريين استطاعوا أن يكونوا فى القرن

---

(1) CONTENAU - trente tabletes cappadociennes : قارن
S. Smith, cappadocian Tablets in the British Museum.

الخامس والعشرين شعبا متميزا له علاقات بالسومير واكاديين (الذين كان لهم تأثير بين عليهم) وإن تمكنوا فى الوقت نفسه من أن يكون لهم طابعهم الخاص. أما أصلهم فلا يزال غير معروف. ويظهر أنهم كانوا قد انتشروا فى مساحة واسعة فى الألف الثالث دفعهم الآريون منها إلى اشور نفسها وإن بلادهم نفسها احتلها الميتانيون — أو احتلوا منها على الأقل الاقليم المحيط بنينوى. وإننا لنجد إلى شرق تلك المدينة بالقرب من كركوك فى الألف الثانى بعض الاريين من عباد تشوب أحد آلهة الحيثيين. ويسود الاعتقاد أن الكاسيين المستقرين فى الزاجروس من نفس الجنس.

ولعل أقدم أمير وصلتنا عنه وثيقة مكتوبة كان يدعى زاريكوم (حوالى ٢٤٠٠ ق. م.) وكان معاصرا ومن موالى بورسن ملك أور. ونسمع عن سلف له هو أوشبيا الذى ينسب إليه تشييد الأسوار وكذا كيكيا مؤسس معبد اشور. وكان اريكا بكابو أيضا أميرا قديما: ويقول «أداد نيرارى» الثالث عنه انه كان ملكا قبل حكم «سوليلو» ولكن سوليلو نفسه لانكاد نعرف عنه شيئا.

وحوالى ٢٢٥٠ ق. م ظهر «بوزور اشير» الأول ومنذئذاك تستمر قائمة الملوك الاشوريين دون انقطاع تقريبا حتى نهاية الامبراطورية.

ولقد هاجم ايلو شوما الاشورى «سوموابوم» مؤسس الأسرة البابلية الأولى ولكن يظهر أنه هزم حسب ماورد فى إحدى الوثائق البابلية وقد بنى ايلو شوما هذا معبدا للإلهة عشتار وجدد ابنه وخلفه ايريشوم هيكل الإله الوطنى الذى كان قد شيده من قبل أوشبيا كما حفر قناة عند قاعدة السيجورات وأما ابنه ايكونوم فقد جدد أسوار المدينة وكرس معبدا لـ «نكيجال» وربما كان ذلك فى نينوى. وقد شيد سرجون الأول الذى خلفه مزارا لعشتار. وأما «شامشى أداد» الأول (٢١٢٣ — ٢٠٨١) فكان معاصراً ومولى لحمورابى ولقد وضع حامية بابلية فى أشور وساعد الامير

الاشورى مولاه البابلى — أما لغرض خاص أو بدافع الضرورة — فى حربه ضد أمراء لارسا . وأننا لنجد فى وثيقة محفوظة فى متحف جامعة بنسلفانيا أن صيغة القسم تحوى اسم شامشى أداد إلى جانب اسم حمورابى كما نجد هذا الاسم نفسه فى نصوص اسطوانات مختلفة من الطراز البابلى البحت [1].

وأما بعد ذلك فيكاد يحجب الاحداث ديجور شديد الاظلام حتى القرن الخامس عشر حين استقبل تحوتمس الثالث المصرى فى العام الثالث والعشرين من حكمه سفارة اشورية قدمت له ثلاث كتل من اللازورد وأحجارا أخرى ثمينة. وتكشف رسائل تل العمارنه عن الموقف الدولى عند نهاية ذلك القرن كما تضيف الوثائق التى عثر عليها فى بوغازكوى مكان عاصمة الحيثيين القديمة معلومات لها قيمتها . وكان امنحتب الثالث يجلس على عرش مصر . وكان الشاطئ السورى خاضعا لمصر ومقسما إلى اقليمين : كنعان فى الجنوب وعامور فى الشمال . وكانت دولة الحيثيين الجار المباشرة لعامور وكانت تمتد فى آسيا الصغرى عبر طوروس كما تمتد من ناحية الشرق حتى انحناءه الفرات . وهناك كانت تلامس دولة ميتانى التى تحدها بدورها من ناحية الشرق أشور التى كانت قد أخضعتها . وأما أصل الحيثيين والميتانيين فغير معروف . وكان الميتانيون يعبدون اندرا ، فارونا ، مثرا . وكانوا قد لعبوا من زمن بعيد دورا هاما فى التاريخ : فقد غزا الحيثيون ميزوبوتاميا فى القرن العشرين واحتلوا بابل وأنهوا حكم الأسرة الأولى فى تلك المدينة (١٩٢٥ ق.م.) وكان ملكهم فى عصر امنحتب الثالث يدعى شوبليوليما وكان ملك ميتانى نسيبا للفرعون هو دوشراتا الذى كان قد زوجه من إحدى أخواته . وقد هاجمه الحيثيون ولكنه نجح فى ردهم واحتجز جانبا من الغنائم عربة وخيلا لملك مصر وكذا بعض الحلى الصدرية (حلى الصدر) للملكة أخته . وكان نفوذه يمتد حتى على نينوى حيث كانت آلهتها يمجدها البابليون والأشوريون تحت

---

(1) XLI p. XXXVI note 1

اسم عشتار — التى يظهر أنها كانت فى الأصل معبودة ميتانيـة . وكانت فى عهد الملك السابق قد قامت برحلة إلى مصر وحفظت خير الذكريات الممتعة من الترحيب الحار الذى قوبلت به هناك . وقد طلبت إلى ملك ميتانى أن يبلغ عن مقدمها حين عزمت على تكرار الزيارة .

ولقد منح فرعون فى إحدى المرات دوشراتا عشرين وزنة من الذهب وقد اثار ذلك غيرة « اشوراوبالليت » ملك اشور (حــوالى ١٢٧٠) وسرعان ما تساءل عن سبب عدم حظوته بمثل هذه المعاملة . ولقد ادعى « بورنابورياش » البابلى حق السيادة على اشور وحين سمع بالرسالة التى ارسلها اشوراوبالليت شكا واحتج على اساس أن الاشوريين « وهم من رعاياه » ليس لهم حق الاتصال المباشر بفرعون . وحقيقة الامر ان كل هذه الشعوب كانت تتنازع فيما بينها جميعا حق السيادة على الشاطئ السورى الذى كان سوقها المشترك وكان الحيثيون اقواها جميعا فاثاروا منافسين من بين الامراء العاموريين وحاولوا أن يفصلوهم عن مصر وقـد نجحوا فى السيطرة على وادى الاورونت ولـكن امنحتب الثالث ارسل جيشا واعاد النظام فانتقم شوبليوليما من دوشراتا ونهب حدود ميتانى ثم عاد الى سوريا واستولى على حلب

ويظهر ان امنحتب الرابع الذى كان قد اعتلى عرش مصر لتوه لم يشغل باله بالحروب الداخليه التى كانت قائمة فى سوريا كلها . ولقد استطاع « عزيرو » احد الامراء العاموريين ان يوسع رقعة نفوذه بعد حملة ناجحة ولـكنه اعترف بسيادة فرعون وقدم الى مصر ليعلن ولاءه له . وقد عده شوبليوليما خائنا فهاجمه وهزمه واستولى على سوريا وقضى على النفوذ المصرى قضاء تاما .

وقامت ثورة فى ميتانى وقتـل دوشراتا وخلفه ابنه « ماتى يوزا » الذى تحالف مع الملك الحيثى ولـكن « سوتارنا » ابن اخ الملك السابق استطاع ان يستولى على العرش فطرد ابن عمه الذى لجأ الى البلاط الحيثى ، وسرعان ما تقدمت اشور لاجتياح ميتانى فزوج شوبليوليما ابنته الى ماتى يوزا واعاد

له حقوقه ولكن مع معاملته كمولى . وبعد وقت قصير اعتلى مورسيل العرش الحيثى وورث امبراطورية ضخمة تمتد شرقا الى الحدود الاشورية وجنوبا الى الكرمل والجليل . ومات بعد ان هزمه سيتى الأول بالقرب من قادش على الاورونت ثم رمسيس الثانى وشهد ابناه موتاللو وخاتوسيل قواهما تضمحل حتى ذلك اليوم حين رأى هذا الاخير نفسه مضطرا الى ان يعلن السلام فى العام الحادى والعشرين من حكم رعمسيس الثانى (حوالى ١٢٧٩ ق.م .) ولكن سرعان مابدأت مصر نفسها تنحل كما بدأت بابل تفقد نفوذها. وكانت هذه هى اللحظة التى اختارها العبرانيون للاستقرار فى كنعان وبدأت جماعات من الارامين فى التسرب عبر حدود اشورو بابل .

وقد تولى « اشور اوباليت » اصلاح العاصمة التى كانت اسوراها قد دمرت حديثا ـ ربما كنتيجة لحصار ـ وقد اعاد بناء معبد فى نينوى وحارب الشوبارى فى الشمال الغربى من مملكته ووسع رقعة بلاده وقد تدخل فى بابل ضد حزب الكاسيين الذى اغتال حفيده « كارا إنداش الثانى » وأمن العرش لحفيده الاخر « كوريجالزو » الثالث . واما ابنه « ايلليل نيرارى » (حوالى ١٣٤٥) فقد وسع ايضا مملكته على حساب ارض الكاسيين الفعليه وبعد مذبحة للبابليين فى سوجاجى اغتصب اراضى اخرى من ابن اخيه كوريجالزو [1]

وقد قام « اريك دين ايلى » (حوالى ١٣٣٥) بخمس حملات مظفرة على الاقل كانت احداها ضد الهابور فى ناحيه حاران واستجلب من هناك غنائم كثيره من قطعان ما شيه واغنام .

ويحدثنا « اداد نيرارى » الاول (حوالى ١٣٣٠ - ١٢٩٠) عن حملات أسلافه ولقد كان عليه هو نفسه ان يحارب الـ « لولونى » فى الشرق وبابل فى الجنوب وهى التى فرض عليها تعديل الحدود . وقد اصلح القصر الملكى ومنشآت

(1) قارن صفحة ٥٤ وما بعدها

اخرى فى اشور ونينوى . وقد تابع ابنه سلمنصر الاول (حوالى ١٢٩٠ — ١٢٦٠) سياسة الغزو فقام بحملات ثلاث فى ناحية ديار بكير وهزم «ساتو وارا» ملك ها نيرابات وهو الميتانى القديم الذى كان قد تحالف مع الحيثيين والارامين اهلامى وثبت ملكه حتى قرقيش على الفرات . وقد اضطر ال «لولومى» فى الشرق كذلك الى دفع الجزية. ولما بسط شلمنصر على هذا النحو نفوذه على ميزوبوتاميا جميعا عول على نقل العاصمة السياسية لدولته . وكانت اشور تقع على الضفه اليمنى لدجلة الى ما دون ملتقاه بالزاب الاعلى فاختار موقع كلح على الضفة اليسرى فوق نفس الملتقى بقليل وقـــد دُمِّر فى عهـــده معبد اشور وربما كان ذلك نتيجة زلزال كما دمر معبـــد عشتار فى نينوى .

وقد غزا ابنه «توكولتى اينورتا» الأول (حوالى ١٢٦٠ — ١٢٤٠) منذ السنة الأولى من حكمه الأراضى الواقعة الى الشمال والشمال الشرقى وهى «قوتو» و «شوبارى» ثم نهب وأخضع الأقاليم الواقعة الى الشمال الغربى حتى كوما جين فتكون ضده اتحاد فى «نايبرى» فيما يجاور بحيرة «فان». ولكن الأربعين من الملوك الصغار لهذه البلاد اضطروا الى الاعتراف بسيادته ودفع الجزية له ثم استدار نحو بابل[1] حيث حكم سبع سنوات ومد غزاوته حتى الخليج الفارسى وابتنى هناك مدينة جديده سماها باسمه «كارتوكولتى اينورتا» وزودها بالمـــاء عن طريق قناة وبنى معبدا لاشور فيها كما شيد لنفسه بها قصرا . وهناك اغتيل اثناء فتنة اثارها ابنه «اشورنادين ابلا» الاول .

ولقد ظل تاريخ اشور مدى قرن من الزمان لايكاد يعرف عنه سوى القليل . واعيد تمثال مردوك الى بابل[1] كما اعاد «اشوردان» الأول (حوالى ١١٨٣ — ١١٤٥) رابع خلف لـ «اشورنادين ابلا» غزو منطقة الزاب التى

(1) قارن صفحة ٥٧ وما بعدها

كان قد اضطر لتركها للاستسلام لبابل كما غزا بابل نفسها وجلب منها غنائم قيمة. واننا لانعرف شيئا عن « موتا كل نوسكو » أما « اشوررش إيشى » الاول وهو محارب (حوالى ١١٣٥ — ١١١٥) فأننا نراه يحارب منتصرا ضد الاهلامى واللولومى والقوتى الذين كان اسلافه قد اضطروا لمحاربتهم مرارا من قبل كما انتصر على نبوخذ نصر الاول البابلى واعاد بناء او اصلاح معابد اشور وعشتار .

وبولاية « تجــلات فلا سر » الاول بن « اشوررش ايشى » (حوالى ١١١٥ — ١١١٠) نرى اشور تتقدم وتمد سيادتها حتى البحر المتوسط .

وتعدد الكتابات على المناشير من اربع نسخ التى وضعها فى أسس معبد انو و اداد « فى اشور... تعدد الحملات التى وقعت خلال السنوات الخمس الاولى من حكمه فنراه اولا يهاجم الموسكيائيين الذين يقطنون الجبال الى شمال كوماجين : والذين كان عليهم ان يؤدوا جزية لاشور فى ايام « توكولتى اينورتا » ولكنهم كانوا قد استطاعوا أن يستعيدوا استقلالهم الكامل منذ نحو ستين عاما . ونزل ٢٠٠٠٠ رجل تحت قيادة خمسة ملوك الى كوماجين فجمع الاشورى جيوشه وعبر تلال الكاشيارى فوق نسيبا ، وانقض على كوماجين وأسر ٦٠٠٠ أسير واستحوذ على غنيمة طائلة كما قطع رءوس القتلى وزين بها اعلى قمم اسوار المدن . وبهزيمة كوماجين ضمت الى الامبراطورية والحقت بها . وفى العام التالى تقدم الملك نحو جبال ارمينيا — وذلك بناء على طلب اشور فى الوقت الذى كانت جماعات من الجند تغير على كردستان — فى غابات لا يستطاع اختراقها لم يرتدها أى ملك من قبل «... تقدم فى هذه المنطقة الوعرة التى يتعذر استخدام المركبات فيها ... تقدم بالمشاه فقط واكتسح كورهى والا « هاريا » وحمل آلهتهم اسرى ونفى الاهلين وصودرت ممتلكاتهم واحرق مدنهم. ثم بدأ الحرب ضد الا « نا ييرى » وحاول ٢٣ من صغار الملوك

ان يدافعوا عن اراضيهم ولكنهم هزموا وطردوا حتى بحيرة فان واضطروا الى قبول حماية اشور وتسليم ابنائهم كرهائن وتوريد ١٢٠٠ حصان ، ٢٠٠٠ رأس من الماشية كجزية .

وفى السنة الخامسة من حكمه ، بعد تحديد يوم ملائم بواسطة حلم ، غادر « تجلات فلاسر » اشور ونزل إلى أرض سوهى وفى صعوده إلى الفرات دمر آرام النهرين التى كان يحتلها الاهلامى ووصل إلى قرقميش وهى قلعة الحيثيين على الفرات وعبر النهر وأخضع بلاد موتسرو التى تمتد من الطوروس إلى ما وراءه وواصل فتوحاته إلى أرض عامور . وصاد الملك جاموسة عند سفح لبنان وركب البحر فى أرواد وقتل كلب بحر (قرش) فى البحر المتوسط . وأصبح الشاطىء وحده تحت حكم أشور التى لم تكن تجرؤ بعد على مهاجمة ممالك الآراميين فى تشوبا ودمشق ولا حتى على مقاطعات صور وصيدا اللتين كانتا قد استعادتا استقلالها .

ولقد استطاع « تجلات فلاسر » بعد سنوات خمس من ولايته للعرش أن يفخر بأنه أخضع ٤٢ شعبا بملوكهم .

أما خلفاؤه المباشرون فلم يستطيعوا إن يسيطروا على مثل هذه الامبراطورية الشاسعة واستطاعت الولايات البعيدة أن تخلع النير عن كاهلها واحدة بعد الأخرى وذلك فى مدى قرنين من الزمان .

وقد أعاد « تجلات فلاسر » بناء معبد انو ، أداد فى أشور ذلك المعبد الذى كان قد شيده « شامشى أداد » منذ ستة قرون ونصف ودُمِّر فى خلال حكم « اشوردان » الذى كان قد اعتزم إعادة بنائه ولكنه لم يستطع أن يفعل وقد أصلح أيضا معابد اشور الأخرى وكذلك القصور الملكية وأقام من جديد أسوار المدن واستورد الخيل من البلاد التى فتحها وكذا الحمير والماشية كما استورد للصيد الملكى قطعانا حقيقية من الماعز الوحشى وأمر باستجلاب نباتات لم تكن معروفة فى أشور لتزرع فى الحدائق.

والأراضى الملكية .

وقد حارب تجلات فلاسر مرتين ضد بابل خلال النصف الثانى من حكمه وأما ابنه « اشور بعل كالا » فقد عقد معها الصلح وتزوج من ابنة الملك البابلى . ولم يستطع إشور رابى الثانى أن يمنع الآراميين من أن يستردوا مدن بترو ومو تكينو . وأما خلفه الرابع ادادنيرارى الثانى (حوالى ٩١٠ - ٨٩٠) فقد بدأ فى بعث اشور فاشهر حربا انتصر فيها على بابل ثم عقد حلفا معها . وكان ابنه « توكولتى اينورتا » الثانى فاتحا عظيما (٨٩٠ — ٨٨٤) : إذ كان يقوم بحملة كل عام ويكتب يومياته أثناء حملاته ويظهر من يوميات حملة العام الأخير أنه خرج من اشور ونزل فى مجرى الترتار إلى الصحراء المجدبة ثم وصل إلى دجلة مارا «بدوركاريجالزو و«سيبار» ثم صعد مع الفرات حتى الهابور متابعا السير عن طريق بيت حالوبى والشاديكانى ونسيبا متجها نحو بلاد الموسكيين .

ويعتبر «أشور ناتسير ابلا» الثانى (٨٨٤—٨٦٠) ابن«توكولتى اينورتا» أحد أمراء الأشوريين الذين تركوا نقوشا وآثارا مرسومة كثيرة . وتوجد كتابات ورسوم له فى أطلال قصره بكلح وفى معبد اينورتا وعلى نقوش بارزة وعلى سلة وعلى تمثاله وعلى مذبح وفى كل مكان توجد كتابات أو رسوم له . وكرجل رمم كلح نراه يملؤها بالأسرى الذين أستجلبهم من الأقاليم التى فتحتها أسلحته وأتى بمياه الزاب عن طريق قناة زرعت ضفتاها بالأشجار .

ولقد هاجم كردستان فى حملته الأولى وفتح «كيرهى» الواقعة الى شمال « كاشيارى » ، وكوّم جماجم أعدائه فى شكل هرمى . وفى خريف العام نفسه غزا كوماجين وتسلم هناك جزية من الموسكيين ولكن « بيت حالوبى » ثارت ضد حاكمها الأشورى فأسرع الملك الى هناك مع جيوشه



(شكل ٤٠) لوحة أشور نصير أبلا الثاني

وقبض على المغتصب والثوار الآخرين ، وحكم بالموت على واحد أو أثنين منهم ولف بجلودهم أثرا أقامه أمام بوابات المدينة، وأما جثثهم المقطوعة الرءوس فقد وضعت فوق الخوازيق وعلقت رءوسهم كتاج فوق الأثر ونقل المدعى الى نينوى حيث سلخ حيا وعلق جلده بالمسامير على حوائط المدينة .

وفى عام ٨٨٣ ق . م . علم بعد أن تسلم فى نينوى هدايا « إيلو ابنى » محافظ سوهى — علم أن المستعمرة الأشورية التى أقامها سلمنصر الأول فى هالزيلوها قد ثارت فقام إليها ليقر النظام ومر خلال منبع سوبنات وأقام لوحة له بجوار لوحات تجلات فلاسر الأول وثوكولتى اينورتا الأول ثم اخترق كاشيارى ووصل الى كينابو مركز المقاومة وأخذ نائب الملك حيا وسلخه ووضع جلده فوق حائط مدينة دامداموسا . أما « توشها » فى « زبو »

فقد أعيد بناؤها وشيد قصر بها كما أقيمت لوحة ملكية هناك. ولما أضر الجوع بالمستعمرين الأشوريين القدماء هربوا الى شوبرى واستقروا فى تلك المدينة الملحقة بالأملاك الملكية وخضعت نربو بأكملها وأتت بيت زمانى والشوپرى والـ نردون والاورومى وكل النايبرى ليقدموا ولاءهم.

وفى عام ٨٨١ ق. م. حدثت ثورة وتكتل عدائى فى أقاليم الزاجروس. وسد الثوار الممر البابيتى بواسطة متراس ولكن الممر اغتصب ودمرت ١٥٠ مدينة وقرية وعاد الملك فى عام ٨٨٠ الى زاموا للمرة الثالثة. وفى العام التالى دخل إلى كومّاجين وكرس قصرا لـ « توليلى » وتسلم الجزية ثم اخترق ممر عشتارات وتوقف عند كيبالكى. ولما كان سكان كيرهى قد هربوا فانه طاردهم فى الجبال وقطع أيدى أولئك الذين وقعوا أحياء بين يديه. كما دمر فى نايبرى ٢٥٠ قرية وعند عودته عبر دجلة ونزل حتى الفرات وقابل أمير سوهى حليف ملك بابل الذى خرج لمقاتلته. ولكن هذا الأمير هزم وتم الاستيلاء على مدينته وأخذ القائد البابلى أسيرا. ولم يكد الملك الأشورى يرجع الى كلح حتى وصل الى علمه أن ثورة جديدة قد قامت فى « سوهى » و « هندانو » و « لاقى » فسار فى طريق مضاد للطريق الذى كان قد سلكه « توكولتى اينورتا » الثانى وهزم التكتل وبنى مدينة على كل من ضفتى النهر هما : « كاراشور ناتسير ابلا » على أحد الجانبين و « نيبارتى أشور » على الجانب الآخر.

وفى عام ٨٧٧ ق. م. تقدم نحو قرقميش فأسرع « سانجار » ملك الحيثيين ليقدم له هدايا ذات قيمة وكذا رهائن. وبعد عبور الفرات تقدم نحو أرض « هاتّين » التى قدم ملكها « لوبارنا » حرسا وأثاثا وعتادا حربيا وعبيدا ومعادن ثمينة وحيوانات. وعبر الجيش الاورونت وسانجورا وغزا أرض لوهوتى فى جنوب حماة على الضفة اليسرى للأورونت وتقدم الملك نحو البحر المتوسط وغسل أسلحته فى البحر وقدم التضحيات متبعا فى ذلك الطقس القديم للأمراء السومير وأكاديين. ورغم استمراره فى التقدم غربيا

فانه قنع بجزية من صور وصيدا وجبيل (بيلوس) ومهالاتا ومايتسى والعامور وأرواد . وكان من الفطنة بحيث عرف أين يتوقف قبل أن يدخل فى صراع مع مملكة دمشق القوية .

وعند عودته من حملته أمر بقطع الارز فى أمانوس لاحضار خشب من أجل تشييد مبانى كلح (نمرود) حيث أسس عاصمته. وقد أعيد بناء هذه المدينة وهى المقر الصيفى القديم لاسلافه وهدم القصر القديم الذى كان قد شاده شلمنصر الاول منذ أمد طويل وحل مكانه مبنى أضخم منه . وقد كشف هناك عن تمثال للملك ولوحة مستديرة مكونة من قطعة واحدة أما النقوش الملونة التى زينت بها واجهة الحوائط فانها تسمح لنا بدراسة الفن الاشورى للقرن التاسع وأن نتابع الملك فى حربه أو خروجه للصيد وأن نرقب الامراء المعادين وهم يقدمون خضوعهم وأن ندرك لمحة صحيحة من كثير من تفصيلات الحياة الاشورية .

وأما ابنه شلمنصر الثالث (٨٥٩ — ٨٢٤) فقد كان جنديا محاربا قاد ٣٢ حملة فى مدة حكمه البالغة ٣٥ عاما . ولم يكد يعتلى العرش حتى توجه إلى سوريا ليتسلم جزية صور وصيدا . وفى السنوات التالية دعم نفوذه فى « اورارتو » و « نايرى » . وفى عام ٨٥٤ ق . م . عاد إلى سوريا وغزا مملكة « حماة » التى كانت تسند ملكها « ايرهولينى » قوة متآلفة على رأسها «اداد إدرى» الدمشقى الذى أنزل إلى الميدان ١٢٠٠ مركبة ، ١٢٠٠٠ خيال ، ٢٠٠٠٠ من المشاة . أما « أشاب » ملك اسرائيل وهو صهر ملك صيدا فقد أرسل ٢٠٠٠ مركبة ، ١٠٠٠٠ رجل . وأما « قى » و « موتسرو » وهى أقاليم من كيليكيه الشهيرة بخيلها فلم يرسلوا سوى المشاة . كما ساهمت بنصيبها أربع مدن فينيقية والبعثة الأمونية . وجهز ملك عربى ١٠٠٠ جمل . وأما صور وصيدا فقد امتنعتا عن الاشتراك فى هذه الثورة واستمرتا بفطنة تدفعان الجزية .

وقامت المعركة فى قرقار بالقرب من الأورونت وطبقا لما جاء بالسجلات الأشورية فان السهل كان أصغر من أن يتحمل الأعداد الضخمة من الجثث وأن الأرض الواسعة لم تكن تكفى لدفنها وقد أفعم نهر الأورنت بجثث الأعداء وأقيم منها معبر على الأورنت . والواقع أن النتيجة لم تكن حاسمة فان شلمنصر لم يجسر — أو هو لم يستطع — أن ينتفع من النجاح الذى يفخر به . وقد عاد إلى أشور بعد رحلة بحرية .

وفى عام ٨٥٣ ق . م . قاتل فى منطقة منابع دجلة وفى البلاد المحيطة ببحيرة فان وقد شق طريقه مرتين إلى بابل (٨٥٢ ، ٨٥١) ليسند « مردوك زاكر شوم » الذى كان أخوه « مردوك بعل اوشاتى » قد رفع لواء الثورة ضده . وفى ٨٥٠ أغار على سنجار ملك قرقميش ، وأرامى ملك ارنى عند سفح الأمانوس . وفى العام التالى قام بحملة ثانية ضد أرض حماة وقاتل ملك دمشق وأحلافه الذين قاموا بحرب ثانية بعد ثلاث سنوات (٨٤٦) . وعلى أية حال فانه عند موت «أداد إدرى» استولى مغتصب يدعى حازائيل على عرش دمشق ومات كذلك « أشاب » وانحل الحلف . فلما عاد الملك الاشورى للنزال فى ٨٤٢ واجهه حازائيل منفردا وكان قد حصن نفسه على الـ «سانير» عند مدخل سوريا المتكتلة ولكنه لم يستطع أن يصمد أمام الهجوم وانسحب إلى دمشق فخرب الجيش الأشورى الاقليم المحيط ودمر حوران وعاد ليعسكر عند مصب نهر الكلب حيث احضرت صور وصيدا واسرائيل جزاها . وأهم الآثار المرسومة لهذا الحكم مسلة مزينة بنقوش وبعض لوحات من البرونز المطروق عثر عليها فى خرائب القصر الصيفى الذى بنى فى امجور ايلليل (بالاوات) .

وقد أظلت أخريات سنى الحكم من جراء ثورة الابن الأكبر للملك المدعو «اشور دانين ابلا» الذى انحازت إلى صفه معظم مدن اشور . وقد استغرقت الثورة أربع سنوات حتى مات شلمنصر (٨٢٤) . وكان على ابنه الأصغر

« شامشى أداد » الخامس أن يتابع الصراع مدى عامين آخرين قبل أن يتم له النصر . وقد حارب أيضاً في نايرى حيث قاد ثلاث حملات . بل وأكثر من ذلك نراه يتدخل في بابل ويدحر «مردوك بالاتسو إقبى» في «دور پابسوكال» وبعد مدة استطاع أن يهزم ويأسر «باو آحى أدين» خلف مردوك بالاتسو اقبى . وما زال إسم زوجته «ساموراماتـ» التى كشف عن لوحتها في أشور مشهوراً في صورته اليونانية « سميراميس » .



(شكل ٤١) جزية يهو ملك اسرائيل
(المتحف البريطاني — مسلة شلمنصر)

وقد خبا ضوء العظمة الاشورية خلال حكمه لفترة قصيرة فقد أضعفتها الحروب الداخلية ولما خط الملك حدود امبراطوريته لم يجسر على أن يدفعها غرباً إلى ماوراء الفرات .

أما ابنه « أداد نيرارى » الثالث (٨١٠ — ٧٨٢ ق . م .) فانه لم يضمن حدوده فتوح شلمنصر الثالث فحسب بل مدها من الخليج الفارسى وحدود عيلام حتى صحراء مصر . ولكن التوسع لم يكن يستحق الذكر في ناحية الشرق أو الشمال : وكان الميديون قد بدءوا يتحفزون ولم تكن اورارتو التى هزمها شلمنصر عام ٨٢٩ وشامشى اداد عام ٨١٩ ق . م . لتقبل الهزيمة ولكنها استغلت كل فرصة لمحاولة استعادة استقلالها .

وقد حارب شلمنصر الرابع (٧٨٢ — ٧٧٢) الاراميين الذين كانوا يحاولون الانتشار في ميزوبوتاميا فقادت حملات في اورارتو وواحدة في ناحية جبل امانوس (٧٧٥) واثنتين ضد دمشق (٧٧٣) ومدينة هزرق (٧٧٢) على التوالى .

وتابع اشوردان الثالث (٧٧٢ — ٧٥٤ ق. م.) الصراع ضد الأراميين (٧٦٩) فارسل حملة إلى ميديافى ٧٦٦ وضد هزرق فى السنة التالية. وانتشر الطاعون فى أشور وكسفت الشمس فى سيانو (٧٦٣) وكان ذلك كافيا كى يوحى للناس بعقوبة السماء. وثارت اشور وتابعتها فى ذلك، محتذية مثالها مدن أخرى كثيرة. ولم يستطع الملك أن يعاود الكرة ضد مدينة هزرق إلا بعد عشر سنوات من تاريخ حملته الأولى ضدها.

ولم تقم حروب فىالسنوات الأربع الأولى من حكم اداد نيرارى الرابع (٧٥٤ — ٧٤٦) ولكنا نراه يقوم بحرب فى عامى ٧٤٩، ٧٤٨ ق. م. ضد « نامرى » فيما وراء الزاب الأسفل وثارت كلح فى عام ٧٤٦ ق. م. وحارب تجلات فلاسر الثالث الذى ربما كان أحد أشقاء الملك ... حارب العصاة وأننا لنراه فى العام التالى وقد اعتلى العرش. ولقد كان أميرا عظيما (٧٤٥ — ٧٢٧) استطاع أن يرتفع بأشور فوق كل جيرانها وأن يجعل لها سيادة مطلقة دون منافس. ولما استحوز على الملك فى الثالث عشر من أيار عام ٧٤٥ ق. م. هاجم نابو ناسار البابلى فى خريف تلك السنة ونهب مدينتين أو ثلاثا فى أكاد وحمل آلهتها أسرى وعند موت نابوناسار انتهز فرصة الحرب الأهلية فعاد إلى أكادو « أخذ يد بعل » وجعل من نفسه « ملكا على سومير وأكاد وملكا على الأقاليم الأربعه » تحت اسم پولو (٧٢٩).

ولقد انتهز الأراميون فرصة الانحلال المؤقت لآشور لينتشروا فى ميزوبوتاميا وعرف تجلاث فلاسر الثالث حوالى ٣٥ قبيلة من قبائلهم «مستقرة على ضفاف دجلة والفرات والسوارپو حتى الاوكنو (كرخا) على ضفاف البحر الأدنى»

ولقد قام بحملات أربع ضد مدينة «أرپاد» وتدخل فى الشئون الداخلية لـ « يودى » كى يعيد إلى العرش بانامو الثانى الكارى الذى قتل أباه أحد المغتصبين وقد قدمت له الجزية كوماجين ودمشق وصور وصيدا وبيلوس

(جبيل)وقى وقرقيش وحماة وجورجوم ومليد ومدن أخرى فى كيليكيا ومليثين وأخيرا زيبية ملكة سبا فى بلاد العرب .

ولقد اتبع تجلاث فلا سر الثالث طريقه جديدة فى الغزو اذانه كان ينفى سكان الاقاليم المغزوه ويحل حكاما اشوريين فى مكان الملوك المهزومين . وقد اقر فى المنطقة الواقعـــه من حماة إلى الشاطىء اقواما استحضرهم من لولومو فى الزاجروس ومن نايرى قرب بحيرة فان .

وفى٧٣٧ ق . م . قامت حرب فى الشرق ضد ميديا . وفى ٧٣٥ حدث توسع جديد الى ناحية الغرب فكانت هناك حملة ضد فلسطى ونهبت غزه ووضع هوشع على عرش اسرائيل . وفى٧٣٣ و ٧٣٢ قامت حروب ضد دمشق وتنافس العرب الذين كانوا يعيشون على حدود اراضى الغرب . فى سرعة ارسال الذهب والفضة والجمال والعطور للمرة الاولى : وكانوا يأتون من تيما وسبأ وبادانا فى ارض مدين ومن مدن كثيرة اخرى .

وقد تدخل فى شئون اسرائيل عندما قامت ثورة ضد صنيعته هو شع كما ثبت فى عسقلان سلطان روكبتو الذى كان ابوه قد تنازل عن العرش واستولى مقابل تدخله هذا على جانب من الامارة ثم عين أحد الحكام على العرب انفسهم .

وقد ترك تجيلاث بلا سر عند موته لابنه امبراطورية اوسع مساحـــة واقوى تنظيما منها فى أى وقت سابق .

وحكم شلمنصر الخامس(٧٢٧ — ٧٢٢) مدى ست سنوات . وقد عرف فى بابل تحت اسم « اولولاى » . ولقد كان حاكما على فينيقيا منذ حملة عام ٧٣٣ ق.م ولما عاد من هناك الى اشور ثارت صور فاضطر الى معاودة زيارة شواطىء البحر المتوسط والتوجه جنوبا لتسلم جزيه هوشع وسرعان ما كان ملك اسرائيل يتآمر مع مصر فخرج الجيش الاشورى ليحاصر عاصمـــته ساماريا مدى ثلاث سنوات .

السرجونيون

مات شلمنصر فى الشهر العاشر من عام ٧٢٢ ق . م. وبعد ايام قلائل اعتلى عرش اشور سرجون الثانى (٧٢٢ — ٧٠٥) وهو من اصل مجهول. وقبل نهاية العام استسلمت سامريا وتبعا للخطة التى استنها « تجلات فلاسر » الثالث طرد الاسرائيليين ... البعض منهم الى ناحيه حران والبعض الى ضفاف الهابور والبعض اخيرا الى ميديا . وقد حل محلهم الاراميون من اقليم حماة ثم لحق بهم العرب هناك فى عام ٧١٥ وكذا بعض الاهلين من كوثا وبابل فى ٧٠٩.

وقد ثارت بابل فى بدايه عام ٧٢١ ق.م. واستطاع مروداخ بالادان الثانى الآرامى من بيت ياكين ان يستولى على السلطة وان يحكم مدى اثنى عشر عاما . وقد عقد حلفا مع هو مبانيجاش ملك عيلام الذى هزم الاشوريين فى دير .

وكان تقدم اشور نحو شاطىء البحر المتوسط قد بدأ يقلق مصر فنجح سيبو قائد جيوش فرعون الذى كان قد عقد اتفاقا مع هوشع ملك إسرائيل فى بداية حكمه نجح فى تجميع حلف تحت قيادة « ياؤو بعدى » ملك حماة وقد أسهمت فيه ارپاد وسميرا ودمشق وسامريا . وتمت المعركة فى قرقار كما حدث فى عهد شلمنصر الثالث وأخذ «ياؤو بعدى» اسيرا وسلخ حيا . وقد تكاثر الاشوريون فى حماة تحت قيادة احد القواد .

وقد أعيد تكوين التحالف بعيدا الى الجنوب بزعامة «سيبو» وجر وراءه ملك غزة فهاجمهم سرجون واضطروا الى التراجع نحو رفح على حدود مصر وهرب سيبو تحت ضغط الاشوريين وحمل ملك غزه اسيرا الى اشور .

أما فى شمال الإمبراطورية فقد كان احد القواد الطموحين لـ « اورارتو » وهو « اورسا الاول » يحاول ان يثير الدسائس منذ عشر سنوات فاستولى

ميتاتى من زيكارتو فى عام ٧١٩ ق‌م بايعاز منه وبدون قتال على مدينتين ولكنهما استعيدتاودمرتا بالنيران وطرد اهلوهما إلى سوريا .

وفى الغرب بدأ ملك الموشيين المدعو ميداس بن جورديوس الفريجى يتحرك كنتيجة لنفس المؤثر . وفى عام ٧١٧ ق.م خلع «بيسيريس» الملك الحيثى لقرقميش واصبحت مدينته مستعمرة اشوريه وفى الأعوام التالية قامت حملات جديدة ضد اورارتو كما اجتيحت فى عام ٧١٦ البلاد الواقعة فيما بين بحيرتى فان واورميا وقامت غارة جديدة فى عام ٧١٥ . وفى عام ٧١٤ قامت حملة أخيرة انتهت بموت اورسا .

ثم استدار سرجون الى ناحية كيليكيا وتابال وموسكو واستطاع فى عام ٧١٣ ق.م. ان يبسط نفـــوذه حتى هاليس واستورد من هناك الاحجار والمعادن والاخشاب الثمينة لتشييد « دورشاروكيين » . وهى المدينه الجديدة التى انشئت فى شرق نينوى على موقع قرية ماجانوبا

ويتميز عام ٧١١ بحملة على فلسطين ذلك لان ملك اسدود كان قد تمرد وحاول بتحريض من مصر ان يحمل الفلسطينيين واليهود والاودميين والموآبيين على التمرد فخلع ولكن الشعب رفض ان يعترف بالملك الجديد الذى نصبته اشور فهزمت جاث مع الاسدوديين وضمت الى الامبراطورية تحت رعاية حكام من القواد . وعندئذ حاول سرجون ان يعيد فتح بابل . وقد استهدفت قبيلة جامبولو للهجوم الاول وتجمعت قبائل اخرى على طول الكرخا حيث حوصروا واضطروا للتسليم . وقامت مظاهرة على حـــدود عيلام وهرب «مروداخ بالادان» وفتح كهنة بابل بوابات المدينة للمنتصر !

وفى بداية عام ٧٠٩ ق . م . أخذ ملك أشور بـ « يد بعل » وأصبح الحاكم الشرعى لبابل وعندما هدأ اقليم الفرات الأدنى أُقر فيه المنفيون من الأقاليم الحيثية وكوماجين كما أنشئت نقط للمحافظة على الأمن على طول حدود عيلام. ولأول مرة نرى ملك دلمون على الخليج الفارسى يرسل جزية وكذلك يفعل ميداس

الذى قهر نهائيا . كما أرسل سبعة ملوك من جزيرة قبرص هدايا وسمحوا باقامة لوحة فى ستيوم (لارناكا) أمر سرجون بأن تحفر عليها صورته الملكية ورموز الآلهة العظمى لبابل وأشور .

وفى عام ٧٠٨ أصبحت كوماجين مقاطعة أشورية تحت قيادة حاكم مزود بقوات حربية عظيمة . وفى العام التالى افتتح سرجون القصر ومدينة دور شاروكين بعد رحلة فى جنوب كلديا ولكن لم يقدر له أن ينعم بهما طويلا وذلك لأنه قتل فى الشهور الأولى من عام ٧٠٥ ق . م .

وكان سرجون قد أتقن الطريقة التنظيمية التى وضع أسسها تجلات فلاسر فهو لم يكتف بأن نفى الشعوب المغلوبة على أمرها وعمل على مزجهم بأجناس مختلفة بل أنه استن طريقة جديدة للاندماج والاحتلال بأن جعل بعض الأشوريين يستوطنون فى المدن الرئيسية المغزوة . ورغم ذلك فان الحيوية الخاصة بالشعوب المنقولة ظلت تنمو حتى اضطر خلفاؤه الى الدخول فى حرب ليحافظوا على تماسك المجموعة .

وقد أنشأ سرجون مكتبة نينوى كما شجع التجارة عن طريق إنشاء أسواق جديدة والزراعة عن طريق عمل خزانات وقنوات . وكان قصره فى دور شاروكين مزخرفا بالنقوش التى تجدر دراستها مع مقارنتها بنقوش قصر أشورنا تسير ابلا فموضوعاتها لم تتغير تقريبا ولكن الذى تناوله التغيير كان الأسلوب : فأصبح الأشخاص أكبر من الحجم الطبيعى كما تطورت النقوش وانتشرت . ولعل الأسد البرونزى المقيد ككلب الحراسة عند بوابات هذا القصر يعتبر كمثل من أروع أمثلة الفن الأشوى [1] .

ولم يكد سناخريب (٧٠٥ — ٦٨١ ق . م .) ابن سرجون يعتلى العرش حتى ظهر مدع استطاع أن يستولى على السلطة فى بابل فخرج مروداخ بالادان من مستنقعه وطرده فى الشهر التالى (٧٠٣) وحكم هو مدى تسعة شهور .

---

(1) شكل ٥٣ .

وقد اعتمد — كما كانت الحال من قبل — على القوات العيلامية لتسنده .
وحالما خرج ملك أشور لمهاجمته جمع قواته بالقرب من كيش على مبعدة ثلاثة فراسخ من عاصمته. ولكن الأشورى هزمه واستقبلته بابل استقبال المنتصرين.
وقد وضع الملك الأشورى عليها «بعل ابنى» بمثابة نائب ملك (٧٠٣—٧٠٠)، وهو بابلى نشأ فى بلاطه . ثم أمضى عاما كاملا فى تحطيم قوى القبائل الأرامية للفرات الأدنى وهم أولئك الذين كان العرب قد تسربوا بينهم والذين كثر عددهم فى أوروك ونيبور فى سومير وفى كيش وكوثا فى أكاد . ثم ارتد مرة أخرى ضد الأراميين فى ميزوبوتاميا ونفى وطرد أكثر من مائتى الف من بينهم . وقام بغارة على الكاسيين وبسط عليهم نفوذ حاكم أرافا ثم أكمل عمله فى الشرق ببعض المظاهرات على حدود ميديا .

وأما فى الغرب فلم يكن ملك صور ليستطيع أن يحتمل خضوع الأمراء القبرصيين لاشور وهم الذين كانوا يدفعون الجزيه من قبل ويتجرون مع مدينته ولذا نراه يرسل جيوشا لاستعادة « ستيوم » وهى المدينة التى كان سرجون قد أقام فيها لوحته . فأرسل سناخريب فى عام ٧٠١ جيشا قويا وجهه ضد صور ولم تحاول صيدا أو عكا أو المدن الأخرى الساحلية المقاومة ولكنها فتحت بواباتها للاشوريين فهرب ملك صور الى قبرص حيث مات بها . أما المواطنون فنظموا الدفاع عن المدينة التى ظلت مصونة . أما فينيقيا التى كانت قد نظمت شئونها كولاية واحدة فقد قررت عليها جزية .

أما فى كنعان فان مصر كانت قد استمرت تدبر اشاعة الاضطراب فيها وكان عنصر التآمر صدقيا العسقلانى وقد انضوت تحت لوائه يافا وأكرون وأورشليم ولكن صدقيا هزم وأسر ونهبت مقاطعة يافا فأرسل أمراء الدلتا وفرعون مـــددا . وقامت الحرب فى سهل الى جنوب أكرون وخرج الاشوريون من المعركة منتصرين واستولوا على المدينة وعلقوا جثث زعماء الثوار على الاسوار ثم اتجه نحو يهوذا واستولى على ٤٦ قرية محصنة وحاصر

أورشليم وتمردت حامية المدينة مما اضطر الملك حزقيا الى المفاوضة وتعهد بدفع جزية قدرها ٣٠ وزنه من الذهب مضافا إليها ما زنته عشرة أمثال ذلك من الفضة . كما رأى نفسه مضطرا علاوة على ذلك الى قبول الانتقاص من مقاطعته .

وقد وجد سناخريب نفسه مضطرا عقب عودته الى أشور الى مقاتلة « بعل ابنى » ملك بابل الذى خان عهده ولم يبر بقسمه . فطارد « موشزيب مردوك » الكلدانى الذى كان قد أعلن استقلاله وكذا « مروداخ بالادان » الثانى الذى هجر « بيت ياكين » وركب البحر وهرب الى « ناجيتى رَقّى » . وبأسر « بعل ابنى » وضع « أشور نادين شومى » ابن الملك الاشورى على عرش بابل (٧٠٠ — ٦٩٣) .

وفى عام ٦٩٩ ق . م . قامت حملة الى كردستان والاقليم الغربى لبحيرة فان وفى عام ٦٩٨ اتجه جيش لاخضاع كيليكيا التى كان حاكمها قد رفع لواء الثورة فأسر وأحضر الى نينوى وسلخ حيا . وفى عام ٦٩٥ قامت حملة الى أرض تابال .

ويتميز عام ٦٩٤ ق . م . بعملية حربية جديدة تماما — لم يكن لدى سناخريب أسطول ليطارد « مروداخ بالادان » إلى عيلام بحرا فأمر بانشاء أسطول جزء منه فى «كارشولمانو أشاريد» و (برجيك) على الفرات والجزء الآخر فى نينوى على دجله . وقد استغرق انشاء هذا الأسطول عاما كاملا وكان العمال صوريين وصيدائيين وقبرصيين وابحرت السفن من نينوى حتى أوبيس حيث نقلت برا حتى قناة اراهتو التى استطاعوا بواسطتها الوصول إلى الفرات . وتم ضم جزءى الأسطول فى «باب ساليميتى» واتجه الأسطول كله إلى مصب الأولبوس . وهزم « مروداخ بالادان » وأخذ جنده والجيوش العيلامية التى سندته إلى الأسر . وسرعان ما دخل المعركة « هاللودوش » ملك عيلام وغزا بابل وثار السكان ضد «اشور نادين شومى» وسلموه للعدو

وأعلنوا المدعو « نرجالشزيب » ملكا عليهم . وعاد الجيش الاشورى وانتشرت المذابح فى كل مكان وأسر نرجال شزيب بالقرب من نيبور . أما « موشزيب مردوك » فقد ظهر مرة أخرى وعقد حلفا مع عيلام.

ولقد حاول الملك الاشورى أن يستغل — فى نهاية عام ٦٩٣ — ثورة قامت فى عيلام استطاع « كوتور ناهوتى » من ورائها أن يخلع «هاللدوش». وقد تراجع العيلاميون فى مبدأ الأمر إلى الجبال ولكن الأمطار والثلوج سقطت بغزارة فى بداية عام ٦٩٢ حتى اضطر الجيش الاشورى إلى التراجع ومات « كوتور ناهوتى » بعد ذلك بفترة قصيرة وخلفه أخوه الأصغر « أومانيجاش » وقد أرسل جيوشا ضد أشور بناء على التماس ملك بابل : فقامت معركة كبيرة فى هالولى التى لا تبعد كثيرا عن ملتقى التورنات بدجله ولكنها لم تكن حاسمة (٦٩٠) .

وفى نفس العام بسط سناخريب سلطانه على بعض القبائل العربية التى هربت جيوشها إلى ناحية أدومّاتو (الجوف) عند مدخل نفود « وهو مكان مجدب لاطعام فيه ولا شراب » وقد سار ملك أشور على طرف الصحراء حتى الحدود المصرية ونصب معسكره فى لا شيس وأرسل من هناك رسلا إلى حزقيا ملك يهوذا فاسرع طهرقة الملك الاثيوبى نحو الميدان وتجهز الجيش الاشورى للمعركة ولكن بعد ما تحمله من حرمان من جراء قسوة الطبيعة فى أقاليم الصحراء هلك جزء كبير منه يضاف إلى ذلك ما قاساه من جرّاء وباء انتشر عن طريق الفيران فدفع ذلك كله الملك إلى أن يتخلى عن خطته التى كان قد دبرها للمعركة وأن يأمر بالانسحاب

وكان «موشزيب مردوك» فى بابل يثير متاعب جديدة فقرر سناخريب أن يضع حدا لذلك فاستولى على المدينة وجعل عاليها سافلها واشعل فيها النيران ثم أغرقها . وبعد ثمانى سنوات أى فى العشرين من تبت من عام ٦٨١ ق . م . بينما كان الملك يصلى فى المعبد اغتاله ابنه « اراد ملكات » و

« ونابوشار أوتسور » الذى سمى العام المذكور باسمه .

وقد جدد سناخريب نينوى التى كان سرجون قد هجرها وزودها بكمية وافرة من ماء الشرب وبنى بها قصرا زينه بالنقوش التى بدأت تظهر فيها الصفوف العليا من اللوحات المصورة وميل واضح إلى التدقيق فى نقش المناظر . كما وسع المكتبة التى أسسها أبوه وأدخل فى أشور عددا من النباتات والأشجار الجديدة.

ولم يستطع اراد ملكات أن ينتفع بما جناه من قتل أبيه فبينا هو يستعد لاعلان نفسه ملكا جمع أخوه أسار حدون (٦٨١—٦٦٨ ق . م .) اعوانه وحارب أخاه وهزمه وتوج نفسه ملكا بعد مقتل سناخريب بـ ٤٢ يوما .

ولما كان من أم بابلية فانه عول على أن يقيم من جديد العاصمة المهدمة . وكان نابوزر كنوليشير بن مروداخ بالادان الثانى يحاول فى الوقت نفسه أن ينتهز فرصة تغيير الملك فأثار « أرض البحر » وتقدم لمحاصرة أور ولكنه هزم واضطر إلى الهرب إلى عيلام حيث قتله «حومانالداش» الثانى (٦٨١ — ٦٧٥) وسرعان ما خضع أخوه ناعيد مردوك .

وأما فى سوريا فإن فرعون كان يحاول استعادة نفوذه وقد ثار « عبدى ملكوتى » ملك صيدا بايعاز منه . وقد انتهت الحملة الأولى بنهب مدينته وأسر فى عام ٦٧٦ ق . م . وقطع رأسه وحمل إلى نينوى . وقد لقى نفس المصير شريكه « ساندُوَارِّى » ملك سيس فى كيليكيا ونفى الناس جماعات وحلت محل صيدا مدينة جديدة هى « كاراشور احا ادين » وعين عليها حاكم أشورى وسكنها كلدانيون أسروا فى العام الاول من حكمه .

وكان الاراميون وخاصه قبيلة «بيت داكورى» يتآمرون فى بابل حتى استطاعوا أخيرا أن يدفعوا « حوما نالداش » أن يعيرهم عونا محسوسا فاستولى الجيش العيلامى على سيبار ولكن موت الملك المفاجىء اضطر خلفه « أورتاكو » أن يكف عن الاعتداء .

وأراد « أسار حدون » أن يتابع الصراع القديم ضد مصر وأن يدخل

إلى الدلتا التى لم يسبق لجيش أشورى أن تقدم نحوها فشق طريقة حتى سيل مصر (وادى العريش) (٦٧٥) ولكنه استدعى إلى بلاده ليواجه حلفاً من الاريين والسكيثيين والميديين الذين كانوا يتهددون الحدود الشمالية والشرقية للامبراطورية. وكان سرجون (٧٢٠) قدهزم مجموعتين من السكيثيين والاشكوزاى والسيميريين القادمين من قارة أوربا ولكن السيميريين استطاعوا إذ ذاك أن ينحدروا غربا ويستقروا فى أحواض الاراكس والهاليس. أما الاشكوزاى فقد استقروا بالقرب من المانيين فى مكان ليس بعيدا عن بحيرة فان. فهاجم أسار حدون تيوشبا قائد السيميريين وطرده إلى آسيا الصغرى ثم هزم الاشكوزاى المتحالفين مع المانيين.



(شكل ٤٢) لوحة اسارحدون

وارسل الجيش الاشورى مرة أخرى إلى مصر ... ولكن ليس عن طريق سوريا بل عن طريق الصحراء الذى كان سناخريب قدسلكه.

وقد استطاع الجيش أن يخضع وهو فى طريقه بعض القبائل العربيه التى قتل ملوكها الصغار. ولم يكد الجيش يصل إلى الصحراء السورية حتى اضطر للعودة لمقابلة العيلاميين والميديين (٦٧٣) وانضم الجامبولو إلى أشور ضد عيلام واضطر ملوك «ميـــديا» (الميديين) حين ضيق عليهم الخناق عند سفح ديما فاند إلى الخضوع وتقديم الجزية.

وقد استدعيت الحشود المسخرة من سوريا جميعها وكذا من قبرص.

لينقلوا إلى نينوى المواد المطلوبة لبناء قصر جديد . وكان بعل ملك صور قد اقسم يمين المعاهدة مع أشور : ولكن لم يمنعه ذلك من أن يتصل بطهرقة ملك اثيوبيا متآمرا فحوصرت مدينته فى بداية عام ٦٧١ ق . م . ومر الجيش الأشورى بهانحو الجنوب إلى رابيحى (تل رفح) حيث احضر العرب جمالا لعبور الصحراء وشق الجيش طريقه للمرة الأولى فى أرض مصر . ووصل بعد خمسة عشر يوما إلى منف وهو يقوم بمعركة تلو معركة . وفى الثانى والعشرين من تموز (يولية) استسلمت المدينة بعد مقاومة استغرقت نصف يوم وفرّ طهرقة إلى الجنوب وأسرت زوجته وحريمه وأولاده . وأعيد الأمراء الأقدمون فى المدن المهزومة إلى وظائفهم وأن الحق بيلاطهم ضباط وكتاب اشوريون .

وكانت قعقعة الثورة تدوى فى أشور فذبح الملك فى عام ٦٧٠ ق . م . الكثيرين من أمرائه الذين لم يكونوا ليقبلوا بغير تذمر اختيار اشور بانيبال الابن الأصغر لاسارحدون وريثا شرعيا للتاج الأشورى فى الوقت الذى كان عرش بابل وحده من نصيب ابنه الأكبر شاماش شوم أوكين .

وفى العام التالى كانت الأمور فى مصر تتطلب تدخلا جديدا إذ عاود طهرقة الظهور واستعاد منف فاتخذ اسرحدون الخطوة للتقدم لولا أنه سقط مريضا ثم مات فى العاشر من مارهشوان (أكتوبر — نوفمبر) عام ٦٦٩ ق . م .

فأمر أشوربانيبال (٦٦٩ — ٦٢٦) رئيس الجيش أن يتابع السير وأن يجمع كل القوى فى الدويلات التابعة له التى يمر بها فى طريقه . فهزم جيش طهرقة بالقرب من كاربانيت فى الدلتا وتقدم الأشوريون فى وادى النيل حتى طيبة وأعيد تنظيم البلاد . ولكن لم تكد الجيوش تعود إلى سوريا حتى تآمر ثلاثة من ملوك الدلتا بقصد الاستقلال وهكذا غزيت الدلتا جميعها مرة أخرى ونهبت سايس ومندس وتانيس . ولما مات طهرقة (٦٦٦)

استولى ابن أخيه تانداماني (تانوت آمون) على طيبة وأونو (هليوبوليس) واتجه نحو منف حيث كانت قوات البوليس الاشورية مركزة. ووصل الجيش النينوى إلى الميدان واضطره إلى الانسحاب جنوبا وطارده إلى النوبة ونهب مدينة طيبة وحمل معه مسلتين كعلامة من علامات النصر.

وكانت إحدى نتائج هذه الحملة تهدئة سوريا حيث لم يجرؤ أى ملك على معاودة التآمر. وقد ذاعت شهرة أشوربانيبال فى آسيا الصغرى فأرسل جيجس ملك ليديا اليه وفدا ملتمسا عونه فى صراعه ضد السيميريين الذين كانوا يهددون دولته : وفى الوقت الذى كانت ليديا تحارب هؤلاء الآريين هاجمت أشور أحلافهم ألمانيين والميديين (حوالى ٦٦٠) الذين كانوا قد اتحدوا تحت قيادة رئيس واحد.

والتمس «شماش شوم اوكين» العون من اخيه ضد العيلاميين الذين انتشروا فى بابل بفضل تستر الجبوليين. وقد هُزم ملكهم «اورتاكو» ومات (٦٦١) واستولى على العرش مغتصب يدعى تيومّان وطلب ان يسلم اليه الامراء العيلاميون الذين كانوا قد التجئوا الى نينوى. وقد دعا هذا الى قيام حرب جديدة فهزم «تيومان» فى «توللين» فى جنوب سوسه وحمل راسه رمز النصر وقسمت عيلام الى مملكتين وضع على عرشيهما ابناء «اورتاكو» وهما : «هومبا نيجاش» الثانى «وتاماريتو».

وقد كان «شاماش شوم اوكين» سببا فى أشعال نار الحرب من جديد اذ ان هذا الامير كوّن حلفاً ضد اخيه حوالى ٦٥٢ ق. م. ضم كل امراء كلديا كما انضم له هومبا نيجاش وكذلك فعلت شعوب الجبل وقد امتد هذا الحلف غربا عن طريق بلاد العرب إلى شبه جزيرة سينا وسوريا ولكن هذه الحركة قمعت فى قوة وعنف وقاست بابل من السيف والنار والدم وحبس شماش شوم اوكين نفسه فى قصره واشعل فيه النار وهلك فى لهيبها. اما كلديا فقد اقيم عليها حكام اشوريون (٦٤٨)

وكان «تاما ريتو» فى عيلام قد خلع اخاه وانضم الى الحلف البابلى فخلعه مغتصب يدعى «اندايبجاش»، ولكن سرعان ما حل محله «اوما نالداسى» ثم «اومباهابوا»، وتقدم الجيش الاشورى نحو سوسه واعاد «تماريتو» ولكن سرعان ما تحرك وظهر اوما نالداسى وانتهى التدخل الجديد بنهب وتحطيم سوسه (٦٤٠) ولم ترع حرمة الموتى اذ حملت عظام ملوكهم الى اشور وحرمت ارواحهم من الراحة وذلك بعدم تقديم القرابين الجنزية. وقد حاول بسمتك فى مصر ان يكون حلفا وتلقى مددا من جيجس الليدى ولكن الوثائق المسماريه لاتتحدث عن قمع هذة الثورةوإن كانت تذكر فقط موت جيجس فى صراع بين السيميريين كما تذكر رسالة ارسلها ابنه الى الملك الاشورى يعترف له فيها بولائه.

وقد وجهت عدة حملات ضد العرب وقامت غارة اولى وصلت الى نباتين وذلك عقب سقوط بابل مباشرة فاصطنع ملك نباتين الخضـــوع ولكن سرعان مااستدعت الحال العودة اليه: وحاول العرب ان يستدرجوا الجيش الاشورى الى الصحراء ولكنه اخذ معسكرات «اتار سامابين» والكيدارنيين. واستطاع «واتى» بن «بيرددًا» — الذى كان الاشوريون قد نصبوه ملكا — ان يهرب ولكنه طورد وسادت المجاعه وانتشر الطاعون بين العرب الذين خانوا ملكهم وسلموه الى العدو فحمل الى نينوى وربط من فكه الاسفل الى سلسلة كلب وعرض على البوابه الشرقية للمدينة.

وصلت اشور وقتئذ الى اوجها: وبلغ اتساع الامبراطوريه الى اقصى ماوصلت اليه وكانت نينوى قدطفحت وامتلأت بالثراء وكان الامراء الاسرى يجرون عربه اشور بانيبال حين يذهب الى المعبد ليقدم الشكر للمعبود من اجل انه مهد له دائما سبيل النصر. وجمعت فى المكتبة التى اسسها سرجون اهم الوثائق للاداب البابليه والاشوريه وزينت قاعات الاحتفالات فى القصر بالنقوش التى بلغ بعضها القمة من ناحيه الدقة الفنية.

وينقطع قصص الحوليات فى عام ٦٣٦ ق.م. وليس بها نبأما عن النزاع الذى أدى بهذه الامبراطورية الى الانهيار بعد اقل من ثلاثين عاما.

ولقد كونت فى الشرق — فى هضبة ايران — القوة التى قدر لها ان تغزو ارض اشور وتحاصر نينوى وتزيلها من وجه الارض الى الابد. وربما أتى الميديون والفرس من اوربا عبر القوقاز واستقروا هناك الأول فى الجنوب والآخرون فى الشمال وكان الاشوريون قد دخلوا فى صراع للمرة الاولى فى القرن التاسع مع بعض القبائل الميدية وفى القرن التالى نفى سرجون بعضهم الى سوريا واحل محلهم السامريين وبعض الشعوب الاخرى المغلوبة على امرها. وقد استطاع «دايا اوكو» وهو (DEJOCES عند اليونان) فى خلال حكمه ان يجمع شمل قبائل متعددة ويعلن نفسه ملكا واختار « اكبتانى » عاصمة له وخلفه فرافارتى (PHRAORTES — حوالى ٦٤٧ — ٦٢٥) وضم بعض الولايات المجاورة وانتصر على الفرس الذين انتهز ملكهم تايسبس فرصة تدمير سوسة ليستولى على جانب من عيلام ويعلن نفسه ملكا على انشان ثم هاجم عندئذ اشور ولكنه سقط فى ساحة القتال مع معظم جنده.

واعاد سيا كسار ابنه تنظيم الجيش على النظام الاشورى. ولما دخل ساحة الحرب مرة اخرى هُزم القواد الاشوريون وحوصرت نينوى ولكن جيشا جديدا اشترك فى الصراع وهم السكيثيون القادمون من اوربا والذين كانت تربطهم باشور صلات منذ اكثر من قرن من الزمان فهاجموا الميديين من المؤخره وهزموهم الى الشمال من بحيره اورميا واجتاحوا اقليمهم ثم انقضوا على اشور وحرقوا كلح واشور ودمروا كل ما لقوه فى طريقهم وانتشروا بعد ذلك فى البلاد التى كانت تدفع الجزيه ووقفوا فى النهايه على حدود مصر تقديرا للهدايا الثمينة التى قدمها لهم بسمتك

وحوالى عام ٦١١ استطاع « سيا كسار » ان يرفع النير. وكان اشور

بانيبال قد مات (٦٢٦ — ٦٢٥) واحتل العرش ابنان له على التوالى وان لم يكن ذلك بغير صراع نظرا لظهور مدعين للعرش . ولم يستطع ثانيهما « سنشار إشكون » أن يبسط نفوذه خارج اشور نفسها إلا على بضع مدن بابليه ظلت موالية له ثم أعلن « نابوبولاسار » الكلدانى حاكم بابل نفسه ملكا وسرعان ما تحالف مع الميدى ضد مولاه القديم وحوصرت نينوى وسقطت ودمرت بالنار والفيضان (٦١٢)

وتحطمت الامبراطورية الاشوريه الى الابد ورددت الشعـــوب التى خلعت نيرها كلمات النبى اليهودى

« كل الذين يسمعون خبرك يصفقون بايديهم عليك :
لانه على مَنْ لم يمر شرك على الدوام ؟ » [1]

---

(١) ناحوم ٣ : ١٩

قائمة تأريخية لأمراء أشور ومن يعاصرهم من أمراء سومير وأكاد

علامة * تسبق أسماء الأمراء الأشوريين الذين لدينا نقوش عنهم
علامة × تدل على المعاصرين

أوشبيا } ترتيب غير معروف
كيكيا } ذكرهما ملوك متأخرون

ايرى كابكابو

سوليلو (؟)

أمراء أشور	التاريخ	المعاصرون	
* زاريكوم	حوالى ٢٠٤٠	بورسن ملك أور	
١ — بوزور أشير الأول		الأسرة الأولى البابلية	
٢ * شاليم أهوم			
٣ * ايلوشوما الأول	٢٢٢٠	× ١ - سوموابوم	٢٢٢٥ — ٢٢١٢
٤ * اريشوم الأول	٢٢٠٠	× ٢ — سومولا ايلوم	٢٢١٢ — ٢١٧٦
٥ * ايكونوم		٣ — زابيوم	٢١٧٥ — ٢١٦٢
٦ — سرجون الأول			

٧ — پوزور أشير الثانى
٨ — أهى أشير
٩ — رم سن
١٠ - ايلوشوما الثانى
١١ — اريشوم الثانى
١٢ — شماشى أداد الاول
١٣ — اشمى دجان الأول
١٤ — ... أششات
١٥ — ريموش
١٦ — أداسى
١٧ — بعل بانى
١٨ — شابايا
١٩ - شارما أداد الأول
٢٠ — جيزيل سن

٤ — ايبل سن ٢١٦١ — ٢١٤٤
٥ — سن موباليت ٢١٤٣ — ٢١٢٤
٦ — حمورابى ٢١٢٣ — ٢٠٨١

٧ — سمسو ايلونا ٢٠٨٠ — ٢٠٤٣
٨ — ابيشو ٢٠٤٢ — ٢٠١٥
٩ — أمى ديتانا ٢٠١٤ — ١٩٧٨
١٠ — أمى زادوجا ١٩٧٧ — ١٩٥٧
١١ — سامسو ديتانا ١٩٥٦ — ١٩٢٥

الأسرة الثانية

× ايلوما ايلوم
ايتى ايلى نيبى

داميق ايليشو

ايشكيبال (معاصر بعل بانى)
Weidner, Assur, 4128

شُوشّى
كولكشار
... رن

٢١ — زمزايا
٢٢ — لولايا
٢٣ — پان نينُوا
٢٤ — شارما أداد الثانى
٢٥ — أريشوم الثالث
٢٦ — شمشى أداد الثانى
٢٧ — اشمى دجان الثانى
٢٨ — شامشى أداد الثالث

الأسرة الثالثة

١ — جنداش	حوالى	١٧٦١ — ١٧٤٧
٢ — أجوم الأول		١٧٤٥ — ١٧٢٤
٣ — كشتلياش الأول		١٧٢٣ — ١٧٠٢
٤ — ابيراتاش		١٧٠١ — ١٦٩٤
٥ — كشتلياش الثانى			
٦ — تازيجورروماش			
٧ - هارباشيباك			
٨ — ...			
٩ . أجوم الثانى			
١٠ — كوريجالزو الأول			
١١ — ملشباك الأول			

بشد اجالدا راماش
أدارا كالاما
ايكورو لانا
ميلا مكوركورا
إيا جميل

٢٩ — ...
٣٠ پوزور أشير الثالث
٣١ — انليل هتسير الأول
٣٢ — نور ايلى
٣٣ — اشمى دجان الثالث
٣٤ * أشير نيرارى الأول
٣٥ * پوزور أشير الرابع
٣٦ — انليل تتسير الثانى
٣٧ — أشير رابى الأول
٣٨ — أشير نيرارى الثانى
٣٩ — أشير بعل نشيشو
٤٠ — أشير رم نشيشو
٤١ * أشورنا دين أهى
٤٢ * أرنيا أداد

١٢ — نازيما روتاش الأول

١٣ — بورنابورياش الأول

١٤ — كشتلياش الثالث
١٥ — أجوم الثالث

١٦ — كارا إنداش الأول
١٧ — كوريجالزو الثانى
١٨ × كادشمان الليل الأول
١٩ × بورنابورياش الثانى

في مصر
× امنحتب الثالث حوالى ١٤١٣ — ١٣٧٧

× امنحتب الرابع حوالى ١٣٧٦ — ١٣٦١

٤٣ ٭ أشور أوباليت

٤٤ ٭ ايلليل نيراری
٤٥ ٭ أريك دن ايلى
٤٦ ٭ أداد نيراری الأول

٤٧ ٭ شلمنصر الأول حوالى ١٢٩٠ - ١٢٦٠

٤٨ ٭ توكولتى اينورتا الأول ١٢٦٠ — ١٢٤٠

٢٠ × كادا إنداش الثانى
٢١ × كادشمان حاربى الأول
نازيبوجاش (مغتصب)
٢٢ × كوريجالزو الثالث ٢٣ سنة حوالى ١٣٥٧ — ١٣٣٥

٢٣ × ناذى مارو"تاش ٢٦ سنة حوالى ١٣٣٤ — ١٣٠٩
٢٤ × كادشمان تورجو ١٧ » » ١٣٠٨ — ١٢٩٢
٢٥ × كادشمان ايلليل الثانى ٦ » » ١٢٩١ — ١٢٨٦
٢٦ — كودور ايلليل ٩ » » ١٢٨٥ — ١٢٧٧
٢٧ — شاجاراكتى شورياش ١٣ » » ١٢٧٦ — ١٢٦٤
٢٨ — كاشتلياش الثالث ٨ سنوات حوالى ١٢٦٣ — ١٢٥٦

الملك	المدة / التاريخ
٤٩ * أشورنادين أبلا الأول	
٥٠ * أشور نيرارى الثالث	٦ سنوات
٥١ ـ ايلليل كودور أوتسور	٥ سنوات
٥٢ ـ اينورتاأپالإيكورالأول	
٥٣ ـ أشور دان الأول	١١٨٢ ـ ١١٤٥
٥٤ ـ اينورتا توكولتى أشور	
٥٥ ـ موتاكل نوسكو	
٥٦ ـ أشور رش ايشي الأول	حوالى ١١٣٢ ـ ١١١٥

الملك	المدة	التاريخ
٢٩ ـ ايلليل نادين شوم	١ ½ سنة	حوالى ١٢٥٥ ـ ١٢٥٤
٣٠ ـ كدشمان حربي الثانى	١ ½ سنة	« ١٢٥٤ ـ ١٢٥٣
٣١ أداد شوم ادين	٦ سنوات	« ١٢٥٢ ـ ١٢٤٧
٣٢ ـ أداد شوم أوتسور	٣٠ سنة	« ١٢٤٦ ـ ١٢١٧
٣٣ ـ مليشيباك الثانى	١٥ سنة	« ١٢١٦ ـ ١٢٠٢
٣٤ ـ مروداخ بالادان الأول	١٣ سنة	« ١٢٠١ ـ ١١٨٩
٣٥ × زبابا شوم أدين	١ سنة	« ١١٨٨
٣٦ ـ ايلليل نادين أهى	٣ سنة	« ١١٨٧ ـ ١١٨٥
الأسرة الرابعة		
١ ـ مردوك شابيك زيريم	١٧ سنة	« ١١٨٤ ـ ١١٦٨
٢ ـ اينورتا نادين شومى	٦ سنوات	« ١١٦٨ ـ ١١٦٢
٣ × نبوخودوروسور الأول		

٥٧ — تجلات فلاسر الأول		حوالى ١١١٥ — ١١٠٠
٥٨ — اينورتا أپال ايكور الثانى		
٥٩ — أشور بعل كالا الأول		
٦٠ — ايلليل رابى		
٦١ — أشور بعل كالا الثانى		
٦٢ — اريبا		
٦٣ — شمشى أداد الرابع		
٦٤ — أشور نتسير أپلا الأول	١٩ سنة	

٤ × ايلليل نادين ابلى		
٥ × مردوك نادين أهى		
٦ — إتى مردوك بلاتى		
٧ × مردوك شابيك زرماتيم		
٨ × أداد أپال إدّين	٢٢ سنة	١٠٩٥ — ١٠٧٤
٩ — مردوك أهى	١ ½ سنة	١٠٧٣
١٠ — مردوك زر	١٢ سنة	١٠٧٢ — ١٠٦١
١١ — مردوك شوم ليبور	٨ سنة مابين	١٠٦٠ — ١٠٥٣

الأسرة الخامسة

١ — شيمّاش شيباك	١٨ سنة مابين	١٠٥٢ — ١٠٣٥
٢ — إيا موكين شومى	٥ شهور	١٠٣٥
٣ — كاشدو نادين أهى	٣ سنة	١٩٣٤ — ١٠٣٢

٦٥ — سلمنصر الثانى	١٢ سنة	
٦٦ — أشور نيرارى الرابع	٦ سنة	
٦٧ — أشور رابى الثانى	١٠١٢ — ٩٩٥	
٦٨ * أشور رش ايشى الثانى	٩٩٥ — ٩٦٦	
٦٩ * تجلات فلاسر الثانى	٩٦٦ — ٩٣٣	
٧٠ — أشور دان الثانى	٩٣٣ — ٩١١	
٧١ * أداد نيرارى الثانى	٩١١ — ٨٩٠	

الأسرة السادسة

١ — أولماش شاكين شومى	١٧ سنة	١٠٣١ — ١٠١٥
٢ — اينورتا كودور أوتسور	٣ سنة	١٠١٤ — ١٠١٢
٣ — شرقتو شوقامونا	٣ شهور	١٠١٢

الأسرة السابعة

ماربيتى أبال أوتسور	٦ سنة	١٠١١ — ١٠٠٦

الاسرة الثامنة

١ × نابوموكين أبلى	٣٦ سنة	١٠٠٥ — ٩٧٠
٢ × اينورتا كودور أوتسور الثانى		٩٧٠
٣ × ماربيتى أهى أدين		٩٧٠ — ٩٤٦
٤ × شماش مودامّيق		٩٤٥ — ٩٠٥
٥ × نابوشوم أوكين		٩٠٥ — ٨٨٥

٧٢ * توكولتى اينورتا الثانى ٨٩٠ — ٨٨٤

٧٣ * أشور ناتسير ابلا الثانى ٨٨٤ — ٨٥٩

٧٤ * سلمنصر الثالث ٨٥٩ — ٨٢٤

أشور دانين ابلا (مغتصب)

٧٥ * شمشى أداد الخامس ٨٢٤ — ٨١٠

٧٦ * أداد نيرارى الثالث ٨١٠ — ٧٨٢

٧٧ — سلمنصر الرابع ٧٨٢ — ٧٧٢

٧٨ — أشور دان الثالث ٧٧٢ — ٧٥٤

٦ × نابو ابلا أدين ٨٨٥ — ٨٥٢

٧ — مردوك زكير شوم ٨٥٢ — ٨٢٢

٨ — مردوك بالاتسو إيقبي ٨٢٢ — ٧٩٤

٩ — باوو أهى أدين

١٠ — مردوك بعل

١١ - مردوك إپال أوتسور

١٢ — اريبا مردوك ٧٨٢ — ٧٦٢

٧٩ — أداد نيرارى الرابع — ٧٥٤ — ٧٤٦

٨٠ * تجلاث فلاسر الثالث — ٧٤٥ — ٧٢٧

٨١ * سلمنصر الخامس — ٧٢٧ — ٧٢٢

٨٢ * سرجون الثانى — ٧٢٢ — ٧٠٥

٨٣ * سناخريب — ٧٠٥ — ٦٨١

الأسرة التاسعة

١ — نابو شوم إشكون الثانى — ٧٦١ — ٧٤٨

٢ — نابو ناسّار — ٧٤٨ — ٧٣٤

٣ — نابو نادين زر — ٧٣٤ — ٧٣٢

٤ — نابو شوم أوكين الثانى — ٧٣٢

الاسرة العاشرة

١ — نابو أوكين زر — ٧٣٢ — ٧٢٩

٢ — پولو — ٧٢٩ — ٧٢٧

٣ * أولولاى — ٧٢٧ — ٧٢٢

٤ — مروداخ بالدان الثانى — ٧٢١ — ٧١٠

٥ × سرجون — ٧٠٩ — ٧٠٥

٦ × سناخريب — ٧٠٥ — ٧٠٣

		٧ — مردوك زا كين شوم	٧٠٣
		٨ — مروداخ بالادان الثانى	٧٠٣
		٩ — بعل ابنى	٧٠٣ — ٧٠٠
		١٠ — اشور نادين شومى	٧٠٠ — ٦٩٤
		١١ — نرجال شزيب	٦٩٤ — ٦٩٣
		١٢ — موشزيل مردوك	٦٩٣ — ٦٨٩
		١٣ — سناخريب	٦٨٩ — ٦٨١
٨٤ * أسّار حدّون	٦٨١ — ٦٦٩	١٤ × أسارحدون	٦٨١ — ٦٦٩
٨٥ * أشور بانيبال	٦٦٩ — ٦٢٦	١٥ × شماش شوم أوكين	٦٦٨ — ٦٤٨
		١٦ — كاندا لانو	٦٤٨ — ٦٢٦
٨٦ * أشور إتيل اليانى	٦٢٦	١٧ — أشور إتيل اليانى	٦٢٦
		الأسرة الحادية عشرة	
		١ — نابوپو لاسّار	٦٢٥ — ٦٠٤
٨٧ — سن شوم ليشير		١٨ × سن شوم ليشير	
٨٨ * سن شار إشكون	٦١٢	١٩ × سن شار إشكون	٦١٢

الكتاب الثانى

النظم

الفصل الأول

الدولة والأسرة

١ — الدولة

كان نظام الدولة هو نفسه كما فى بابل فكان الاله أشور هو السيد الحقيق للبلاد والمدينة التى تحمل اسمه كما كان ملك أشور نائبه ولا يستطيع أن يقوم بتنفيذ أى مشروع قبل أن يتلقى أمره ويقدم حسابا عنه. وعند عودته من كل حملة مثلا كان الملك يقدم له تقريرا ضافيا هو فى الحقيقة يوميات الحملة وسرد للنجاح الذى حققته. فإذا كان تجلات فلا سر هاجم كوماجين فما ذلك إلا «لأنها منعت جزيتها وهداياها عن الاله أشور» ويقول الأمير نفسه فى مكان آخر عن الشعوب المنهزمة «لقد اخضعتهم لاشور مولاى وعددتهم ضمن رعايا اشور مولاى» وكما هى الحال فيما شهدناه فى بابل كانت كل مدينة مسكنا للمعبودات. ويشير سرجون إلى «الآلهة الذين يقيمون فى كلح» «والآلهة والإلهات الذين يقطنون سومير واكاد» وبعد تدمير بابل يقرر أسارخدون أن «الآلهة والالهات الذين كانوا يقطنون فيها صعدوا إلى السماء على حين اخضع الناس الذين كانوا يعيشون فيها للنير والقيود»

وكان يقوم على رأس المجتمع الملك والملكة وولي العهد. ولكل منهم

مسكنه الخاص بموظفيه المتعددين . وكان الملك يمنح اسمه للسنة الأولى لولايته للعرش . كما يعطى « التورتان » أو القائد الأعلى اسمه للسنة التالية ويتلوهما فى هذا الشرف المشرف على القصر ورئيس السقاة وعشرات من الضباط الآخرين . ولقد أحاط السرجونيون أنفسهم بجيش من الأخصاء والمقربين: كحامل الختم ورئيس الاحتفالات وأمين القصر حامل المفاتيح ورئيس السقاة والمشرف على الحظائر وكبير الأطباء يعاونه طبيب مساعد والطبيب الخاص للملك وكاتب القصر وكاتب الحرملك وكاتب الخطابات الآرامية وكاتب الخطابات المصرية ومفتش القصر وقائد القصر ورئيس الحرس وبستانى القصر ومفتش الحرملك والمشرف على القطعان ورئيس الخبازين وكبير الخصيان وحامل السيف وحامل الصولج ورئيس الصياغ ومدير الموسيقى ورئيس القصارين ورئيس النساجين ورئيس بوابى البوابة الرئيسية الخ .

وكان للملكة الوالدة وللملكة هيئة موظفين من الكتاب وحامل الختم ورئيس الرسل والنساجات الخ . أما ولى العهد فكان لديه — شأنه فى ذلك شأن الملك — بيت حربى وبيت مدنى . وكان يشرف عليه حاكم ويحوطه عدد من الكهنة ورجال الأعمال والمفتشين .

وكان الشعب ينقسم إلى طبقتين : الأمراء والعبيد .

وكما هى الحال فى بابل كان للأسرة مكانتها فى أشور فكان من المعتاد أن تعامل أسرة العبيد كوحدة كاملة لا فردا فردا فاذا بيع عبد فانه لا ينقل وحده بل إن الصفقة تتضمن فى الوقت نفسه زوجته وأولاده وبناته وأمه الأرملة وأخاه الأصغر إن كان لا يزال قاصرا فى حكم القانون .

ولقد اشترى « اولولاى » من « نابواريبا » فى عام ٦٨٤ ق.م. بمبلغ ٦ مينا من الفضة العبد « كاند الانو وأبناءه الثلاثة وزوجته وابنتيه وأخاه وأولاد الأخ الذكور الثلاثة » كما باع « كيكينتانو » رجلا وأمه إلى « شوقا ايلانى » . وكما سلم « ياكار احى » مع ابنته . وأننا لنجد فى عقد واحد معا : رجلا وزوجته

وابنته ، ورجلا ومعه زوجته وأبناؤهما الثلاثة.وزوجان وعبد بمفرده [1] .

ورغم أنه كان يشار فى معظم الأحوال إلى رفيق العبد بالاصطلاح المبهم « امرأة » فانه كان يطلق عليها كذلك كلمة « زوجه » وكلا الاصطلاحين يترددان على التبادل فى العقد المذكور . وكان السيد يختار بنفسه فى معظم الأحوال العبيد الذين يريدان يزاوجهم : فلقد اشترى كاكولانو بنصف مينامن الفضة الفتاة «أبى دلالى» وزوجها من عبده «اولولاى» . وفى مناسبة أخرى نرى نفس الشخص يقوم بعملية مشابهة لمصلحة عبده «تارهونازى» . وكان الزواج من امرأة واحدة هو القاعدة فى مثل هذه الزيجات كما هى الحال بين الأحرار . ومع ذلك فانه حدثت زيجات باكثر من امرأة : فنحن نجد فى عقد من ٦٨٠ ق . م . خاص ببيع سبعة أشخاص أن عبدا بيع مع زوجتيه وأطفاله [2] ولم يكن العبد يستطيع أن يمنح أطفاله اسمه فكان العبد يعرف باسمه وحده دون ذكر اسم أبيه .

وكما هى الحال فى بابل كان العبد يستطيع أن تكون له أملاك خاصة منقولة وثابتة فكان يملك الحقول وحديقة وبيتا وعبيدا . وكان يستطيع كذلك أن يقوم ببعض العمليات من بيع وشراء وقرض وشهادة شأنه فى هذا شأن الرجل الحر.وكان له كذلك ختم يصدق به على الوثائق . وفى خلال تكنية « مردوك شاراوتسور » نرى عبدا لـ « اداد ريمانى » يبيع امرأة يمتلكها فينقلها إلى «عبدونو» بن « كاكو لانو » رجل الأعمال المشهور الذى كثيرا مايظهر اسمه فى العقود التى ترجع إلى عهد أشور بانيبال ولاتختلف محتويات اللوحة فى شىء عن العقود المتداولة المعتادة بين طرفين من الأحرار.وهناك عبد آخر باع حديقة فى ٦٦٩ ق . م . واعترف « نابو تاريتس » فى عام ٦٧٩ ق . م . وهو عبد لـ « تسابانو » أنه تسلم ٢١٠ مينا من البرونز

(1) Xciv No 230, 236, 245, 246.

(2) Ibid No 309, 308, 229.

من « شانجـــو عشتار » بوضع ختمه[1].

والعقود التى وردت فيها أسماء العبيد كشهود كثيرة . فهناك عبد مع اثنين من أتباعه كان حاضرا وقت تحرير عقد مؤرخ فى ٧٠٩ ق . م . وهناك وثيقة سبقت الإشارة اليها بسبب النصوص الجزائية الواردة فيها والتى تطبق على من يحاول الغاء الاتفاق . وقد ورد فيها من بين الشهود أحد عشر شاهدا من عبيـــد كبار رجال الدولة : وقد تم تحرير العقد : أمام باجاجى ، بابيلاى ، أو ردو ، اشور كاشوم ... والأربعة جميعا من عبيد محافظ القصر وأمام لوكياما، شارو إقبى، حلبوسو ... والثلاثة جميعا من عبيد رئيس ماموري الاقوات . وامام ايلى بالانسو اقبى، كنانى عشتار وهما عبـدان لحامل الختم . وأمام « تسيل اداداد » عبد « راب كرمانى » . وأمام « اكرو » جابى مكوس نينوى واشور احى أوتسور ، اشوراى ، اردى عشتار عبيد ... و « أمام شوما ايلانى »[2] .

وكانت هناك طبقة هامة من العبيد تتكون من موالى الأرض . وحين كانت الأملاك التى يعملون بها يتغير أصحابها كانوا يُضَمَّنون فى عقد البيع وكان فى معظم الأحيان يشار إليهم عائلة عائلة . ولقد اشترى «ملكى نورى» فى عام ٦٦٨ ق . م . مزرعة من « نابوشزيب » « بحالتها بحقولها وحدائقها وعمالها » واشترى « شوموا يلانى » خمسين إيمر من الأرض بها ١٠٠٠٠ شجرة فواكه وبيتا و « حشانا » وأبناءه الأربعه وزوجته والمرأة دانجى وابنها وابنتها ... أى ٩ أشخاص فى المجموع » .

وأحيانا كان الناس يُؤخذون دون ضمانة : وهكذا فعل « ملكى نورى » على ما يظهر إلا أن المشترى كان يحتفظ أحيانا أخرى بحقوقه : فقد ورد فى عقد بيع من دوجاوا وأبيه فقرة خاصة بالصرع والمطالبة .

---

(1) Ibid Nos 311, 366, 161.

(2) CIX, 113, XXIV, 464.

وإذا رهنت إحدى الممتلكات فان العبيد كانوا يسلمون فى نفس الوقت ثم يسترجعون عند السداد : ولقد تسلمت السيدة « أدَّاتى » فى عام ٦١٤ ضمانة عن ٢ مينا من الفضة ... لا قطعة أرض مساحتها ١٢ إيمر فحسب بل وكذلك العائلتين اللتين كانتا تزرعانها وإحداهما مكونة من خمسة أشخاص والأخرى من زوج وزوجة لاعقب لهما [1] .

وكان من المستطاع أحيانا أن يصل العبد إلى وظيفة عالية : ففى عام ٦٨٣ ق . م . نجد عبدا من عبيد بيت الملكة يصبح مفتشا للمدن .

٢ — الجيش

كان ملك أشور يقود حملة فى كل عام تقريبا فى شهر تموز « الذى كتب سيدالعلم الإله « نن ايجى أزاج » فى اللوحة القديمه أنه فصل تجمع الجيوش وإنشاءالمعسكرات » [2] ومعذلك فانه لم يكن ليفعل ذلك أبدا دوناستشارة الآلهة بواسطة العرافين الذين يقومون بدراسة امعاء الذبائح ويتقبلون الأمر الإلهى فى الأحلام . أو المتضلعين منهم فى فن معرفة النجوم . وبعد أن يكون ولاة مدن الحدود قد أرسلوا عيونا إلى المقاطعات المزمع مهاجمتها وتكون تقاريرهم دالة على أن من المقدر نجاح الحملة .

وكان الجيش مستعدا للسير تحت قيادة الـ « تورتان » وهو أكبرموظفى البلاط وذلك حين لا يكون الملك على رأس جيوشه بنفسه . ويصف سرجون بالتفصيل تكوين جيشه فى عام ٧١٤ وذلك فى الخطاب الذى يقدم فيه للإله أشور تقريره عن الحملة الثامنة [3] : فلقد استعرضه ثم وصل أمام سيميريا التى يصفها وصفا شعريا : « أنها قمة عظيمة ترتفع مثل سن الرمح وتسمو فوق

---

(1) XCIV No 472, 422, 429, 58, 447.

(2) XX t. III, p. 3. (Traduction Thureau - Dangin)

(3) Ibid p. 7.

الجبال . هى مسكن « بعليت إيلى » الرأس الذى تعتمد عليه السماء من أعلى، ومن أسفل تمتد جذورها حتى تصل إلى وسط الجحيم . هى من الخارج كالسلسلة الفقرية للسمكة لاتدع مجالا للمرور من ناحية إلى أخرى ... الصعود عليها عسير من أمام أو من خلف. تنشق على جانبيها خوانق ووهاد حتى ليوحى منظرها بالرعب . وليس من الممكن أن ترقى اليها العربات أو أو الجياد الصافنات . . . هذا إلى مسالكها الوعرة التى يصعب على المشاة اختراقها ... ولكن بفضل سعة أفقى وما أوحى به إلى أيا وبعليت إيلى اللذين مدا فى ساقى لأذل البلاد المعادية زودت مشاتى بمعاول برونزية حتى استطاعوا أن يجعلوا صخور الجبال العالية تتطاير شظايا كأحجار البناء ومهدوا الطريق ورحت على رأس جيوشى : وكانت العربات والخيالة والمحاربون على جانبى جعلتهم كنسور شجعان يطيرون فوق هذا (الجبل) وأمرت العمال من الجند أن يتبعونا وأما الجمال ودواب الحمل فكانت تقفز فوق قمته كماعز برى ربيت فى الجبال . وجعلت جيوش أشور الثقيلة تتسلق منحدراته الخطرة فى سلام ثم أقمت معسكرى على قمة هذا الجبل . »

وأننا لنرى وفقا لما جاء بالتقرير بعد ذلك أن المشاة كانوا مسلحين بالأقواس والبعض بالرماح والدروع . وأما العمال من الجند ممن يقومون بالهدم والكشافون فقد حملوا البلطة والمعول . ولم تكن هناك أدوات حصار ولكننا سوف نجدها فى ظروف أخرى .

وطبقا للنقوش التى كانت تزين الجزء الأسفل من حوائط القصور نستطيع أن ندرك أن المشاه الاشورية الثقيلة فى الألف الأول كان يضع أفرادها فوق رءوسهم خوذات مخروطية مزودة بقطع جانبية لحماية الأذنين. أما الصدر والجزء العلوى من الساعدين فكانا يغطيان بزرد من قشور محارية مروحية الشكل تلبس فوق الدثار . وكان يكمل الزى سراويل وأحذية طويلة . وكانت المشاة الثقيلة تتكون من مجموعتين : حملة الأقواس وحملة

الرماح ومع كل منهم سيف قصير للحرب من قرب . وكان رجال المجموعة الثانية يحملون رمحا طويلا ودرعا أما من المعدن مستديرا ومحدبا أو من الخيزران المجدول مستديرا عند القمة ومستقيما فيما دونها . وأما حملة الأقواس فكان لديهم القوس والجعبة المعلقة على الظهر . أما المشاة الخفيفة فكانت تضم كذلك حملة الأقواس وحملة الرماح . ولكن حملة الأقواس لم يكونوا يلبسون الزرد . وكان حملة الرماح يضعون الخوذات التى تنحنى من أعلى إلى الخلف كما يحملون درعا صغيرا من الخيزران المجدول .

ومن النادر أن نجد الفرسان قبل حكم سرجون . وكانت معداتهم تشابه معدات المشاة وكان تسليحهم طبق الأصل تقريبا ولكن القوس كان أقصر على حين كان الرمح أطول ولم يكن للدرع وجود . وكان الفرسان الأوائل يركبون الخيل دون الاستعانة بالسرج ويصحب كلا منهم خادم يركب مثله ليقود الجياد أثناء المعركة . ولقد غطيت الحيوانات فيما بعد فى زمن أشور بانيبال بسروج وحلى واختفى الخادم نتيجة لتقدم فن الفروسية .

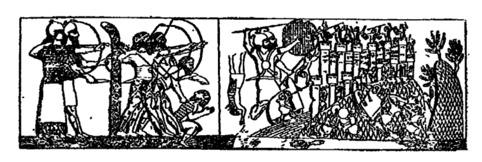
وكانت عربة الحرب المركبة فوق عجلتين ضخمتين عاليتين تتكون من صندوق يعتمد على المحور (الدنجل) مباشرة وكان جسمها مكونا من لوحات مزينــــة بالنقوش والتطعيم . وكان العمود ثقيــــلا وينتهى بطرف معقوف تزينه زهرة أو رأس حيوان . وكانت تتصل به أربطة من القماش أو الحبال لتربطه بصندوق العربة ولتخفف من الثقل على النير . أما استخدام العريش فلم يكن معروفا ولذا فانه كان من الضرورى استخدام حصانين لجر كل عربة . وكان يحتاج إلى واحد أو اثنين آخرين احتياطيين . وكانت عدة الخيل خفيفة وكان يضاف اليها أحيانا بعض السروج أو الزينة . وكان يركب العربة ثلاثة رجال : ويركب السائق إلى اليسار لقيادتها والمحارب المسلح بالحربة أو القوس والخادم الذى يحميهما بدرع [1] وكان لواء المجموعة يربط إلى واحدة

---

(1) XCVIII , I, pl. 28.

من هذه العربات : وكان عبارة عن عصا طويلة تعلوها عجلة توضع بداخلها حيوانات مقدسة أو صورة الإله [1] .

وكانت المراحل الهامة فى كل حرب تمثل فى نقوش القصر الملكى . وهناك مثلا قصة حصار مدينة محصنة فى بلاد جبلية على ضفة نهر ، فإن هذه المدينة تمثل ـ حسب أهميتها ـ بباب سرى بين برجين أو خط مزدوج من التحصينات أو أحيانا ثلاثة صفوف من الأسوار .



(شكل ٤٣) حصار مدينة محصنة (قصر سرجون : نقلا عن بوتا : آثار نينوى)

أما الجبل فيرمز له ـ كما هى الحال فى الفن السوميرى ـ برسم هندسى على شكل قشور وإن كان بالإقليم غابات فان بضعة أشجار توضع فى المنظر ـ وكان المجرى المائى طبقا لنفس التقاليد ـ يمثل بتموجات وحلزونات تسبح فيها الأسماك. أما المحاصرون فيمثلون بصورة شخص أو أكثر تبرز من كل برج [2]

وأننا لنرى « اشور نتسير ابلا » أمام مدينة راكبا عربته التى تجرها جياد مدرعة يدرك بها العدو كما نرى عربة الخصم المقهور مقلوبة يهتز أحد جيادها ويسقط . أما السائق الذى اخترق جسده سهم فانه ينهار ساقطا إلى الأمام . ويسقط المحارب إلى الخلف تحت عجلات العربة الملكية [3] ونرى الإله أشور من فوق الملك يشترك فى العراك كما نرى على الأرض

(1) Ibid I, pl 14.

(2) انظر شكل ٤٣

(3) انظر شكلى ٤٤

النباتات تطؤها حوافر الخيل وهى ترمز إلى المحصولات والكلأ الذى اتلف. ويُشاهد كذلك فى غابة صغيرة نزال فردى ينتهى دائما بانتصار الأشورى. وفى رسم آخر نرى محاربا مسلحا بسيف يحميه درع من الخيزران يطعن عدوه طعنة نافذة فيسقط ويدركه زميل لإسعافه .

ومع ذلك فان الملك ينزل من مركبته [1] ويحارب مع المشاة وينقسم المحاصرون الى فريقين أحدهما يشد القوس والاخر يحرسه بدرعه . اما الجند العمال الذين يأتزرون بالزرد فيهاجمون اسفل الحائط بمعاولهم ويحاولون هدمه . وفى ناحية اخرى نرى آلة هدم الاسوار المحوطة بما يشبه سقفا على شكل شبكة



(شكل ٤٤ « اشور نتسيرابلا » امام مدينة محصنة
(نقلا عن لايار . أثار نينوى الجزء الاول لوحة ١٣)

من الأغصان تهز الحائط وتدعو الى تساقط كتل ضخمة منه. ويحاول المدافعون امساكها بسلسلة ضخمة وذلك بهزها ومحاولة فصلها من سقفها . اما المحاصرون من ناحيتهم فتراهم يمسكون بالآله بواسطة خطاطيف ليستطيعوا الاحتفاظ بها وهناك برج على عجلات استحضر قريبا من الاسوار ومن قمته يفوق حملة السهام سهامهم ويجيب العدو بمشاقة متأججة محاولا اشعال النار فى الآله . ويسقط بعض المدافعين من قمة الاسوار الى الهوة . اما السكان المدنيون

(1) XCVIII, I, pl. 17, 19.

فيمثلهم امرأتان فى أعلى أحد الأبراج يبدو عليهما اليأس الواحده تمزق شعرها والاخرى تمديديها ملتمسة الرحمـــة .

ثم يصدر امر الهجوم الاخير (١) فقد احضر الاشوريون المراقى ولم يبق لدى الحامية بعد ان نفدت سهامها سوى بضعة قطع من الاحجار . ويستمر الملك فى التصويب متسترا بدرعه على حين ينجح احد الجند العمال فى صدع الحائط وعمل نقب فيه وينفذ منه ليكون من اوائل من يدخلون الى المدينة المستولى عليها .

وهكذا انتهت المعركة وانتصر الإشورى فما هذا الذى سيفعله بعد ذلك؟ لقد اضطر تجلات فلاسر الاول الموسكيين فيما مضى الى التماس الصلح وهم قوم كان قد اخضعهم توكولتى اينورتا من قبل واستردوا استقلالهم منذ ستين عاما . اننا نراه يقطع الرءوس ليتوج بها أعلى الاسوار المهدمة لمدنهم ويحطم القصور ويحرق القرى ويأسر النساء والاطفال ويستولى على المعبودات ويأخذ من الممتلكات كل ما يستطيع ان يضع يده عليه ويخصص جانبا منها لآلهة اشور ويحتفظ بجانب آخر لنفسه ثم يترك الباقى لجنده . فان سأل العدو الرحمة فرض عليه جزية سنوية تزداد قيمتها حسب مبلغ اجتياح اراضيه .

ولقد احرق توكولتى اينورتا المدن واضرم النار فى المحصولات والبساتين. وقطع أشور نتسير ابلا ، رءوس القتلى وجعل منها اهراما ولم تأخذه شفقة بمن شقوا عصا الطاعه على حكمه فسلخهم احياء والصق جلودهم على حوائط المدينة كما دفن آخرين احياء فى البناء ووضع غيرهم فوق الخوازيق على طول المتاريس ويمثل نقش فى قصره (٢) العودة المظفرة من حملة ناجحه : تدخل عربات الاشوريين فى مشية هادئه ويعـــد الكتاب رءوس العدو . اما الموسيقيون فيحتفلون بالنصر على القيثار ويسهم فى الغنيمة النسر الذى صحب

(1) Ibid pl. 20.

(2) Ibid. pl 22.

الجيش المنتصر فى مطاردة العدو [1] فيحمل فى مخالبه رأس واحد من المهزومين.
وفى عام ٨٧٩ ق.م. يفخر الملك بقطع ايدى ٢٠٠ أسير سقطوا احياء فى يده.
ويقول « لقد تهلل وجهى فوق الخرائب ... وانى لاجد راحة فى اشباع
غضبى » وقد حمل هو كذلك الى اشور المعبودات المنهزمة . واننا لنرى على
بعض النقوش اربع مجاميع من الحمالين يحملون تماثيل اله الرعد والهات ثلاثة
اخريات [2] : واحدة فى مزارها واخرى جالسة متوجة بالتاج ذى القرون
ممسكة بحلقة فى كل من يديها والثالثة جالسة على عرشها ويميزها رأس حربة وحلقة.
وفى مكان اخر نرى الاسرى والغنائم: [3] حيث يتقدم ضباط الملك ازواجا
وايديهم معقوده علامة الاحترام طبقا لعادة سارية منذ أمد طويل كان قد
استنها السومير وا كاديون . وخلفهم قائد شاب يسوق الاسرى : وفى المقدمة
قائد موثق بحبل يقوده محارب يمسك به من شعره بيده اليمنى ويدفعه. وهناك
ثلاثة من الاسرى واذرعهم مقيده من خلف ومربوطين الى بعضهم بواسطة
حبال ويقودهم جندى مسلح بقوس ويمسك عصا كانه يهم بضربهم . اما
الغنائم فموزعة فى الميدان من اوان وصحاف وقدور وابواق وسبائك من المعدن
وقطع من القماش .

ولم يكن شلمنصر الثانى بن «اشور نتسيرابلا » باقل قسوة . فقد وطئ
« اورارتو » كثور برى » وحوّل مدنها الى اكوام من الخرائب ، كما كوم
اهراما من الجماجم ووضع المهزومين على الخوازيق واحرق القرى واقتلع
المزروعات واجتث اشجار الفواكه فى البساتين واطلق نفسه على سجيتها
فى مساكن العدو فاغتصب الكنوز وانتهبها ولم يرحل حتى اضرم النيران
فى كل مالم يستطع اخذه معه وفى نقوش برونزية من «بلاوات» نرى الاسرى

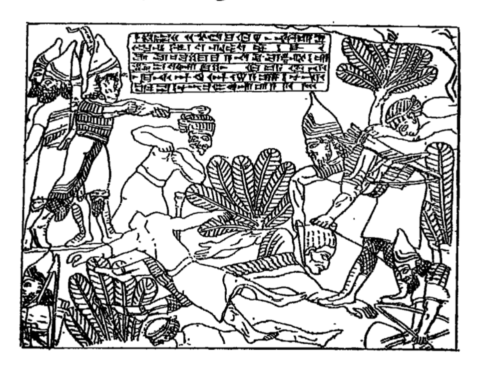
(1) Ibid pl. 14.
(2) Ibid pl. 65.
(3) Ibid pl. 24.

الذين سقطوا فى سوجونيا—احدى مدن أورارتو — يسيرون فى صف عرايا وايديهم مقيدة خلف ظهورهم واعناقهم مربوطة الى اطواق خشبية. وبالقرب من مدينة اخرى من نفس الاقليم نجد المدافعين على الخازوق ونجد رءوس المهزومين مكومة وجند الاشوريين يعملون جاهدين فى قطع الاشجار. ولكن ربما كان شمشى اداد اقل قسوة فانه وان اشعل النيران فى المدن بعد ان نهبها الا اننا لا نراه يفخر بذبح الشعوب التى سقطت بين يديه بل كان يقنع بنفيهم الى اشور وانزالهم الى مرتبة العبودية وتوزيعهم على جنوده.

اما تجلات بلاسر الثالث الذى اعتلى العرش عام ٧٤٥ ق.م فانه يحب ان يشير الى التدمير الكامل للمدن المهزومة حتى انها اصبحت فى مستوى الأرض المحيطه بها. وقد أمر كذلك بقطع الأشجار وبوضع زعماء الثوار على الخوازيق. ومع ذلك فاننا نراه قد استن خطة جديدة للاستعمار: اذ نفى سكان الاقاليم المهزومة الى اقطار اخرى من الامبراطورية وحاول بهذه الطريقة ان يخلق شعبا واحدا بمزج جميع الاجناس بعضها مع البعض الآخر وعين حكاما فى المدن التى اخضعت حديثا ولم يدمرها وأقرَّ بها سكانا جددا تحت حكمهم

وهكذا فعل سرجون: فقد استولى فى بداية حكمه على ساماريا عاصمة مملكة اسرائيل التى ظل يحاصرها الجيش الاشورى مدى ثلاث سنوات وقد طرد اغلب سكانها الى حدود ميديا وحل محلهم سكان جدد استحضروا من شمال سوريا وقد دعمت جموعهم فيما بعد بالعيلاميين والعرب والبابليين. وكان يتصرف فى كل حالة على حدة كسياسى حاذق ويستغل الموقف اروع استغلال. إما بإبقاء احد هؤلاء الامراء المحليين للاقليم المهزوم مولى له فيه او بتعيين احد ضباطه حاكما ولكنه كان — اذا تبين له ان ليس من الممكن تثبيت حكمه بوسائل اخرى — لا يتردد فى ان يبذر بذور الارهاب ويدمر كل شىء فكان يجتث المحصولات ويقطع الاشجار ويحرق القرى. وقصة حملته الثامنة تقدم دليلا على الخرائب التى احدثها فى طريقه: هاهو ذا قد وصل الى

أرض ارماريللى[1] » غزوت سبع مدن محصنه مع ثلاثين قرية مجاورة لها عند سفح جبال اوباندياخربتها وقوضتهاجميعا وسوتها بالارض ، اماالخشاب سقوفها فقد اضرمت فيها النيران وحولتها الى شعلة وفتحت المخازن التىكانت الحبوب اكواما بداخلها واعطيت لجنودى الغلال التى كانت مخزونة فيها ليأ كلوا واشعلت النار فى المحصول الذى كانت عليه حياة الناس واليابس من الاعشاب الذى كان مخصصا لطعام الحيوانات ... وخربت الاقليم فقطعت مزروعاته ومحت غاباته وكومت جذوع الاشجار ثم أضرمت فيها النيران .



(شكل ٤٥) موت تيومان ملك عيلام (نقلا عن لايار : اثار نينوى ـ الجزء الأول)
Layard-The Monuments of Nineveh, t. I

« وبعد أن استولى على قلعةبويابيس ، قتل المحاربين أمام البوابة الكبيرة كالحملان »[2] وحين فكر فى العودة الى اشور اعتزم الاغارة على مدينة « موتساتسير » واستطاع الملك « اورزانا »ان يهرب ، ولكن زوجته وبناته واولاده وقعوا بين ايدى الاشوريين مع غنائم ضخمة

(1) XX, t. III, p. 43 - 45.
(2) Ibid p. 47.

وهناك نقش فى قصر دور شاروكين [1] يبين معبد الاله هالديا والجند يحملون الغنائم منه . ومن بين الاشياء التى وصفتها قائمة الغازى [2] دروع مزنية برأس كلب يكشر عن نابه واحواض للسكائب (للاهراق) وتمثال بقرة ترضع صغيرها منحوتة من الحجر .

أماسناخريب فلم يتردد فى وضع القواد المهزومين فوق الخازوق وان يحيل المدن المدحورة الى رماد . وكان يدخل الفرح الى نفسه ان يجعل دخان الحرائق يصعـــد إلى السماء كتضحية ترضى الآلهة . ولما تمت له هزيمة اتحاد « شوزوبو » مع العيلاميين قطع ايدى الجند الذين سقطوا بين يديه حتى ينتزع من معاصمهم الأساور التى يلبسونها .

وقطع « اسار حدون » رأسى « عبدى ملكوتى » ملك صيدا وحليفه « ساند وارى » ولكن لم يظهر فرحه كما فعل غيره من الملوك بوصف المذابح والنهب والحرائق فى حولياته . ذلك لانه كان ابن امرأه بابليه ويظهر انه كان لهذا السبب اكثر انسانية ورحمة فى كل المناسبات .

اما ابنه اشور بانيبال فلم يكن هناك — على نقيض ابيه — اشد منه قسوة فكان يقطع رءوس المهزومين ويشق شفاههم ثم يرسلهم على صـــورتهم المشوهه هذه الى اشور كى يرضوا فضول شعبه السقيم ولقد اشرف فى بابل على مذبحة بشعة هدفها « ارضاء قلوب الآلهة » وقد قطعت السنة بعض الاسرى ومزقت اوصال اخرين لتلقى طعاما للكلاب والذئاب والخنازير وجوارح الطير فى السماء والاسماك فى القنوات وقد اطلقت يد الجيش بعد الإستيلاء على سوسه مدى اكثر من شهر ينهب الاقليم المحيط بها . وقد وزعت كل الثروة التى جمعها ملوك عيلام بين المعابد والجنود . وقد أمر الحاكم بنهب قبور الملوك الأقدمين وحمل عظامهم حتى تحرم ارواحهم من الراحة الى الابد .

---

(1) XXXVII, t. II, p. 148.
(2) XX t. III, p. 59 - 63

وكان ينظم عقب كل حملة دخول موكب النصر إلى العاصمة مصحوبا بالتراتيل والموسيقى . وفى نهاية الحملة الثامنة نرى « دونانو » الجبولى يظهر فى الموكب وهو يحمل على رقبته راس «تيومان» ملك عيلام التى كان مقدرا لها أن تعرض على إحدى بوابات نينوى كبرهان على قوة اشور . وهى تظهر مرسومة مرة أخرى على أحد النقوش معلقة على شجرة فى حديقة يستريح فيها الملك مع ملكته ، وقد اقتيد « دونانو » نفسه إلى اربيلا وقطع لسانه وسلخ جلده وأحضر على هذه الصوره إلى نينوى عريان متجردا واقتيد إلى مكان الذبح وقدم ذبيحة كـ « حمل » .

٣ — الأسرة

كان شأن الزواج بين الأحرار فى اشور شأنه فى بابل يقتصر فى العادة على زوجة واحدة ولكن الأسرة فيه كانت تكون خلية أقل تماسكا . وكانت الفتاه تحت السلطة المطلقه لابيها ولم تكن لتستطيع أن تتزوج دون موافقته حتى ولو كانت فى خدمة شخص آخر رهنا لدين . وكان من الواجب على إخوتها عند موت أبيها أن يحرروها وأن يحضروا لها باتنة فإن لم يفعلوا لفترة معينة فقدوا كل حق لهم عليها واستطاع الدائن أن يحررها ويتزوج منها . وكان حق الوالد يصل إلى حد تزويج الفتاة من رجل انتهك عرضها قسرا إن شاء الأب ذلك [1]

وكانت الخطبة تتضمن احتفالا يصب فيه الخطيب عطورا على رأس الفتاة ويقدم هدايا من الحلى وأشياء أخرى ومواد غذائية . ومنذ هذه اللحظة تصبح الخطيبة مرتبطة ببيت حميها . وإذا مات الخطيب قبل الزواج أو اختفى فإنها لا تسترد حريتها بل تسلم إلى من يريدها من اخوته البالغين أما إذا مات حموها ولم يكن لخطيبها أخوة فعليها أن تتزوج من أحد الأحفاد اللائقين

(1) LXXIII lois 49, 56

للزواج فإن لم يوجد من بينهم واحد وصل إلى السن الشرعية — التى كانت عشر سنوات — فإن والدها يستطيع فى هذه الحالة فقط أن يزوجها من أسرة أخرى بشرط إعادة جميع هدايا الخطبة ماعدا المواد الغذائية . وإذا حدث أنماتت الخطيبة فليس من حق الخطيب أن يلزم بالزواج من إحدى اخواتها فإن لم يطلبها أو يعطى احداهن فله أن يسترد الهدايا فيما عدا المواد الغذائية . ومن المستطاع أيضا فسخ الخطبة على أن يؤدى ذلك إلى نفس النتائج السابقة إن مات أحد اخوة الخطيب تاركا زوجة يجبره أبوه على الزواج منها[1] . والعقد التالى المحرر كعقد بيع عبد يكشف عن أن الزواج بالشراء أحيانا كان عادة متبعة فى الحكم السرجونى [2] :

« ختم « نابورهتو اوتسور » بن « اهارتيش » الـ « حاسا » فى أيدى « اردى عشتار » من قرية الغسالين . وختم « تبتاى » ابنه وختم « سايم اداد » ابنه أصحاب الحق على اختهم التى يسلمونها. « تنليل هاتسينا » اخت « نابورهتو اوتسور » اشترتها السيدة «نهتشاراو» بثمن قدره ١٦ شاقلا من الفضه لابنها « تسيها » لتصبح زوجته . وقد تسلمتها فهى زوجة لـ « تسيها » وقد دفع المبلغ بالكامل.وأن حدث مستقبلا فى أى وقت أن عارض أو طالب سواء كان « نابورهتو اوتسور » أو أولاده أو احفاده أو أقاربه الأبعدون أو أولادهم أو وصى اواى واحد من رجاله أو رفع قضيه أو قدم تظلما ضد السيدة « نهتشاراو » أو اطفالها أو احفادها فإن ذلك الرجل يدفع ١٠ مينا من الفضة . وان باشر القضية فإنه لا يحكم له .

«ساهبيامو المراكبى وبل شوم ادين بن «ايلى‌اودان نينانى» ، اشدى نتيل ابن اتى الغسال ... الثلاثة « اتباع »المرأه . واى ادعاء للخدمة أو الحجز أو

---

(1) Ibid 23, 24, 44, 32, 31

(2) XCIV Nos 324. 307, 67, 137, 190, 232، 242, 245.
CIX No 655.

الديون يكون الضامن كارميونى — بحضرة اهارتيش ، نابنيتو ، اردى ناناى ، بوتوم هيشى ، هاشبابنوشى وبعل شار أوتسور ...

الأول من ايلول فى العام المسمى باسم «أشورماتو توقين»

« بحضره نورشماش ، بوتو پايتى ، اتى ، نابو نادين اهى الكاتب [1] »

وكانت المرأة المتزوجة تسكن أحيانا تحت سقف بيت أبيها وفى أحيان أخرى كانت تعيش فى بيت زوجها. وكان الزوج فى الحالة الأولى «يدفع لها « دوماكى » وهو حصة فى النفقات العادية للمنزل . كما كان أحيانا يحتفظ لها بـ « نودونو » أو (صداق) وتصبح هى فى هذه الحالة متضامنة معه فى ديونه والتزاماته. وهو أخيرا قد يعطيها « تزهاتو » يصبح ملكا خاصا بها فى حالة الطلاق. وحمو مثل هذه المرأة قد يضيف إلى ذلك « زوبوللو » وهى هدية من الرصاص والفضة والذهب والمأكولات. اماحين تذهب الزوجة لتعيش مع زوجها فان بائنتها « شركو » وكل ما احضرته من بيت ابيها وكل ماقدمه لها حموها كل ذلك كان مضمونا ان يصبح من حق أولادها وليس لاخوة زوجها أى حق فيه [2]

ولم يكن يسمح للمرأة المتزوجة الحرة أن تخرج الى الشوارع دون أن تغطى رأسها وكان ذلك متبعا على الأقل فى فترة معينة فى الالف الثانى . وكانت بناتها يضعن كذلك غطاء راس طبقا للعادة المتبعة . وبهذه الوسيلة كان يمكن تمييزهن من عاهرات المعابد والمومسات والاماء ولم يكن يسمح للحظية « ايسرتو » أن تضع غطاء الراس فان رغب زوجها فى أن يرفعها إلى مرتبة الزوجة فانه كان عليه أن يحجبها أمام خمسة أو ستة شهود قائلا « هذه هى زوجتى » [3] .

وقبيل نهاية الألف الثانى لم يكن من حق المرأة المتزوجة أن تباشر أى

---

(1) Xciv No 307

(2) LXXIII Lois 28, 33. 31, 32

(3) Ibid. 41, 42.

عمل لا يديره زوجها أو أولادها أو أحد اخوة زوجها . كما أنه لم يكن يجوز لها أن تأخذ شيئا على سبيل الاعارة من شخص خارج عن دائرة الأسرة . وكان الرجل الذى يتعامل معها يعد مجرما حتى لو اقسم أنه لم يكن يدرى أنها متزوجة : وكان عليه أن يدفع للزوج فى الحالة الأولى ٢ مينا من الرصاص وفى الحالة الثانية كان المتهم يلقى فى الماء دون قيد يقيده فإن نجا من الغرق كان الزوج يوقع عليه نفس العقوبة التى يفرضها على زوجته[1] . وكان للزوجة فى العهد السرجونى شخصية مدنية أكثر انساعا ومع ذلك فان ورود ذكرها فى العقود أقل بكثير من زميلتها المرأة البابلية . وفى ٦٩٢ ق . م . كانت « امات سولا » زوجة « بعل دورى » تمتلك بالاشتراك مع رجلين بيتا غير مقسم فى مدينة نينوى — وقد باعته دون تدخل من زوجها . وقد اشترت أمٌ فتاة لتجعل منها زوجة لابنها كما باعت أخرى ابنتها للسيدة «اهى تللى» . وقد اقرضت امرأه مالا أو شعيرا واستردت أخرى حقلا كان مرهونا وكانت المرأة تستطيع أن تشترى أو تبيع العبيد وأن تظهر بين المتقاضين

وكانت عقوبة الزوجة الزانية شديدة . ولم تكن زوجة الرجل الحر تعد مجرمة ان اغتصبها ذكر كرهاً فى مكان عام . أما المعتدى عليها فكان يحكم عليه بالموت ان ثبتت عليه الجريمة . أما ان خانت امرأة زوجها وزارت مسكن عشيقها فقد كان يحكم على كليهما بالاعدام . وان كانت لها علاقات محرمة برجل فى ماخور أو مكان عام فان زوجها كان يوقع القصاص عليها ويلقى العشيق نفس العقوبة ان كان يعلم أن المرأة متزوجة ولكنه لم يكن يمسه شىء ان كان يعتقد أنها غير متزوجة . أما ان ضبط الإثنان فى حالة تلبس فإنه يصفح عن غضب الزوج ان هو قتلهما معا للتو . أما أن استدعاهما أمام القضاء فانهما يقادان إلى القصر وعلى الزوج أن يثبت الجريمة وان هو حكم على زوجته بالاعدام فإن الرجل كان يلقى نفس المصير . وان قطع أنفها

(1) Ibid, 22, 23.

فان شريكها يخصى ويشوه وجهه. وكان من حق الزوج أن يعفو عن الاثنين .. وكانت مغازلة المرأة المتزوجة تعود عليها وحدها بالتكدير فان انحطت إلى الزنا فان الاثنين يلقيان نفس العقوبة [١]

وإذا ارتكبت جريمة الزنا فى مسكن امرأة أخرى متزوجة فإن القانون ميز مابين أمرين : الأمر الأول أن يكون ذلك برضى الزوجة والأمر الثانى أن يكون ذلك بالاكراه. وفى الحالة الأولى كان للزوج أن يوقع نفس العقوبة على الزوجة وشريكها وصاحبة البيت . وفى الحالة الثانية كان يحكم بالاعدام على الرجل وصاحبة البيت . أما الزوجة فلم تكن توقع عليها عقوبة ما ان كانت قد اخبرت الزوج بما حدث [٢]

وعلاوة على ذلك يظهر أن المادة الآتية خاصة أيضا بالزنا [٣] حيث تتناول حالة زوجة رجل حر تترك منزل الزوجية واعتادت زيارة مسكن امرأة أخرى متزوجة فاذا كان رب البيت الذى تتردد عليه لا يعرف أنها متزوجة فان صاحبة البيت التى آوت الزوجة تصلم أذناها بعد أن تستعاد الزوجة. أما زوج صاحبة البيت فقد يستطيع افتداءها ان دفع ثلاث وزنات ، و٣٠ شاقلا من الرصاص . ويضاعف هذا التعويض ثلاث مرات ان كان يعرف أنها متزوجة . وان عارض الزوجان أو أحدهما فإنه يُلجأ إلى التعذيب بأن يلقيا فى النهر . فان عاد صاحب المسكن فإنه يدفع ثلاثة أمثال التعويض. أما إذا كان العائد هو الزوج فإنه يستطيع أن يوقع العقوبة على زوجته .

وإن قال رجل لآخر فى هدوء أن زوجته ليست بعفيفة ثم لا يستطيع أن يثبت ذلك عن طريق الشهود فانه يعرض نفسه لأن يقيد ويلقى به فى دجلة . أما ان كان ذلك قد حدث أثناء مشاجرة وعلنا فإن ذلك يعد ظرفا

(1) LXXIII lois 12 à 15

(2) Ibid, loi 24.

(3) Ibid, loi 25.

مخففا إذ يعاقب القاذف بخمسين ضربة عصا ويؤدى عملا شاقا لمدة شهر فى السخرة الملكية ويدفع وزنة رصاصا ويشوه تشويها واحدا . وكانت نفس العقوبة من نصيب من يتهم آخر بعادات شاذة دون أن يستطيع أن يقدم الدليل على ذلك [1].

وكان الاجهاض جريمة يعاقب عليها فى كل الحالات طبقا للقانون الاشورى . وكانت المرأة التى تتهم بأنها اجهضت نفسها يحكم عليها بأن توضع على الخازوق وان ماتت قبل تنفيذ الحكم فيها تحرم من الدفن . وان اتهم رجل بأنه ضرب ابنة رجل حر ضربا أفضى إلى اجهاضها فإنه يدفع وزنتين من الرصاص ويضرب خمسين ضربة بالعصا ويؤدى عملا شاقا لمدة شهر فى السخرة الملكية . وفى حالة زوجة الرجل الحر فى حملها الأول يدفع المعتدى وزنتين من الرصاص . وإذا لم يكن لزوج المرأة المضروبة طفل آخر أو ان هى ماتت فان المعتدى يقتل وفى كل الحالات عليه أن « يحل محل الكائن الحى » مهما كانت مدة الحمل . وفى حالة العاهر يضرب المعتدى ضربة بضربة وعليه كذلك أن « يحل محل الكائن الحى » [2].

وإلى جانب الزوجة الشرعية كان القانون يسمح بحظية أو أكثر يطلق عليها اسم « ايسرتو » وكانت تغطى رأسها حين تصحب سيدتها فى الشارع . وفى كل الظروف الأخرى عليها أن تلبس مثل الخادم مالم ترتفع إلى مرتبة الزوجة حين يغطى رأسها سيدها فى حضرة خمسة أو ستة شهود . وليس لابناء المحظية حق فى تركة الأب إذا كان للزوجة المحجبة أطفال [3]

وكانت المرأة المتزوجة تسترد حريتها ان طلقها زوجها أو ان غاب أو اختفى لأكثر من خمس سنوات ... وتقريبا ـ دائما ـ ان مات .

---

(1) Ibid lois 17 à 19.

(2) Ibid lois 21, 52 à 54.

(3) Ibid lois 41 et 42.

ويظهر أن الطلاق لم يكن خاضعا لأى قيد قانونى بل لم يكن الزوج ملزما بإعطاء أى شىء للزوجة التى طلقها إذا كانت قد عاشت عنده . ويظهر أن المقتنيات التى كانت قد أتت بها إلى المنزل تظل فى هذه الحالة تحت تصرف أبنائها . أما إذا كانت قد ظلت فى بيت أبيها فإن الزوج يسترجع الـ «دوماكى» ولكنه يترك لها الـ «ترهاتو» [1] .

وكان الغياب الذى يمتد أكثر من خمس سنوات سببا من أسباب الغاء الزواج وخاصة حين لايكون لدى المرأة إيراد خاص أو أولاد يستطيعون أن يكفوها حاجتها . وكانت تعطى لها «لوحه ترمل» وابتداء من السنة السادسة تذهب لتعيش مع الزوج الذى تختاره فان عاد الزوج الأول واستطاع أن يبرر غيابه بظروف قهرية فانه يستطيع أن يستعيد حياته الزوجية بشرط أن يقدم بديلة عن زوجته للزوج الثانى [1] .

وكان الأمر كذلك بالنسبة لمن يرسله الملك لخدمته فى الخارج فان كانت زوجته لم تنتظر مدى خمس سنوات كاملة قبل أن تتزوج مرة أخرى فان الزواج الثانى يعد لاغيا والأطفال الذين يولدون من مثل هذا الزواج يصبحون بحكم القانون أبناء وورثة الزوج الأول عند عودته إلى أشور [2] .

وحين يسقط رجل فى أيدى العدو فإن على زوجته أن تنتظره عامين حتى ولو لم يكن لها ابن أو حمو يسد حاجاتها . أما من كانت من موظفات القصر فانه يقدم لها الطعام مقابل خدمتها . أما إن كانت امرأة من الشعب فان عليها أن تتقدم إلى المحكمة لتلتمس منها أن يخصص لها رؤساء المدينة كوخا على قطعة من الأرض تزرعها مدى عامين وتحدد حقوقها كتابة . وفى نهاية العامين تعطى «لوحه الترمل» التى تسمح لها بعقد زيجة جديدة . فان

---

(1) Ibid, lois 30, 39.

(2) Ibid., Loi 37.

عاد الزوج المختفى إلى بلده فانه قد يستعيد زوجته ولكن لاحق له فى الأطفال الذين أتوا نتيجة الزواج الثانى . أما بالنسبة لقطعة الأرض الممنوحة لزوجته لمساعدتها فان الرجل يدفع ثمنها بالشروط المنصوص عليها ويصبح مالكها وذلك فى حالة عدم عودته للخدمة العاملة بجيش الملك وحين لا يرجع الزوج فان العقار يرد إلى المدينة ولا يحق للزوج الثانى أن يحتفظ به .

ولم يكن موت الزوج ليعطى المرأة الحرية دائما ففى بعض الحالات كان عليها أن تتزوج من حميها أو أحد إخوة زوجها من كان قد عقد خطوبة ولكن لم يتزوج أو أحد أبناء زوجها الذى كان ثمرة زيجة أخرى . وكانت الأرملة تستطيع بعد موت زوجها أن تعيش مع أولادها فإن لم يكن زوجها قد ترك لها شيئا بموجب صك مكتوب فإنه كان عليهم إعالتها . وإن كانت زوجة لزيجة ثانية ولم يكن لها أطفال فإن أبناءها من الزواج الأول هم الذين يعولونها ولكن إن كان لها أطفال ولم يرد أولاد زوجها من الزواج الأول التكفل بها فإنها تقوم بخدمة أبنائها مقابل طعامها [1] .

وحين تتزوج الأرملة من زوج ثان فإن كل ما يأتى به يصبح ملكا لها أن أتى ليعيش فى بيتها . أما ان كانت الأرملة هى التى تنتقل لبيت زوجها الثانى فإنها تفقد حقوقها على كل ماتملك مما أتت به إلى بيته لمصلحته وإن لم تحدد التزاماتها بمقتضى لوحة إذ ذاك فإنه لا يستطيع طردها بعد مرور عامين من الحياة الزوجية . أما ابناء الزوج الأول الذين يربون فى بيت الزوج الثانى فإنهم يعتبرون من أسرة أبيهم ويحتفظ لهم بنصيبهم فى تركته مالم تكن لديهم لوحة تبين تفصلهم عن أسرتهم السابقة وتضمهم إلى ذرية زوج أمهم [2] .

وقد يفقد الرجل زوجته تطبيقا لقانون الأخذ بالثأر فإن كان مثلا قد اغتصب فتاة فإن والد مثل هذه الفتاة يستطيع أن يأخذ زوجة المغتصب

(1) Ibid. lois 31, 34, 47.

(2) Ibid. lois 36, 35, 29.

ويجعلها تمارس الدعارة ولا يعيدها إلى زوجها [1].

وكانت الأسرة - كما هي الحال في بابل - تحت ولاية وسلطة رئيس واحد هو الأب، أو أكبر الأبناء - في حالة عدم وجوده - وإذا كان الأطفال صغارا ومات والدهم فإن الأم تعتبر وصية عليهم. ومع ذلك فانه توجد اختلافات جوهرية: فإن قانون حمورابي في بابل في القرن العشرين قبل الميلاد يقوم دليلا على وجود حقوق شخصية واسعة المدى بينما نرى أن العادات المتبعة خلال الفترة السرجونية ترجع بنا إلى مرحلة اجتماعية أقل تقدما من ذلك مثلا السلطة المطلقة المخولة لرئيس الأسرة لبيع أطفاله وربما أيضا لقتلهم.

وقد اشترى « أبالايا » في عام ٦٩٤ ابن « زونبو » بمبلغ ٢ مينا من الفضة بضمانة ضد الصرع. كما دفعت السيدة « أهي تاللي » في سنة ٦٨٧ نصف مينا للسيدة داليا ثمنا لابنتها « أنا أبي دالاتي ». وفي عام ٦٦٨ باع « مانوكي اربايلو » أخته « بيليكوتو » إلى السيدة « زارتي »، وأدرج في وثيقة البيع النص الخاص بالصرع والمعارضة وكذا النص الجزائي الخاص بالعقوبات ضد من يعارض في الصفقة باسم البائع والذي يقضي بدفع عشرة أمثال المبلغ المنصرف وأن يقدم عشر مينات من الفضة ومينا من الذهب للإله « اينورتا ». وفي مختلف هذه العقود نجد أن رأس الأسرة يتصرف كـ « سيد للطفل المباع ». ولا تختلف صيغة هذه العقود عن الصيغة المستعملة في كل عقود البيع الأخرى. ولم يكن يذكر فيها سبب نقل الملكية ولكن الأمر لم يكن كذلك في الحالة التي سلم فيها « ايشدي أشور » أخته « اهات إيبشا » إلى « زابدي » في السنة المسماه باسم « اشور دورو اوتسور » سداداً لدين [2].

وقد كان من نتائج تخويل حق بيع الطفل تقرير حق تسليمه كرهن وكان

(1) Ibid. Ioi 56.

(2) XCIV No 201, 687, 208, 86.

من حق الوالد ايضا ان يكرسه لخدمة احد المعابد . وقد قدم « مانودق » سايس اسطبل الملك ابنه « تابوشارق تابشتى » الى الاله « اينورتا » اله كلح لحياة اشور بانيبال ملك اشور»[1]. وفى هذه الاحوال توضع صيغة الشرط الجزائى فى شكل لعنات : يلتمس المانح من المعبود ان يضرب بذراعه التى لاترحم كل من يحول الطفل عن خدمته وان ينزله اداد الى مرتبة النسؤال وان يجره الآلهة الاخرون الى الهلاك . وهناك مثال أجدر بالسرد هـــو الخاص بابن عاهر المعبد الذى كرسته اسرة امه لخدمة نفس المعبود . ويظهر — كما هى الحال فى بابل — ان النساء المتصلات بخدمة المعبد لم يكن فى استطاعتهن ان تكون لهن ذرية شرعية . وفى الحالة التى نحن بصددها لا يعتبر الطفل ملكا لامه « رايمتو » بل لعميه ولرجلين اخرين صلته بهما غير واضحة. وهؤلاء الاشخاص الاربعة « سادة الطفل المنذور لـ « اينورتا » معبود كلح» قد تولوا امر تربيته وهم يقدمونه للاله « للخدمة والسخرة » ويلتمسون من الاله أن يصغى بعناية الى صلوات كل من يحترم رغباتهم هذه وان يرفض صلوات من يحاولون عرقلة تنفيذها .

ويستدعى التبنى تحرير عقد يستطيع الطفل المتبنى بواسطته — كما هى الحال فى بابل ان يحصل فى اسرته الجديدة على كل حقوق الابن الشرعى حتى ولو انجب المتبنى اطفالا فيما بعد . فى العام الذى سمى باسم « شانابوشو ترى « سنق عشتار » وزوجته رايمتو» يأخذان طفلا صغيرا هو « اشور تساباتسو اقبى » من تابونابيد « ليجعلا منه طفلا لهما » وقد نصا على انه لو قدر ورزقا بعدذلك حتى بسبعةاطفال شرعيين فان « اشورتساباتسواقبى» يظل يعتبر ولدهم البكر [2] ولم يكن الامر أمر شراء صبى بل امر نقلهالى والديه المتبنيين. ومن بين الشروط الجزائيةالمقرر توقيعهاعلى نابونابيد او اى

---

(1) Ibid No 641

(2) XV t. VI col. 198

فرد من افراد اسرته يرجع فى الصفقة — بالاضافة الى تقدمات الآلهة — مينا من الذهب ومينا من الفضة الى انليل وحصانان ابيضان لـ « اشور ». فلقد نص على ان الوريث الأكبر للطرف المطالب يُحرق تكريماً لاداد وهذا الامر يحل محل التعويض بقدر عشرة الامثال الذى يرد عادة فى عقود البيع.

وكان من الممكن ان تقسم ثروة الاب عند وفاته ولكنها كانت احياناً تظل على المشاع بين ابنائه . ولم يكن لابناء المحظية الحق فى شىء منها ان كان للزوجة ابن أو اكثر . وأغلب الظن انه لم يكن من الممكن تبنيهم . اما ان كانوا هم وحدهم الذرية فان الميراث كله يقسم فيما بينهم.

وقد يمنح الوالد اثناء حياته الى واحد أو اكثر من ابنائه ممن يرغبون فى تاسيس بيت خاص الميراث — سواء كله اوجانب منه — كمقدم . وعلى ذلك نجد فى القرن السابع فى العام الذى اطلق عليه اسم « اوباق انا اربايلو »... نجد « تبتاى » يعطى ابنه « اداد اوباليت » بعض العبيد والماشية والارض ويقدر نصيبه فى التركة بثمنها ($\frac{1}{8}$) [1] وفى ظروف مشابهة نرى البابلى يفقد كل حق فى اى نصيب من تركة والده .

وعند موت الرجل الذى تعيش امرأته فى بيت ابيها يصبح الـ دوما كى ملكا للابناء . فاذا لم يكن له اطفال ولم تقسم التركة بين اخوته فان الـ « دوما كى » تكون من نصيب هؤلاء دون ان يطلب اليهم ان يقسموا اليمين او يمروا بتجربة الماء : كان يكفى ان يثبتوا حقهم . اما ان لم يكن له اطفال وكان المتوفى قد حصل من قبل على نصيبه من تركة والده فان الـ « دوما كى » يصبح ملكا للزوجة [2] .

اما الممتلكات التى تأتى بها الزوجة التى تنتقل الى بيت زوجها وكذا كل ما أعطاه اياها حموها فانه يئول الى ابنائها . وليس هناك فى اى حال من الاحوال ما يسمح لاخوة زوجها ان يطالبوا بشىء منه [3]

(1) II, 1898, p. 202.
(2) LXXIII, lois 26, 27.
(3) Ibid. loi 30.

الفصل الثاني

التشريع

لم يعثر فى أشور على مجموعة من القوانين يمكن مقارنتها بقانون حمورابى من ناحية اتساع مدى أحكامه. ولقد كانت توجد — كما هى الحال فى بابل — لوحات دونت على كل منها شريعة تتصل بموضوع معين ولقد عثر على وثيقة من هذه الوثائق سليمة تقريبا وذلك فى خرائب أشور وقد كتبت فى النصف الأخير من الألف الثانى وهى تتناول فى حوالى ٥٠ مادة العقوبات التى توقع على بعض الآثمة وخاصة حالات ضرب أو هتك زوجة رجل حر. وهناك لوحة أخرى من نفس العصر ولكنها مكسورة لسوء الحظ تتعلق بالقانون الريفى. وهناك ثالثة من نفس العهد فى حالة سيئة تحوى قرارات خاصة بالسرقة وتدخل بينها المعاملات التجارية غير الشريفه [1]. أما فيما يختص بالاعوام الأخيرة من عهد الملكية فان مكتبة أشور بانيبال تقدم لنا عددا من الوثائق التى يعطينا بحثها فكرة عما كان عليه التشريع إذذك. فحوالى نهاية الألف الثانى كان يصدر الأحكام قاض واحد يقيم فى المحكمة على حين كان هناك عدد من القضاة يحققون عادة كل قضية فى بابل. وكان لا يلجأ الى القاضى فى بعض الجرائم والجنح وكان — على الأقل — الرجل الذى وقع عليه الضرر مختصا أحيانا بتطبيق القانون بنفسه أو التخفيف من شدة أحكامه : فزوج الزانية له فى كثير من الأحوال أن يعين بنفسه العقوبة المناسبة أو مراعاة الظروف المخففة.

وكان القانون الجنائى يتطلب عادة إثبات الذنب ويحدد العقوبات التى

(1) LXXI.I.

توقع على الجانى وهى الإعدام والتشويه والغرامة والجلد والعمل الاجبارى فى السخرة الملكية لفترة طويلة أو قصيرة . وكان اللص يعاقب بغرامة وخمسين ضربة من عصا وعدد معين من أيام الشغل الاجبارى فى السخرة الملكية . وفى عهد السرجونيين سرق من يدعى « أهو لاماش » ثورا [1] فحكم عليه بالسجن الى أن يصبح قادرا على ردما سرق . وكان العبد الذى يسرق عبيدا آخرين يسلم إلى مولاهم حتى يستطيع أن يخلص ذمته . وقد حكم فى ٦٨٠ على « هانى » الذى أخذ ٣٠٠ نعجة من متعلقات ولى العهد [2] وقتل الرعاة .. حكم عليه باعادة القطيع ودفع ٢٠٠ وزنة من البرونز عن كل رجل . وأخذ مع كل عبيده وكل ما يملكه كرهينة حتى يتم الارجاع والرد .

وكان كل من يتقبل وديعة فى الريف يعتبر لصا ان فقد منها شىء نتيجة إهماله . وكانت نفس المعاملة من نصيب التاجر ن هو غالى فى تقديرا ثمن البضائع التى يعرضها للبيع فان كانت الصفقة تمت بالكتابة فإن الكاتب نفسه كان يعاقب . وكانت المرأة المتزوجة التى تنتسب الى طبقة الأحرار إذا دخلت معبدا و ثبت عليها أنها أخذت منه شيئا فانها تعاقب بعقوبات مشينة .

وكانت الزوجة التى تأخذ متاعا خاصا ببيت الزوجية وتنقله الى الغير تعاقب عقوبة شديدة جدا فان كان الزوج ميتا أو على وشك الموت فانها تقتل هى وشريكها أما إن كان الزوج يتمتع بصحة جيدة فانه يترك له اختيار العقوبة التى توقع عليها . وحين يتم البيع لمصلحة عبد أو أمة فان الزوج قد يصلم آذان الزوجة والمشترى . وعلى أية حال فانه كان يجب أن يعاملهما نفس المعاملة .

وإن سرقت امرأة متزوجة سرقة تقدر بأكثر من ٥ مينا من الرصاص من شخص آخر فان زوجها قد يصل الى اتفاق مع الضحية ويعيد له المسروقات .

(1) XCIV No 1601.

(2) Ibid, No 161.

ويصلم أذنى زوجته . وإن فشل فى الاتفاق مع من وقع عليه الضرر فان هذا الأخير فى هذه الحالة يمسك المرأة لجدع أنفها . وإذا سلمت امرأة فى الريف وديعة خلسة فان المشترى يعد سارقا .

وكان القانون الأشورى يعاقب بقسوة الضرب والجرح وخاصة إذا كانت المعتدية أو المعتدى عليها امرأة متزوجة فكانت تلك التى تضرب رجلا تعاقب بدفع ٣٠ مينا من الرصاص وتضرب ٢٠ ضربة بالعصا – وان هى أصابت خصية رجل فى معركة فان أحد أصابعها يبتر وان أصيبت الخصيتان أو أصاب الجرّاح الأخرى أثناء مباشرته لعلاج الخصية المصابة فان المرأة تتحمل المسئولية كلها ويحكم عليها بقطع ثدييها . وكان المعتدى عرضة لفقد أحد أصابعه إن هو اعتدى بالضرب على امرأة متزوجة وكان قانون العين بالعين والسن بالسن يطبق على القاتل ولكن ربما لم يكن ذلك فى كل الأحوال . والمادة الخاصة بهذا الموضوع أصابها التلف لسوء الحظ . واننا لنجد فى زمن السرجونيين أن القاتل يستطيع تفادى عقوبة الاعدام بأن يمحو جريمة الدم بمنح ابن المقتول عبدا وأسرته « والا فانه يضحى به على قبر القتيل » وحين وجد أن « سيليم ايلى » ارتكب جريمة القتل عدة مرات ختم الاحد عشر شخصا المستحقين للتعويض لوحة أمام الشهود قرروا فيها أن « تسيرى هو سيد القتلى الذين ذبحهم « سيليم ايلى » وأنه يحل محل القتلى قِبلَهم زوجه وأخوه وابنه ومن يقوم غيرهم [1] » .

وليست لدينا أحكام قضائية بل وثائق خاصة فقط تتصل بالقضايا . واننا لنرى فى إحداها مقترضا يمنح مهلة لاستحضار شهود يثبتون بشهادتهم أنه سدد الدين وإلا فانه يكون عليه أن يدفع رأس المـــال والأرباح . ونجد فى وثيقة أخرى أمة مسئولة عن موت خادمة ويضيع ضمانها إن تعذر

(1) XCIV, Nos 321, 618

عليها تعويض الضرر فى وقت محدد [١] . وقد اختصم شخصان بسبب بيت. ثم وصلا الى اتفاق ولذا لم يعد هناك مجال للنزاع وهما لذلك يقرران هذا فى عقد أمام الشهود كما يقدران تعويضا قدره ١٠ مينا من الفضة يدفعه أيهما إذا خاصم الآخر [٢] . وقد أنزل « شماش تتسير » زوجة وابنها الى طبقة العبيد بسبب الديون ثم استولى على أملاكهما : ٥٠ إيمر من الشعير وآلة رى وثور و ½ ١٢ مينا من الفضة . وعمل المدينون اتفاقا معه لاعطائه علاوة على ذلك ثلاثة من العبيد [٣] .

(1) Ibid Nos 101, 166 .

(2) CIX Nn 650. f

(3) Ibid No 655.

الفصل الثالث

النظـــام الاقتصادى

١ — الملكية العقارية

تتقسم الملكية العقارية فى اشور ـ كما هى الحال فى بابل — الى حقول ومزارع وحدائق وبساتين واراضى بناء. ولم تكن المزارع الكبيرة الحجم احيانا لتقوّم بالمساحة بل بكمية الشعير اللازمة لبذرها . وكانت جودة التربة تقدر حسب ماتستلزمه هذه البدوز ٨ أو ٩ أو ١٠ قا من الحبوب لكل وحدة مساحية . ولم تكن المزرعة تحوى ارضا صالحة للزراعة ومراعى فحسب بل حدائق ومبانى كذلك. وكان عبيد الارض يكونون جزءا من الملكية العقارية وينتقلون معها من مالك الى آخر او كانوا يقـــدمون من وقت الى آخر كرهون لضمان قرض .

وكان يملك المزرعة احيانا عدة اشخاص على المشاع . وقد اقرض ريبائى فى عام ٩٨٧ ق.م . ثلاثة اشخاص ٢٥ شاقلا وتسلم مقابل ذلك حقلين وعينا بصفة رهن . وفى العام الذى اطلق عليه اسم «شارونادين » اقترض «موتاقين اشور » و « اشور رش اشى » متضامنين ١٧ شاقلا مقابل اعطاء المقرض حق استغلال قطعة من الارض . وفى العام الذى اطلق عليه اسم « اوباقو انا اربايلو » نجد شخصين آخرين يظهر انه لم تكن تربطهما رابطة عائلية يملكان معا ضيعة مشتركة . (1)

ويظهر ان مدة الايجارة كانت سنتين . وكانت المناوبة الزراعية مرة كل

(1) XCIV Nos 624, 88, 628.

سنتين فكانت الارض تسمى فى سنة « مريشو » (الزرع) وفى السنة التالية « كارابهو » (وكانت الأرض تستأجر لمدة « ثلاثة مريشو وثلاثة كارابهو » وكانت تقدر للرهن الفترة نفسها وهى ما يوازى ست سنوات متتالية) : « وكان من الممكن ان يعطى حق الانتفاع بالحقل لمدة ثلاثة مريشو وثلاثة كارابهو اى ست سنوات » ففى سنة ٦٧٩ عملت اتفاقية لمدة ٨ سنوات وهى خاصة بمدة إيجارة اطول من ذلك وهذا بالنسبة لحقل مساحته ٦ إير لضمانه مينامن الفضة . ويمكن استعادته مقابل دفع المبلغ المقترض ولكن بعد انتهاء الـ « مريشو » لأن المريشو هى السنوات التى تنتج أفضل محصول مما يلحق بالدائن ضررا ان هو فقد فائدة هذه السنوات ومع ذلك فاعتمادا على هذا النص نفسه ندرك أن المزرعة لم تكن كلها تزرع بنفس الطريقة فى وقت تنفيذ العقد فان ثلثها كان مريشو والثلث كارابهو . وهذا الإجراء يختلف هنا عنه فى بابل حيث كانت ترتب زراعة الارض عادة على فترات مداها ثلاث سنوات [1]

وكانت الأموال الريفية تسمى أحيانا باسم صاحبها الحالى (الفعلى) وأحيانا اخرى باسم معين هو غالبا « ام المكان الفلانى » فى القرن السابع وربما كان ذلك يعنى اول منشأة فى المكان المذكور مثل : أم الكودورو ، ام قرية دونى ، ام المزرعة الارامية ، ام الكلديين .وكانت الحدود فى عقود البيع وفى كثير من الأحيان فى عقود الرهن تبين بأسماء الجيران والطرق المتاخمة والانهر او القنوات . وكان البائع يطبع ختمه او ظفره كما كانت تبين المبانى المختلفة وعدد العبيد المختصين باعمال الارض مع ذكر اسماء اهمهم . وكان الشارى يستطيع فى مدى مائة يوم ان يقيم الدعوى إن اصيب احد الخدم بالصرع [2] وكان القانون الريفى فى النصف الاخير من الألف

(1) XCIV Nos 70. 622 623. 8384.

(2) Ibid 373. 622. 391. 443.

الثانى تنظمه مجموعة من القرارات الملكية عثر على بعضها فى خرائب أشور

ولم يكن تقسيم الارض بين الورثه فى أنصبة متساوية دائما . واننالنرى فى حالات معينة ان الأبن الاكبر كان له الحق فى ان يستولى على الثلثين : ثلث منهما يختاره والآخر بالقرعة اما الجزء الذى كان من نصيب رجل قتل « كائنا حيا » فانه من حق « صاحب هذا الكائن الحى » ان يطالب به ان كان الاخير يعتبر التعويض مناسبا ولا يصر على موت المجرم . ويظهر ان كلمة « كائن حى » فى هذه المادة من القانون تعنى اى مخلوق بشرى سواء ولد أم مازال فى الرحم لان نفس العبارة واردة فى النصوص الخاصة بمنع الاجهاض [١]

وكانت لمدينة اشور أملاك ريفية كانت تقرض لظروف معينة او تنتقل ملكيتها الى الافراد . وكانت كشوف الملكية محل مراجعة من وقت لآخر.

وكان هناك موظف هو الـ « ناشى » يعلن النداء الآتى فى المدينة ثلاث مرات فى الشهر : كل من يرغب فى تقديم مطالبة فى مصلحة أو ضد حيازة فلان ابن فلان لملكية العقار الفلانى مدعو للحضور فى نفس اليوم مزودا بلوحاته أمام هيئة احتكام مكونة من ممثل الملك يعاونه كاتب المدينة والـ « ناشى » نفسه وبعض الحكام وشيخ البلد وثلاثة من الأعيان . وحين كان ينادى على القضية كان كل فريق يدلى بحجة ويقدم لوحاته للفحص وكان القرار الذى يسجل فورا يعلن للمتقاضين اثناء الجلسة فان لم يحضر أحد المدعين فى إحدى الجلسات الثلاث الخاصة بقطعة معينة من الأرض فإن مستأجرها يفقد كل حقوقه ويعرضها منادى المدينة للمزاد [٢]

وكان توسيع اقطاعية على حساب مزارع مجاورة لها يعرض الفاعل لعقوبات صارمة فكان يحكم عليه فى حالة ثبوت تعديل الناحية الكبيرة من

(1) LXXIII lois I, II

(2) Ibid loi VI.

حدود أرضه بأن يرد ثلاثة أمثال الأرض المسروقة ويضرب مائة عصا ويؤدى عملا شاقا فى السخرة الملكية مدى شهر وغالبا ما كان يبتر أحد أصابعه إلى جانب ذلك .

وكانت العقوبة مماثلة فى حالة تعديل الحدود الصغيرة من الحقل وإن كان عدد الضربات يخفض إلى النصف كما يستعاض عن بتر الاصبع بغرامة وزنة من الرصاص . وكان حفر جدول فى أرض الغير يعاقب عليه بثلاثين ضربة عصا وعشرين يوما من السخرة الملكيه وكان تسوير قطعة أرض يملكها جار وبدء البناء عليها يعاقب عليه بخمسين ضربة من العصا وشهر من السخرة الملكية ومصادرة الطوب ودفع ثلاثة أمثال قيمة الأرض . وإن زُرِع بستان على أرض الغير فإن الأمر يحتمل شيئين : فإن كان المالك يعيش فى مكان قريب فإنه يفترض فيه أنه أعطى موافقته على ذلك وفى هذه الحالة تسلم قطعة أرض مساوية بصفة تعويض . أما إن كان بعيدا فإن المفروض أن العمل تم ضد رغبته وله عند عودته أن يضع يده على البستان .[1]

ولما كانت حقوق الرى بالماء فى كل البلاد وفى كل العصور سببا لمنازعات بين الجيران فى الريف ويفترض القانون الأشورى وجوب اتفاق الجيران على طريقة استعمال ماء الرى وماء المطر فإن تعذر الاتفاق فإنه ترك للزارع الأكثر نشاطا أن يتقدم للمحكمة لتقرر حقوقه وتثبتها فى لوحة [2]

وكانت هناك ضرائب (رسوم) تختلف من ناحية النوع سواء عن طريق السخرة أو الخدمات العامة تثقل كاهل الأملاك الريفية .

فإذا أراد الملك أن يكافئ خادما مخلصا للإمبراطورية عن حميته وأن يمنحه مزرعة فإنه كان يحدد الاعفاءات التى تتمتع بها مثل هذه الإقطاعية .

---

(1) Ibid lois VIII. IX. XII. XIII.

(2) Ibid loi XVII

ولقد منح « أداد نيرارى » كلا من «قانونى ، اهو لامو ، «مانوكى أبى» بعض الأراضى فى قرية ماجا نوبا . وحدد العشور المستحقة للإله أشور والإلهة باو بمقدار ١٠ إيمر من الحبوب . وحين قرر سرجون أن يأخذ هذه القرية ويبنى مدينة دورشاروكين فى مكانها استبدل هذه الأملاك بغيرها مع « مانوكى ابى » الذى كان لايزال حيا ومع أولاد الرجلين الآخرين : وقد أعفاهم من ضريبة الشعير ومن الإجبار على تقديم العلف ، بل أنه سار إلى أبعد من ذلك فأعفاهم من التزاماتهم قبل الإله أشور . ولكى لا يلحق ضررا بالمعبود ولا يمس الأوقاف (المؤسسات) التى أقامها أسلافه فأننا نراه يمنحه حقلا ذا ١٥ إيمر بصفة تعويض .

وحين أراد اشور بانيبال أن يظهر تقديره لـ « بولثا » الطيب الشجاع منحه لوحة اعفاء لحقوله وحدائقه : « لا تفرض عليها ضريبة شعير ولا استيلاء على العلف ولا يؤخذ أى حيوان كبيرا كان أو صغيرا أما حقوله وحدائقه هذه فلا تخضع لأى ضريبة أو التزام أو سخرة أو جمع رجال وهم معفون من كل حقوق عوائد الرصيف والمرور » .

وتظهر هذه الالتزامات المختلفة فى الوثائق الخاصة ولكن ليس من الممكن الوقوف على النظام الذى كان مقررا للضرائب بالضبط أو ظروف وطريقة تطبيقه . وفى العام الذى كان يسمى باسم « سنشار أوتسور » دفعت أملاك ابن « ابو إريبا » العشور من محصولات الحبوب وكان عليها أن تورد $\frac{1}{4}$ العلف (الكلأ) الذى تنتجه للفرسان الملكية . وفى كلمات مبهمة نجد ضيعة اردى عشتار ، واردى اشور خاضعة « لالتزام تقديم العلف وضريبة الشعير » وعلى العكس من ذلك نجد أن بستان « قورديني عشتار لامور » أعفى من ضريبة الشعير والضريبة المخصصة لمصالح القرية وذلك فى م ٦٨٢ . وهذا النص الأخير يبين أن « ضريبة الشعير » يجب أن تفهم فى

معنى عام يتضمن كل الالتزامات العينية المستحقة حسب مختلف أنواع الزراعة ».
وإننا لنجد فى عقد يخصص فيه أحد الآباء ملكا خاصا لابنته يتضمن بيتا وبعض العبيد — نراه يصب لعنة الآلهة على من « يفرض جزية الملك » على هذه الممتلكات التى كانت تتمتع فى أغلب الظن باعفاء مقرر فى وثيقة سابقة [1] .

٢ — الاتفاقيات

إن معظم الوثائق الاشورية التى تكشف عن الحياة الخاصة المعروفة حتى اليوم يرجع معظمها إلى محفوظات قصر أشور بانيبال وهى محفوظة فى المتحف البريطانى ومعظمها يرجع إلى عصر السرجونيين وتتفاوت لمدى مائة عام وقد استخلصت منها معلومات عن الأسرة والرق ونظام الملكية والقرض بفائدة وحقوق الرهن وعمليات البيع والتبادل واستئجار الخدمات وقوانين العقوبات وذلك عندما بلغت الحضارة الأشورية القمة .

وتبدأ الاتفاقيات الخاصة عادة ببيان أختام الأشخاص الذين يتعاقدون . وهذه الأختام إما اسطوانات أو أختام مسطحة كان يطبعها على اللوحة صاحبها بنفسه فان استحال ذلك فوكيل له يذكر اسمه وصفته نصا تلافيا لقيام أية صعوبة مستقبلا ولم يكن من المعتاد أن توضع أختام الشهود كما كان يحدث فى اللوحات البابلية أو القابادوقية فى الألف الثالث .

وحين لم يكن لدى المتعاقد اسطوانة أو ختم كان يضع ابهامه ويغرس ظفره فى الطمى . ولم تكن التعهدات المتبادلة شائعة على ما يظهر وحتى فى التبادل كان أحد الفريقين فقط يثبت خاتمه .وكان يعتبر البائع. على حين كان الآخر يلعب دور المشترى . وفى كثير من الأحيان أشير فى اللوحة الى

---

(1) XCIV Nos 652. 660. 809. 647. 623. 622. 370. 619.

هدية من الفضة أعطيت مقابل وضع الختم أو الظفر : من ذلك أننا نجد فى عقد من ٧١٣ ق. م. خاص ببيع عبيد سلموا مقابل ١٨٠ مينا من البرونز وقد أضيفت « أربعة مينا من البرونزمقابل الظفر [1] » .

وكان نص الوثيقة يحرر فى أسلوب غير شخصى يتبع بقائمة الشهود وتاريخ السنة المسماه باسم الشخص . ولم يكن الكاتب يكتب دائما باسمه فان فعل فاننا نجده فى نهاية قائمة الشهود مع العبارة التالية : « الكاتب الذى يمسك اللوحة » أو « الكاتب الذى يمسك الوثيقة [2] .

٣ — البيع

كان البيع فى أشور دائما مقابل فضة أو رصاص أو برونز. وكان الثمن يدفع فورا فان لم يتسلم البائع الثمن الكلى للشىء فانه يقدم مع ذلك ايصالا ويأخذ مقابل الرصيد صكا يعترف فيه بالدين . وكان العقد يبدأ ببيان بصمة ختم البائع أو الظفر مع الاشارة الى الشىء موضوع التعاقد . وكان هذا الشىء يوصف تفصيلا مع الثمن واسم المشترى وشهادة الحيازة . ويقرر الكاتب أن الدفع قد تم وأن الشىء المعروض للبيع قد اشترى وأخذ . وهكذا تنتهى العملية ولا يعود هناك مجال للمناقشة. وكانت تحدد العقوبات التى توقع على من يقيم أى نزاع بشأنه كما كان العقد ينتهى بقائمة الشهود والتاريخ .

«ختم دايان كوربان» صاحب البيت المبيع . ثلاثة مخازن بحوش بما فيها باب فى نينوى بجوار « ناهاراو ، نابوا ، كدوما ، ديرا ... » اشتراها من « دايان كوربان » مقابل ٣٠ شاقلا من الفضة وتسلمها . وأعطيت النقود بالكامل . واشتريت هذه البيوت وأخذت . وليس هناك رجوع فى ذلك أو تقاض أو مطالبة. ومن ينازع يدفع ١٠ مينا من الفضة»

---

(1) Ibid Nos 307. 318. 393. 409. 452. 248.

(2) Ibid Nos 412. 1141.

ولم يكن العقد يشتمل على مساحة الأرض فى حالة البيوت كما هى الحال فى بابل. ومع ذلك فانه كان يثبت فى بعض الأحيان مقاييس الجوانب. وعلى ذلك فمن الصعب تقدير قيمة أرض البناء: فبعض البيوت كانت تباع بنصف مينا على حين يبلغ ثمن البعض الآخر ١٢ مينا. وبفرض وجود هذه المعلومات كقاعدة فانه كانت تقوم الى جانب ذلك صعوبات أخرى لأن الكاتب كان يفرق بين أنواع متعددة من المنشآت: بيت اكوللى، بيت قطاطى، بيت ريبتو، أترو، بوتسى، قاقير، تابريو ... مما لسنا نعرف حقيقتها (وربما كانت دكاكين ومخازن ... وهكذا) ولم تكن قيمتها تحدد فقط على أساس المساحة المشغولة. وكان يذكر وجود الآبار وصهاريج الماء والشرفات والأبواب. وكما هى الحال فى بابل يظهر أن الأبواب لم تكن ملكا ثابتا بل يمكن أن تكون ملك المستأجر أو المالك على السواء. وكان البيع يتفق عليه بالفضة أحيانا وأحيانا أخرى بالبرنز. وهناك عقد ذكر فيه أن المبلغ الأصلى للبيع ٣٢ شاقلا من الفضة وذكر فيه أن «شاقلا من الفضة حدد مقابل الختم». أما العقوبات المنصوص عليها فى العقد ليقع البائع تحت طائلتها هو أو أى واحد من أفراد أسرته يرفع قضية ضد المشترى أو ورثته فانها كانت عادة عبارة عن تعويض يبلغ أحيانا عشرة أمثال قيمة البيت ومنحة تدفع الى معبد عشتار فى نينوى أو الى أى معبود آخر فى حالات نادرة وقد تصل هذه الهبة الى ١٠ مينا من الفضة أو الذهب [1].

وكانت حدائق الفاكهة أو الخضر تباع كارض البناء. وكانت صيغة العقد متماثلة: فلان الفلانى يشترى بستانا صغيرا به ٣٥ شجرة. وآخر يشترى زراعة ٦٠٠٠ مقابل ٢ مينا من الفضة. ولا يذكر فى غالب الأحيان أى بيان عن مساحة الأرض وكانت تكفى الإشارة إلى أنها فى حالة جيدة أو أنها تسلم بحالتها. وفى العام المسمى باسم «تسالمو شارّو إقبى» نجد أن «كولكولانو»

(1) Ibid Nos 356. 413. 354. 325. 330. 349. 357.

يشترى بستان فاكهة به عبدان ويدفع ٣ مينا من الفضة مقابل ذلك . ولابد أن الصفقة كانت مهمة فلقد كان هناك خمسة شهود من القرية التى كانت بها الممتلكات وعشرة من القرية المجاورة . ولم يتعهد البائع بأن يدفع عشرة أمثال المبلغ أن هو رجع عن كلمته فحسب بل يدفع كذلك وزنة من الفضة و ٥ مينا من الذهب إلى معبد عشتار فى اربيلا . ولقد ورد فى العقد بيان عن المنشآت والعبيد وعيون الماء والنافورات فى وصف قطعة الأرض المبيعة [١]

ولم تكن قيمة الأرض الزراعية تقدر حسب مساحتها بل بكمية الحبوب اللازمة لزرعها كما كانت الحال فى نفس العصر فى بابل . وقد عنى بالإشارة إلى علاقتها بالمقاييس الجاريه وهى ١٠ ، ٩ ، ٨ قا . وكانت الصفقة تتضمن عبيد الأرض كما كانت تتضمن أحيانا الطيور . وكان يثبت وجود المبانى والحدائق . وقد اشترى « شومو ايلانى » حقلا مساحته ٥٠ إيمر به ١٠٠٠٠ شجرة فواكه ومبان و ٩ من العبيد فى قرية « تى إى » مقابل ٦ مينا من الفضة. وكانت بعض الضياع متسعة جدا فقد اشترى « عشتار دورى » أحد ضباط الملكة الوالدة فى حكم أشور بانيبال ضيعة لم يكن بها أقل من ٣١ عبيدا وقد دفع ثمنا لها ٥٨½ مينا . وقد اشترى أحد ضباط الملك كل قرية «موسينا» فى ناحية « ارپاد » ودفع ١٧½ مينا ولكن لم يكن بها أكثر من ١٥٠٠ شجرة فاكهة وستة أشخاص . ومما هو جدير بالملاحظة فى هذا العقد الشروط الجزائية الواردة فيه فقد نص على أن كل من ينازع فى الصفقة باسم البائع يقدم حصانين أبيضين للاله أشور واربعة من الجحوش إلى نرجال ووزنتين من الفضة ووزنة من الذهب إلى عشتار نينوى إلى جانب التعويض الواجب دفعه للمشترى وهو مقدر بعشرة أمثال قيمة العقار . [٢]

وكان بيع العبد يتم بنفس الإجراءات المتبعة فى بيع الأملاك العقارية

---

(1) Ibid Nos 446. 468.

(2) Ibid Nos 621. 622. 473. 443. 431. 422. 428. 471. 464. 429.

ولكنه كان يتضمن مع ذلك فقرة مزدوجة لامكان الفسخ مماثلة للفقرة الواردة فى قانون حمورابى . وكان الصرع عيبا يلغى البيع كما هى الحال فى بابل . وكان على المشترى الأشورى أن يتبين وجوده خلال ١٠٠ يوم ليتسنى له الغاء عقد الشراء على حين كان البابلى من عصر حمورابى يعطى شهرا فقط لهذا الغرض : أما بعد هذه الفترة فكان يفترض أن الإصابة بهذا المرض حـــديثة . أما فيما يختص بالمطالبة فانه لم تكن لها حـــدود . وإننا لنجد الصيغة تبين على الأقل فى شكل بالغ الغموض أن على البائع أن ينفذ المطالب الحقة « فى كل الأيام وكل الأعوام » وفى عام ٧١٣ ق. م. نجد أسرة مكونة من أب وأم وخمسة أطفال انتقلت ملكيتهم مقابل ١٨٠ مينا من البرونز. وقد نص على أن من يبدأ اجراءات النزاع عليه أن يدفع ١٠ مينا من الفضة إلى « اينورتا » اله كلح كما يدفع وزنة من الرصاص إلى حاكم مدينته بخلاف التعويض المقدر بعشرة الأضعاف للمشترى . وكنا قد لفتنا النظر إلى اشارة فى عقد سابق عن منحة عن الختم الا أننا نجد فى هذا العقد أن البائع ليس لديه ختم ولكنه تسلم مقابل بصمة اظفره ٤ مينا من الرصاص أى أكثر بقليل من ٢ ٪ من ثمن الشراء الفعلى . ولقد بيع نساج مهر فى صناعة الأقمشة المتعددة الألوان بمبلغ ١½ مينا لخدمة معبد « اينورتا » فى كلح . وفى حالة قيام بعض المصاعب حول هذا الأمر فان من ينازع فى عقد البيع يدفع ١٠ مينا من الفضة وكمية معينة من الذهب للمعبد بخلاف التعويض المعتاد. وكان الرجل يساوى ٢٠ ، ٣٠ ، ٣٢ شاقلا من الفضة و ٥٠ أو ١٠٠ مينا من البرونز ولكنه كان يساوى أحيانا ١ مينا و ٧ شاقل من الفضة . وكان ثمن حمار يبلغ ١½ مينا من الفضة وهو ما يعدل ثمن النساج . كما كان ثمن الأمة ٩ شواقل أو ٣٢ وقد يصل الى ٢ مينا [1]

---

(1) Ibid Nos 248. 354 642. 177. 180. 186. 196-199, 315. CIX Nos 505. 506.

ولقد تبيَّنا وجود عقوبات توقَّع على البائع أو أحد أفراد عائلته أن هو رجع عن الصفقة وأننا نجد أن الاطالة فى هذا الموضوع قد تكون ذات فائدة : أن العقد الذى يلزم البائع بمقتضاه انما هو اتفاق علنى لا يربطه بالشارى فحسب بل بالمعبود كذلك وكان يتضمن نوعا من القسم — ضمنيا على الأقل — مما يجعل نقض الاتفاق حنثا يعد ذنبا وخطيئة . وقد عبر عن هذه الفكرة صراحة فى عدد كبير من النصوص بفقرة « الآلهه هم أصحاب قضيته » التى خصصت حتى اصبحت « أشور هو صاحب قضيته » و « أشور وشماس هما صاحباقضيته» ولعل هذا هو السبب فى أن المخطىء أو المذنب كان عليه أن يتطلب رضاهم أما فى شخصه أو فى أطفاله أو فى أملاكه . وكان الأمر كذلك بالنسبة للملك لأن الملك كان يتمتع بنفس امتيازات المعبود : « إن القسم بالملك هو فى الواقع صاحب قضيته» وحين اشترى «ابلا» مزرعة واربعة من العبيد فى ٦٩٨ نرى أن كل من ينازعه أو ينازع أطفاله يجب أن يأكل قدرا معينا من احشاء ثور مع روثه ويشرب « دم الأرز »[1] . وليس هذا مثلا مفردا فإننا نجد نفس الصيغة فى عقد بيع العبيد أو عقد بيع أرض . وهنالك عقد آخر يضيف إلى ذلك التزام تناول قدر معين من نبات شوكى حتى يصبح اللسان مسحوجا (مجلوطا) ومثقوبا . وكان الآلهة القساة يغالون فى المطالب فيتطلبون أحيانا تقديم ضحايا بشرية . ولقد ذكر ذلك ابلا نفسه فى عقد إذ ذكر أن الابنة الكبرى للمنازع ستحرق بـ ٢٠ قا من خشب الأرز تمجيدا للالهه « بعليت تسيرى » . وقد تطلبت نفس الضمانة السيدة « مانوكى اللا » فى عقد بيع ثلاثة من العبيد « سيحرق ابنه الأكبر أو ابنته الكبرى تمجيدا لبعليت تسيرى مع ايمر من أفضل الطيوب » ولم يكن الإله اداد بأقل قسوة : وكان التماس رضائه يستلزم حرق الابن الأكبر لورثة « نابونايد » أو وريثه الشرعى ممن يرفع دعوى استرداد طفل تبناه « سنكى

(١ خلاصة (زيت) مستخرجة من خشب الأرز

عشتار » وزوجته « رايمتو » .

وكانت تقدمه الخيول البيضاء كذلك عقوبة توقع على المتنازع لمصلحة الآلهة . وكان عليه أن ينذر اثنين أو أربعة لآشور ، وسن و عشتار وغالبا كان يضيف اربعة مهور (جحوش) إلى نرجال اله العالم السفلى (الجحيم) . وهناك اشارة إلى قوس لا ينورتا اله كلح فى عقد بيع عبيد . وأننا لنجد فقرة تتردد كثيرا تلزم المنازع بدفع مبلغ معين من المال إلى خزانة الآلهة: أشور وعشتار فى نينوى واينورتا فى كلح « ايل أدو » فى « كانو » و« أداد » فى « دور ايلليل » و سن فى حَرَّان : مينا من الفضة ومينا من الذهب لانليل فى عقد تَبَنٌّ ، و ١٠ مينامن الفضة ومثلها من الذهب لنفس الآلهة فى ٦٧٩ و ٢٠ مينا من الفضة فى بيع عبيد مقدرين بـ ٢ مينا ووزنة من الفضة وعشر مينات من الذهب . وفى عقد آخر وزنة من الرصاص فقط . وهناك شخص آخر يعطى نفس المبلغ (وزنة من الرصاص) لمندوب الحكومة بخلاف مايجب أن يدفعه إلى الآلهة بالاضافة إلى ذلك [1]

وكان هناك كذلك مجال للتعويض ضد الطرف الثانى مقدرا فى أغلب الأحيان بعشرة أمثال قيمة الشىء المتنازع عليه . وفى حالة خاصة قدرت فيها قيمة أرض بـ ٨٠ مينا من البرونز نرى أن التعويض قد قدر بمائة ضعف لهذا الثمن [2] . وكان يعمل حساب لاحتمال قيام نزاع حول الشىء المبيع مستقبلا وتقرير إمكان اعتبار الصفقة ملغاة ولكن هذا لا يكون بدون نفقات يتحملها من يرجع فى الصفقه فيسمح له باستعادة بيته أو حقله أو حديقته

---

(1) Ibid, Nos 315. 163. 161. 318. 476. 473. 474. 244. 436. 481. 474. 310 215. 350. 471. 326. 263. 262. 316. 161. 282. 283. 247. 523. 498. 326. 417. 248. 554.

CIX Nos 505. 506. 41.

(2) Ibid No 350.

أو عبده كأنما كان قد سلمها بصفة رهن ولكن على شريطة دفع تعويض للطرف الثانى وكذلك الى المعبود أحيانا . وفى عام ٦٨٧ ق . م . نجد امرأة قد اشتريت بوزنة من البرونز « لا قضايا ولا منازعات ... ان من ينازع فى المستقبل فى أى وقت (ويقول) : « اننى أعتق المرأة » عليه أن يدفع مينا من الفضة ويأخذ المرأة » . وقد وضعت بعد ٦ سنوات شروط مماثلة ورُدَّت ٢ مينا لاستعادة امرأة قدرت بـ ٩٠ شاقلا . ولكن — كقاعدة عامة — كان كل عقد بيع يعتبر نهائيا وكانت تنص الصيغة العادية جدا على أنه إذا احتكم البائع او اى عضو من اسرته الى المحكمة فانه لا يأخذ شيئا. واننا لنجد فى صيغة اخرى انه نص على انه ليس للقاضى ان يستمع الى التظلم كما نرى فى صيغة ثالثة ان التظلم لن يعتبر قضية وان المتظلم لايجاب الى طلبه [1].

٤ — التبادل

لم يكن التبادل — كما هى الحال فى بابل — نوعا خاصا من التعاقد بل كان يتم بموجب عقد مماثل لعقد البيع . وفى العام المسمى باسم « سن شار أوتسور » كان هناك ثلاثة أشخاص يمتلكون معا العبد « عشتار دورقالى » استبدلوه بأمة كان يملكها « كاكولانو » . وكنا نتوقع ان نجد فى بداية العقد ذكرا لأختام الطرفين المتعاقدين ولكن شيئا من ذلك لم يحدث بل اثبت سادة « عشتار دورقالى » وحدهم اختامهم كما لو كانوا هم وحدهم الملتزمين .

« ختم نابو اهو اوتسور ، ختم اهونى وهما ابنان لـ « نارجى »
ختم اهو نورى بن سيلى ... جملة عددهم ثلاثة رجال .
يمتلكون رجلا سلم على سبيل التبادل مقابل امرأة »

ويستمر النص — كما هى الحال فى عقد البيع — على الوجه التالى :

---

(3) Ibid. 453. 218. 213.

« عشتار دورقالى عبد هؤلاء الرجال قد اشتراه كاكو لانو
الـ « راب كِتْسير » من هؤلاء الرجال بالتبادل مع امته « توليها »
لقد اشتراه وتسلمه . ولا رجعه فى ذلك ولا قضية او مطالبة .
ومن يقوم مستقبلا ويرتكب عنفا سواء اكان نابو اهو اوتسور
أم اهونى أم اهونورى أم اولادهم أم احفادهم أم اقرباؤهم
الابعدون أم ابناء اقربائهم الابعدين أم من يمت لهم بصلة
... اىٌّ من هؤلاء إن نازع مستقبلا او اقام دعوى ضد كاكولانو
او اطفاله او احفاده فان « اشور وشماش وبعل ونابو » هم
سادة قضيته : سيدفع ١٠ مينا من الفضة » .
ويلى ذلك أسماء احد عشر شاهدا والتاريخ .

وهناك لوحة اخرى ليست اقل فائدة رغم تشويهها تشويها كبيرا وهى تخص عبيدا ثلاثة استبدلوا بحصان فى حالة طيبة : « انهم اشتروا وتسلموا » ويضيف الكاتب الصيغة المعتادة لعقود البيع : « دفع المبلغ بالتمام » ولكن لم يكن هناك مجال لذكر شيء عن فرق الثمن بين الشيئين المتبادلين ولم يكن هذا التعبير هنا سوى نص تقليدى بحت [1] .

٥ — القروض

من النادر ان كان القرض يمنح فى اشور دون ان يحدد المقرض الضمانات الحقيقية والمباشرة وهى رهن ذو اهمية ينتفع به فى الحال ويحتفظ به غالبا دون اجراءات اخرى ان لم ترد اليه امواله. ذلك بينما كان المتبع فى بابل بصفة عامة ألا يتخذ الدائن اجراءات اثبات حقوقه على الاشياء المرهونه الا عند حلول تاريخ السداد . وفى اشور ايضا كانت القروض فى اساسها هى الشعير . وفى الاقليم المحيط بنينوى كانت القروض بالفضة والبرونز وهى العملة السائدة

(1) Ibid, Nos 318. 252.

الا انها كانت احيانا خاصه بالحبوب والزيت والماشية .

وقد وجدت القروض من غير فائدة لآجال قصيرة فى القرن السابع . وفى عام ٦٩٣ ق.م. تسلم « أربا » مبلغا قدره ١٧ مينا من اندبى » فى التاسع من آب وتعهد « ان يعيد المال فى تيشرى على اساس راس المال . وفى حالة عدم السداد تكون الفائدة الشهرية ٢ شاقل لكل مينا » اى ٤٠ ./. فى السنة وهذا السعر المرتفع جدا ربما كان يعتبر كعقوبه على الدائن الذى لا يستطيع المحافظة على تعهده . وكانت الفائدة المعتادة فى بابل ٢٠ ./. ولكن من المستحيل أن نعرف السعر المعتاد فى اشور لان العقود نادرا ما تتناول الفائدة بالذكر . وانما لنجد الفائدة فى واحد منها مقدرة على اساس ٣٠ ./. وفى آخر قدرت ارباح المبلغ الخاص بمعيد اربيلا : ٢٥ ./. وكانت الفائدة تقدر على اساس الشهر اوالسنة . وفى سنة ٦٦٧ ق.م. اقرض « نرجال شار اوتسور » ٥ مينا ، وهذا المبلغ « يتزايد بمقدار ٥ شواقل من الفضة كل شهر » اى بفائدة ٢٠ ./. وفى ٦٨٦ اقترض سوكا ٣ مينا من الفضة « تزيد ٦ شواقل شهريا » اى بفائدة ٤٠ ./.

اما اذا كان القرض بدون فوائد فانه فى حالة عـــدم سداد الدين فى التاريخ المحدد للسداد فانه يقدر على رأس المال من هذا التاريخ فائدة بسعر ٤٠ ./. او ١٠٠ ./. او احيانا ١٤١ ./. . وبالنسبة للفائدة المقدرة على اساس ٥٠ ./. كان الاصطلاح المعتاد هو « يزيد بمقدار نصف شواقله » وعلى أساس ٣٣ ./. و ٢٥ ./. يعبر عنها بنفس الاصطلاح « يزيد بمقدار ثلثه او ربعه » وليس هناك من شك فى ان سعر الفائدة المعتادة كان معروفا وانا لنجد فى بعض الحالات اشارات مبهمة مثل « المال يزيد » ان لم يدفع راس مال فانه يدفع اكثر منه[1].

اما بالنسبة لسلف الحبوب فان الفائدة كانت عادة ٥٠ ./. ومرة ٣٠ ./. ولقد كانت فى بابل سابقا ٣٣ ./. ثم اخذت تنحط الى مستوى فائدة الفضه حتى بلغت ٢٠ ./. ٥٠ إيمر من الشعير تخص ولى العهد ، فى يد تاقونى الثانى ، توضع تحت

(1) Ibid, Nos 78. 87. 27. 28. 271. 18. 258.

تصرف «ها ماثوثو» من قرية «هاندوات . يزيدالشعير بمقدار ٥٠ قاللايمر».

وكان نفس السعر يستعمل بالنسبة للقروض بغير فائدة حين لا يتم السداد فى التاريخ المتفق عليه [1]

وقد اقرض «كتسير اشور» ١٠ شواقل من الفضة وهى الثمن المقدر لكمية معينة من العلف يجب أن يسلم فإن لم يسلم هذا الدريس طبقا للشروط المقرره فإنه تسرى على المبلغ فائدة بواقع ١٠٠ ٪ وكذلك وضع «شوما إيلانى». فى ٢١ آب ٦ إيمر من الزيت الطيب تحت تصرف «اشور بعل اوتسور» وكان يجب ان تستعاد فى الشهر التالى والا احتسبت الفائدة ـ كما هى الحال فى الامر السابق ـ مساوية لرأس المال أى قدرت الفائدة بواقع ١٠٠ ٪. وفى هذين المثلين وأحدهما خاص ببيع تم الدفع فيه مقدما والآخر خاص بقرض بغير فائدة نجد ان الشرط الخاص بالفائدة هو فى الوقت نفسه شرط جزائى ولا يمكن الاعتماد عليه باعتباره السعر المعمول به بصفة عامة [2] .

وحين يجد المدين نفسه فى حالة لا تسمح له بإعادة الشيء المعار عينا او ما يعادله فانه كان ينص عادة على مايفرض عليه دفعه . وفى شهر تبت ٦٨٣ ق . م وضع «مانوكى ننوا» ٢٥٠ قا من النبيذ تحت تصرف «اوتاما». على ان يردها فى شهر ايارو «ان لم يرده فانه يلزم بان يدفع الثمن على اساس سعر السوق فى نينوى»، وهكذا تصرف سيليم اشور فى موقف مماثل فى ٦٧٥ . وفى ٦٧٤ اعطى «دانا» الى «ايلى موكين اهى» و «اداد ابال ادين» حق استعمال هجينين وكان عليهما ان يرداهما فى الاول من «مرششوان» او يدفعا ٦ مينا من الفضة فان لم يكونا فى وضع يسمح لهما بذلك فانهما يدفعان الفائدة. وفى ظروف اخرى كان ينص على دفع «قيمة المنازعة» اى عشرة امثال قيمه الشيء الذى لم يرد .

---

(1) Ibid Nos 131. 129. 148.

(2) Ibid 151,

وقد يتم اتفاق كذلك على مكان التسليم وفى حاله التأخير يحدد مكان آخر . وقد اقرض نابودورى ٣٠ إيمر من الشعير الى تبتاى سائق «عجلة ما جانتسى» بشرط إعادتها فى مارششوان فان قام بتسليمها بعد ذلك فعليه ان يحضرها الى نينوى [1].

٦ — الرهون

كان الرهن الذى يطلبه الدائن عبارة عن ملك عقارى أو منقول . وغالبا ما كان عبارة عن مزرعة بعبيد الأرض الذين عليها . وكانت الصيغة المعتادة هى الواردة فى العقد التالى :

« ٢ مينا من الفضة على نظام مينا قرقميش خاصة بـ « ادّاتى » زوجة الحاكم تحت تصرف... يا ، مساعد مفتش المدن. وقد أخذت بدلا من الـ٢ مينا عقارا مساحته ١٢ إيمر وهو حقل موجود بـ « مزارع » مدينة أشور و « كوردى اداد » وزوجته وثلاثة أبناء و « كاندلانو » وزوجته وعددهم جميعا سبعة أشخاص و ١٢ إيمر أخذت بصفة رهن تحت تصرف ادّاتى وبمجرد سداد المبلغ يرد إليه الحقل والمذكورون »

ثم يلى ذلك أسماء الشهود والتاريخ .

وفى هذه الحالة الخاصة ، وفى حالات أخرى ، كان يصبح للدائن حق الانتفاع بالحقل المرهون ويعتبر هذا مقابلا للفائدة . وقد نص على ذلك صراحة فى عقود أخرى وهكذا نرى أن « مارشارى بعل احى » يستلم ويأخذ فى مقابل ١٢ شاقلا ارضا مساحتها ٢ إيمر و ٢٠ قا بمكيال سعة ٩ قا (أى أنه يلزم ٩ قا من الشعير لزارعة وحدة المساحة) « وسيأخذ محصولها كل سنة » وحين يسدد المدين « سن كوتسورانى » المال فإنه يسترد حقله . وكان فى مثل هذا النص مخاطرة من جانب المقرض . إذ لم

(1) Ibid Nos 127. 122 à 124.

يكن دائما موضع تنفيذ. فقد اقرض معبداربيلا رجلين مبلغ١٧ شاقلا من الفضة بفائدة ٢٥ ٪ وكان على مدير المعبد أن يستغل قطعة من الأرض مقدمة كرهن وأن يجمع المحصول: فان زادت الغلة عن الفائدة فإن المدينين يستمتعان بالفائض . أما إذا قلت عنها فعليهما أن يعوضا العجز . وحين يكون الرهن بيتا وكان المقرض يعيش فيه فإن الإيجار يمكن اعتباره معادلا لفائدة المال المقرض أما إذا لم يكن يعيش فيه فان المدين يكون ملزما بدفع الفائدة المتفق عليها . وكان العبد المسلم كرهن يؤدى خدماته للدائن وكانت قيمة هذه الخدمات تخصم من الفائدة وقد تعادلها . وهكذا نرى فى ٦٦٨ ق . م قرضا قيمته ٣ مينا اتفق على أنه بدون فائدة ما دام هناك عبدان قد وضعا تحت تصرف الدائن حتى تاريخ السداد .

أما عن التبعات من هرب أو موت فانها تقع على كاهل المالك لا على الدائن . وقد ذكر ذلك صراحة « موشكينوبا » الذى اقرض ٣٠ شاقلا من الفضة إلى « نابو نادين اهى » فى العام المسمى باسم « نابو شار اهيشو » . وهذا هو المتبع بعينه فيما يخص الضمانة ضد الصرع . وكان يمكن أن ينص على أن المال المقرض يصبح واجب السداد فورا فى حالة اختفاء الرهن [1] .

٧ — الكفالة

كان الأشورى يستطيع أن يفعل ما يفعله البابلى من ناحية رهن زوجته وابنائه أو بناته . ولم يكن من حق الدائن أن يحلق أو يشوه هؤلاء الاشخاص وإلا فانه يعاقب بشق أذنيه فكان لا يستطيع تزويج الفتاة الحرة الموضوعة تحت خدمته دون موافقه أبيها فإن كان الأخير ميتا فإن على اخوتها واجب عتقها فى مدة قصيرة وإلا فإنه يصبح من حق الدائن نفسه أن يحررها ويزوجها [2] .

(1) Ibid, Nos 65. 67. 68.

(2) LXXIII loi 45.

وكان من المحظور بيع الأشخاص أو الحيوانات المعطاة كرهون وكان جزاء ذلك عقابا شديدا [١]

وكما هى الحال فى بابل ـ ولكن ربما كان ذلك فى نطاق أضيق ـ كان يمكن اختيار الكفالة فى أشور . وقد فعل ذلك « كتسير أشور » لا فى صفقة قرض ولكن بمناسبة سلفة مالية أعطاها لثلاثة أشخاص كان عليهم أن يوردوا له كمية من الدريس (العلف) . وقد أخذ أحدهم على عاتقه مسئولية تسليمها بالكامل . وتحمل التعويضات فى حالة عدم مراعاة التنفيذ فى الأجل المحدد. وفى ٦٨٠ ق . م . طلب « دانا » كفالة لضمان ارجاع ٧٢ نعجة معارة لفترة تبدأ من شهر « سمانو » الى شهر «آب» . ومن الجائز أن يشترك فى عقد القرض طرف ثالث يصبح المدين الحقيق ويوقع العقد بخاتمه . وفى سنة ٦٧٠ وضعت ١٠ شواقل تحت تصرف « مينو اهى انا ايلى » لمدة عشرين يوما . وقد استعارها ليقدم خدمة لـ « بودوبياتى » الذى لا يطمئن إليه «سيليم أشور» « أن أعطى بودوبياتى المال إلى «مينو اهى انا ايلى» ليسلمه إلى سليم أشور (هذا حسن) وان لم يعط بودوبياتى المال فإن على مينو اهى انا ايلى نفسه أن يدفعه [٢] » .

---

(1) Ibid lois B.C. D.

(2) XCIV Nos 151. 119. 99.

الكتاب الثالث

المعتقدات والحرف

الفصل الأول

الديانة

لم يكن الدين الاشورى يختلف عن البابلى فى روحه فكانت العبادة من وحى التقاليد العتيقة لسيبار واوروك وبابل . أما العقيدة فقد تناولها التعديل لتلائم العبقرية الخاصة لجنس حربى . وعلى أية حال فإن الدين لم يكن له أثر مطلق على هذه الحضارة الحربية . ويلاحظ ذلك بصفة خاصة فى زخرفة القصور حيث كان يقوم تصميم كل شئ بقصد عرضه ، لا عن وحى شعور دينى بل تمجيدا للأمير الحاكم .

وقد منح الإله الأعظم أشور (العطوف) اسمه إلى أول عاصمة وإلى البلاد جميعا . وكان يعبده الكثيرون منذ القرن الخامس والعشرين وكان له المقام الأول بين الآلهة الممجدين فى ناحية قيصرية فى كبادوكيه. وقد وُحِّد بأنشار الذى كان طبقا لقصيدة الخليقة البابلية أسبق من أنو إله السماء .وكان ملكا للآلهة جميعا وخالق السماء أنو والأقاليم السفلية . وكان ـ مثل مردوك ـ فى نظر البابليين خالق البشرية كذلك وقد صنعت نظرية خلق العالم تمجيدا له . وكاله حربى ادعى اخضاع الناس جميعا لنيره لأن مردوك «منحه منذ الأبد آلهة الأقاليم الأربعة لتمجده حتى لا يتهرب من ذلك أحد »[1] وكان يمثل مسلحاً

---

(1) XX, t. II, fig. 315.

بقوس ممدود مستعد لرمى سهم فى وسط قرص مجنح مستعار من الرمز الحيثى .
وكانت زوجته عشتار الاشورية التى تسمى فى معظم الأحيان بعليت (الملكة)
وتحتل عشتار بعد اشور أهم مكانة فى مجمع الآلهة الاشورية على الأقل فيما يتصل بالحملات الحربية لأنها كانت هى كذلك محاربة . ويسميها اشور ريش ايشى « بطلة المعارك تلك التى لا تبقى على واحد من أعداء أشور » ويحكى أشور بانيبال انها رؤيت فى الحلم بجعبتين احداهما على الكتف اليمنى والأخرى على الكتف اليسرى وهى تمسك بقوس فى يدها وتستل سيفا حادا كما هى مصورة على الأختام الأسطوانية . وهناك ثلاث إلهات عبدت تحت هذا الاسم كانت لهن معابد فى كلح ونينوى واربيلا .

والآلهة سن ، شماش ، أداد ، بعل مردوك ، نابو ، اينورتا ، نرجال ، نوسكو هم الآلهة الذين يتردد ذكرهم كثيرا فى النصوص التاريخية وهم الذين يلتمسهم الملوك بطيبة خاطر مع أشور وعشتار .

وكانت المعابد الاشورية تبنى على نمط الهياكل السومير و أكاديه ولكن بها نفس الاختلافات التى لاحظناها فى العمارة المدنية .

وفى أحواش هذه المعابد — كما هى الحال فى بابل وبورسيبا — كان الاشوريون يبنون « زيجورات » أو برج مدرج وهو آخر مراحل التطور لما كان من قبل رمزا للإله . وقد عثر على اطلالها فى دور شاروكين واشور .

وكان الكهنوت يشمل نفس الترتيب والتقسيم إلى ثلاث طبقات من الكهنة تبعا للوظائف المقدسة التى كانوا يؤدونها هناك وهى الخاصة بمن يطهرون الناس والأشياء (الأدوات) عن طريق الطقوس السحرية والصلوات ثم أولئك الذين يقرأون رغبة الاله فى كتاب الطبيعة ثم أولئك الذين يقومون بالدور الثانوى للمغنين والخدم . ويظهر أن الكاهنات كن أقل عددا منهن فى أكاد إذ أن النصوص لا تذكرهن كثيرا .

وكان للأمير — وهو ممثل الآلهة على الأرض — الذى اختاروه ليتولى

الملك ... كانت له مهمة ثلاثية يباشرها : ان يحفظ العدالة ويتمسك بالحق فيمنع ظلم القوى للضعيف وأن يخضع لاشور الشعوب التى لم تحترمه بعد ويعاقب أولئك الذين يحنثون بإيمانهم والإخلاص له وأخيرا أن يعمل ككاهن بنفسه وذلك سواء فى عودته من الصيد أو فى احتفالات العبادة الهامة وتحوى نقوش القصور مناظر يباشر الملك فيها سكب السوائل القربانية تمجيدا لعشتار على أجساد السباع المرشوقة بسهامه .



(شكل ٤٦)
تمثال الاله نابو حوالى عام ٨٠٠ ق . م .
(المتحف البريطاني)

وكان الدور الذى يلعبه الكهنه الذين يستطلعون الغيب بالغ الأهمية فكانت لديهم فى مكتباتهم الطقوس البابلية وكانوا يضيفون اليها باستمرار نتائج ملاحظاتهم وكان يلجأ اليهم عند كل حادث فى الحياة العامة أو الخاصة . وفى المناسبات الخطيرة الشأن كانت الاستشارات تتزايد . وقد تبين لسرجون فى لحظة الانطلاق ضد « موتسا تسير » أن نجوم نابو ومردوك تشير إلى بيت فى السماء مما كان فألا يدعوه إلى حمل السلاح وكان سن قد أشار فى اليوم السابق إلى علامات مرضية تنبئ بالاستيلاء على السلطة كما خط شماش على الأحشاء نذر يعتمد عليها تعنى أنه سيسير إلى جانب الملك . وقد كان الآلهة يكشفون عن أنفسهم بأبسط الوسائل . فلقد استشار أشور بانيبال الإله نابو فأجابته نسمة عن الإله قائلة « لاتخش شيئا فسأمنحك عمرا طويلا » .

وكان المعبود يظهر رضاءه نحو البشر عن طريق الأحلام فى معظم الأحيان. وكانت عشتار تسلك هذا السبيل لتدخل السكينة الى نفس أشور بانيبال فى أحرج اللحظات — ولقد كان الحلم في إحدى الليالى واضحا حتى أنه لم يكن يحتاج الى كهنة يفسرونه. ولقد وصل الجيش الأشورى عند مطاردته للعيلاميين حتى ضفاف ايديد حيث خندق العدو وراءها وكان التيار سريعا وجارفا ولم تكن هناك مخاضة وخشى أشجع المحاربين أن يعبر النهر فظهرت عشتار اربيلا للجنود أثناء نومهم وشددت من عزائمهم بهذه الكلمات « سأتقدم أمام أشور بانيبال الملك الذى خلقته يدى » فعادت الثقة الى نفوسهم وعبروا النهر فى اليوم التالى دون حدوث حادث ما.

وكانت العبادة الإلهية — كما هى الحال فى بابل — تتكون من أدعية وصلوات عامة أو خاصة ثم تقدمات وتضحيات. وكان العيد الرئيسى لكل معبود يشتمل على « اكيتو » أى موكب يحمل فيه تمثال المعبود حتى يصل الى معبد يسمى أيضا « اكيتو » ويقع خارج المدينة. وقد كشف عن اكيتو أشور المسمى « أكيت تسيرى » على مبعدة ٢٠٠ متر وراء سور المدينة.

وكان يحتفل باكيتو عشتار نينوى فى شهر تبت وبسميتها عشتار فى اربيلا فى شهر آب: وقد حضر أشور بانيبال الاحتفال بعيدها فى عام ٦٥٥ ق. م. وكان يقود بنفسه فى رحلة العودة العربة الموضوع عليها تمثال الإلهة ودخل المدينة دخول الظافرين وسط هتاف الجماهير وكان يسبقه بعض الأسرى المثقلين بالأغلال وهم دونانو، وساجونو امراء جامبولو كما عرضت رأس « تويمان » ملك عيلام على الشعب.

والنقوش الملكية مليئة بالدعوات فهناك تجلات فلاسر الأول يلتمس من انو واداد أن يلتفتا إليه دائما « الا فلينظرا برضيا عنى عندما أرفع يدى ويسمعا دعواتى. الا فليمنحا حكمى أمطارا غزيرة واعواما من الثروة والرخاء. الا فليعاونانى على الخروج من الحروب وطنين المعارك سالما آمنا. الا فليخضعا

تحت قدمى كل الأقاليم المعادية لى وكل الاقاليم والأمراء والملوك الذين يخاصموننى . إلا فليسبغا بركاتهما علىّ وعلى نسلى الكهنوتى . إلا فليثبتا كالجبال الى الأبد كهنوتى أمام أشور وآلهتها » .

ولم يبدأ سرجون الحرب ضد اورسا ملك أورارتو قبل أن يرفع يديه الى أشور ملتمسا « ان يتم هزيمة (عدوه) فى وسط المعركة: وأن يرد عليه سلاطة لسانه حتى يحل به العقاب » .

والتمس أسرحدون اجابته لى هذه الرغبة الآتية : « إلا فليراع الآلهة الذين يساعدوننى أعمالى التقية بفرح . الا فلتبارك قلوبهم الثابتة ملكى . الا فليخلد نسلى الكهنوتى حتى اليوم الأخير مثل أساس الايساجيل وبابل . إلا فلترحب الجماهير بالملكية مثل نبات الحياة . ألا فلأرعهم وأربيهم على العدالة والحق » .

وقد دعا نفس اسر حدون الى القصر اشور وعشتار نينوى وكل آلهة اشور ليقدم لهم تضحيات وهدايا كما انه كذلك فى يوم مناسب من شهر ذى فال طيب دعا سرجون اشور ومعبودات اخرى وقدم لهم هدايا من الذهب والفضة « حتى اسعد نفوسهم »

وكانت التقدمات للآلهة متنوعة جدا وكان الملك عند عودته من كل حملة يضع جانبا من الغنائم لصيانة وترميم هياكلهم ولتنمية خزائنهم. وقد قدم تجلات فلاسر الاول آلهه البلاد التى فتحها الى اداد . وكرس سناخريب مبانى دينيه تخليدا لذكرى انتصاره على بابل . وعند عودة اشور بانيبال من عيلام بعد نهب سوسة ارسل خيرة العبيد واحسن مافى (الغنائم) الى آلهة اشور وكان المواطنون يمنحونهم الاراضى واحسن الاشياء ويكرسون لهم العبيد بل — وكذلك — اطفالهم لخدمتهم .

وكان حلف اليمين يصحب احيانا بتضحية. وكانت الضحية تقرن بمن يسأل الآلهه ان تشهد على صدق مايقول . وكما كان الامر فى بابل لم يكن

هناك فاصل بين الدين والسحر . وحين عقد اشور نيرارى اتفاقيةمع « ماتى إيلو » امير ارپاد قدم كبشا مخصيا كذبيحة وقال المضحى « هذا الرأس ليس رأس كبش مخصى . إنه رأس ماتى ايلو ورأس أطفاله ورأس عظماء قومه وشعب ارضه ... هذه الخاصرة اليمنى ليست خاصرة الكبش . انها خاصرة ماتى ايلو وخاصرة اطفاله وخاصرة عظماء قومه وخاصرة شعب ارضه » . ثم تمنوا أن يكون مصير ماتى ايلو مصير هـــذا الكبش المخصى ان هو حنث بيمينه .

وكانت التضحية مصحوبة ببعض الطقوس السحرية تستخدم فى مناسبات كثيرة فى الحياة الخاصة . وعلى هذا كان « تطهير المرأة التى لم تكن تحظى بحب زوجها تتطلب الى جانب الذبيحة رقية توجه الى عشتار . وفى خلال الاحتفال كانت عقيصة ذات ١٤ عقدة من القنب والصوف « وقطعة من متن غزال » توضع فوق حجرها [1] .

وكما كانت الحال فى بابل كان الخوف من الآلهة أساس الدين . وقد كتب « اداد شوم اوتسور » فى وصفه البداية السعيدة لحكم اشور بانيبال قائلا : « إن الآلهة على استعداد طيب والخوف من الإله عظيم والمعابد غنية » والملك نفسه يقول « أنا فى خشية فى حضرة هيا كل الآلهة العظام » .

وكانت العقوبة جزاء نقض ناموس الواجبات الدينية بل أن الموت كان أحيانا عقاب المجرم . وقد عاقب اشور بانيبال من قصروا علنا فى اداء هذا الواجب فقطع السنة جنود اكاد الذين تمردوا على اشور . ويقرر سناخريب « أنه بأمر إلهى اشور لم يكمل كودور ناهوتى ملك عيلام ثلاثة شهور بل مات فجأة بموت قبل الاوان » .

وكانت التقوى الدينيه من ناحية أخرى تكافأ بالعمر الطويل فى هذا العالم . أما الحياة فيما وراء القبر فلم تمنح الآشوريين اكثر مما منحت البابليين

(1) I t. XVIII

اى نوع من الجزاء عن اعمال الخير او الشر مع ان العدالة كانت تتطلب جزاء مناسبا . ويؤكد تجلات فلاسر الأول مثل هـــذه المكافأة فى حالة « اشور دان » احد اسلافه «كان سلوكه وقربان التضحية مرضيا لكبار الآلهة وهو لهذا السبب قد وصل الى شيخوخة وقوره وتقادم » .

ويقدم «اشور تتسير ابلا» مذبحا «كى تطول حياة روحه وحتى تكون ايامه عديدة » ويقول اشور بانيبال للمعبودات التى رمم معابدها : امنحونى — انا الذى اخشى معبوداتى العظيمة — حياة تمتد اياما طويلة وسرور القلب وليجعل السير فى معبدك اقدامى مسنة » .

الفصل الثانى

الفنون

١ ــ البناء والتشييد

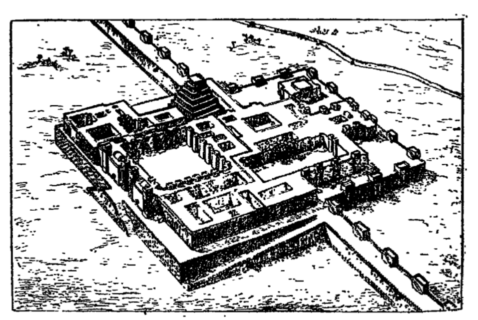
لا يكاد أحد ملوك أشور يعتلى العرش حتى تتملكه نزعة هجر قصر تملأ حوائط غرف الاحتفالات به نقوش وكتابات تشيد بشجاعة سلفه وتخلد ذكرى الأعمال العظيمة التى قام بها . وذلك رغبة منه فى أن يقوم هو أيضا بتشييد أثر تمجيدا له تصور فيه وتوصف أهم أحداث عهده . وقد انقذت عادة ترتيب هذه النقوش فى أسفل الحائط جانبا كبيرا من التهشيم إذ أنه حين انهارت الحوائط سد الجزء العلوى منها الغرف والابهاء دون أن يحطم التصميم وترتيب العناصر المختلفة .

والقصور الأشورية كلها متشابهة إن لم يكن فى تفصيلاتها فعلى الأقل فى التخطيط العام لترتيبها . ولعل أشهر قصر نعرفه هو قصردور شاروكين الذى بنى فى الأعوام الأخيرة من القرن الثامن . ولقد وصف بوتا وبلاس الكشف عنه وزيناه بلوحات معتنى بها تظهر فيها تباعا مراحل الحفر المتعددة . وقد خصص بيرو وشبييه وصفا رائعا له مصحوبا بمنظر يختلف عما تخيله توماس . ولقد بنيت مدينة دور شاروكين والقصر فى نفس الوقت ولكنهما لم يعمرا طويلا ولم يتناول المبانى الرئيسية أى تعديل . وقد اختار سرجون مكانا لهما قرية « ماجانوبا » على « الخاوسار » على مبعدة نحو ١٥ كيلومترا الى شمال شرق نينوى . وقد أحاط المدينة بسور تحصين مستطيل وبنى مسكنه فوق مسطح فى مستوى الحوائط على جانبى الجدار الشمالى الشرقى حيث

يوجد بروز تحيط به ابراج تشبه ابراج السور وبروزها الى ناحية الريف. وهناك بروز آخر الى داخل المدينة وتبلغ المساحة التى يشغلها هذا المسطح حوالى ١٠ هكتار وهى تتكون من مستطيلين يرتبطان عندجوانبهما الطويلة اما المستطيل الصغيرمن الخارج فساحته ٣٥٥٥٠ مترا مربعا والاخر ٦٠٩١٦ وكان بالقصر اكثر من ٢٠٠ غرفة كشف منها بوتا عن ٤٠ وبلاس عن ١٨٦ وكانت تتجمع فى ثلاثة اجنحة متميزة منها ما كان مخصصا كقاعات استقبال ومنها ما كان مشتركا من غرف السكنى ومنها المعبد. وفى الجانب المواجه للمدينة كانت توجد واجهة فسيحة تتخللها ثلاث بوابات ضخمة تحيط بها ابراج مربعة. وكان يحرس المدخل الأوسط الرئيسى ثلاثة ازواج من الثيران المجنحة وصور كبيرة الحجم لجلجامش وهو يخنق اسدا كما ان ماحوله العقد كان مزينا بطوب خزفى متعدد الالوان. اما المدخلان الآخران فكان لكل منهما زوج من الثيران المجنحة كحراس. وهذه البوابه تؤدى الى المساكن الخاصة مرتبة حول جوانب ثلاثة من بهو مربع تقارب مساحته مساحة بهو اللوفر. ومن داخل هذا البهو يستطيع المرء ان يمر الى جناحين آخرين هما المعبد وقاعات الاستقبال التى لم يكن يوجد اتصال داخلى مباشر بينها. اما كيف كان يمكن الوصول إلى الشرفة التى ترتفع ١٤ مترا فوق مستوى السهل فان هذا سؤال لم تستطع اعمال الحفائر ان تسمح بالاجابة عليه حتى الآن اذ انه لم يعثر على اثر لسلم او منحدر فى اتجاه الريف او المدينة. والمنظر المجدد الذى اعده توماس وشيبيه يصور مجرد افتراضات لما كان عليه القصر ولكن مهما يكن من امر من حيث المكان الذى اقيم فيه هذا السلم او المنحدر فانه مما لاشك فيه انه كان هناك طريق للدخول للسماح للعربات والماشية السمينة بالوصول الى مخازن التموين والتجهيز ولتسهيل دخول وخروج الحاشية الضخمة الملحقة بالقصر.

وكان يواجه الزائر بمجرد وصـــوله الى البهو الكبير الخاص بالجناح

المشترك حائط مرتفع به باب واحد يؤدى الى قاعات الاستقبال . والى اليمين توجد غرف متعددة متجمعة حول ابهاء صغيرة تستخدم كمطابخ ومخابز وحظائر ... الخ وفى هذا الحى عثر كذلك على المراحيض (دورات المياه) .والى اليسار كانت مخازن المئونه والادوات والطوب والمعادن ومختلف انواع الغنائم مستقلا بعضها عن بعض ولكل منها مسكن خاص للحارس . وفى وسط هذه المبانى ممر يؤدى الى المعبد ويتفرع لممر بين حائطين عاليين الى البرج المدرج والاجزاء الخلفية من المبنى . ويمتد أمام مجموعة قاعات الاستقبال بهو كبير كانت مساحته حوالى ثلثى بهو الجناح المشترك . ومن



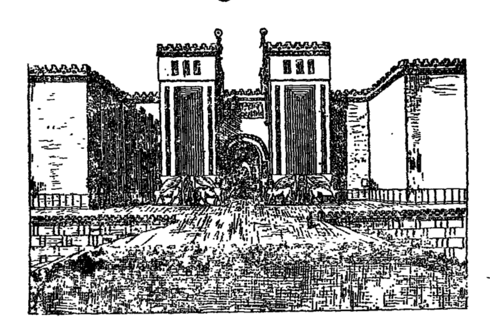
(شكل ٤٧)
قصر دور شاروكين (منظر من اعلى) (نقلا عن بيروه وشيبيه)

المحتمل انه كان يمكن الوصول اليه من الخارج من جهة الشمال الشرقى من جانب حائط السور . ولكن هذا الجزء من البناء مخرب تماما وليس هناك اثر باق للبوابات .

وكانت المبانى المخصصة للاستقبال تشتمل على حوالى ٦٠ غرفة موزعة حول ابهاء مختلفة ومقسمة الى مجموعتين متميزتين تماما الواحدة عن الأخرى

وتكون الاولى ما سماه بلاس بالقسم المنقوش وهــــو مجموعة قاعات الاحتفالات ..اما الآخر فأقل زخرفة وكان حى الكاتب والديوان .

وقد وضع المدخل بحيث يحجب اية رؤية مباشرة من الخارج . وكان المرء يدخل اولا الى بهو صغير يخرج منه دهليز ضيق طوله ٤٥ مترا



(شكل ٤٨)

قصر سرجون — تفصيلات الواجهه من ناحية المدينة

يؤدى الى البهو الرئيسى وهو أفخم بقعة فى القصر كله. وعند الدخول الى هذا البهو ومساحته ٩٧٦ مترا مربعا كان الزائر يجد أمامه ثلاث بوابات جميله مقبية واثنتين أخريين على كل جانب تؤدى إلى غرف الاستقبال الرئيسية السبع وكلها مزينة ببلاط منقوش وطوب زخرفى . وكان البهو نفسه مزينا بنفس الطراز وتحرس الأبواب الرئيسية ثيران مجنحة . وكان أسفل الأفاريز العاليـة مقسما بانتظام قسمين : فالجزء العلوى مغطى بكتابات طويلة تتكرر فى عدة قاعات وبينما نجد فى أحد الأجزاء أحداث الحكم تذكر فى ترتيب تاريخى وهى الحوليات أذ نجد فى آخر الأعمال البارزة للخمس عشرة حملة الأولى تتجمع فى ترتيب جغرافى وهى تكون «فخر» الملك وتقاويمه وفى الجزء

السفلى نحتت ونقشت نقوش بارزة ملونة تروى بالصور ما تقصه لنا النصوص المكتوبة فوقها .

ولم تكن المواد المستعملة لتسمح للعمارى بأن يبنى القاعات بالأحجام التى يريدها وقد جعلها كلها على نمط واحد بطول ٣٢ مترا وعرض ٨ مترا .

أما مكاتب الدولة فكانت أضيق وكان عددها ٤٩ غرفة متجمعة حول خمسة أبهاء وقلما كانت جدرانها مزينة بالنقوش ولكن كانت تغطيها طبقة ملونة من الملاط أو مصورة . وقبل أن نترك هذا الحى نلاحظ إلى الشمال الغربى من بهو الدخول مبنى كبيرا غنيا بالزخارف يضم على الأخص ثمانى قاعات استقبال كبيرة .

وإلى الجنوب الغربى من البهو الكبير للحى المشترك يقوم المعبد وتشق طريقك إليه إما بالدخول إلى بهو عن طريق مدخل ينفتح مباشرة على المبانى المشتركة ثم ينحنى فى محاذاة الحائط الخلفى لقاعات الاستقبال أو عن طريق مدخل آخر على الواجهة المقابلة للمدينة بممر ينحنى فجأة فى زاوية قائمة. وكانت المبانى مكونة من ثلاثة أجزاء متشابهة من ناحية التصميم ومنفصل بعضها عن بعض تماما وكانت زخرفتها بسيطة تقتصر عادة على ملاط أبيض مع أفريز سفلى عريض أسود . ومن بين الثلاثة الأبهاء التى تقوم حولها المبانى نجد واحدا جديرا بالملاحظة بالنسبة لفخامة زخرفته : فلقد كان مزينا بطوب خزفى يكون افريزا سفليا عريضا تقوم فوقه أنصاف أعمـــدة . وبالقرب من الأبواب ذات العقود توجد تماثيل وأشجار نخيل من البرونز المذهب وكان يخترق الأرضية من الطوب رباطان من البلاط المتقاطع المرتفع كانا يربطان الأركان ويؤديان إلى أربع غرف ثلاث منها كانت غرف احتفالات بمشكاة فى الحائط الخلفى يسبقها مسطح يرتفع ٦٠ سنتيمترا فوق الأرضية .

وكان مسطح القصر يشمل إلى جانب ذلك مبنيين آخرين على الجانب الجنوبى الغربى فهناك أولا الـ « زيجورات » بقيت منه أربعة طوابق تدل

آثارها على أن لكل منها لونا خاصا ثم مبنى منعزل ومخرب كان مبنيا من كتل الحجر الجيرى وزين بنقوش من البازلت :لمناظر الصيد والحرب والجزية

وكانت المشكلة القائمة أمام المعمارى هى هذه : أن يجمع ثلاث مجاميع من المبانى كان يجب أن يكون بينها وبين العالم الخارجى أقل ما يمكن من صلات ثم — بعد ذلك — أن يكون فى كل منها مجاميع فرعية بنفس الظروف على أن تراعى حاجات العمل للحاشية الضخمة الملحقة بالقصر . ولقد استطاع حلها بطريقة تنطوى على الحذق وذلك عن طريق عمل ابهاء لا ترتبط إلا بواسطة ممرات ضرورية وتتجمع حول كل مجموعة منها الغرف العديدة اللازمة لخدمة معينة . وكان المحور هو البهو الكبير للحى المشترك الذى كان يتصل مباشرة بالخارج من ناحية وبالمجموعتين الأخريين من ناحية أخرى[1] .

أما طراز زخرفة الحوائط والبوابات فقد فرض عليه عن طريق التقاليد منذ القرون الأخيرة للملكية . ومثال ذلك فى قصر سرجون وقصر « اشور نتسيرابلا » فى كلح الذى رممه بنفسه وزينه بنقوش يشيد فيها بأعماله وكذا فى قصر « اشور اتيل ايلانى » خلف اشور بانيبال ذلك القصر الذى لم يتم العمل فيه والذى نرى حجراته وهى من حجم صغير مزينة بصور غير معتنى بها .

والتقاليد التى نحن بصددها لم تأت من بابل بل أخذها الاشوريون عن الحيثيين الذين توجد فى قصورهم المبنية فى الألف الثانى زخارف منحوتة فى أفاريز (أسفل الحوائط) التى نجدها عند الحيثيين أقل إرتفاعا . بل وأكثر من ذلك أن الملك نفسه — مثل مافعل « تجلات بلاسر » من قبل — يشير فى هذه النقوش إلى هذا التأثير ويقرر أنه هو كذلك أقام مبنى على الطراز الحيثى يسمى « هيلانى » بلغة العاموريين .

وكان قد جرى تساؤل لمَ كانت المبانى الهامة تبنى من الطوب فى بلاد

---

(1) LXVI, t. II, p. 121.

ليس بها الجص نادراولم يكن الأمر أمر تقاليدفقط مادام الحجر كان يستعمل إلى مدى لا نظير له فى بابل حتى حين خضعت الأخيرة بدورها للتأثير الأشورى اليس من الممكن أن نقرر — كما اقترح پروه أن السبب فى ذلك يرجع إلى أن الأعمال الثقيلة يمكن أن تؤدى بسرعة بواسطة أسرى الحرب حتى يستطيع المعماريون بذلك أن يجدوا أنفسهم فى وضع يسمح لهم بإرضاء طلبات الملك التى لا تحتمل الإرجاء؟

وكانت المبانى الرئيسية — كما هى الحال فى بابل — تقوم فوق ربوة لم تكن ضرورية فى أشور للوقاية ضد الفيضان ولكنها كانت تضفى على المبنى كله منظرا رائعا .

وكان اللبن يستعمل فى الجدران قبل أن يتم تجفيفه حتى ترتبط طبقاته المتتالية بعضها ببعض دون استعمال المونة. أما بالنسبة للقباب فإن الطوب التام التجفيف كان يستعمل وكانت الفجوات تملأ بالطين.

ولقد استعمل سرجون الأحجار ليسند شرفة قصره . وكانت الحوائط بارتفاع ١٤ مترا تقوم على أساس من ٢ ½ مترا ويتوجها حاجز ارتفاعه ١ ½ من الأمتار أما مقاس الكتل الطولية فى القاعدة فكان ٢,٧٠ طولا × ٢ عرضا × ٢ سمكا من الأمتار وزنتها أكثر من ٢٠٠ طن أما أحجار الرباط فنصف ذلك فى الطول بسمك قدره ٣ أمتار . وكان السمك يتناقص كلما ارتفعنا نحو القمة بحيث تصبح أحجار الرباط والكتل الطولية أقل مترا منها عند القاعدة وكان الميل أو الانكسار من الداخل ليوازن ضغط التراب بينما كانت الحائط من الخارج عمودية تماما . ولم يكن هناك ملاط لربط الكتل التى كانت تهذب إلا حيث تتصل بالطوب الذى لم يتم تجفيفه : وهنا كانت تترك خشنة لتسهيل الالتئام .

ولم تكن الأحجار تستعمل فى حوائط الأسوار للمدينة بنفس الطريقة بل كانت عبارة عن أساس ارتفاعه ١,١ من الأمتار وكانت فيه أوجه الأحجار — وهى تبعد احداها عن الأخرى ٢٤ مترا تتكون من

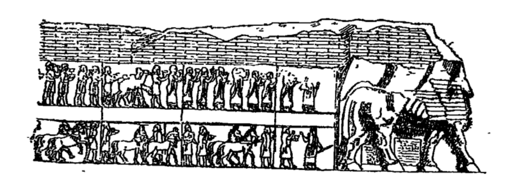
كتل مصقوله بعناية ولا يربطها بعضها ببعض الملاط (المونة). وكان الفراغ بينها يملأ بواسطة كتل غير منحوته مستوية من اعلى كى توضع فوقها الطبقة الأولى من اللبن (الطوب المجفف فى الشمس).

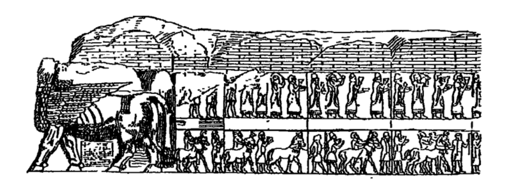
وحتى فى القصر نفسه كان الحجر يستعمل تكسيه لواجهات الحوائط وللأرضية ولتيجان الاعمدة. واننا لنجد الاسفلت تحت البلاط وعند قاع المجارى وفى الحالتين كان هدف المعمارى ان يمنع رشح الماء. وكان البلاط ينحدر نحو مكان تجميع المصارف المقطوعة من الحجر حيث تفيض منها المياه فى ماسورة من الفخار إلى بالوعات من الطوب ترتكز على قاعده من الاسفلت.

ولم توجد قبوة واحدة فى مكانها ولكن عثر فى أنقاض وسط الغرف على قطع من كتل مقببة هى احيانا كبيرة ومغطاة بملاط من الداخل. ويظهر أن قباب الغرف كانت تعلوها شرفات إن نحن اعتمدنا على كمية الانقاض.

وكانت القبوة تستعمل كذلك للمجارى الرئيسية أما على شكل العقد المدبب المكون فى كل ناحية من اربع قطع من الطوب على شكل المعين من اشكال مختلفة مربوطة على التوالى بين كل زوج من الصفوف بالطين او الطوب. وإما من المدبب بالتبادل مع القبو شبه الدائرى. وكانت نفس عملية البناء بالعقد المدبب تستعمل فى كلح جنبا الى جنب مع قنوات ذات قطاع مستطيل مسقوفه ببلاط بسيط مستو.

هذا والقصور مخربة لدرجة لا تسمح بان تجعلنا نعرف على وجه التحقيق طريقة اضاءة الغرف. وحتى حين نجد حائط الغرفة يصل بطريق الصدفة إلى ارتفاع ٧ أمتار (وهو امر نادر) فاننا لا نجد أثرا للشبابيك. وكانت فتحات الأبواب واسعة وهى لا تقل فى خورساباد عن مترين اتساعا وهى غالبا ثلاثة أمتار ويتراوح ارتفاعها بين أربعة وستة أمتار: ولكن هذا لم يكن كافيا لجعل الإضاءة كافية فى القاعات. ومع ذلك فإن المناظر القليلة للبيوت ليس بها اية فتحة بالجدران ماخلا بعض فتحات التهوية احيانا قرب السقف





(شكل ٤٩) الزخرفة فى اسفل الحائط لممر فى قصر دور شاروكين (نقلا عن بوتا : آثار نينوى)
(Botta, Monum en ts de Ninive)

وربما كانت تستعمل انابيب فخاريه قطرها قدم على وجه التقريب مادام وجود مثل هذه الاشياء فى اكوام الاطلال قد يدل على انها سقطت مع القباب او ربما كان هناك سرداب يترك تحت السقف كما هى الحال اليوم فى بيوت كردستان .

وتدل النقوش البارزة على ان الابواب كانت ذات عقود او فى القليل من الحالات مستطيلة وفى الحالة الاخيرة كان يستخدم عتب للباب من الخشب او الحجارة او المعدن . وقد قدم لنا قصر سرجون مثالا من الحجر الجيرى بعتبه زخرفة على شكل تنانين مجنحه تزحف نحو اناء موضوع بينها .

وكان العتب السفلى يصنع عادة من الحجارة فى القاعات الخاصة بالاحتفالات . وباللوفر نموذج رائع جيء به من نينوى [1] نحت على

(1) LXVIII No 74.

شكل سجـــادة تنتثر فوقها ورود ذات ست ورقات وتحدها من ثلاثة جوانب حافة من زهور اللوتس والبراعم على التوالى وهناك ركنان مجوفان لعارضتى الباب وفى الوسط فجوة مربعة للمتراس السفلى. وهناك ٣٩٦ عتبة سفلية أخرى صنعت لأشور بانيبال مشـابهة من حيث الرسم للعتبة السابقة وفيما عدا ذلك — وخاصة مابين الغرف ذات الارضية الترابية كانت العتبات فى أسفل الأبواب تصنع من الطوب . وكثير من الغرف لم تكن لها ابواب وكان يعلق على مدخلها ستار بسيط وحيث كان هناك باب كان من الطبيعى ان يصنع من مصراع واحد وأحيانا من مصراعين وكلها تنفتح الى الداخل. وكانت القائمـــة تعتمد أحيانا على كعب (جلبة) من البرونز تدور فى أوقاب منحوته فى الحجارة فى أغلب الأحيان كما هى الحال فى المبانى القديمة السومبرية ولكنها كانت فى بعض الاحيان من الطوب أو البرونز .

وكانت البوابات الرئيسية للقصر تغطى بالمعادن الثمينة كما كانت التماثيل والنقوش الخارجية توضع عادة بالقرب من الأبواب والممرات .

وكانت تعترض الحوائط أحيانا بعض الاعمدة اوالقنوات مثال ذلك فى أحد أبواب معبد خور ساباد وكذا على الزيجورات حيث تكون الزخرفه الوحيدة . وكان يعلو الجدران غالبا شرفات مكون كل منها من فتحتين أو ثلاثة الواحدة فوق الأخرى وكانت الزخرفه تتم باستعمال الطوب الخزفى أو الملاط أو ألواح الحجارة .

وكانت الأحجار المستعملة للأجزاء السفلى تحمى هذه الأجزاء من الجدران المبنية من اللبن . وكانت الألواح تطرق من الناحية الخلفية لتسهل الالتحام وكانت توضع جنبا إلى جنب وتربط ببعضها البعض أحيانا من أعلى بواسطة رباط معدنى كما تمسك من أركانها بقطع من الحجارة الاخرى المنحوته على شكل الكوع (الزاوية) . وفى قاعات الاحتفالات كانت هذه الأجزاء السفلى مزخرفة بنقش يلتمع بالألوان . وكان قصر خور ساباد وحده يحوى

من الأفاريز المنحوتة على هذه الصورة ما يمتد الى أكثر من ٢٠٠٠ متر. والنقوش عند البوابات أعلى والصور على حجم أكبر. وكمثل لذلك نستطيع أن نذكر الثيران المجنحة التى يستطيع القصر أن يفخر بوجود ٢٦ زوجا منها على الأقل.

أما سطوح الجدران كلها التى لم تكن تحميها مثل هذه الأجزاء السفليه من الحجارة فإنها كانت مغطاة بطبقة من الجير والجص لا يزيد سمكها عن ٤ ملليميترات عثر بها على آثار نقوش تصويرية.

وقد قدم لنا الطوب الخزفى وخاصة بالقرب من البوابات زخارف متعددة الألوان وكان يستخدم فى الأفاريز السفلية كما فى بهو المعبد أو شمبران العقد (حلية معمارية) ويظهر أن ملوك البابلية الجديدة تعلموا من أشور استخدام هذا اللون من الزخارف الذى مر بتطور هائل عندئذ فى قصور الأكمينيين.

وفى نينوى ودور شاروكين كانت المبانى توجه فى اركانها بالجهات الأصلية كما فى بابل. أما فى كلح فإن الاتجاه يقابل أواسط الجدران

ولقد انتقلت الطقوس المتعلقة بأساس المبانى من شعب لآخر. فلقد دفنت تماثيل صغيرة لجان ذات أربع فى الرمال تحت قصر أسارحدون فى كلح. كما وضعت فى نينوى لوحات من المرمر منقوشة على وجهيها وذلك خلف الأسدين اللذين كانا يزينان المدخل. وأما فى دور شاركين فقد كان هناك صندوق حجرى يحوى اللوحات [1] من مختلف المواد. وكان الأهلون قد ألقوا عند مدخل المدينة بالأسطوانات والخاريط والتماثيل الصغيرة المختلفة فى طبقة الرمال بين الثيران المجنحة. وكما هى الحال فى بابل نرى اسطوانات كبيرة من الطين تثبت أحيانا فى فجوات الحوائط لترد الأرواح الشريرة ولتستجلب بركات الآلهة.

وكان سمك جدران خورساباد ٢٤ مترا. وكانت مصنوعة من اللبن الذى لم يتم تجفيفه على أساس من الحجارة. وفى بعض المواضع نراها لا تزال

---

(1) LXVIII, p. 122.

قائمة على ارتفاع ٢٣ مترا فوق مستوى الأرض المحيطة بها . وهى تكون جسما متوازى السطوح (١٦٨٥ × ١٧٦٠مترا مربعا) به١٦٧ برجا مستطيلا واجهة كل منها ½ ١٣ مترا تخرج بمسافة أربعة امتار خارج الجدران . وطبقا لبعض النقوش فإن هذه الأبراج البالغ ارتفاعها ½ ٢١ مترا تنتهى بقبو مرفرف يتوجه فجوات . وكانت هناك بوابتان فى ثلاثة جوانب الواحدة بسيطة والأخرى مزخرفه أما الجانب الرابع فى الشمال الشرقى فكانت به بوابة بسيطة وشرفة القصر .

وكانت البوابات البسيطة تستخدم لدخول وخروج العربات ومن جهة الوادى (السهل) كان يوجد مكان أمامى يبرز خمسة وعشرين مترا ببرج منخفض عند كل ركن . وكان هناك بهو ضخم يمتد أمام برجى الحائط الذى كان سمكه هنا ٨٥ مترا . وكان هناك سردابان جانبيان توجد أمام كل منهما ، فى وسط كتلة البناء ، فتحات الباب . وفى الحائط نفسه تجويف الباب . وكانت الأرضية تتكون من بلاط كبير من الحجر الجيرى .

وكانت البوابات المزينة مخصصة للمشاة . وفى الاستحكامات الخارجية كان يوجد سلم به ٢٠ درجة من الطوب . وعند البوابة نفسها كان هناك ثوران مجنحان كأنما يسندان القبو المقنطر والمزخرف لشمبران العقد . وهناك فى نينوى بوابة بناها سناخريب بها اثار العجلات عل احجار بلاط الأرضية وقد زينت بثيران مجنحة من ناحيتى المـــدينة والحقول على السواء .

وكانت شوارع دور شارروكين مثل شوارع بابل مستقيمة واتساعها ١٢ مترا . وكانت مرصوفة من حجارة غير منتظمة من حجم متوسط . وقد وضعت على الأرض بدون أساس سفلى . ولم تجر حفائر فى المدينه ولكن بعض المجسات أدى إلى كشف غرف عليها بلاط وقطع من الفخار وبعض الأدوات المنزلية .

٢ — النحت

ينبثق النحت الأشورى للألف الأول مباشرة من الفن البابلى للفترة الكاسيه ومن الفن الحيثى للألف الثانى ولقد بلغ الكمال فيما يتصل بتمثيل الحيوانات بيد أنه لم يكن يستهدف فى معالجة الصور الإنسانية تبيان الأشكال التى تحت الملابس كما كان يفعل الفن السومير واكادى بل كان على العكس يتركز على تفصيلات الزى والزينة . ولقد كان الفن فى بابل فوق كل شىء فنا دينيا . أما فى أشور فكان حربيا قبل كل شىء . وان النقوش العديدة التى تملأ حوائط القصر تمثل فى اغلبها مناظر الحرب والصيد واقدم نحت عثر عليه فى أشور وجد فى خرائب مدينة أشور وهو عبارة عن تماثيل صغيرة من الحجر[1] أسلوبها الفنى هو نفس الأسلوب فى الفن السوميرى فى عصور ما قبل السرجونية . وهناك مذبح من القرن الثالث عشر حفر عليه الملك بين صورتين لجلجامش مما يعيد للذكرى الطراز القديم

وهناك نقشان يمثلان تجلات بلاسر الأول من طرازين مختلفين يظهران أن أصول الفن فى القرن الثانى عشر لم تكن قد تحددت أو استقرت بعد . فاما الأول فهو من « سوبنات » ويمثل الفن الأشورى . وأما الثانى فهو على مسلة ويقارب الطراز الميزبوتامى كما هى الحال بالنسبة للتمثال البرونزى الصغير لأشور دان الثانى (القرن العاشر) .

وتزداد الآثار كثرة ابتداء من عهد «اشور نتسير ابلا الثانى» (٨٨٤ - ٨٥٩) ولكن ليس هناك تمثال يبلغ من الجودة الفنية مابلغته صناعة جوديا . فتمثال شلمنصر الثالث فى أشور يدل على فن بسيط ، وتمثال « اشور نتسير ابلا » فى كلح الذى صُمِّم بفكرة أن يرى من الإمام ويوضع بالقرب من الحائط يمزج مابين الطرازين الميزوبوتامى والسوميرى : والمظهر مظهر

---

(1) شكل ٣٩ صفحة ٢٩٢

التجبر والصلف والزى لا انحناء فيه . وتماثيل «نابو» من عصر «ادادنيرارى الثانى» (٨١٠ – ٧٨٢) بها نفس العيب فى نصفها الأسفل ولكن الرأس نحت بطريقة أفضل [١] ومما هو جدير بالملاحظة بين التماثيل الصغيرة العفريت «بازوزو» بمتحف جيميه وكذا رءوس هذه الروح الشريرة [٢] .

وقد تكاثرت النقوش البارزة فى القصور الآشورية لتزيين ألواح الجص والمرمر الموضوعة فى أسفل الحوائط تسجيلا لمفاخر كل حكم . وقد استخدم البابليون النقش البارز غالبا لتمجيد آلهتهم وأعطى الحيثيون المثال فى استخدام أسفل الحوائط المنقوشة أما الآشوريون فقد جعلوا منها فنا تاريخيا وزخرفيا فى الوقت نفسه فعنوا خاصة بتفصيلات الزى والحركات والخواص وقد عولجت المناظر الطبيعية بدقة بطرائق بدائية غالبا كما مثلت الحيوانات بمهارة فائقة . وكانت هذه المناظر تمثل الحرب وصيد الملك وأهم أعمال عصره وأحيانا حياته الخاصة . ولقد كان عدد هذه النقوش والوقت القصير المحدد للانتهاء من صنعها مما لا يسمح بأن يتولاها الفنانون المشهورون إذ تغطى هذه النقوش أكثر من ٦٠٠٠ متر مربع فى قصر دور شاروكين .

وفى عهد «أشور نتسير ابلا الثانى» كان النقش ضعيفا . ولم يكن الرسم المنظور قد عرف بعد فطغت الكتابات على النحت نفسه وكانت تغطى عادة الجزء الأسفل من الأشخاص . وقد ظلت كذلك فى عصر «اد ادنيرارى الثالث» ولكن سرجون خرج على هذه العادة وأمر بأن تحفر حوليته ومفاخره خارج الأشخاص أو الأشياء المصورة . ومع ذلك فإن الطريقة القديمة لم تهجر تماما فاننا نراها مثلا على لوحة «اسارحدون» فى «سنجرلى» .

وكان تكوين المناظر فى القرن الثامن تحت حكم سرجون هو بعينه كما كان فى عصر «اشور نتسير ابلا» ولكن يلاحظ وجود ميل قوى إلى عزل

---

(1) شكل ٤٦ صفحة ٣٨٣

(2) LXVIII No 102 et suiv.

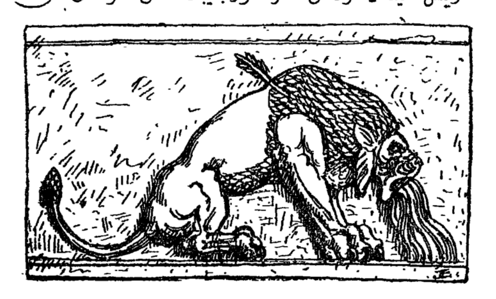
الصور عماوراءها وتكبير أحجامهاوعدم تمثيل الأشياء الثانوية . وفى المناظر الحربية نجد أن المنظر العام قد مثل بدقة . أما فى النقش الخاص بالصيد فإنه ليست هناك أقل محاولةلتبيان طبيعة الأرض . وفى خلال الحكم التالى حدث تطور فظهر طراز جديد ظل دون أن يعتوره تغيير تقريبا حتى سقوط نينوى وكانت المناظر تسجل فى صفوف تعلو بعضها . وكان من أثر ذلك أن ضاق المكان مما دفع إلى النقش على مقاس أصغر وازدادت المناظر الثانوية وحاول النحات التزام الدقة فى تمثيل المنظر وبلغ التنفيذ درجة عالية من الكمال وعنى بالحفر والنقش عناية أكثر .

وقد اتفق الفنانون الاشوريون على بعض اصطلاحات : فالصورة الإنسانية مثلا قلما تبين الملامح المميزة للجنس أو الشخصية ولا يمكن التعرف على الأعداء أو الحيثيين أو العيلاميين الذين يقدمون الخضوع ويأتون بالجزية أو يؤخذون أسرى إلا بواسطة زيهم الذى يختلف عن زى الاشوريين الذين يمكن تمييز نوعين منهما : الأول ملتح وهو قاصر على تمييز الرجل البالغ أو الموظف والآخر بغير لحية وهو يمثل الشبان والخدم .

ولم يستطع الفنان تمثيل شخصياته مالم يراها من ناحية جانبية تماما . فحين يدور اشوز نتسير ابلا ليفوق سهما ضد أسد يحاول أن يعتلى العربة الملكية نرى الصورة العامة جيدة ولكن إحترام عظمة الملك والبحث وراء التفصيلات جعلا الفنان يمثل الصدر من أمام بينما كان يجب أن يظهر من الخلف وأن يجعل الذراعين ظاهرين بينما لم يكن يجب أن يبين غير الأيسر ولقد كان هذا الخطأ على كل حال ميراثا تناقلوه عن الفن السوميرو اكادى الذى تظهر فيه حركات الشخصيات خاضعة للترتيب الهندسى للموضوع فى المناظر المتماثلة . وتمثل الأقدام دائما منظورة من الجانب (بروفيل) أما العين فتظهر كانما ترى من الإمام حتى لو كان منظر الرأس من الجانب .

أما فى تمثيل الحيوانات وهو عمل بلغ فيه الاشوريون حد الكمال فاننا نجد الاصطلاح موجودا وخاصة فى القرن التاسع. فمثلا نرى فى منظر للصيد خيول العربة الملكية الثلاثة ليس لها فيما بينها جميعا سوى ستة سيقان وفى نحت آخر نرى للثيران قرناواحدا. أما معارف الخيل فتعامل معاملة أهداب أجهزة (عدد) الخيل [١] والرسم هندسى جدا وخير نتاج هذا العصر وهو الأسود يبين المبالغة فى تمثيل الجهاز العضلى والنسبة البالغة التضخيم [٢]

ويمثل صيد الأسود من عصر اشور بانيبال أحسن مجموعه فى الفن



(شكل ٥٠) أسد مطعون بسهم (قصر أشور بانيبال — المتحف البريطاني)

الأشورى : فالقطعة التى تمثل الأسد والسهم يخترقه تعتبر قطعة فريدة [٣] وليست اللبؤة الجريحة بأقل تعبيراً [٤] . وقد أخذ منها نموذج معروض فى « بارك مونسو parc Monceau »

وقد استعمل الفن الأشورى كذلك عملية فى النحت تتوسط بين النقش

(1) XC VIII b, pl. 10

(2) Ibid., pl. 31

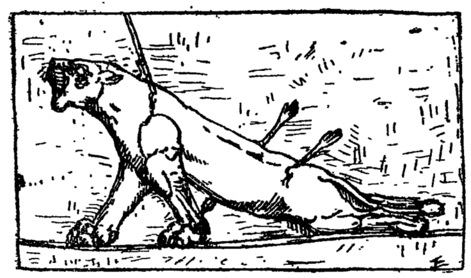
(3) شكل ٥٠ .

(4) شكل ٥١ صفحة ٤٠٥

البارز والمجسم . ولقد لجأ إلى هذا الطراز فى أسفل الحوائط فى الأماكن الواجب أن تكون أكبر سمكا لتعرضها أكثر من غيرها للتصادم . أى لوجودها عند مدخل القاعات والممرات . وفيها نرى أن مقدم العفاريت التى لها أجسام السباع والثيران ذات الأحجام الضخمة أحيانا نراها منفصلة تبرز عن الحائط بروزا شديدا كما لو كانت تماثيل .

ويظهر أن الثور برأس الرجل الذى أصبح فى اشور روحا خيرة وحارسا لبوابة دخول المدينة أو القصر ... يظهر أنه — شأنه فى ذلك شأن جلجامش وهو يخنق أسدا يصحبه أحيانا — أخذ مباشرة عن العقيدة السوميرو أكاديه . ومن ناحية أخرى نجد أن الكائنات المركبة التى تتكون من جسم إنسانى يرتبط بأعضاء أو رأس حيوانات معينة يظهر أنها منقولة عن مصر عن طريق الحيثيين لأن البابليين ظلوا يجهلون تقريبا مثل هذه المخلوقات الخلاسية التى يندر جدا ظهورها فى آثارهم . ولقد كان الاشوريون يربطون أحيانا الجسم الإنسانى برأس الحيوان وأحيانا يلحقون ذيل الحيوان ومخالبه بصدر إنسانى كما مثل السوميريون انكيدو . وقد اخترعوا كذلك طبقات من الجان تتميز عادة بزوج أو اثنين من الأجنحة تمثل سرعتها فى إنفاذ أعمال الخير أو الشر . أما الجان الآخرون الذين يظهر فيهم التمثيل البشرى كاملا فانها تميز من الآلهة حين لا تكون مجنحة وهى تلبس على رأسها التاج ذا القرون الذى يكون أحيانا بيضى الشكل تعلوه سوسنة وأحيانا اسطوانيا تزينه قرون وريش .

وكان الآلهة والجان — شأنهم فى ذلك شأن الناس — يلبسون قميصا قصيرا فى العادة وملفعة طويلة ضيقة لا تغطى الساقين تماما . وهناك استثناء واحد من ذلك فان أشور نفسه يصور عادة فى شكل نصفى مزودا بقوس يخرج من قرص مجنح وهذا الرمز حيثى فى أصله . وأحيانا يختفى الشكل



(شكل ٥١) لبؤة جريحة (قصر أشور بانيبال — المتحف البريطاني)

النصفى للإله ولا يبقى من الرمز سوى القرص المجنح كما هى الحال فى أرض الفراعنة .

ويتميز الملك الأشورى بلباس رأسه وهو تاج فى صورة مخروط ناقص



(شكل ٥٢) الملك والحاشية والجان (نقلا عن لايار — آثار نينوى)
Layard, The Monuments of Nineveh

تعلوه شوكة ويربطه شريط أو بُرطل تتدلى اطرافه على كتفيه وأحيانا تصل حتى حزامه . ولقد كان فى الأصل بسيطا وقليل الارتفاع ثم أخذ يزداد ارتفاعه شيئا فشيئا . ومنذ عهد سرجون غطى بالتطريز . وكان للقميص الملكى حاشية وله أهداب . وكانت قدما الأمير تنتعلان نعلا لا يغطى سوى العقبين . وفى الأذنين حلقان كبيرة وعلى العنق عقود من التمائم وعلى المعاصم دمالج

وفوق الساعد أساور وأحيانا يكمل مظهره بخناجر وسيف .

وكانت الحاشية تلبس مثل الملك ولكن دون لباس رأس أو بعصابة فحسب . وأقمشة هذه الملابس أقل ثراء . أما الفخامة فتظهر فى الحلى خاصة . وكان البعض — مثل الجند— يلبسون قميصا قصيرا لا تغطيه دائما ملفعة .

وكان الأجانب يعرفون عادة من المميزات التى تكون فى زيهم . أما الملوك الأسرى الذين خزم تجلات فلاسر الأول أنوفهم ووضع فيها الحلقات فيتميزون بلباس الرأس شأنهم فى هذا شأن بعض القواد الذين هزمهم «أشور نتسير ابلا » [1] ويظهران كليهما يمت لنفس جنس الاشوريين ومع ذلك فانهم حيثيون ان نحن اعتمدنا على مظهر لباس الرأس المخروطى والاحذية ذات المقدم المرتفع الى أعلى . وبالمثل كانت الشعوب التى تدفع الجزية تتميز بازيائها كما هو ممثل على المسلة السوداء لشلمنصر الثالث .

وكانت الحياة تدب فى النقوش عن طريق الألوان ذات الظلال القاتمة التى كانت تستعمل لتأكيد التفصيلات . وقد استعملت نفس الألوان فى صناعة الطوب الخزفى وفى الصور المرسومة . أما لوحة الألوان فلم تعرف تنويعا كثيرا : فقد كان هناك الاسود والأبيض والأحمر والازرق وفى النادر جدا الاخضر . واللون المذكور أخيرا لا نجده غير مرتين فى خرائب دور شاروكين لأرضية صورة والأوراق شجرة . ولم يكن يعنى باللون الحقيقى : فإننا نجد على النقوش الأفواه والشعر والحواجب للرجال سوداء اللون غالبا . كما نجد أهداب الثياب وحمالات الكتف حمراء أو زرقاء . وكانت الأرضية فى الطوب الخزفى زرقاء عادة وكانت الأشكال صفراء أو بيضاء . وهكذا نرى على شمبران عقد جنيا أصفر اللون ممسكا بـ « الستيل » وتفاح أرز بين حزمتين من الورد الأبيض . وعلى نقش فى أسفل الحائط نجد أسدا وثورا وشجرة وقاربا وطائرا تبرز باللون الأصفر على أرضية زرقاء .

---

(1) XCVIII b, pl. 40, 41.

وقد حللت الألوان المعدنية المستعمله فى الطوب الخزفى وثبت أن أزرق كلح هو اكسيد النحاس المختلط ببعض الرصاص وأن أزرق دور شاروكين عبارة عن مسحوق اللازورد المستورد من باكتريان . وأن الأحمر هو اكسيد الحديد المسمى حجر الدم وأن الأبيض هو اكسيد الصفيح . وان الأصفر خليط من أثمد الرصاص والصفيح المعروف اليوم « بأصفر نابولى » .

ولم يكن النحت فى الحجر مخصصا فقط لزخرفة القصور فقد كانت اللوحات تغطى بمناظر دينية وتستخدم كتمائم لتبعد الشياطين . وباللوفر قطعتان من هذه الآثار الهدف من صنعهما طرد غارات الـ « لابارتو » .

٣ ـــ الأشكال المعدنية

استخدم الأشوريون المعادن لتزيين القصور وصناعة التماثيل وأدوات الأثاث . ويرجع تمثال صغير نذرى(٢) يمثل امرأة بيدين مضمومتين الى عهد السيادة السومرية وهناك تمثال صغير(٣) صب على جزءين كان مكرسا لعشتار اربيلا من أجل حياة أحد ملوك « أشور دان » .



(شكل ٥٣) أسد من البرونز. قصر دور شاروكين (متحف اللوفر)

(1) LXVIII No 403. 105. 106. I. t. XVIII. No 4. 1921
(2) XVI No 54 p. 10.
(3) LXVIII No 138.
(4) Ibid. No 144.

ويظهر أنه يمكن نسبته إلى ثانى ملك يحمل هذا الاسم حوالى نهاية القرن العاشر. وفى قطعة من القرن السابع نرى إلها واقفا فوق حيوان خرافى [1] وقميص المعبود مزخرف بوريدات منقوشة فى مربعات صغيرة نقشا غائرا ولون شعر الحيوان مثل كذلك بخطوط محفورة. أما العيون المجوفة فلا بد أن انسانها كان من مادة أخرى طبقا للطراز الذى يمكن تتبعه فى سومير وا كاد من أقدم العصور. وهناك من نفس العصر أسد رابض (شكل ٥٣) مدفون فى الأرض وربما كان مقيدا بسلسلة الى الحائط عند احدى بوابات قصر سرجون كحارس. وقد اكتشفت سباع برونزية أخرى فى نمرود.

اما العفريت بازوزو الذى كان ينحت أحيانا على الأحجار فكانت تصنع له كذلك تماثيل برونزية صغيرة [1] واننا لنجده يعامل كذلك طبقا للعملية التى تربط فى النحت مابين استعمال النقش البارز والمجسم على لوحة برونزية فى مجموعة De Clercq [2] وعلى لوحة مشابهة فى المتحف الإمبراطورى العثمانى [3]

ولعل اهم النقوش البارزة المعدنية هى الواجهات البرونزية من القصر الذى بناه شلمنصر الثالث فى امجور ايلليل (بلاوات) فى القرن التاسع. فلقد مثل هذا الملك اهم احداث حكمه هناك فى مجموعة من الأفاريز. وقد استعملت صفائح من النوع نفسه فى قصور أشور و دورشاروكين وقد ثبت سرجون لوحات برونزيه رقيقة من نفس النوع حول الاعمده الخشبيه التى تقلد جذوع النخل وغطاها بطبقة رقيقة من الذهب على الطراز المبين بنماذج ترجع الى اقدم العصور السوميرية.

---

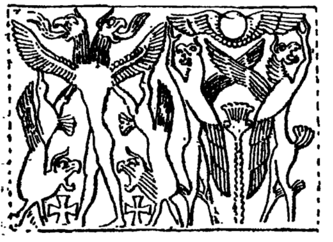
(1) Ibid. No 146 - 147

(2) XLIX. t. II pl. 34,

(3) II, t. XX, p 69.

٤ ـ الحفر على الأحجار

لم يصلنا من الاختام الاسطوانية الأشورية بمقدار ما وصلنا من البابلية، كما ان ترتيبها طبقا للعصور اصعب ويندر وجود تلك التى تقدم اسم شخص من الاسماء التاريخية التى يحتفظ بها التاريخ ولم يكن من عادة الشهود ان يثبتوا اختامهم على الوثائق وهكذا كان عدد الاختام المؤرخة قليلا .



(شكل ٥٤)

اسطوانة الملك « اريبا اداد » (متحف برلين — حفائر اشور)

نقلا عن O. Weber فى كتابه

All orientalische Siegel bilder No 316 A.

ولعل اقدم الاسطوانات المؤرخة هى اختام الملك اريبا اداد (شكل ٥٤) واشور اوباليت. (شكل ٥٥) المعاصرين للملكين المصريين امنحتب الثالث وامنحتب الرابع، حوالى ١٤٠٠ ق. م . وتثبت بصمات الأختام التى جمعت من اللوحات التى عثر عليها فى خرائب اشور انه فى العصر الذى كانت الكتابة المسمارية واجبة الاستعمال فى المراسلات الدبلوماسية فى كل الشرق القديم كان الفن الأشورى قد نبذ الصيغة السومرية ليستوحى الفن الحيثى الذى ظهر تأثيره واضحا فيما بعد بقليل فى وثائق خاصة بإقليم كركوك [1] . وباللوفر اسطوانة من العقيق قدمها احد ضباط « اداد نيرارى » الثالث الى واحد من رفاقه فى السنوات الأخيرة من القرن التاسع . وفى خيمة دعائمها حراب تمسك بكل منها

(1) XLII b. pl. 119.



(شكل ٥٥)
اسطوانه الملك اشور اوبالليث (متحف برلين — حفائر اشور)

مصــــورة لـ « انـكيدو » ترى اشوريا يتعبـد الى معبود حربى وعلى الوجه الآخرصورة اخــــرى لانـكيدويرفع ذراعيه كانما



(شكل ٥٦)
اسطوانه اشورية (للـكتبة الاهليه)



(شكل ٥٧)
اسطوانه اشورية (متحف اللوفر)

يسند رمز الاله : وهو هنا الجزء الاعلى من شخص داخل دائرة مكـونه من كرات صغيرة . ومنظر التعبد هدا يظهر مرة ثانية بدون الخيمة والاشخاص الثانوية على عدد من الاسطوانات مع معبودين فى الغالب [1] ويظهر أن ايماءة المتعبد وهو يمد إحدى يديه افقيا ويرفع الأخرى وراحتها الى الخـارج كان امرا خاصا باشور (شكل ٥٦) ذلك لان البابلى من هـذه

(1) XLII b., a. 678

الفترة حتى نهاية الامبراطورية كان يرفع كلتا يديه و يقلب راحة اليد إلى ناحية وجهه.
وتكون الحيونات الحقيقية أو الوهمية التي تحفر احيانا بالمحتات واحيانا أخرى بالمثقاب موضوعات بعض المناظر التي يكشف فيها الفن بصور الحيوانات عن كمال يعد كأحسن فنون النحت [1]



(شكل ٥٨)
اسطوانة اشورية (متحف اللوفر)

ورغم ان حفار الاسطوانات كان يقصر فنه عادة فى نطاق الدين إلا أن مجموعة النقوش البارزة قد أثرت عليه بعض التأثير . فى خورساباد نجد بعض المناظر للصيد الملكى او الحروب [2] .

وفى المناظر المأخوذة عن الأساطير نجد ان مناظر الصراع شائعة : فالجان وهم تقريبا دائما فى صورة انسانية واحيانا مجنحين ... نجدهم يفوقون السهام ضد حيوانات حقيقيه او خرافية (شكل ٥٨) او نراهم مسلحين ببلطة أوسلاح مقوس بحد محدب يشبه البالات اليونانية harpé وهم يتغلبون على حيوان ذى اربع اونعامة (شكل ٥٩) . وفى مكان آخر تصور هذه الجان بين حيوانين اووحشين مركبين يقفان ويواجهان بعضهما البعض ويمسكانهما عادة بالفخذ الأمامى . وهم يظهرون كذلك — كما فى النقوش البارزة — فى مجموعات من ازواج عادة . وفى احدى اليدين الـ «ستيل» واليد

(1) XLI b. No 307.

(2) XLII b. K 5,7 cf. XL b. Nos 115 à 117.

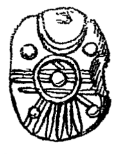
الاخرى ممدودة نحو مخروط من الأرز على شجرة مقدسة يظللها قرص مجنح

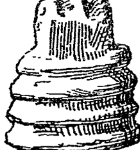
وقد عاد الختم المسطح الذى عرفه السومريون من أقدم العصور ولكنهم نبذوه منذ عصر لوجالاندا وظل مستعملا فى آسيا الصغرى على «اللوحات الكابادوكية» فى القرن الرابع



(شكل ٥٩) اسطوانة اشوريه (المكتبة الاهليه)

والعشرين ثم بعد ذلك فى الامبراطورية الحيثية ... عاد هذا الختم إلى الظهور فى أشور فى الألف الأول (شكل ٦٠) . وقد أوجب استعماله فى بابل حتى استطاع فى عهد السلوكيين أن يطرد الأختام الأسطوانية من الشرق كله وكان يصنع عادة على شكل مخروط ناقص بقاعدة اهليلجية واستدارة عند القمة.





(شكل ٦٠) ختم اشورى (متحف اللوفر)

ولقد كان المجال على مثل هذه القاعدة أكثر تحديدا من سطح الاسطوانة . ورغم أنه كان يتسع لمنظر صراع الا أن الفنان فى نقش الأحجار كان يفضل أن يحفر عليها جنا خيرا او رموزا إلهيه .

٥ — الزى والأثاث

إن النقش البارز فى القصور هو المصدر الرئيسى لمعلوماتنا عن الزى الاشورى ولقد رأينا كيف أن النحاتين جهدوا فى التميز بين الآلهة والجان والملك والحاشية والأجانب وذلك بواسطة تفصيلات ملابسهم .

وكان الزى فى أيام السيادة السومرية ملفعة مستطيلة تلتف حول العجز

كما هى الحال عند ضفاف الفرات . وفى الألف الأول كانت تتكون من جزءين : قميص بغير أكمام قصير أحيانا وطويل أحيانا أخرى ثم ملعفة مستطيلة تلبس فى أشكال مختلفة تبعا لمرتبة لا بسها وتثبت بواسطة حزام أو خيوط مجدولة وحمالة . وكان للملفعه أهداب من جوانبها الأربعة وكانت تزين غالبا برسومات دينية أو أزهار أو حواشى .

وكان يحمى الأقدام فى الحرب حذاء يغطى الساق . وأما فى الحياه المدنية فكانت النعال ذوات الكعوب تربط باربطة جلدية تلتف حول الاصبع الكبير وتدوز حول الأخمص مرتين أو ثلاث مرات .

وكانت حلاقة الراس والاحتفاظ باللحية أمرا مقررا منذ فجر التاريخ كما تشهد بذلك بعض الآثار التى عثر عليها فى خرائب أشور . ولكن سرعان ما اختفت هذه العادة كما يثبت ذلك تمثال عتيق عثر عليه فى نفس المكان . وفى القرن التاسع كان الشعر مجعدا ويسقط على الكتفين وكانت اللحية الطويلة يقص شعرها على شكل مربع ولم يكن يحلقها تماما سوى كبار الموظفين وصغار الجنود .

وكان التاج ذو القرون من مخصصات الآلهة . وكان الملك يرتدى غطاء الراس على شكل قمع مخروطى يعلوه سن مدبب ويحيط به اكليل . وكان عامة الناس يسيرون عادة عراة الرءوس فى الحيـاة العادية وكان شعرهم يربط أحيانا بعصابة .

وكان الرجال والنساء على السواء يتحلون بحلى من الذهب والفضة والنحاس المذهب وفى عصر سرجون كان الخرز على شكل الزيتون والخرز القنوى يصنع من رقائق الذهب بزخارف مضغوطه للعقود والخواتم والحلقان . وكان الخرز البلورى يزود فى الوسط بحلقات ذهبيـة . وكانت الأحجار الثمينة المستعملة فى العقود تحاط بالذهب وزهور اللازورد تحلى بذهب نقى فى وسطها وكانت تلبس حول المعصم وفى أعلى الساعد أساور

مفتوحة ثقيلة من البرونز مزينة عند طرفيها برءوس حيوانات وكانت تكمل الزينة أقراط ضخمة ورموز دينية تعلق حول الرقبة . أما عامة الشعب فكانوا يقنعون بعقود وأساور مكونة من براميل صغيرة واسطوانات ولوحات وزيتونات وعجلات أو خرز منحوت من أحجار غالية أو مصنوع من عجائن صناعية تقلد الحجر .

وكان الاشوريون — كالبابليين — يستعملون يوميا زيوتا عطرية ودهونا ومراهم وربما مركبات لا زالة الشعر .

وكان الاثاث فى القصور فخما جدا فى الالف الأول واصبح بمرور القرون أكثر فخامة وزخرفة . وكان عرش سناخريب يرتكز على اربعة أرجل على شكل أقماع الأرز ويعتمد الذراعان فى كل من الجانبين على ثلاثة صفوف متعاقبة بكل منها اربعة تماثيل لاشخاص الواحد منها فوق الآخر . أما المقعد والظهر فتغطيها ملفعة من قماش نفيس .

وعرش « اشور نتسير ابلا » كانت به نقوش برونزية تمثل حيوانات مركبة ترتفع نحو شجرة مقدسة . وهناك متكأ من نفس العصر كان مزينا برءوس حيوانات من المعدن ومغطى بوسادة ذات أهداب . وكانت هناك مقاعد كثيرة فى دور شاروكين مزينة بنفس الطريقة وكانت تصنع الكراسى والكراسى ذوات الأذرع والأسرة والموائد والمقاعد من الأخشاب الثمينة التى عنى بحفرها مع تكسية وتطعيم بالذهب والفضة والبرنز والأحجار الكريمه .

وكانت الأوانى المعدنية المزخرفة تستورد من فينيقيا كما تستورد المصنوعات العاجية من مصر . وقد سرى كذلك استعمال أوانى الزجاج والحجارة ولكن استعمال الفخار كان سائدا . وقد عثر على أوانى منقوشة منه فى اعداد قليلة .

الفصل الثالث

الآداب والعلوم

١ ــ الأدب التاريخى

استخدم الأشوريون الخط المسمارى الذى اخترعه السوميريون واستعمله الأكاديون. ورغم أنهم بسطوا الحروف أكثر مما فعل البابليون إلا أن طريقة الكتابة لم ترتق رغم أنه كان يوجد بمكاتب الدولة المثل الذى ضربه الكتاب المصريون الذين تخلصوا من هيروغليفيتهم القديمة والكتاب الآراميون الذين كانوا يستعملون حروفا هجائية. لذلك ظل فن الكاتب وعلمه كما كان فى بابل تقريبا فى نفس العصر.

وتحوى الآداب الأشورية عددا ضخما من النسخ أو المطابقات للنصوص البابلية وهناك نوعان من الأدب فقط يستوقفان النظر: هما الأدب التاريخى والمراسلات الكتابية.

وأهم النصوص التاريخية التى وضعت طبقا لترتيب الملوك الاشوريين، تختلف اختلافا بينا من ناحية انشائها عن الوثائق المماثلة فى سومير واكاد. فلقد كان الملك البابلى فوق كل شىء راعى شعبه وهو فى النصوص يعنى عناية خاصة بذكر ما قام به من أعمال ليقر النظام فى دولته وليدفعها إلى التقدم والإزدهار وليحميها من أعدائها حين تدعو الضرورة إلى ذلك. أما الملك الاشورى فقد كان على العكس من ذلك محاربا وكان مثله الأعلى أن يوسع الأقاليم الخاضعة للاله اشور وأن يعتبر هو غازيا. ولم تكن للنقوش المنتشرة فى قاعات قصره أهداف سوى تمجيده شخصيا. وكانت النصوص التى تصحب النقوش تشيد بمجده وقلما كان يذكر شىء عن الكوارث التى تنتاب الحكم

فإن ذكرت مثل هذه الأحداث فإنما كان ذلك على أساس أنها أمور لا قيمة لها حين لا يستطاع تحويلها إلى نجاح باهر .

وكانت صيغة الكتابات الملكية تخضع لنظام ثابت من عصر ممعن فى القدم . وحتى نهاية القرن الثامن قَلَّ أن أدخل عليها أى تعديل وكان يسر الكتاب أن ينسخوا الصيغ التى كانت تستعمل فى العهود السابقة . وفى حكم السرجونيين أخذت تصطبغ نصوص الروايات بصبغة شخصية ولعل هذا يتضح جليا فى نصوص اشور بانيبال .

ويمكن تمييز أربعة أنواع من الوثائق : « الحوليات » التى كانت تذكر فيها الحوادث فى ترتيب تاريخى ، و « تاريخ الحروب » الذى يسمح لنا أن نتابع تقدم الحملات ، و « التقاويم » التى تجمع فيها الوقائع حسب الأقاليم التى حدثت فيها ، وأخيرا « التقارير » فى صورة خطابات موجهة إلى الإله أشور عند العودة من كل حملة لابلاغه النجاح الذى تم على العدو .

وكانت هذه الكتابات — ماعدا النوع الأخير — تحفر على جدران القصر أو على اسطوانات الأساس . وكانت تتكون عادة من ثلاثة أقسام رئيسية. أما القسم الأول فهو تقريظ للملك يقدم ملخصا لأعماله وغالبا سلسلة نسبه وأما القسم الثانى فيقص أحداث الحكم من حروب ومنشآت . وأما القسم الثالث فهو عبارة عن لعنات تصب على من يحطم هذه الكتابة وأحيانا دعوات لمن يعاملها باحترام .

وهاك بداية اسطوانة تجلات بلاسر الأول :

« البدء : اشور السيد العظيم الذى يحكم مجموعة الآلهة الذى يمنح الصولج والتاج الذى يدعم الملكية ، ايلليل ملك كل الا « انوناكى » اب الآلهه سيد الأقطار ؛ سن العاقل سيد التاج الممجد فى فخاره ؛ شماس قاضى السماء والأرض الذى ينهى بالعدم محاولات العدو ويساعد العدالة ؛ اداد القوى الذى يحطم الاقاليم المعادية والاراضى والبيوت ؛ اينورتا

البطل الذى يحطم الاشرار والمعادين ويشبع رغبة القلب ؛ عشتار الاولى بين الآلهه سيدة الصراع التى تفض المعارك العنيفة — الآلهه العظام الذين يحكمون السماء والارض والذين يعنى هجومهم المعارك والهلاك والذين عظموا ملكية تجلات فلاسر الامير المحبوب المفضل فى قلوبكم البطل الرائع الذى اختارته قلوبكم العطوفة . ذلك الذى توجتموه بالتاج العظيم . ذلك الذى عينتموه فى وقار ملكا على ارض ايلليل واعطيتموه الحكم والمجد والقوة ورسمتم له الى الأبد مصيره الملكى لتمام القوة ولذريته الكهنوتية مكانا فى « اى هارساج كوركورا » — تجلات بلاسر الملك القوى ملك (العالم) كله الذى لامنافس له. ملك الأقاليم الاربعة. ملك الامراء جميعا . سيد السادة ملك الملوك القوى الكاهن الاعظم الذى اعطى له بامر شماش صولجان باهر .ذلك الذى حكم الأمم رعايا إيلليل فى جموعهم . الراعى الشرعى الذى مجد اسمه فوق اسماء كل الأمراء . القاضى العظيم الذى قاد اشور ذراعيه والذى اعلن اسمه الى الابد ليكون راعيا للاقاليم الاربعة ، غازى الاقاليم البعيدة على حدود مملكته فى الأقاليم العليا والسفلى ، اليوم الساطع الذين يعشى بهاؤه الاقاليم الاربعة . الشعلة القوية التى تسقط على الأرض المعادية مثل العاصفة الراعدة ... ذلك الذى بامر ايلليل ليس له منافس والذى جندل و صرع اعداء اشور .

ان اشور والآلهه العظام الذين جعلوا ملكى عظيما قد منحونى القوة والنفوذ وأمرونى أن أمد حدود اراضيهم. لقد وضعوا فى يدى أسلحتهم القويه « اعصار المعارك » .

الأراضى والجبال والمدن والأمراء أعداء أشور قد هزمتهم واخضعت بلادهم . لقد حاربت بشجاعة ضد ستين ملكا وكسبت النصر عليهم فى الصراع . لم يكن هناك ضدى ند فى حرب أو

منافس فى معركة. لقد اضفت الى بلاد أشور أراضى أخرى ولأهلها أهلين أخرين . لقد وسعت حدود بلادى وغزوت كل بلادهم (أى السنتون ملكا » .

ويروى «أشور نتسير ابلا الثانى» فى حولياته أحداث عام ٨٨٤ ق. م. على الصورة التالية : « فى العام المسمى باسمى تبعا لكلمة أشور مولاى وابنورتا الذى يحب كهنوتى لم يحدث فى عصر الملوك آبائى ان حاكما لأرض « سوهى » أتى الى أشور . ولكن حدث ان « ايلو ابنى » حاكم سوهى أتى مع اخوته وأبنائه ليحضروا فضة وذهبا كجزية فى نينوى أمامى من أجل خلاص انفسهم .

وفى نفس العام المسمى باسمى بينما كنت لا ازال فى نينوى جاءتنى الأنباء بأن الأشوريين وحاكمهم هولائى الذى كان شلمنصر ملك أشور الأمير الذى حكم قبلى قد أقرهم فى هالزيديفا (اننى أقول أن هؤلاء الأشوريين) تمردوا بالعصيان وتقدموا نحو «دامدداموسا» مدينتى الملكية بقصد الاستيلاء عليها .

وتبعا لكلمة أشور وعشتار وأداد الآلهة العظام الذين يعاونوننى جمعت عرباتى وجيوشى وفى المكان الذى كانت به صور تجلات بلاسر وتوكولتى ابنورتا ملك أشور ... ابائى ... عند منبع السوبنات ... صنعت صورة لشخصى الملكى واقمتها هناك . فى ذلك الوقت تسلمت جزية من أرض « اتسنالا » قطعانا وماشية ونبيذا وعبرت جبال « كاشيارى » وتقدمت نحو « كيناتبو » قلعة « هولائى » وانقضضت على المدينة بجموع جيوشى فى هجوم شديد كالعاصفة واستوليت عليها وقتلت بالسيف ٦٠٠ من محاربيهم واسلمت للنار ٣٠٠٠ أسير ولم أترك من بينهم واحــدا حيا ليكون رهينة . وأخذت حاكمهم «هولائى» حيا بيدى وجمعت من جثثهم اكواما واسلمت للنار شبانهم

وبناتهم وسلخت حاكمهم هولائى وعلقت جلده على سور «دامداموسا» ثم حطمت المدينة وخربتها وأشعلت فيها النار .

واستوليت عـــلى مدينة « ماريرو » فى نفس الاقليم وقتلت بالسيف ٥٠ من محاربيها واسلمت للنار ٢٠٠ أسير وذبحت ٣٢٢ جنديا من بلاد « نيربو » فى معركة فى الأرض الخلاء واستوليت على اسلابهم (جثثهم) وماشيتهم الكبيرة منها والصغيرة . أما شعب نيربو التى تقع عند سفح جبل اوهيرا فقد حاصرتهم فى قلعتهم «تيلا» وخرجت من « كينابو » مقتربا نحو « تيلا » وكانت المدينة محصنة تحصينا قويا وتطوقها أسوار ثلاثة وكان لشعبها ثقة فى حوائطها المنيعة وجيوشهم العديدة فلم يأتوا ليمسكوا قدمى . وعصفت بالمدينة فى معركة ومذبحة واستوليت عليها وقتلت ٣٠٠٠ من محاربيها واستوليت على جثثهم (اسلابهم) واملاكهم وقطعانهم وماشيتهم واخذتها كغنيمة واسلمت الكثيرين الى النار واخذت الكثيرين أحياء : قطعت أيدى البعض منهم واصابعهم وجدعت انوف آخرين وصلمت اذانهم ثم حرمت غيرهم من نعمة البصر وجعلت من الأحياء كومة ومن الرءوس كومة أخرى . وربطت رءوسهم الى دعائم من الكرم حول المدينة أما فتيتهم وفتياتهم فقد ألقيت بهم الى النـــار ... لقد حطمت المدينة وخربتها ثم اشعلت فيها النار » .

وليس هناك من منظر نهب اشهر من نهب سوسة بواسطة جيوش اشور بانيبال . وهاك الرواية الرسمية :

« لقد استوليت على سوسة العاصمة مقر آلهتهم ومـكان عرافتهم . ودخلت بناء على أمر اشور وعشتار الى مخابىء قصورهم ومكثت هنـاك فى ابتهاج وفتحت خزائنهم المكدس فيها الذهب والفضة والأموال والثروات التى جمعها وكومها ملوك عيلام من أقدمهم حتى

معاصرى والتى لم يضع عدو من قبلى يده عليها . لقد استخرجتها وعددتها غنيمة. وأخذت الى اشور كغنيمة الفضة والذهب والأموال والثروات من سومير واكاد وكذا من « كاردونياش » وكل ما كان قد أخذه ملوك عيلام الأقدمون فى سبع [1] حملات وحملوه معهم الى عيلام من « تساريرو » براق و « اشمارو » لامع واحجار كريمة وأشياء ذات قيمة وحـــلى ملكية كان قد أعطاها ملوك أكاد الاقدمون و« شماش شوم اوكين » كخلفاء إلى عيلام والملابس القيمة والحلى الملكية والأسلحة الخاصة بالاحتفالات والحروب وحلى ايدى المحاربين وكل أثاث قصورهم التى كانوا يجلسون أو يضطجعون عليها والأوانى التى كانوا يستعملونها للطعام والشراب والغسيل والتضميخ والعربات والمركبات وال « تسومبى » [2] المزين بال « تساريرو » وال « زاهالو » والخيل والبغال الكبيرة باطقمها الذهبية والفضية اخذتها كغنيمة وحملتها إلى أشور . وقد حطمت زيجورات سوسة الذى كانت واجهته من اللازورد وكسرت قمته المحلاة بالبرنز اللامع . أما شوشيناك اله عرافتهم الذى كان يسكن مكانا خفيا والذى لم يشهد عمله الالهى اى واحد وكذا شومودو ، لاجامارو ، پارتكيرا ، امان كاسيبار ، اودوران ، سباك الذى كان ملوك عيلام يحترمون الوهيته ، راجيبا ، سونجور سارا ، كارسا ، كيرساماس ، شودانو ، ايپاكسينا ، بيلالا ، بانينمرى ، نابيرتو ، كندا كاربو ، سيلاجارا ، نابسا ... كل هؤلاء الآلهة والإلهات بكل ما يملكون من ثمين وغال وثرواتهم وأثاثهم ... وحتى — كهنتهم وال « بوهلالى » ... حملتها جميعا إلى أشور كغنيمة كما حملت إلى أشور كذلك ٣٢ تمثالا من الذهب والفضة

---

(١) رقم ٧ هنا معناه عديدة

(٢) نوع من العربات العيلامية

والبرونز والحجر الجيرى للملوك مدن سوسة ، ماداكتو ، هورادى وتمثال « أوما نيجاش » بن « أمبادارا » وتمثال عشتار ناهوتى وتمثال هلوسى وتمثال تماريتو الثانى الذى اخضعته بناء على أمر أشور وعشتار. وقد حطمت الـ « شيدو » والـ « لاماسو » [1] حراس المعـــابد بقدر مايوجد منها وألقيت الثيران المتوحشة زينة البوابات. وجعلت معابد عيلام تختفى تماما وذهب مع الريح كل اله وإلهة . وقد دخلت جيوشى الصاعقة إلى الاحراش المقدسة حيث لم يكن يسمح لغريب أن يدخلها أو يعبر حدودها وكشفوا عن سرها وأسلموها للنار .
وفتحت توابيت ملوكهم الاقدمين والمحدثين الذين لم يعبدوا أشور والذين كان الملوك ابائى قد تركوهم فى سلام وحطمتها واخرجتها واخذت عظامهم إلى أشور واقررت القلق عـــلى أرواحهم (الـ «اديمه») وحرمتهم من التقدمات الجنازية وسكب الماء .
ولمسيرة شهر وخمسة وعشرين يوما اجتحت أقاليم عيلام ونثرت الملح وأشجـار الشوك هناك وحملت معى كغنيمة إلى أشور أبناء الملوك واخواتهم واعضاء الأسرة المالكة فى عيلام صغارا وكبارا والحكام ورؤساء هذه المدن ورؤساء حملة الأقواس والقادة وراكبى العربات والفرسان وحملة الاقواس وحملة الدروع والفنانين على كثرتهم والسكان ذكورا وأناثا كبارا وصغارا والخيل والبغال والحمير والقطعان والماشية أكثر من أسراب الجراد .

وحملت تراب سوسة . وماداكتو وهلتيماش ومدنهم الاخرى ... التراب الذى كنت أريده حملته إلى أشور . وفى خلال شهر اخضعت عيلام بكل اتساعها واسكت صوت الانسان وخطى الماشية والقطعان وصرخة الفرح وتركت حقولها للحمير والغزلان وكل الحيوانات البرية .

---

(١) الجنيات الحارسة (الحافظة) وثيران وسباع مجنحة ذات رءوس بشرية

وسنستعير من نفس اسطوانة أشور بانيبال التى كتبت فى ٦٣٩ ق. م. النص الختامى : فبعد أن أشار إلى اصلاح القصر المسمى بيت ريدوتى يُنهى الملك قصته قائلا :

« فى الأيام القادمة بين الملوك الذين سيخلفوننى فليرفع من يضع اسمه أشور وعشتار على عرش البلاد وسكانها ... فليرفع ثانية من الخرائب هذا الـ « بيت ريدوتى » أن شاخ وسقط إلى انقاض. أما الكتابة التى فيها اسمى واسم أبى واسم اب ابى الجنس الملكى الوطيد ... ليقرأه وليضمخه بالزيت وليقدم التضحيات ويضعها بجانب النص الذى يحمل اسمه. الا فلتمنحه الآلهة بقدر كثرتهم المذكورة فى هذا النص ... لتمنحه كما تمنحنى القوة والسلطان.

أما من يحطم الكتابة التى تحمل اسمى واسم أبى واسم أب أبى ولا يضعها بجانب الكتابة التى تحمل اسمه... الا فلينتقم أشور وسن وشماش واداد وبعل ونابو وعشتار نينوى ملكة كدمورى وعشتار اربيلا واينورتا ونرجال ونوسكو لينتقموا منه جميعا لعدم ذكر اسمى. »

٢ — أدب الرسائل

يتضمن أدب الرسائل فى أشور كما فى بابل الوثائق الرسمية والمراسلات الخاصة. وقد وجدت معظم اللوحات فى مكتبة أشور بانيبال وهى تبعا لذلك تتصل بالشئون العامة. وبعضها مكتوب بالاشورية والبعض الآخر بالبابلية. وهى تسمح لنا باعادة تكوين فصول معينة فى التاريخ أهملتها الكتابات الملكية وتبين كيف كانت الحكومة المركزية تطلع أولا بأول على ما يجرى من أحداث على الحدود وفى الدول المجاورة.

وكان سرجون فى بابل فى سنة من السنوات (سنة ٧١٣ على اكثر تقدير) واننا لنرى ابنه سناخريب يرسل له التقارير الواردة من مختلف الموظفين عن

سير الأمور فى اورارتو ، وتبدأ خطاباته بفقرات التحية « الى الملك سيدى من سناخريب خادمك . السلام للملك مولاى . السلام سائد فى أشور . السلام سائد فى المعابد وسائد فى كل قلاع الملك . ليفرح قلب الملك مولاى تماما »[1] ثم يلى ذلك تقارير منسوخة دون تغيير فى الأسلوب الذى استعمله مرسلوها فهناك تقرير من بلاد « الاوكيين » بأن ملك اورارتو هزم حين توجه الى بلاد السيميريين . ويشير « اشور رتبسوا » من ناحيته الى مذبحة ضخمة فى جيوش هـــذا الامير : فمات النبلاء وأسر القائد العام أما الملك نفسه فنى بلاد « وازاون (بتليس ؟) » . وارسل والى « هالتسو » من يتحرى الامر على الحدود : فانبىء بانتصار السيميريين وبأن ثلاثة نبلاء اورارتيين مزقوا إربا مع جيوشهم واستطاع الملك ان يجد طريقة للهرب والعودة لمقاطعته . وحتى لحظة كتابة التقرير لم يكن معسكره قد تعرض للهجوم وأرسلت حاميات قلاع الحدود أنباء مماثلة وذهب ملك «موتساتسير» واخوه مع ابنه لتحية ملك اورارتو كما أرسل ملك « هوبوشكيا » رسولا له : وينتهى الخطاب بالاشارة الى ارسال لوحة مباشرة الى الملك من « نابولى » رئيس خدم السيدة «اهات ابيشا» . ويظهر أن هذه السيدة هى ابنة لسرجون تزوجت من ملك « تابال » المدعو « امباريدى » الذى اقتيد أسيرا هو وكل اسرته فى عام ٧١٣ ق . م .

وهناك مجموعة أخرى من التقارير بنفس الصورة[2] تشير أولا الى محاولة ملك اورارتو القبض على الولاة الأشوريين المجتمعين فى « كوماى » ويشير المرسل الى خطاب من «أشور رتسوا» يتضح منه أن ملك ارمينيا مع فرق صغيرة من جيوشه قد دخل الى مدينة «واسى» . أما «اشورر تسوا» من ناحيته فيكتب مباشرة بأنه أرسل حرسه الى أرض الأوكيين الذين ثاروا ضد «ارزابيا» .

---

1) LXXXII b, No 197 cf. XX t. III, p. XV.

(2) LXXXII b No 198.

وقد كشف عن تسعة تقارير من نفس « أشور رتسوا » تتصل بسير الأمور فى اورارتو وهو يخطر فى أحدها بتحرك الجيوش [1] : « فى بدء نيسان خرج ملك اورارتو من « ثوروشبيا » وذهب الى « اليتسادا » - وشق « كاكآدانو » قائده العام طريقه الى مدينة واسى كما تركزت جيوش اورارتو فى التيسادا ».

وفى تقرير آخر [2] يؤيد خبر وجود الملك فى واسى ويعلن بأن « ٣٠٠٠ من الاوراتيين المشاه فى طريقهم الى « موتساتسير » تحت قيادة « ستينى » الذى أخذ معه جمالا وانهم عبروا النهر ليلا » . وبأن هناك مجموعة أخرى من الجيش تحت قيـــادة « شونا » تسير كذلك نحو « موتساتسير » عبر مقاطعة الأوكين . وليس من شك أن هاتين الرسالتين لاحقتان للتقرير الثانى لسناخريب الذى يتضمن دخول ملك اورا رتو الى «واسى» وللتقرير الأول الذى يتحدث كله عن هزيمة السيميريين له وعلى ذلك فان الأخير من تاريخ لا حق .

ولم تكن حركات الجيوش هذه التى يشير إليها الموظفون الملكيون مما يروق لملك أشور فكان يستاء ويخشى النتائج فيأمر عمدة القصر أن يطلب الى ملك موتساتسير الا يسمح للأمراء الذين يزورون مدينته بقصد التعبد أن يصطحبوا جنودهم معهم . وقد ورد الرد ينطوى على وقاحة تدل على أن مرسلها كان يعتقد أن فى إمكانه مقاومة الجار القوى :

« لوحة اورزانا الى عمدة القصر [3] سلام عليك . بالاشارة الى ما كتبت لى تقول :

[ملك اورارتو بجيوشه ... اهو يزورك ؟ أين هو ؟] هاك أجابتى

(1) LXXXII b. No 492.

(2) LXXXII b No 380.

(3) LXXXII b No 409 cf. XX t. III, p. XII, XIII (traduction).

[أن والى « واسى » ووالى مقاطعة الأوكيين اتوا وقاموا بالعبادة فى المعبد وهم يقولون : « سيأتى الملك ، هو فى « واسى » . ان الولاة (الآخرين) متأخرون سيأتون» وقد قاموا بعبادتهم فى موتساتسير. أما فيما يتصل بما كتبته لى فيما يختص « دون موافقة الملك ليس لأحدهم أن يأتى للعبادة مصحوبا بجيوشه فهل حين أتى ملك أشور منعته؟ ان ما فعله هو يفعله الآخر فكيف إذن أمنع هذا الآخر؟] » .

وهناك فترة أخرى يُزودنا فيها أدب الرسائل بمعلومات شائقة هى نهاية عهد « شماش شوم اوكين » ملك بابل وهى الفترة التى قامت فيها محاولة تمرد ضد النفوذ الأشورى والصراع مع عيلام .

وإننا لنجد «نابو بعل شوماتى» الذى ربما كان ملك أرض البحر يكتب[1] « يتضح مما نمى إلىّ أن ملك عيـــلام خلع وثارت ضده بضع مدن قائلة « لا نريد أن نلتقى بأنفسنا بين يديك » وانى انقل ذلك الى مولاى الملك كما علمت به . لقد سكنت فى أرض البحر منذ أيام « نابيد مردوك » . حين قبض « سن بالاتسو إقبى » على ٥٠٠ من قطاع الطرق واللاجئين الذين أتوا عند الجور ونامبين وقيدهم بالحديد وسلمهم الى مولاهم ناتانو ملك الاوتيين وهم الذين كان ملك (أشور) قد أعطاه اياهم » .

ولقد أصبح « نابو بعل شوماتى » حفيد « مروداخ بالادان » ملكا على أرض البحر عند موت عمه «نابيد مردوك» . فلما ثار «شاماش شوم اوكين» أرسل له ملك أشور جيوشا لمهاجمته من الجنوب، ولكن «نابو بعل شوماتى» الذى كان يريد كذلك أن يستعيد استقلاله حاول أن يضم إليه الجنود الاشوريين وقد نجح فى ضمان ولاء عدد منهم . ولما أدرك أن الكارثة لا يستطاع تجنبها هرب معهم الى عيـــلام . وفى ٦٥٠ ق . م . احل

(1) LXXXII b No 839.

« اشور بانيبال » محله من يدعى « بعل ابنى » ووجّه النداء التالى الى الأهلين:
« امر الملك الى أهالى أرض البحر صغارا وكبارا ... أى خدمى ![1] السلام
لكم . لتكن قلوبكم راضية . انظروا كم يمتد تقديرى إليكم . قبل خطيئة
« نابو بعل شوماتى » أقمت عليكم عاهرات معبد منانو والآن أرسل لكم
« بعل ابنى » الدوباشو الخاص بى ليتقدمكم » وبقية النص مكسور الى عدة قطع
وفيه يطلب الملك اطاعة أوامره والا اضطر الى ارســال الجيوش
هذا مع ان « اندا بيجاش » كان قد استضاف « نابو بعل شوماتى » وانصاره
فى عيلام فارسل اشور بانيبال سفيرا يطلب اليه تسليمهم وكتب يقول « ان
لم تسلم لى هؤلاء الرجال فانى سآتى لاحطم مدنك وسآخذ اهـل سوسة
ومادا كتو وهايدالو وسأنزلك عن عرشك وأضع آخر فى مكانك . وكما
سحقت فيما مضى تويمان فانى ساقضى عليك » وفى خلال المفاوضات استطاع
قائد سوسى يدعى « اومانا لداش » ان يغتال اندا بيجاش وان يستولى على
العرش . وفى عام ٦٤٥ ق.م . كتب الى ملك اشور عن « نابو بعل شوماتى »
قائلا : « لوحة اومّانا لداش ملك عيلام الى اشور بانيبال ملك اشور [2] :
السلام لأخى لقد اخطأت ضدك منذ البداية شعوب ارض البحر فقد قدم
« نابو بعل شوماتى » من هنــاك وارسلت الى تطلب : « ارسل نابو بعل
شوماتى » انى ذاهب للقبض على نابو بعل شوماتى وسأرسله لك . ان اهالى
ارض البحر الذين أحضرهم الينا معه من البدء نابو بعـل شوماتى ... هؤلاء
الناس اتوا عن طريق مياه ... انهم دخلوا بالقوة الى « لاهيرو » وهم هناك
انى سارسل ضدهم فى حدودهم خدمى وسأرسل لك بأيديهم اولئك الذين
أثموا ضدنا فان كانوا فى مقاطعتى فسارسلهم اليك بأيديهم بواسطة خدمى أما
إن كانوا قد عبروا النهر فخذهم بنفسك » . ولما راى نابو بعل شوماتى انه هالك

---

(1) Ibid No 289.

(2) XCV, p. 350.

لامحالة لم يرض بان يستسلم حيا بل امر حامل سلاحه ان يقتله وقد سلم جسده الى ملك اشور الذى أمر أن يقطع رأسه ومنع دفنه .

وبعد ان استقر « بعل ابنى » كملك على ارض البحر بعد هرب « نابو بعل شوماتى » كتب تقريرا مطولا عن سير الامور فى عيلام [1] : فقد ارسل ٥٠٠ جندى الى « تسابدانو » آمرا إياهم أن يحصنوا أنفسهم فى هذه المدينة وأن يغيروا على عيلام وأن يذبحوا أهلها وأن يعودوا بأسرى وتقدمت هذه الجيوش حتى « ايرزيدو » على مسافة قصيرة من سوسة وذبحوا الحاكم المدعو « اما لادين » واخويه وثلاثة من أعمامه واثنين من أبناء إخوته وما تتين من النبلاء وأخذ ١٥٠ أسيرا وسرعان ماتقدم سكان لاهيرو ، ونوجو الى « موشزيب مردوك » ابن أخ « بعل ابنى » وقائد الجيوش فى « تسابدينو » واقسموا بالولاء لملك اشور وعبئوا رماتهم ووضعوهم تحت تصرف الحاكم . وقد أعلن « بعل ابنى » أنه سيرسل كل الغنائم الى الملك وانهى خطابه بانباء عن بلاط عيلام : يقال ان « اومانيجاش » قد ثار ضد « اومانا لداش » . وان كلا من الجيشين يعسكر امام الاخر على ضفتى الهدهد وان « ايقيشا ابلو » الذى أوفد إلى القصر يعرف خططهم . فليسأل عنها » . ولقد حظى موشزيب مردوك ابن اخ بعل ابنى بالرضا الملكى فاستدعى مرتين او ثلاثا ليجتمع بالملك . وقد كتب اشوربانيبال ذات مرة الى عمه قائلا [2] : « رسالة من الملك الى بعل ابنى . انى بخير . لكن قلبك مطمئنا . سيسمح لـ « موشزيب مردوك » الذى كتبت لى عنه سيسمح له بالمثول فى حضرتى فى اقرب وقت وسأحدد الطريق الذى تسلكه قدماه »

وكان « كودور » حاكم اوروك الذى كان الملك قد ارسل له طبيبا ليعالجه أثناء مرض خطير قد سافر ليمثل بين يدى الملك ويشكره ولكنه استدعى الى

(1) LXXXII, b. No 280.

(2) Ibid. No 398.

مقر عمله حيث كان قد وصل خطاب من الملك . ورغبة منه فى عدم تأجيل التعبير عن عرفانه بالجميل كتب ما يلى : [1] « الى ملك الاراضى مولاى . من خادمه كودور . الافلتكن اوروك وايانا ملائمه لملك البلادمولاى . ان « إيقيشا ابلو » الطبيب الذى ارسله الملك مولاى لمعالجتى قد أعاد إلىّ الحياة. الا فلترض الآلهة العظام للسماء والارض عن الملك مولاى وليثبتوا عرش الملك مولاى فى وسط السموات الى الابد ... لقد كنت ميتـا واعاد الىّ مولاى الملك الحياة . إن افضال الملك مولاى علىّ عديدة . إننى أريد أن أذهب وأشهدالملكمولاى لقد قلتلنفسى: سأذهب وأرىوجهالملكمولاى ثمأعودواحيا » . ولـكن حامل المفتاح دعانى للعودة إلى أوروك حين ارسل إلىّ يقول : « لقد أحضر رسول فوق العادة خطـابا مختوما من القصر لك فيجب أن تعود معى الى أوروك » لقد ارسل الىّ هذا الأمر واعادنى الى أوروك ألافليعلم ذلك الملك مولاى »

وهناك خطاب يبين مدى عناية بعض ملوك اشور بالبحث عن النصوص القديمة وخاصة ما يتصل منها بالسحر وذلك بقصد زيادة ثروة مـكتباتهم [2]

ولقد كان للسحر قيمته الملحوظة فى البلاط وبين العامة على السواء. ولم يكن الملك ليقدم على القيام بأى مشروع هام دون استشاره الآلهه والحصول على فأل ملائم . وكانت ادنى الحوادث تستدعى قيام نبوءات تقوم على اساس المعلومات التى جمعت منذ اقدم عصور الحضارة السوميرو اكادية وهاك مثلا هو خطاب من المدعو « نابوا » المقيم فى اشور — ولدينا منه عدد من التقارير الفلـكية [3] « إلى الملك مولاى من خادمه نابوا .فليكن الملك مولاى موضع عطف نابو ومردوك . فى السابع من كسليمو دخل ثعلب الى المدينة وسقط فى بئر فى الغابة المقدسة بأشور وقد أمسك به وقتل »

---

(1) Ibid. No 274.

(2) انظر صفحة ٢٧١

(3) LXXXII *b*. No 142

وحين أراد « اشور موكين باليا » أحد إخوة أشور بانيبال الصغار — وهو رجل معتل الصحة — أن يذهب فى رحلة سأل الملك النصيحة فتلق هذه الإجابة . «إلى الملك مولانا . من خادميك « بالاسى » و «نابواحى اريبا» السلام للملك مولانا . ليكن الملك مولانا موضع عطف نابو ومردوك . بالنسبة لـ « اشور موكين باليا » الذى كتب عنه لنا مولانا الملك ... ليكن موضع رعاية اشور وبعل وسن وشماس وأداد ... ألا ليره الملك مولانا فى صحة جيدة . أن الفأل طيب للرحلة : الثانى مناسب والرابع مناسب جدا »

ولقد كان « بالاسى » و «نابواحى اريبا» من بين أهم مراسلى الملك فيما يختص بالملاحظات الفلكية . وقد كان «اداد شوم أوتسور» كذلك فلكيا وكان يعطى استشارات فيما يتصل بالمرض والأيام المناسبة والخسوف ... ولكنه لم يهمل مصالح أسرته . وأراد أن ينهى خطابا طويلا مليئا بالمداهنة بالتوصية على واحد من أولاده [1] «إلى الملك مولاى من خادمه اداد شوم أوتسور . ليكن الملك مولاى موضع العطف الشديد من نابو ومردوك . لقد رسم ملك الآلهة اسم الملك مولاى لمملكة اشور . أما شماش واداد اللذان لا تحيد نظرتهما عن الملك مولاى فقد ثبتاه امبراطورا على كل البلاد . حكم سعيد وأيام وطيدة وسنو عدالة وأمطار غزيرة وفيضانات وفيرة وأسعار مرتفعة . الآلهة يمجدونه والخوف من المعبود يزداد والمعابد مزدهرة والآلهة العظام للسماء والأرض يتهللون تحت حكم الملك مولاى الشيوخ يرقصون والشباب يغنون والنساء والعذارى تزوجن والأرامل تزوجن مرة ثانية . والمعاشرة الزوجية تتم والنساء يحملن ويلدن ذكورا وإناثا . أولئك الذين أثموا وينتظرون الموت أعطاهم مولاى الملك حياة جديدة . لقد أطلقت سراح أولئك الذين ظلوا فى السجن سنوات عديدة لقد شفيت أولئك الذين ظلوا مرضى أياما طويلة أشبعت الجياع وسمن

(1) Ibid No 2 .

الضعاف. البساتين ملأى بالفاكهة ولم يبق سوى «أراد جولا» وسواى مجهدى الروح قلق القلب . لقد أظهر الملك أخيرا حبه لنينوى وشعبها ورؤسائها عند ما قال «[احضروا أبناءكم إلى هنا وليقفوا أمامى ».] الا فليقف ابنى «أراد جولا» معهم أمام الملك مولاى. حقا سنسعد مع الشعب كله ونرقص من الفرح . انى أنظر بعينى مثبتة على مولاى . ولكن جميع الذين يترددون على القصر بغير استثناء لا يحبوننى . ليس لى صديق من بينهم أستطيع أن أقدم له هدية يتقبلها ويهتم بقضيتى . ليشفق الملك مولاى على خادمه . اننى اتضرع ألا يكون بين هؤلاء الناس واحد ممن يغتابوننى يرى نتيجة تدبيراتهم ضدى »

وهناك بعض الخطابات تشير إلى العلاج الطبي ومن العسير أن نتناول بالترجمة أغلبها لأنه رغم تعدد اللوحات الطبية المحفوظة فى المتحف البريطانى فإننا نجهل غالبا المعنى الدقيق للاصطلاحات المستعملة لبيان الأمراض وعلاجها . وهناك «شماش ميتو اوبا لليت» أصغر اخوة اشور بانيبال يسأل الملك أن يرسل طبيبا يعالج امرأة من نساء القصر [1] :

« إلى مولاى الملك من خادمه شماش ميتو اوبا لليت . السلام للملك مولاى : ليكن الملك مولاى موضع الرضى الكثير من نابو ومردوك أن « باو جميلات » خادمة الملك مريضه جدا ولا تستطيع أن تأكل شيئا ليأمر الملك مولاى بإرسال طبيب ليراها . » .

وتبين الكتب الطبية طرائق علاج الأمراض المختلفة التى تنتاب كافة أجزاء الجسم : وهى جذور وزيوت ومساحيق وهى تتضمن غالبا بالإضافة إلى ذلك رقى تطرد تأثير الأرواح الشريرة التى هى سبب الأمراض والاضطرابات . ولقد عالج «اراد ناناى» رجلا كان يهم الملك اسارحدون أمره شخصيا وقد قدم له تقريرا عن حالة المريض الذى كان يقاسى الماً من

(1) LXXX b. No 341.

جراء مرض فى العينين أو ربما كان مرض الحمرة «ان حالة الرجل المسكين الذى بعينيه مرض طيبه . لقد عملت له مكمدات على الوجه كله . وفى الليلة الماضية حللت الرباط الذى كان يربط المكمدات ثم رفعتها وكان هناك صديد على المكمدات على شكل بقعة كبيرة بحجم طرف اصبعى الصغيرة . ان كان أحد من آلهتك قد تولى الأمر بنفسه فإنه وضع الأمور فى نصابها لأن كل شيء على ما يرام ليفرح قلب مولاى الملك . إنه سيشفى فى مدى سبعة أو ثمانية أيام » . ولقد كان نفس « أراد ناناى » هذا يعالج الأمير الصغير « اشور موكين باليا » الذى كان — كما رأينا — معتل الصحة جدا . ولقد كتب يوماً إلى الملك أبيه أنه لا داعى لأن يقلق [1] وفى مرة أخرى يعطى نصائح للملك نفسه [2] وحين شكا الأخير من أن طبيعة المرض لم تشخص أجاب الطبيب [3] « لقد قلت لمولاى الملك من قبل [« أن القرحة غير قابلة للشفاء ولا أستطيع وصف علاج لهذه الحالة »] . ومع ذلك فقد ختمت الآن خطابا أرسله . ألا فليقرأ فى حضرة مولاى الملك . سأقدم وصفة للملك مولاى : فإن وافق الملك مولاى ليدع ساحرا يباشر عليه عمله . ليستخدم الملك غسولا وسيختفى الألم حالا . ليستعمل الملك غسول الزيت (؟) مرتين أو ثلاث مرات »

وكان بدء الشهر يتوقف على ظهور الهلال فى السماء . وكان فلكيو أشور يرقبون السماء منذ التاسع والعشرين ويقدمون تقريرهم فوراً أن كان الوقت قد جاء للانتقال إلى الشهر التالى . وهاك نموذجا أصليا لتقاريرهم [4] : « لقد قمنا بالملاحظات فى التاسع والعشرين ولم نشهد القمر . ليكن الملك مولاى حائزا لرضى نابو ومردوك . من نابوا من أشور »

---

(1) Ibid No 109.
(2) Ibid No 110.
(3) Ibid No 391.
(4) LXXXII b. No 825

وتثبت مجموعات الرسائل وتبرز ماهية تأثير بعض النساء فى المجتمع الأشورى . فقد كانت «زاكوتو» زوجة «سناخريب» تلعب دورا هاما فى البلاط وفى الدولة . وعند موت ابنها «اسارحدون» وقفت فى صف «أشور بانيبال» . وقد اعتبرها «نابيد مردوك» ملك أرض البحر ومولى أشور وصية على العرش حين كان ابنها يحارب فى الغرب . فكان يوجه إليها التقارير «إلى أم الملك مولاى من خادمها نابيد مردوك . السلام لام الملك مولاى . ليمنح أشور وشماش ومردوك الصحه للملك مولاى وليدخلوا السرور فى قلب أم الملك مولاى . جاء رسول من عيلام ليخطرنى أن «القنطرة قد رفعت من مكانها» وحالما علمت بذلك ارسلت إلى أم الملك مولاى لتصلح القنطرة وتقوى المتاريس (المسامير ؟)» وهناك خطاب آخر من المدعو «ابليا» يأتيها بأنباء عن ابنها[1] . «إلى أم الملك مولاتى من خادمها ابليا . ليكن بعل ونابو راضيين عن أم الملك مولاتى . أننى اتضرع كل يوم إلى نابو ، ناناى من أجل حياة وصحة وطول عمر مولاى ملك كل البلاد ولام الملك مولاتى . لتفرح أم الملك مولاتى . لقد أتت رسالة تحمل أنباء طيبة من بعل ونابو من ملك البلاد مولاى» .

ولقد كتب الملك إلى أمه مستعملا المقدمة المعتادة المستخدمة فى كل خطاباته[2] : «رسالة من الملك إلى أم الملك . أنا بخير . السلام لأم الملك . فيما يختص بخادمة «اموشى» التى ارسلتها إلىّ فإننى سأعطى الأوامر فورا طبقا لما أخبرتنى به أم الملك أن ماذكرته حسن جدا . لِمَ ستترحل «حامو ناى» ؟

(1) Ibid No 303

(2) Ibid No 324

٣ — العلـــوم

استخدم الاشوريون الموازين والمقاييس البابلية ولكنهم ادخلوا عليها بعض التعديلات: وكانت وحدة الأحجام لاتزال الـ «قا» أو «سيلا»، ولكن لم تعد مضاعفاتها الـ «جور» ذو ٣٠٠ أو ١٨٠ قا بل الـ «إميرو» أو حمل الحمار ذو الـ ١٠٠ قا (٨٤,٢ لترا) وكان هذا المقياس يستخدم كذلك مقياس أرض مثل جور بابل منذ الاحتلال الكاسى فكانت قطعة الأرض تقدر طبقا لكمية الحبوب اللازمة لبذر وحدة المساحة.

ولقد استعمل السومريون القدماء النحاس كنقود قبل استخدام الفضة واستعمله الأشوريون كذلك حتى فى فترة السرجونيين ولكنهم استخدموا الرصاص قبل ذلك بكثير جدا: وأننا لنرى فى الشروط الجزائية الواردة فى القوانين الاشورية من الألف الثانى أن الرصاص كان هو المعدن السائد الاستعمال. وكانت الفضة تستعمل كذلك فى الصفقات وهى تظهر فى شكل سبائك أو حلقات أو صفائح يبين وزنها ونوعها بواسطة بصمات. وقد استعمل الذهب كذلك فى عصر السرجونيين وان كان أكثر ندرة.

وكانت السنة الاشورية تتكون من ١٢ أو ١٣ شهرا قمريا كما هى الحال فى بابل. ويظهر أنه لم تكن هناك قواعد علمية تعين النظام الذى تحدد به السنة العادية والسنة الكبيسة. ومنذ أقدم العصور حتى نهاية الامبراطورية كانت تحمل كل سنة اسم شخصية هامة تسمى «لِمو». وهذه العادة التى شهدناها فى الوثائق الكبادوكية للقرن الرابع والعشرين تعاود الظهور فى اللوحات التى ترجع للألف الثانى والتى كشف عنها فى أشور. وفى عصر السرجونيين كان الملك هو «لِمو» أول سنة كاملة لحكمه. وكان دوره للتمتع بهذا الامتياز يأتى مرة أخرى بعد ثلاثين سنة. وكان اللقب من بعده من نصيب الوزير الأكبر ثم الـ «ترتان»، ثم كبار الموظفين الآخرين.

وكان للطب الاشورى نفس الأساس والطرائق المتبعة فى بابل . ويظهر أن علم الفلك لم يتقدم . وقد فاقوا أهل بابل فى أنهم لم يكونوا يدرسون النجوم الا لمعرفة الفأل بالنسبة لأحداث الحياة العامة أو الأمور الشخصية. أما من حيث الجغرافيا فإن الاشوريين لم يهتموا إلا بتسجيل اسماء المقاطعات والمسافات بين نقطتين والأراضى التى يمر بها المسافر من مكان إلى آخر وذلك بقصد استخدامها فى الحملات الحربية وقوافل التجار أو لمساعدة الكتاب المنوط بهم كتابة الحوليات الملكية . وغالبا ماكانت الوثائق الجغرافية نسخا من اللوحات البابلية .

ويظهر أن الاشوريين لم يحاولوا أن يحرزوا تقدما يستحق الذكر فى العلوم من أية ناحية أولم يستطيعوا إلى ذلك سبيلا . ولكننا ندين لهم بأنهم احتفظوا لنا فى محفوظاتهم ومكتباتهم بعدد كبير من النصوص البابلية الاصل لا سيما وإن بعضها لا يعرف من مصادر أخرى والبعض الآخر يقدم لنا منوعات أو تعليقات أو اضافات تجعلها عظيمة القيمة بالنسبة لنا .

خاتمه

لسنا نعرف من أين قدم الساميون الذين استقروا فى سهل الفرات الأدنى ومع ذلك فإنه من الأهمية القصوى أن نستطيع أن نحدد إن كان موطنهم السابق هو بلاد العرب — وفقاً لنظرية ظلت سائدة فترة طويلة — أو هو إقليم العاموريين فى سوريا وفلسطين طبقاً لنظرية أحدث [1] وهذه المسألة لها أهمية كبرى بصفة خاصة لتقدير مدى تأثير الحضارة البابلية على مختلف الشعوب التى احتلت آسيا الصغرى والشاطىء السورى للبحر الأبيض المتوسط .

ولئن ثبتت النظرية القائلة بأن الساميين الأول الذين استقروا بين السوميريين كانوا فرعاً انبثق من مجموعة الساميين الغربيين ولئن أمكن بصفة نهائية اثبات الأصل العامورى لأقدم ملوك كيش واوروك . وإذا لاحظنا أن أساس القصص التى لدينا عن هؤلاء الملوك حوادث تمت فى سوريا فى عصر سابق لأقدم الوقائع التى لدينا عنها وثائق معاصره . . . إذا كان الأمر كذلك ، فان نظرية القائلين بالمجموعة البابلية تنهار تماماً . ومن ثم فان حضارة إسرائيل لا تعتبر كلها انعكاسا لحضارة بابل . وإذن فان التقاليد التى خلدها سفر التكوين لم تكن قد وردت من كلديا بل على العكس يكون الساميون هم الذين أتوا بها إلى السوميريين فى المرحلة الأخيرة من هجرتهم نحو الشرق . وان هؤلاء قد ساروا عليها . وعلى أية حال فنظراً لأن السوميرو أكاديين قد تقدموا فى ثقافتهم فى سرعة تفوق سرعة الساميين الذين ظلوا فى عامور . فانهم لهذا قد أثروا تأثيراً عميقا فى ذلك الأقليم الذى كانوا مضطرين للحضور اليه لاستجلاب الأحجار والأخشاب . فمارسوا التجارة على نطاق واسع . وانه ليلاحظ أن هذا التأثير لايزال واضحا فى القرن الخامس عشر فى عهد

(1) XXIX t. VI , t. V , 3

خطابات العمارنة . ولقد زاد الأشوريون من هذا التأثير بواسطة طريقتهم فى الغزو وتأسيس مستعمرات فى الأقاليم التى يلحقونها بإمبراطوريتهم .

وقد خطا النيوبابليون الخطوة الأخيرة فى هذا السبيل وبصفة خاصة بالنسبة لليهود الذين صبغوهم بصبغتهم الواضحة خلال سنى النفى .

ولقد وافق جمهرة من المستشرقين على الرأى القائل بالتأثير المتبادل بين المدنيتين المصرية والبابلية فى عصور ممعنة فى القـــدم . ومع ذلك فهناك اختلاف بين وجهات النظر فى تحديد حالات معينة ولكنه يسهل تحديد هذه التأثيرات ان نحن وافقنا على النظرية القائلة بأن الأكاديين من أصل عامورى وأن مواضع الربط بين المجموعتين الجنسيتين هى المدن الواقعة على الشاطىء السورى فهناك عند بدء الفترة التاريخية كانت مصر قد أسست مستعمرات تجارية غنية استخدمت كقواعد لاستغلال غابات لبنان فى عهد الأسرة الثالثة التى تعاصر لوجال زاجيسى فى أوروك .

أما فى الأقليم الكابادوكى فإنه كان فى أول الأمر مستعمرة تجار أعطى لمن يعبدون أشور فى الألف الثالث ثم فيما بعد الحيثيون الذين نشروا الثقافة البابلية وقد استخدم كلاهما الكتابة المسمارية وكانا يستوحيان الفن السوميرى الأكادى ولكنهما خلقا نماذج أخرى مغايرة نجدها أيضا على ضفاف دجلة ومهدا لنمو وتقدم الفن الأشورى الكلاسيكى .

ولقد أثرت الحضارة الأشورية بصفة خاصة على شعوب الجبال فى الوديان العليا لدجلة والفرات - على « موتساتسير » ، « وأورارتو » مثلا فى أيام سرجون . ومن جهة أخرى لقد أبرزت البعثة الموفدة إلى فارس مدى النشاط الذى بذلته كل من سومير وأكاد فى عيلام : ولقد فرض ملوك أجاده وملوك أور لغتهم كما فرضوا كتابتهم على العيلاميين دون أن يتسببوا على أية حال فى اختفاء اللغة الانزانية أو يمنعوا بقاء الكتابة المحلية . ولقد

صمد فن عيلام كذلك للتأثيرات الأجنبية إلى حد ما : وتبين المجموعة الضخمة للاسطوانات والبصمات التى عثر عليها فى سوسة فيما يختص بالنقش على الأحجار بمجموعات من الرسوم التى لا نجد لها مثيلا فى وادى الفرات . ويمكن تتبع التأثير البابلى مرة أخرى فى نقوش «مالامير» حوالى ١٠٠٠ق.م. بل وفيما بعد فى الكتابة والفن والعمارة فى عصر الفرس الأكمينيين .

ولقد أثرت بابل على العالم اليونانى وخاصة بعد أن اختفت تلك المدينة كقوة سياسية وقد كان هذا التأثير عميقا أحيانا وضعيفا أحيانا أخرى من طريق الشاطىء السورى وآسيا الصغرى فى عهود مختلفة . ولقد وصل هذا الأثر إلى قبرص قبل عصر حمورابى . وربما إلى كريت كذلك . ولكن الأغريق الحقيقيين لم يعرفوا هذا الأثر إلا عند اضمحلاله فى عهد سيادة الفرس بل خاصة تحت سيادة السلوكيين وعندئذ نشر الكهنة الكلدانيون ورثة التراث القديم لسومير وأكاد وهم الذين لم يحسوا كلالا فى نقل اللوحات الخاصة بالطقوس . . . نشروا علومهم فى كافة بلاد حوض البحر المتوسط ولعل أشهرهم كان يدعى بيروس .

من هذه التأثيرات على هذه الشعوب المتباينة يبقى شيء لا يزال حيا حتى اليوم وهاك مثلين واضحين هما : التقويم الاسرائيلى الحالى وهو مشتق مباشرة من التقويم البابلى وكذا تقسيم الدائرة إلى ٣٦٠ درجة وتقسيم اليوم إلى ٢٤ ساعة وهما لا يتفقان مع مبادىء الطريقة المترية ويمكن ارجاعهما إلى السومريين .

* * *

ومنذ أقل من قرن من الزمان قامت حفائر منظمة أو خلسة استطاعت أن تكشف عن آلاف الوثائق . ولا زالت هناك مئات من التلال التى لم يتم كشفها يردمها تراب بلاد ما بين النهرين وتحوى الاجابة عن العديد من الأسئلة التى لم تحل بعد .

ولقد استطاعت مصلحة الآثار فى مصر والمنظات المشابهة لها فى سوريا وفلسطين الوصول إلى نتائج مرضية جدا فى أقاليمها الخاصة بها وأن تثبط من همم الحفارين الذين يقومون بالحفر خلسة والذين يجعلون الأشياء التى يستخرجونها من بطن الأرض تفقد الكثير من قيمتها وإنه لمن الواجب أن يتابع الكشف فى خرائب ميزوپوتاميا على نفس الطريقة على أن يراعى فى أعمال الكشف الظروف المحلية ..

ولقد اقتصرت أعمال الحفر فى خورساباد تقريبا على خرائب قصر سرجون وعلى بوابات المدينة ، أما فى المدينة نفسها فلم تعمل سوى مجسات . ولكن هذه المدينة ترجع فقط إلى القرن السابع ومن المحتمل أنها لا تقدم وثائق ذات قيمة أثرية يمكن مقارنتها بما ينتظر أن يستخرج من مواقع أخرى. أما القصور فى نينوى فمعروفة ولكن المدينة لم يتم حفرها حتى مستوى الأرض البكر . أما اشور فقد أماطت اللثام عن سر أصولها البعيدة وعن التأثير السومبرى على سكانها فى النصف الأول من الألف الثالث.وفى أماكن أخرى من اشور شرع فى بعض أعمال الحفر . أما فى منطقة كركوك حيث ظهر تأثير الفن الحيثى حوالى القرن الخامس عشر أو فى اربيلا حيث شيد معبد من أشهر المعابد أو فى أماكن أخرى متعددة تبشر بنتائج طيبة فلم تقم بحوث علمية منتظمة .

ولم تستطع البعثة الألمانية فى بابل أن تنفذ إلى الطبقات العميقة من موقع بابل وقد عاقها عن العمل وجود المياه التى تصل اليوم فى الفصول العادية إلى مستوى أعلى من مستوى المدينة حوالى نهاية الألف الثانى . وفى « نفر » لا تزال جامعة بنسلفانيا الامريكية تباشر عملياتها المهمة المنتجة التى ستظل سنوات عديدة قبل اتمام الكشف عن هذه العاصمة الدينية القديمة لسومير. أما العمل الذى قام به Ernest de Sarzec و Colonel Cros فى تللو فهو عمل هام بالنسبة لتاريخ وآثار الألف الثالث ولكن ظل دون اتمام لأن المكتشف

الأول مات أثناء العمل وسقط الثانى مستشهدا فى ساحة المجد ولا يزال الأمر متروكا لفرنسى يتناول معولهما ويتابع الكشف عن مدينة جوديا ... فكم من مدينة أخرى ندرك أهميتها البالغة لاتزال خرائبها تنتظر من يكشف عنها ! هناك « واركا » مثلا وهى تقع فى مكان اوروك القديمة التى كانت مركزا للثقافة العلمية فى العصر السلوكى حيث استطاع الحفارون الذين يحفرون خلسة أن يستخرجوا عددا من اللوحات . لقد كانت هذه مدينة جلجامش ذلك الملك القديم الذى يسبق الفترة التاريخية . ولابد أن الطبقات السفلى للتل تحوى بقايا أسوار التحصين القديمة التى تتناولها القصص المتوارثة . وربما نجد هناك عناصر تكون صفحة جديدة فى التاريخ ... لا التاريخ المحلى فحسب — رغم أن فى هذا وحده ما يكفى من حيث أهميته — بل كذلك فى تاريخ العلاقات بين السومريين وشعوب شمال سوريا التى خلدت ملحمة هذا البطل ذكرها .

وكم من خرائب لا تظهر أهميتها لأول وهلة قد يسفر كشفها عن نتائج مثمرة ولعل مثل Tepé Moussian فى سوسيانا حين تحمل M. J.-E. Gautier شخصيا كل نفقات أبحاثه دليل على ذلك . وأن متابعة العمل فى خرائب سوسه ليس أمرا غير متصل بموضوعنا لأنه وجدت فيها عناصر للمقارنة تفيد فى إعادة احياء التاريخ البابلى كما وجدت أحيانا بعض الوثائق التى لها صلة بموضوعنا وقد سبق أن كشف « دى مورجان » هناك عن قانون حمورابى ولوحة « نارام سن » ، وأسلابا أخرى من بابل المهزومة جنبا إلى جنب مع وثائق تشير إلى احتلال ملوك اور الفعلى لأرض عيلام . وقد كشف هناك عن الجبانة الأركية التى ترجع أهميتها إلى مجموعتين للأوانى الملونة التى وجدت فيها . ويكشف فيها اليوم M. de Maequenem عن جبانة أخرى ترجع أقدم آثارها إلى عصر ملوك أور بينما أحدثها ليست أقدم بكثير من الاحتلال الأكيمينى .

وهناك أقاليم أخرى قد تنهض دليلا على نمو وتوسع المدنية البابلية أو الاشورية فنحن نعرف مثلا موقع « مارى » تلك المدينة الواقعة على الفرات الأوسط التى بسطت نفوذها على سومير واكاد حوالى عصر أول ملك فى لجش - أورنينا - والتى خرج منها بعد عدة قرون « ايشبى ايرا » مؤسس أسرة ايسين . ونحن نعرف كذلك موقع « ترقا » عاصمة دولة « هانا » التى ازدهرت حوالى ۲۰۰۰ ق . م ... أن حفائر منظمة فى اطلال هاتين المدينتين لكفيلة بأن تكشف عن نتائج خطيرة .

ولو أن الحكومات اليوم فى الظروف الحالية أقل قدرة على منح الاعانات المالية الكبيرة اللازمة لمتابعة الحفائر الأثرية وهى العمل الحقيقى لتاريخ الشرق فإنه من واجب الأفراد أن يتولوا هذا الأمر وأن يشتركوا فى تلك الجمعيات العظيمة فى كل دولة ممن تعد هذا العمل موضع فخار ... وذلك بالاتفاق مع المعاهد العلمية أن تزود الحفارين بالوسائل المادية اللازمة للكشف عن وثائق هذه المدنيات القديمة التى هى التراث المشترك للجنس البشرى .

المراجع

BIBLIOGRAPHIE

I. Periodiques

Revue d' Assyriologie et d' Archèologie orientale	i
Recueil de trevaux relatifs a la philologie et a l'archéologie égyptiennes	ii
Babyloniaca	iii
Journal asiatique	iv
Syria	v
Revue archéologique	vi
Revue biblique	vii
Revue de l' histoire des religions	viii
Rivista degli Studi orientali	ix
Proceedings of the society of Biblical Archaeology	x
Journal of the royal asiatic society	xi
American Journal of Semitic Languages and Literature	xii
Journal of the American Oriental Society	xiii
Journal of the Society of Oriental Research	xiii'
Zeitschrift fur Assyriologie	xiv
Orientalische Litereaturzeitung	xv
Mitteilungen der Deutschen Orient-Gesellschaft zu Berlin	xvi
Mitteilungen der Vorderasiatischen Gesellschaft	xvii

II. OUVRAGES COLLECTIFS

Délégation en Perse. Mémoires publiés sous la direction de M. J. de Morgan.	xviii
Mission de Chaldée· Inventaire des tablettes de Tello conservées au Musée impérial ottoman	xix
Musée du Louvre. Département des antiquités orientales	xx
Babylonian Inscriptions in the collection of James B· Niss, 1917 et suiv.	xxi
Babylonian Rocords in the Library of J. Pierpont Morgan, 1912 ot suiv.	xxii
Cuneiform Texts from Babylonian tablets, etc., in the British Museum. 1896 et Suiv.	xxiii

Hilprecht Anniversary Volume, 1909 xxiv
The Eothan Series xxiv
The Babylonian Expedition of the University of Pennsylvania:
Series A: Cuneiform Texts xxv
Series D: Researches and treatises xxvi
University of Pennsylvania. The Museum. publications of the Babylonian Section xxvii
Yale Oriental series:
Babylonian Texts, 1915 et suiv xxviii
Researches xxix
Assyriologische Bibliothek xxx
Keilinschriftliche Bibliothek, 1889 et suiv xxxi
Boghazkoi-Studien xxxi
Konigliche Museen zu Berlin, Mitheilungen aus den Orientalischen Summlungen, 1889 et suiv. xxxii
Vorderasiatische Bibliothek xxxii
Vordorasiatische Schriftdenkmaier der kôniglichen Museen zu Berlin, 1907 ot suiv. xxxiii
Wissenschaftliche Veroffentiichung der Deutschen Orient-Gesellschaft. xxxiv
Der Alte Orient xxxiv

III. OUVRAGES PARTICULIERS

Allotte De La Fuye, Documents présargoniques, 1908 et suiv xxxv
Afred Boissier, Documents assyriens relatifs aux presages, 1894 xxxvi
P.E. Botta et E.Flandin, Monument de Ninive, 1819 xxxvii
Erienne Combe, Histoire du culte de Sin, 1908 xxxviii
Georges Contenau, Contribution a l' histoire économique d' Umma xxxix
—La déesse nue babylonienne, 1904 xl
—La civilisation assyro-babylonienne, 1922 xl
Gaston Cros, Léon Heuzey et Fa. Thureau-Dangin, Nouvelles fouilles de Tello, 1910 xli
Edouard Cuq, Le mariage à Babylone d'apres les lois de Hammurabi, 1905 xlii
Edouard Cuq. Notes d'épigraphie et de papyrologie juridiques, 1908-1909 xliii
Edouard Cuq, La Propriété foncíére en Chaldéé, 1906 xliv

Etude sur les contrats del' epoque de la lre dynastie babylonienne 1910 — xlv

Edouard cuq, Les nouveaux fragments du code de Hammurabi sur le pret à intéret et les societes, 1918 — xlvi

Edouard cuq, Le cautionnement en Chaldée, 1918 — xlvii

— Les pierres de bornage babyloniennes du British Museum, 1920 — xlviii

De Clercq ot Joachim Menant, Collection de Clercq, Catalogue méthodique et raisonné, 1888 — xlix

Louis Delaporte. Catalogue des cylindres orientaux du Musée Guimet, 1906 — xl

Louis Delaporte. Catalogue des cylindres orientaux de la Bibliothéque nationale, 1910 — xli

Louis Delaporte et Fr, Thureau-Dangin· Catalogue des cylindres orientaux du musée du Louvre, 1920-1922 — xlii

Paul Dhorme, Choix de textes religieux aasyro-babyloniens, 1907 — xliii

— La relgion assyro-babylonienne, 1910 — xliv

Marcel Dieulafoy. L'acropole de Suse, 1893 — xlv

J. E. Gautier, Archives d' une famille de Dilbat — xlvi

Léon Heuzzey, Les origines orientales de l' art — xlvii

— Musée du Louvre catalogue des antiquités chaldéennes, 1902 — xlviii

Charles Fossey, Manuol d' assyriologie, 1904 — xlix

— La magie assyrienne, 1909 — l

— Textes assyriens et babyloniens relatifs à la divination, 1905 — li

Henri De Genouillac, Tablettes sumériennes archaiques, 1909 — lii

— La trouvaille de dréhem, 1911 — liii

M. J. Lagrange, Etudes sur les religions semitiques, 2 edit, 1905 — liv

Stephen Langdon, Le poeme sumérien du Paradis, du déluge et de la chute de l' homme. — lv

Léon Legrain, Le temps des rois d' Ur, 1912 — lvi

— catalogue des cylindres orientaux de la collection Louis cugnin, 1911 — lvii

Francois Martin, Lettres néo-babyloniennes — lviii

— Textes Religieux Assyriens et babyloniens, 1900 — lix

Gaston Maspero-Histoire Ancienne des Peuples del'orient classique, 1895 — lx

Gaston Maspero-Histoire Ancienne des Peuples del'orient 8. Edit 1909 — lxi

Joachim Menant-Les Écritures cuneiformes, 1864 lxii
— catalogues des cylindres orientaux du cabinet royal des Médailles de La Haye, 1878 lxiii

. Jules Oppert, Expédition scientifique en Mésopotamie I869 lxiv

Victor Place, Ninive et l'assyrie, I867 lxv

G. Perrot et ch. chipiez. Histoire de l'art dans l'antiquité, t. ii, I884 lxvi

L. Pillet, Le Palais de Darius l' à Suse, I9I4 lxvii

J. Plessis, Etudes sur les textes concernant Ishtar-astarté, I92I lxvii

Edmond Pottier, Musèé du Louvre. Les antiquités assyriennes, I917 lxviii

Max Ringelmann, Essai sur l' histoire du génie rural, t. ii, I907 lxix

Ernest de sarzec et Léon Heuzey, découvertes en chaldée, I884 lxx

Vincent Scheil, Une saison de fouilles á sippar lxxi
— La loi de Hammurabi, I904 (cf. XVIII, t. IV.) lxxii
— Recueil de lois assyriennes, 1921 lxxiii

V. Scheil et M. dieulafoy, Esagil ou le temple de Bel-Marduk à babylone, 1913 lxxiv

François Thureau-dangin, Recueil de Tablettes Chaldeennes lxxv
- Les Inscriptions de Sumer et d'akkad, 1905 lxxvi

Francois Thureau-dangin, chronologie des dynasties de sumer et d' akkad, 1918 lxxvii

Francois Thurea-dangin, Rituels accadiens, 1921 lx.vii

charles Virolleaud, L' astrologie chaldéenne, I908 et suiv lxxviii

Edgar James banks, bismya or the lost city of adab, 1912 lxxix

G. a. barton. Haverford Library collection of cuneiform Tablets, 9I0 lxxx

E. a. Wallis budge, assyrian sculptures in the British Museum Reign of ashur-nasir-pal, 1914 lxxxi

E. a. Wallis budge et L. W. King, annals of the kings of assyria, 1902 lxxxii

Harper, assyrian and babylonian Letters lxxxii

H. V. Hilprecht, Exploration inbible Lands during the 19 th century, 1907 lxxxiii

Mary Inda Hussey, gumerian Tablets in the Harvard Semitic Museum, 1912 lxxxiv

Morris Jastrow, aspects of Religious Belief and Practice in Babylonia and assyria. 1911 lxxxv

Leonard W. King, a history of Sumer and akkad 1910 lxxxvi

— A history of Babylon, 1915 lxxxvii

— Studies in eastern history, 1904 lxxxviii

— The letters and Inscriptions of Hammurabi, 1898 lxxxix

— Babylonian Boundary Stones and Memorial Tablets in the British Mnseum, 1912 xc

- Bronze Reliefs from gates of Shalmaneser King of Assyria, xci

Leonard W. King' The seven tablets of Creation, 1902 xcii

- Babylonian magic and Sorcery, 1896 xciii

C. h. W. Johns, Assyrian deeds and doeument, 1898 xciv

- Babylonian and Assyrian Laws, Contracts and Tablets, 1904 xcv

Stephen Langdon, Tablets from the Archives of drehem, xcvi

– Sumerian and Babylonian Psalms, 1909 xcvii

– Babylonian Liturgies, xcvili

Layard, The monuments of Nineveh, 1853 xcviii

Archibald Paterson, Assyrian Sculptures xcix

- Assyrian Sculptures , Palace of Sinacherib xcx

Theophilus G. Pinches' The amherst Tablets, 1908 ci

Thompson, The devils and evil Spirits of Babylonia cii

William hayes Ward, Cylinders and other oriental Seals in the Library of J. Pierpont morgan, 1909 ciii

William hays Ward, The Seal cylinders of Western asia, 1910 civ

E. G. Klauber; Poltisch-religliose Texte aus der Sargonidenzeit, 1913 cv

J. Kohler et F. R. Peiser, Aus dem babylonischen Rechtsleben 1890 cvi

J. Kohler ot F. E. Peiser' Hammurabis Gesetz, 1904 cvii

- Urkunden aus der Zeit der dritten babylonischen dynastie, 1905 cviii

A. T. Olmstead history of assyria, 1923 cvii:

J. Kohler et F. E. Peiser, Babylonische Vertage des Berliner museums, 1920 cviii

J. Kohler ot A. Ungnad, Assyrische Rechtsurkunden cix

– hundert ausgewahlte Rechtsurkünden
aus der Spatzeit des babylonischen Schrifttums
von Xerxes bis mithridates II (485-93 v.chr.).. cx
Koldeway, das neuerscheinende Babylon, 1913 cxb
F. x. Kugler, die babylonische Mondrechnung. 1900 cxi
– Sternkunde und Sterndienst in Babel, 1907 et suiv, cxii
Edouard meyer, Geschichte der altertums cxiii
J. N. Strassmaier, Babylonische Texte cxiv
K. L. Tallquist. die assyrische Beschworungsserie
maqlu, 1894 cxv
m. V. Nikolski, documents economiques de l' ancienne
époque de chaldée (en russe) . cxvi.

اضافات وتصحيحات

ص ٢١ — يستبدل بهامش (١) الآتى :

كان الأب كوجلر Kugler قد حدد عام ٢٢٢٥ لبدء الأسرة الأولى البابلية وذلك كنتيجة لسلسلة من الأرصاد الخاصة بخسوف كوكب الزهرة فى عصر الملك أميزادوجا Ammizadouga وخاصة ذلك الخسوف الذى حدث فى السنة السادسة من حكمه والذى يُعد من بين التواريخ التى يعتبرها معروفة وهو من أجل ذلك يرجع هذا الخسوف إلى عام ١٩٧٢ — ١٩٧١ ق . م . إلا أنه عاد فغير رأيه فى كتاب « من موسى إلى بولص Von — Moses bis Paulus p. 497 صفحة ٤٩٧ » إذ أدخل فى حسابه بعض الاعتبارات المتعلقة بأوقات جنى المحصولات طبقا لما ورد على ألواح ترجع إلى نفس العصر وعلى هذا الأساس حدد عام ١٧٩٦ — ٩٥ بدلا من عام ١٩٧٢ — ٧١ . ولقد ترتب على ذلك أن حذف من عصر الأسرة الأولى ومن كل ما سبقتها من أحداث مقدار ١٧٦ سنة . ومعنى هذا أن تبدأ الأسرة الأولى عام ٢٠٤٩ ق . م وهو تاريخ شديد القرب من عام ٢٠٥٧ الذى يحدده « فيدنر Weidner » لبدء نفس الأسرة طبقا لاعتبارات أخرى . أما الفلكى « فوذرينجام Fotheringam » الذى أورد ذكره « لانجدون Langdon » فى كتابه (Oxford Editions of Cuneiform texts, t. II, 1923, p. 111) فانه لايقبل الرأى الأول للأب كوجلر عن تاريخ ١٩٧٢ — ٧١ ويعلن استحالته من الوجهة الفلكية كما يرفض أيضا قبول التصحيح المقترح وفى اعتقاده أن السنة الوحيدة التى يمكن أن تتطابق مع الوقائع الواردة فى الوثيقة المسمارية للعام السادس من حكم الملك « أميزادوجا Ammizadouga » هى ١٩١٦ — ١٥ ومن ثم فإن بدء الأسرة يقع فى عام ٢١٦٩ . وإذا كان الأمر كذلك فيجب حذف ٥٦ سنة من تاريخ هذه الأسرة وما سبقها من أحداث . ولكن قبل التعجل بتعديل التاريخ المعمول به فى فرنسا يحسن الانتظار حتى

تم الاتفاق بين الفلكيين أو إلى حين ظهور كشوف جديدة في عالم الآثار الآشورية .

صفحتا ٢١ و ٢٢ :

هناك قائمة جديدة للملوك منذ بدء البشرية حتى أسرة «ايسن isin »تضمها مجموعات متحف الأشموليان ولقد نشر هذه القائمة حديثا لا نجدونOxford Epitions of Cuimeiform Texts T.II 1923 » في كتاب « Langdon

والنص الذى تكون من تجميعات لبعض اللوحات المهشمة والتى كانت معروفة فيما سبق لم يحدد تماما مكان الأسرة الثالثة فى كيش والأسرة الثانيةفى أوروك بالنسبة إلى الأسرة فى حمازى والأسرة الثانية فى أور من ناحية والأسرة فى مارى والأسرة فى اكشاك من ناحية أخرى (قارن الجدول على صفحة ٧٣) ولقد تمكن (انجناد Ungnad) معتمدا على بعض الاعتبارات الخاصة بترتيب أجزاء هذا النص ، من أن يقتنع بامكان اضافة الأسرة الثالثة فى كيش بعد الأسرة في حمازى ، هذا مع أن الوثيقة الجديدة تضعها على العكس بعد الأسرة فى مارى وتحدد الأسرة الثانية فى أوروك بعد الأسرة فى حمازى

وهكذا فإن هذه الوثيقة قد حددت تماما تتابع الأسرات كما ذكرت أسماء معظم الملوك ومدة حكم كل منهم بل وعصر كل أسرة ، إلا أننا لازلنا نجهل القاعدة التى اتبعت فى تكوين الأسرات فثلا لم يرد ذكر بعض الأمراء ممن كان لهم شأن كبير مثل « مسيليم » . وهناك النصوص التى تتحدث عن الأسرة الأولى فى « أور » والتى كشف عنها حديثا فانها لاترجع فى تاريخها إلى العصور السحيقة بل من المرجح أنها كتبت حوالى عصر الملك « أورنينا » وفى الواقع ، فان النصوص المعاصرة هى فقط التى كانت تسمح باضافة أسماء

بعض الأمراء فى قوائم التاريخ الذين اعتبروا من بين أفراد الأسرات الأسطورية فى حين أنهم عاشوا فى عالم الحقيقة .

ولقد أبلغنى « فيدنر Weidner » بقرب ظهور مؤلف عن قائمة جديدة للأسرات محفوظة فى متحف برلين وهو يعتقد أن هذه القائمة سيكون فيها الحل الجزئى لهذه المسألة

ص٢٢ و٢٣ .

فى أطلال مدينة كيش (حيث قام « جنوياك H. de Genouillac » الفرنسى ببعض أعمال الحفر فى موسم شتاء ١٩١١ — ١٩١٢ مبعوثا من وزارة المعارف العمومية الفرنسية) عثر « لا نجدون » مدير الحفائر الذى أرسلته كل من جامعتى اكسفورد وشيكاغو فى مارس سنة ١٩٢٤ على عدة آلاف من الألواح التى ترجع إلى عصر بدء الأسرات محفوظة بعناية فى قدور . ومن المعروف أن بعض هذه اللوحات يرجع إلى عصور أقدم من عصور كل النصوص التى نشرت حتى الآن ويظهر أنها ستمدنا بمعلومات هامة عن تاريخ سومر وأكد قبل الألف الثالث . أما « دى جنوياك » فهو يعد حاليا مؤلفه عن الالواح التى كشف عنها .

ص ٢٣ و ٢٤:

أمدتنا وثيقتان من الوثائق المحفوظة فى متحف الاشموليان نشرتا حديثا باسم كل ملك ومدة حكمه ومدينته من الملوك السابقين على الطوفان . فالوثيقة (W. B 62,XI, 1923) تشير إلى عشرة ملوك حكموا فى ست مدن خلال مدة قدرها ٤٥٦٠٠٠ سنة — والوثيقة W. B. 144 (Oxford Editions of Cuneiform texts, II,1924) تذكر ثمانية ملوك فقط حكموا فى خمس مدن كان من المعروف أنها المدن الوحيدة التى أسست قبل

الطوفان وهى : اريدو ، بادتيبيرا ، لاراك ، سيبار ، شوروباك . ولم تذكر هذه الوثيقة اسم الملك الذى حدث فى عصره الطوفان . ولا يتعدى المجموع الاجمالى لسنى حكم هؤلاء الملوك أكثر من ٢٤١٢٠٠ سنة . وهناك قائمة أخرى لم تنشر بعد أشار إليها « فيدنر Weidner » فى مجموعة ألواح أشور .

ولقد حلت مدينة بابل محل اريدو وكانت على رأس القائمة فى الروايات التى أخذ عنها « بيروس Berose » ويبدو أن الوثيقة التى استخدمها تعرضت للاصلاحات والتهذيبات فى عصر حمورابى . وأن الدراسات التى قام بها المحدثون للأسماء الملكية لا يستحق معظمها سوى الاهمال . فلا ينبغى مثلا اعتبار Xisoutbros كنطق محرف للاسم البابلى Atra-hasis بل أنه خطأ فى الكتابة والقراءة . وهذا الاسم Xisouthros يمثل النطق Zi Sorudda وهو الصيغة الذى اشتق منها الاسم السومبرى Zi ou Souddou

ص ٢٥

بدلا من « ١٨ ألف سنة » تقرا : « ٢٤٥١٠ سنة وثلاثة شهور وثلاثة أيام ونصف » وهو الرقم الكامل الذى ذكره نص اكسفورد (قارن الملاحظة الخاصة بصفحتى ٢١ و٢٢) .

ص ٧٣

مدة الأسرات السابقة على الطوفان هى ٤٥٦٠٠٠ سنة طبقا للوثيقة W . B 62 و ٢٤١٢٠٠ سنة طبقا للوثيقة W . B 444 التى تذكر أيضاً الأرقام الآتية :

الأسرة الأولى فى كيش : ٢٤٥١٠ سنة وثلاثة شهور وثلاثة أيام ونصف

الأسرة الأولى فى أوروك : ٢٣١٠ سنة

« الثانية فى كيش : ٣١٩٥ «

« « أوروك : ٤٢٠ «

سنة في مارى : ١٣٦ سنة

« الثالثة في كيش : ١٠٠ «

« الرابعة في كيش : ٤٩١ « وهو رقم يبدو أن من الواجب تصحيحه إلى ⅔٩٧ سنة

« الخامسة في أوروك : ٧ سنوات

وكما سبق شرحه في الملاحظة الخاصة بصفحتى ٢١و٢٢ فان الأسرة الثالثة كيش والثانية في أوروك يجب وضع كل منهما مكان الأخرى

ص ٣٠٣ سطر ٢٠

بدلا من هاتين Patin تقرأ حاتينا Hattina وذلك لان العلامة الاولى من هذا الاسم يمكن نطقها إ.ا « حات » أو « با » وهناك نص حيثى المصدر يحدد القراءة الصحيحة لهذه العلامة نظراً لان المرادف لها نُطق في هذا النص (حات Ha.at)

ص ٣٢١

يملك المتحف البريطاني لوحة كانت تكون جزءاً من وثيقة خاصة بالتأريخ البابلي وفيها ذكر للحوادث من عام ٦١٦ إلى عام ٦٠٩ ق م ولقد حددت تخريب نينوى بعام ٦١٢ ولقد حدث هذا على أيدى الميديين الذين ساعدهم البابليون والسكيثيون . وعقب ذلك تكون جيش أشورى في « حران » حيث أعلن « أشور — أو باليت » نفسه ملكا بمساعدة المصريين الذين كان قد مضى عليهم بضع سنوات متحالفين مع الاشوريين وذلك خوفا من خطر الميديين . وفي عام ٦١٠ هاجم « نبو نصر » وحلفاؤه

من السكيثيين « أشور — أو باليت » واضطره إلى الجلاء عن « حران » وعبور الفرات ولكنه عاد سنة ٦٠٩ على رأس جيش مصرى وقاتل ولكننا نجهل ما حدث بعد ذلك .

(قارن Gadd, The Fall of Niniveh , 1923)

ص ٣٣٢ فى النهاية

التاريخ الأخير هو ٦١٢ وليس ٦٠٦ طبقا للملاحظة السابقة

فهرس الصور

فهرس المواد

الجزء الثانى

الحضارة الأشورية

الكتاب الثانى ـ النظم

تصــــويب

إكتفينا بتصويب أهم الأخطاء المطبعية ، تاركين بعض الأخطاء التى تبدو لنظر القارئ لأول وهلة :

صفحة	سطر	خطأ	صواب
١	٥	يغيه	بغية
٩	٦	قابادوقيا	قابادوقيا
١٦	الهامش فى السطر الأخير	Suiss.	Suiv.
١٨	١٩	سيطر	سيطرت
٢٠	٣	Guudea	Goudea
٢٠	٧	Kesh	Kish
٢٠	١١	Agdé	Agadé
٢٩	١٧	اثنين	اثنين
٣٠	١٤	الآله	الإله
٣٢	٥	تارل	تنازل
٣٧	٥	بها	بهما
٤٧	١	اورو لارسا	أور ولارسا
٥١	١٤	dur	dour
٥٦	٩	Hattousi	Hattousil
٥٧	٢٢	Som	Shoum
٦٠	١١	ثلاثه	ثلاثة
٦٦	٣	سحق	سحق
٦٧	١٦	سناخريت	سناخريب
٦٩	٢١	أوروشيم	أورشليم
٧٢	٥ و ١٠	دارايوش	دارا
٧٩	الهامش السطر قبل الأخير	نفرق	تفرق
٨٠	٢٠	نسا	نساء
٨٧	١٤	فاى ان	فان أى
٩٢	١٦	بسمح	يسمح

صفحة	سطر	خطأ	صواب
٩٩	٣	وهالى	وحانى
١١١	٩	مشروعون	مشرعون
١٢٩	٤	لارساب	لارسا
١٣٠	١٧	بسرق	يسرق
١٣٢	١٥	الزارع	المزارع
١٣٢	٢٠	جمة	جمعه
١٤٣	١٦	أوريننا	أورنينا
١٤٧	٢٢	، مينا	،(١) مينا
١٤٩	٧	قيه	فيه
١٥٠	٥	متزلهما	منزلهما
١٥٤	١	القرض	المقرض
١٦٥	١٣	الأساسبة	الأساسية
١٧٥	٢	ستطل	ستظل
١٧٨	١٠	مروداش	مروداخ
١٧٩	٣ و٤	كرسى	كُرْسَ
١٨٥	١٠	المخنارة	المختارة
١٨٧	٢١	أيها	أيتها
٢١٣	١٩	المعروقة	المعروفة
٢١٥	٩	الدبوريت	الديوريت
٢٢٢	٦	( )	(١)
٢٢٣	٨	المقش	النقش
٢٢٤	٣	كادناكس	كاوناكس
٢٢٥	١	ناء	إناء
٢٢٥	٢١	واختبار	واختيار
٢٣٤	١	كادناكس	كاوناكس
٢٤٦	١٠	ولاهو	ولاهامو
٢٤٨	١٦	الخلو	الحلو
٢٥٠	١	وارتفع	وارتفعت
٢٥٤	٢٢	وأدى	وأرى
[illegible]	١١	ابشاكو	إيشاكو

صفحة	سطر	خطأ	صواب
٢٧١	٢٠	المدنية	المدينة
٢٧٦	١١	ويشرات	عشرات
٢٧٦	١٧	عضغط	وبضغط
٢٧٩	٢٠	الشاجص	الشاخص
٢٩٢	٩	شيزاريه	قيصرية
٢٩٨	١٦	غزاوته	غزواته
٣٠٠	٤	ملايم	ملائم
٣٠١	١٦	سله	مسلة
٣٠٩	١١	الأشورتبين	الأشوريين
٣١٠	السطر الأخير	زى	ترى
٣٢٠	١٩	ن	من
٣٤٥	٢	وسوتها	وسويتها
٣٤٥	٧	ومحت	ومحوت
٣٤٦	٤	مزنية	مزينة
٣٤٨	١٧	وصيد	وصيه
٣٥٣	١٦	بسقط	يسقط
٣٥٨	٢	التشربع	التشريع
٣٥٩	١١	تقديرا	تقدير
٣٦٢	١٢	ريبائى	ريباقى
٣٦٦	أول السطر الأخير	م	غام
٣٨٢	١٦	برج مدرج	برجا مدرجا
٣٩١	٤	مثه	منه
٣٩٨	٨	فى الأفاريز	إما فى الأفاريز
٣٩٨	٨	أو شمبران	وإما فى شمبران
٣٩٩	٤	٢١½	٣١½
٤٠٠	٨	حوانط	حوائط
٤٠٦	١٧	والأوراف	ولأوراق
٤٠٩	٦	يكر	يكن
٤١٣	٢٢	يزوّد	يزوَّد
٤١٤	١٦	وكانث	وكانت

أهداف هذه المجموعة

* تكوين مكتبة عربية متكاملة ، يجد القارىء العربى فيها كل ما هو بحاجة اليه من المعلومات فى شتى الموضوعات ، معروضة عرضا سهلا ، يتقبله القارىء العادى ، ويجد فيه المتخصص الحقائق والنظريات والآراء مبسوطة بغاية الدقة ، متمشية مع آخر ماوصل اليه العلم فى تلك الموضوعات .

* نشر هذه المكتبة فى أوسع نطاق ممكن ، وذلك بتخفيض السعر قدر الامكان ، واشراك اكبر عدد من الناشرين فى نشرها .

* النهوض بالكتاب العربى من حيث الشكل والموضوع .

* تشجيع عادة اقتناء الكتب وقراءتها .

* الافادة بصورة عملية من جهود العلماء والادباء فى شتى الأمم ، بأتاحة الفرصة أمام القارىء العربى للاطلاع الواسع على ماعندهم .

* افساح المجال أمام الشباب الطامح الى الاشتغال بالعلم والأدب للمساهمة بصورة ايجابية فى النهضة العلمية والأدبية .

* تشجيع الناشرين فى مصر والدول الشقيقة على الاقبال على نشر كتب العلم والثقافة العالمية ، وتعويضهم تعويضا مجزيا .

* تجديد النشاط الفكرى فى العالم العربى عن طريق الكتب القيمة التى تحمل اليه العلم والمعرفة .

